يطبع لأول مرة محققاً

إتحاف السادة المتقين

للسيد الإمام

محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني الزبيدي

بشرح

إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام الإمام

محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي

تحقيق

أشرف محمد أحمد

راجعه ودققه

عثمان أيوب البوريني

محمد سميح الشيخ حسين

2024

المجلد العشرون وفيه كتابا ذم الدنيا وذم البخل

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب ذم الدنيا

- بيان ذم الدنيا
- بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها
- بيان صفة الدنيا بالأمثلة
- بيان حقيقة الدنيا وماهيَّتها في حق العبد
- بيان ماهية الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هِمَم الخلق حتىٰ أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم

٢٦ - كتاب ذم الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

الحمد لله الذي أصعدَ[1] قوالبَ الأصفياء بالمجاهدات، وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدات، وخلَّص أشباح المتقين من ظُلَم الشهوات، وأخلص أرواح الموقنين عن ظُلَم الشبهات. أحمده حمد مَن رأىٰ آيات قدرته الباهرة، وشاهد شواهد فردانيته القاهرة، فانكشفت له عجائب المقدورات، وأشكره شكر مَن اعترف بمجده وكماله، واغترف من بحر جوده وإفضاله، فخوطِب بأسرار المنازلات. وأشهد أن لا إله إلا الله إلهًا واحدًا وربًّا قادرًا، فاطر الأرضين والسموات، شهادة تؤذن بإخلاص الضمائر والطويَّات، وتنير مطالع أنوارها غياهب الشكوك وسُدَف الدجنات، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله وحبيبه وخليله، المبعوث إلىٰ كافَّة البريَّات بالآيات الباهرات، المنعوت بأشرف الخلال الزاكيات، ﷺ وعلىٰ آله الأئمة الهُداة، وأصحابه الفضلاء الثقات، وعلىٰ أتباعهم بإحسان ما هبَّت في الأسحار النسمات، وسلم كثيرًا كثيرًا.

وبعد، فهذا شرح كتاب ذم الدنيا، وهو السادس من الربع الثالث من كتاب الإحياء للإمام الربَّاني حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي،

---

(١) أي: رقاها.

نفع الله بأسرار علومه، وأفاض علينا من إفاضات أنوار فهومه، حللت فيه عقدة ألفاظه الغريبة، ورفعت من وجوه معانيها حُجُب الخفاء والريبة، مع تتبُّع تخريج ما أورد فيه من الأخبار والآثار وما نقل من أقوال الصالحين ومن أحوال الأخيار، علىٰ وجه غير مخلٍّ ولا مملٍّ، إن لم يصبْه وابلٌ فطَلٌّ، مستعينًا بالله في سائر الأمور، سائلاً منه الإمداد وشرح الصدور، فنعم المولىٰ ونعم النصير، وهو علىٰ كل شيء قدير.

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي عرَّف أولياءه غوائل الدنيا**) أي[1] دواهيها؛ قاله الكسائي، وقيل: الغائلة: الفساد والشر (**وآفاتها، وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها**) أصل[2] العورة: السوءة، سُمِّيت بها لقبح انكشافها والنظر إليها، وكل شيء يستره الإنسان أَنَفة وحياءً فهو عورة (**حتىٰ نظروا في شواهدها وآياتها**) الدالَّة عليها (**ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرُها علىٰ معروفها**) المنكَر: ما أنكره العقلُ والشرع، والمعروف ضده (**ولا يفي**) من الوفاء (**مرجوُّها بمخوفها**) أي مخوفها يزيد علىٰ مرجوِّها (**ولا يَسلم طلوعها من كسوفها**) أي من تغيُّرها وزوالها (**ولكنها في صورة امرأة مليحة**) الصورة (**تستميل الناس**) أي تصرفهم إليها (**بجمالها**) أي زينتها، أشار بذلك إلىٰ ما ذكر صاحب القوت أنه قد كوشِف بها بعض الأولياء في صورة امرأة، ورأىٰ أكُفَّ الخلق ممدودة إليها، وهي تجعل في أيديهم شيئًا. قال: وطائفة تمر عليها مكتوفي الأيدي لا ينظرون إليها فلا تعطيهم شيئًا (**ولها أسرار سوء قبائح تُهلِك الراغبين في وصالها**) أي مواصلتها (**ثم هي فَرَّارة**) أي كثيرة الفرار والشرود (**عن طلاَّبها**) جمع طالب (**شحيحة بإقبالها**) أي بخيلة به، إن هي أقبلت علىٰ أحد منهم لم تعطِه من إقبالها شيئًا (**وإذا أقبلت لم يؤمَن شرها**) أي ضررها ونكايتها (**ووبالها**)

(١) المصباح المنير ص ٤٥٧.

(٢) السابق ص ٤٣٧.

أي وخمها وسوء عاقبتها (**إن أحسنت**) إلىٰ أحد (**ساعة**) من الدهر (**أساءت سنة**) وهي عند العرب أربعة أزمنة (**وإن أساءت مرةً**) واحدة (**جعلتْها**) أي الإساءة (**سنَّة**) متبَعة لا تنثني عنها (**فدوائر إقبالها علىٰ التقارب دائرةٌ**) أي تدور دوائرها بالهلاك متقاربةً (**وتجارة بنيها**) أي أولادها (**خاسرة**) غير رابحة (**بائرة**) من البَوار وهو الهلاك (**وآفانها علىٰ التوالي**) أي علىٰ تعاقُب الزمن (**لصدور طلاَّبها راشقة**) كما ترشق السهام بالأغراض (**ومجاري أحوالها بذُلِّ طالبيها ناطقة**) أي مصرِّحة بلسان حالها (**فكل متعزِّز بها إلىٰ الذل مصيره**) أي مرجعه وعاقبته (**وكل متكثِّر بها إلىٰ التحسُّر**) أي التلهُّف (**مسيره، شأنها الهرب من طالبها**) أي تفرُّ ممَّن يطلبها (**والطلب لهاربها**) أي تطلب مَن هرب عنها وولاَّها بظهره (**مَن خدمها**) وفي نسخة: مَن قصدها (**فاتته، ومَن أعرض عنها واتته**) أي وافقته (**لا يخلو صفوُها عن شوائب الكدورات**) والشوائب هي الأدناس والأقذار، واحدها: شائبة. قاله الجوهري[1] (**ولا ينفكُّ سرورها عن المنغِّصات**) أي المكدِّرات (**سلامتها تعقب السقمَ**) أي المرض (**وشبابها يسوق إلىٰ الهِرَم**) أي الضعف والكِبَر (**ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم، فهي خَدَّاعة**) كثيرة الخداع (**مكَّارة**) كثيرة المكر (**طيَّارة**) كثيرة الطيران (**فَرَّارة**) كثيرة الفرار، فهي كما قال بعضهم وأجاد: إن جلت أوجلت، أو حلت أوحلت، أو كست أوكست (**لا تزال تتزيَّن لطلاَّبها**) بأنواع الزِّيَن (**حتىٰ إذا**) ركنوا إليها و(**صاروا من أحبابها كشَّرت لهم عن أنيابها**) أي أفصحت لهم بالعداوة والشر، كما أن الكلب إذا هرَّ علىٰ أحد كشَّر عن أنيابه، أي أظهرها (**وشوَّشت**) أي غبَّرت وخلَّطت (**عليهم مَناظِم أسبابها**) أي الأسباب المنظومة في سلك الاعتدال (**وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فأذاقتهم قواتل سمامها**) جمع سُم (**ورشقتهم بصوائب سهامها**) أي رمتهم بسهامها الصائبة التي لا تكاد تخطئ (**بينما أصحابها منها في سرور وإنعام إذ ولَّت عنهم**) أي أدبرت (**كأنها أضغاث**

---

(١) الصحاح ١/ ١٥٩.

أحلام) كناية عن الشيء كأنه لم يكن (**ثم كرَّت**) أي رجعت (**عليهم بدواهيها**) أي شدائدها (**فطحنتهم طحن الحصيد**) أي الزرع المحصود (**وواريتهم**) أي سترتهم (**في أكفانهم تحت الصعيد**) أي وجه الأرض (**إن ملَّكت واحدًا منهم جميعَ ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدًا**) أي محصودًا ومكسَّرًا (**كأن لم يَغْنَ بالأمس، تمنىٰ أصحابها سرورًا وتَعِدُهم غرورًا**) أي تغرُّهم في وعدها (**حتىٰ يؤمِّلون كثيرًا ويبنون قصورًا**) أي أبنية مرتفعة (**فتصبح قصورهم قبورًا**) أي تؤول إليها (**وجمعُهم بُورًا**) أي هلاكًا (**وسعيهم هباءً**): ما يُرىٰ في ضوء الشمس (**منثورًا**) أي مبدَّدًا (**ودعاؤهم ثبورًا، هذه صفتها، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا**) وهذا السياق منتزَع من خطبة لعلي رضي الله عنه ذكرها صاحب «نهج البلاغة»، وسيأتي ذِكرُ بعضها.

(**والصلاة علىٰ**) سيدنا (**محمد عبده ورسوله، المرسَل إلىٰ العالمين**) أي كافَّة الخلق أجمعين (**بشيرًا**) لأهل الإيمان بالجنان (**ونذيرًا**) أي منذرًا لأهل الكفر بالنيران (**وسراجًا منيرًا، وعلىٰ من كان من آله وأصحابه له في الدين ظهيرًا**) أي معينًا في إقامته (**وعلىٰ الظالمين**) الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والنفاق (**نصيرًا**) أي ناصرًا (**وسلم تسليمًا كثيرًا**.

أما بعد، فإن الدنيا عدوَّة لله وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله، أما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق علىٰ عباد الله) السالكين إليه (**ولذلك**) أي لأجل عداوتها لله (**لم ينظر الله إليها**) نظر عناية (**منذ خلقها**) كما ورد ذلك في الخبر، وسيأتي بيانه (**وأما عداوتها لأولياء الله فإنها تزيَّنت لهم بزينتها، وعمَّتهم**) أي شملتهم (**بزهرتها ونضارتها**) وهي متاعها وزينتها (**حتىٰ تجرَّعوا مرارة الصبر في مقاطعتها**) وقطعوا النظر عن زينتها (**وأما عداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم**) أي أخذتهم درجة درجة (**بمكرها ومكيدتها، واقتنصتهم**) أي صادتهم (**بشَبَكتها**) وهي محرَّكة: آلة الصيد (**حتىٰ وثقوا بها**) أي اطمأنوا بها (**وعوَّلوا**) أي اعتمدوا (**عليها، فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها، فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد، ثم حرمتهم السعادةَ**

أبد الآباد) أي إلىٰ آخر الدهر (فهم علىٰ فراقها يتحسَّرون) أي يتلهَّفون (ومن مكائدها يستغيثون ولا يُغاثون) أي ولا يُنصَرون (بل يقال لهم: اخسئوا) أي ذلُّوا (فيها ولا تكلِّمون ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾) [البقرة: ٨٦] وهذا مقتبَس من كلام عمر بن عبد العزيز فيما أخرجه صاحب الحلية[١] أنه كتب إلىٰ عامله عدي بن أرطأة: أما بعد، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعدائه، فأما أولياء الله فغمَّتهم، وأما أعداء الله فغوتهم (وإذا عظمت غوائلُ الدنيا وشرورها فلا بد أولاً من معرفة حقيقة الدنيا وما هي، وما الحكمة في خلقها مع عداوتها، وما مدخل غرورها وشرورها، فإنَّ مَن لا يعرف الشر لا يتَّقيه ويوشك أن يقع فيه) وهو لا يشعر (ونحن نذكر ذم الدنيا، وأمثلتها، وحقيقتها، وتفصيل معانيها، وأصناف الأشغال المتعلقة بها، ووجه الحاجة إلىٰ أصولها، وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغُل بفضولها إن شاء الله تعالىٰ، وهو المعين علىٰ ما يرتضيه).

---

(١) لم أقف عليه في الحلية، وقد رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٢٥، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٦٨ - ٦٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٠/ ٦٤.

(بيان ذم الدنيا)

(الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة، وأكثر القرآن مشتمل علىٰ ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلىٰ الآخرة، بل هو مقصود الأنبياء عليهم السلام، ولم يُبعثوا إلا لذلك، فلا حاجة إلىٰ الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها، وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها. فقد رُوي أن رسول الله ﷺ مر علىٰ شاة ميتة) شائلة برجلها. وفي لفظ: بجدي أجرب ميت (فقال: أترون هذه الشاة هيِّنة علىٰ أهلها؟ قالوا: من هوانها ألقوها. قال: والذي نفسي بيده للدنيا أهون علىٰ الله من هذه الشاة علىٰ أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناحَ بعوضة ما سقىٰ كافرًا منها شربة ماء) قال العراقي[(١)]: رواه ابن ماجه[(٢)] والحاكم[(٣)] وصحَّح إسناده من حديث سهل بن سعد، وآخره عند الترمذي[(٤)] وقال: حسن صحيح. ورواه الترمذي[(٥)] وابن ماجه[(٦)] من حديث المسور بن مخرمة[(٧)] دون هذه القطعة الأخيرة. ولمسلم[(٨)] نحوه من حديث جابر.

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٣.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٥٨.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٤٨.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ١٥٠.

(٥) السابق ٤/ ١٥٠ - ١٥١.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٥٨.

(٧) الصواب: من حديث المستورد بن شداد.

(٨) صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٢، ولفظه: «أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية، والناس كنفيه، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه؛ لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: فوالله للدنيا أهون علىٰ الله من هذا عليكم».

قلت: رواه ابن ماجه والحاكم في المستدرك من طريق أبي يحيىٰ زكريا بن منظور حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد به، ولفظه: كنا مع رسول الله ﷺ بذي الحُلَيفة، فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها، فقال: «أترون هذه هيِّنة علىٰ صاحبها؟ فوالذي نفسي بيده للدنيا أهونُ علىٰ الله من هذه علىٰ صاحبها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ كافرًا منها قطرة أبدًا». وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وهو متعقَّب، فابن منظور ضعيف. وأما الجملة الأخيرة من الحديث فقط بلفظ المصنف فقد أخرجها الترمذي من طريق عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم عن سهل بن سعد رفعه به، وقال: صحيح غريب من هذا الوجه. وهو من هذا الوجه عند الطبراني[١] وأبي نعيم[٢]، ومن طريقهما أورده الضياء في المختارة، وكذلك رواه البيهقي في الشعب[٣]. وأخرجه كذلك القضاعي في مسند الشهاب[٤] من طريق أبي جعفر محمد بن أحمد بن أبي عون، حدثنا أبو مصعب، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر رفعه: «لو كانت الدنيا ...» الخ. وكذلك رواه الخطيب في «رُواة مالك»[٥]. وفي الباب عن أبي هريرة؛ أشار إليه الترمذي.

(وقال ﷺ: **الدنيا سجن المؤمن**) بالنسبة[٦] لِما أُعِدَّ له في الآخرة من النعيم المقيم (**وجنة الكافر**) بالنسبة لِما أمامه من عذاب الجحيم. وقال بعضهم: معنىٰ قوله «الدنيا سجن المؤمن» أي لأنه ممنوع من شهواتها المحرَّمة فكأنه في سجن، والكافر عكسه فكأنه في جنة. وقال بعض العارفين: الدنيا سجن للمؤمن، إن شعر به وضيَّق فيه علىٰ نفسه طلبت السراحَ منه إلىٰ الآخرة فيسعد، ومَن لم يشعر بأنها

---

(١) المعجم الكبير ٦/ ١٥٧.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٥٣.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ٧٩ - ٨٠.

(٤) مسند الشهاب ٢/ ٣١٧.

(٥) ورواه أيضا في تاريخ بغداد ٥/ ١٤٨.

(٦) فيض القدير ٣/ ٥٤٦ - ٥٤٧.

سجن فوسَّع فيها على نفسه طلبت البقاء فيها وليست باقية فيشقى.

قال العراقي[(١)]: رواه مسلم[(٢)] من حديث أبي هريرة.

قلت: رواه[(٣)] من طريق الدراوَرْدي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة به مرفوعًا، وكذلك رواه أحمد[(٤)] والترمذي[(٥)] وابن ماجه[(٦)]، وكذا هو في حديث مالك عن العلاء.

وفي الباب عن ابن عمر وسلمان وابن عمرو. أما حديث ابن عمر فأخرجه البزار[(٧)] والعسكري والقضاعي[(٨)] من طريق موسى بن عُقبة عن عبد الله بن دينار عنه، ولفظه كسياق حديث أبي هريرة، وأخرجه الطبراني وأبو نعيم[(٩)] – واللفظ له – من حديث ابن عمر مرفوعًا: «يا أبا ذر، إن الدنيا سجن المؤمن، والقبر أمنه، والجنة مصيره. يا أبا ذر، إن الدنيا جنة الكافر، والقبر عذابه، والنار مصيره، المؤمن مَن لم يجزع من ذلِّ دنياه ...» الحديث[(١٠)].

وأما حديث سلمان فرواه الطبراني في الكبير[(١١)] والحاكم في المستدرك[(١٢)]،

---

(١) المغني ٨٧٣.
(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٢.
(٣) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٢١٧.
(٤) مسند أحمد ١٤/ ٤٤، ١٥/ ٢٣، ١٦/ ١٩٨.
(٥) سنن الترمذي ٤/ ١٥٢.
(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٥٩.
(٧) مسند البزار ١٢/ ٢٨٩.
(٨) مسند الشهاب ١/ ١١٨.
(٩) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٣.
(١٠) تمامه: «ولم يبل من أهلها وعزها».
(١١) المعجم الكبير ٦/ ٢٣٦، ٢٦٩.
(١٢) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣٤. وأخرجه البزار ٦/ ٤٦١.

ولفظه لفظ حديث أبي هريرة، وأخرجه العسكري في الأمثال[١] من طريق عطية بن عامر قال: رأيت سلمان أُكرِه علىٰ طعام، فقال: «حسبي أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أطول الناس جوعًا يوم القيامة أكثرهم شبعًا في الدنيا. يا سلمان، إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

وأما حديث ابن عمرو فأخرجه أحمد[٢] والطبراني وأبو نعيم[٣] والحاكم[٤] من طريق أبي عبد الرحمن الحُبُلّىٰ عنه بلفظ: «الدنيا سجن المؤمن وسنته، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة». ورواه البغوي في شرح السنة[٥]، ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن جُنادة، وهو ثقة[٦]. ورواه ابن المبارك في الزهد[٧] وزاد: «مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأُخرِج منه فجعل يتقلَّب في الأرض ويتفسَّح فيها».

وقد رُوىٰ عن الحسن مرسلاً، أخرجه العسكري في الأمثال من طريق سعيد ابن سليمان عن ابن المبارك قال: كان الحسن يقول: قال النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فالمؤمن يتزوَّد، والكافر يتمتع، واللهِ إن أصبح فيها مؤمن إلا حزينًا، وكيف لا يحزن مَن جاءه من الله أنه وارد جهنم، ولم يأتِه أنه صادر عنها».

(**وقال ﷺ: الدنيا ملعونة**) لأنها[٨] غرَّت النفوسَ بزهرتها ونضارتها فأمالتها

---

(١) وكذلك أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٩٨. وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢٨٩: رواه الطبراني وفيه سعيد بن محمد الوراق، وهو متروك.

(٢) مسند أحمد ١١/ ٤٤٢.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٧٧، ١٨٥.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٧.

(٥) شرح السنة ١٤/ ٢٩٧.

(٦) مجمع الزوائد ١٠/ ٥١٥.

(٧) الزهد والرقائق ص ١٩٩ موقوفا.

(٨) فيض القدير ٣/ ٥٤٩ - ٥٥٠.

من العبودية إلىٰ الهوىٰ حتىٰ سلكت غير طريق الهدىٰ **(ملعون ما فيها)** ويحتمل أن يكون المراد باللعن الترك، أي متروكة متروك ما فيها، وقد يقال: إنها متروكة الأنبياء والأصفياء، كما في الخبر الآخَر: «لهم الدنيا، ولنا الآخرة»[1] **(إلا ما كان لله منها)** قال العراقي[2]: رواه الترمذي[3] وحسَّنه وابن ماجه[4] من حديث أبي هريرة، وزادا: «إلا ذكر الله وما والاه وعالِم أو متعلِّم».

قلت: سياق المصنف أخرجه أبو نعيم في الحلية[5] والضياء في المختارة من حديث جابر بلفظ: «إلا ما كان منها لله عَزَّوَجَلَّ». وإسناده حسن. وأما حديث أبي هريرة فرواه كذلك الطبراني في الأوسط[6] من حديث ابن مسعود، وقال: لم يروِه عن ابن ثوبان عن عبدة إلا أبو المطرف المغيرة بن مطرف، ولفظه: «وعالمًا أو متعلِّمًا». والمغيرة بن مطرف لا يُعرَف. وقد رواه البزار[7] من هذا الطريق بلفظ: «إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكر الله». ورواه الطبراني في الكبير[8] من حديث أبي الدرداء بلفظ: «إلا ما ابتُغِي به وجه الله». قال المنذري[9]: إسناده لا بأس به.

(وقال أبو موسىٰ الأشعري) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: مَن أحب دنياه أضرَّ بآخرته)** لأن[10] حب الدنيا يشغله عن تفريغ قلبه لحب ربه، ولسانه لذكره،

(١) أخرجاه البخاري ٤٩١٣، ومسلم ١٤٧٩.

(٢) المغني ٢/ ٨٧٣.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٥١.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٥٩.

(٥) حلية الأولياء ٣/ ١٥٧، ٧/ ٩٠.

(٦) المعجم الأوسط ٤/ ٢٣٦.

(٧) مسند البزار ٥/ ١٤٥.

(٨) وكذلك في مسند الشاميين ١/ ٣٥٣.

(٩) الترغيب والترهيب ص ٦٥.

(١٠) فيض القدير ٦/ ٣١.

فيضر آخرته ولا بد **(ومَن أحب آخرته أضرَّ بدنياه)** لأن حب الآخرة يعطِّل عليه أسبابَ الكسب والمعاش فيضر بدنياه ولا بد، والباء في القرينتين للتعدية **(فآثِروا)** أي اختاروا **(ما يبقىٰ علىٰ ما يفنَىٰ)** قال العراقي[(١)]: رواه أحمد[(٢)] والبزار[(٣)] والطبراني وابن حبان[(٤)] والحاكم[(٥)] وصحَّحه علىٰ شرط الشيخين، قلت: وهو منقطع بين المطلب بن عبد الله وبين أبي موسىٰ.

قلت: سبقه إلىٰ ذلك الذهبيُّ. وقد رواه كذلك القضاعي في مسند الشهاب[(٦)] والبيهقي في الشعب[(٧)]. وقال المنذري[(٨)]: رجال أحمد ثقات. وعند بعضهم: ألا فآثِروا. بزيادة «ألا» التنبيهية[(٩)].

(وقال ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة) لأنه[(١٠)] يوقِع في الشُّبهات ثم في المكروه ثم في التحريم، ولطالما أوقع في الكفر، بل جميع الأمم المكذِّبة لأنبيائهم إنما حملهم علىٰ كفرهم حبُّ الدنيا.

هكذا رواه الديلمي في الفردوس من حديث علي وبيَّض لسنده، ولم يخرجه

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٣.

(٢) مسند أحمد ٣٢/ ٤٧٠، ٤٧٢.

(٣) مسند البزار ٨/ ٧١.

(٤) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٨٦.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٤٩، ٤٦١.

(٦) مسند الشهاب ١/ ٢٥٩.

(٧) شعب الإيمان ١٢/ ٥٣٩. ورواه أيضا في السنن الكبرىٰ ٣/ ٥١٧.

(٨) الترغيب والترهيب ص ١١٧٥. ثم قال بعد أن ذكر تصحيح الحاكم: المطلب لم يسمع من أبي موسىٰ.

(٩) لم يذكرها إلا السيوطي في جمع الجوامع ٨/ ٣٨٧ وعزاها لمن أخرجه بدونها، ولم أقف عليها عند أحد.

(١٠) فيض القدير ٣/ ٣٦٨ - ٣٦٩.

ولدُه في المسند. وقال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[٢] والبيهقي في الشعب[٣] من طريقه عن الحسن مرسلاً.

قلت: وقال البيهقي بعد أن أورد هذا ما لفظه: ولا أصل له من حديث النبي إلا من مراسيل الحسن[٤]. ا.هـ. ومراسيل الحسن عندهم شِبه الريح، كما نقله العراقي في شرح الألفية، ولذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وردَّ عليه الحافظ ابن حجر بأن ابن المديني أثنىٰ علىٰ مراسيل الحسن وقال: إذا رواها عنه الثقات صحاح، وهذا فالإسناد إليه حسن. ا.هـ. وقال أبو زُرعة: كل شيء يقول الحسن «قال رسول الله ﷺ» وجدت له أصلاً ثابتًا ما خلا أربعة أحاديث[٥]. وليته ذكرها[٦]. وهذا القول عند البيهقي في الزهد[٧] وأبي نعيم في ترجمة الثوري من الحلية[٨] من قول عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، وعند ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان[٩] له من قول مالك بن دينار، وعند ابن يونس في ترجمة سعد بن مسعود التجيبي من تاريخ مصر له من قول سعد هذا. وجزم ابن تيمية[١٠] بأنه من قول جُندب البَجَلي رضي الله عنه[١١].

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٤.

(٢) ذم الدنيا ص ١٦.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ١٠٢.

(٤) هذا ليس كلام البيهقي، وإنما هو كلام العراقي في شرح الألفية ١/ ٢٧٦.

(٥) رواه عنه ابن عدي في الكامل ١/ ١٤١، والخليلي في الإرشاد ص ٦٨٠.

(٦) المقاصد الحسنة ٢٩٧، وبعدها ذكر قول الدارقطني بتضعيف مراسيل الحسن وأغفله المصنف. قال السيوطي في الفتاوىٰ: رفعه وهم، بل عده الحفاظ موضوعًا.

(٧) الزهد الكبير ص ١٣٤.

(٨) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٨.

(٩) وكذلك في الزهد ص ٢١٢، وذم الدنيا ص ١٧٠.

(١٠) مجموع الفتاوىٰ ١١/ ١٠٧، ١٨/ ١٢٣.

(١١) وقال بعده: وأما عن النبي ﷺ؛ فليس له إسناد معروف.

(**وقال زيد بن أرقم**) بن[1] زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، رضي الله عنه، صحابي مشهور، أول مشاهده الخندق، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، مات سنة ست [أو ثمان] وستين، روىٰ له الجماعة (**كنا مع أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه، **فدعا بشراب، فأُتي بماء وعسل**) أي ماء ممزوج بعسل (**فلما أدناه**) أي قرَّبه (**من فيه بكىٰ حتىٰ أبكىٰ أصحابَه، وسكتوا وما سكت، ثم عاد وبكىٰ حتىٰ ظنوا أنهم لا يقدرون علىٰ مساءلته. قال: ثم مسح عينيه**) كناية عن سكوته من البكاء، فإنَّ مَن سكت مسح عينيه (**فقالوا**) أي قال مَن حضر المجلس: (**يا خليفة رسول الله، ما أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ، فرأيته يدفع عن نفسه شيئًا، ولم أرَ معه أحدًا. فقلت: يا رسول الله، ما الذي تدفع عن نفسك؟ قال: هذه الدنيا مُثِّلت لي**) أي صُوِّرت لي (**فقلت لها: إليكِ عني**) أي اذهبي عني، فذهبت (**ثم رجعت فقالت: إنك إن أفلتَّ مني**) أي خلصتَ (**لم يفلت مني مَن بعدك**) قال العراقي[2]: رواه البزار[3] بسند ضعيف بنحوه، والحاكم[4] - وصحَّح إسناده - وابن أبي الدنيا[5] والبيهقي[6] من طريقه بلفظه.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية[7]: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو بكر ابن أبي عاصم، حدثنا الحسن بن علي والفضل بن داود قالا: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا عبد الواحد بن زيد، حدثنا أسلم، عن مرة الطيب، عن زيد ابن

---

(١) تقريب التهذيب ص ٣٥٠.

(٢) المغني ٢/ ٨٧٤.

(٣) مسند البزار ١/ ١٠٦، ١٩٦ وفيه: «الدنيا تطاولت لي، فقلت: إليك عني، فقالت لي: أما إنك لست بمدركي».

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٠ - ٤٥١.

(٥) ذم الدنيا ص ١٨.

(٦) شعب الإيمان ١٣/ ١١٣، ١٦٣.

(٧) حلية الأولياء ١/ ٣٠.

أرقم أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استسقىٰ، فأُتي بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكىٰ وأبكىٰ مَن حوله، فسكت وما سكتوا، ثم عاد فبكىٰ حتىٰ ظنوا أن لا يقدروا علىٰ مساءلته، ثم مسح وجهه وأفاق، فقالوا: ما هاجَك علىٰ هذا البكاء؟ قال: كنت مع النبي ﷺ وجعل يدفع عنه شيئًا ويقول: «إليكِ عني، إليك عني». ولم أرَ معه أحدًا، فقلت: يا رسول الله، أراك تدفع عنك شيئًا ولا أرىٰ معك أحدًا. قال: «هذه الدنيا تمثَّلت لي بما فيها، فقلت لها: إليكِ عني، فتنحَّت وقالت: أما واللهِ لئن انفلتَّ مني لا ينفلت مني مَن بعدك». فخشيتُ أن تكون قد لحقتني، فذاك الذي أبكاني. وهكذا هو لفظ الحاكم والبيهقي، والذي ساقه المصنف هو لفظ ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، وتبعه صاحب القوت، والمصنِّف أخذه من سياق القوت.

(وقال ﷺ: **يا عجبًا كل العجب للمصدِّق بدار الخلود وهو يسعىٰ لدار الغرور**) قال العراقي[1]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا[2] من حديث أبي جعفر مرسلاً.

قلت: هو عبد الله بن المسور المدائني الهاشمي، كذاب يضع الحديث، وقد تقدم ذِكرُه في الكتاب الذي قبله.

(**ورُوي أن رسول الله ﷺ وقف علىٰ مزبلة**) وهي الموضع الذي تُرمَىٰ فيه الكُناسة والزبالة (**فقال: هلمُّوا إلىٰ الدنيا. وأخذ**) منها (**خِرَقًا قد بليتْ**) من كثرة الاستعمال (**علىٰ تلك المزبلة، وعظامًا قد نخرت**) أي تفتَّتت (**فقال: هذه الدنيا**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[3] والبيهقي في شعب الإيمان[4] من طريقه من رواية

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٤.
(٢) ذم الدنيا ص ١٩.
(٣) السابق ص ٢١.
(٤) شعب الإيمان ١٣/ ٨٢.

ابن ميمون اللخمي مرسلاً، قال العراقي[١]: وفيه بقية بن الوليد، وقد عنعنه، وهو مدلِّس.

قلت: قال الذهبي في الضعفاء[٢]: أبو ميمون، عن رافع بن خديج، مجهول.

(وهذا إشارة إلىٰ أن زينة الدنيا ستخلق مثل تلك الخِرَق، وأن الأجسام التي تتزيَّن بها ستصير عظامًا بالية.

وقال ﷺ: إن الدنيا حلوة خضرة) أي مشتهاة مونقة تعجب مَن رآها **(وإن الله مستخلفكم فيها فناظرٌ كيف تعملون، إن بني إسرائيل لما بُسطت لهم الدنيا ومُهِّدت تباهوا في الحلية والنساء والطِّيب والثياب)** رواه ابن أبي الدنيا[٣] من حديث الحسن مرسلاً هكذا بهذه الزيادة التي في آخره. قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] وابن ماجه[٦] من حديث أبي سعيد دون قوله: إن بني إسرائيل ... إلىٰ آخره، والشطر الأول متفق عليه[٧].

قلت: ورواه[٨] كذلك مسلم والنسائي[٩] وآخرون من طريق سعيد بن يزيد أبي مَسلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد، وممَّن رواه عن أبي نضرة: خُلَيد بن جعفر، وسليمان بن طَرْخان التيمي، وعلي بن زيد بن جُدعان وحديثه عند ابن ماجه

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٤ - ٨٧٥.

(٢) ديوان الضعفاء ص ٤٧٠.

(٣) ذم الدنيا ص ٢٢.

(٤) المغني ٢/ ٨٧٥.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٥٨.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٧٨.

(٧) رواه مسلم في صحيحه ٢/ ١٢٥٦ - ١٢٥٧، ولم يروه البخاري. بل رواه برقم ١٤٦٥ بلفظ (هذا المال) من م الخدري.

(٨) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٢١٦.

(٩) السنن الكبرىٰ ٨/ ٣٠٢.

والترمذي وقال: حسن، والمستمر بن ريان. وهو عند العسكري[١] من حديث عبيد الله بن عمر عن [عمر بن] نافع عن [بضعة عن] أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «الدنيا خضرة حلوة، مَن أخذها بحقِّها بورك له فيها، ورب متخوِّض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة». وقد عزا الديلمي حديث «الدنيا خضرة حلوة وإن رجالاً يتخوَّضون» إلىٰ البخاري عن خولة، والذي فيه[٢] من حديثها الجملة الثانية خاصة. نعم، فيه[٣] حديث حكيم بن حزام: «إن هذا المال خضرة حلوة، فمَن أخذه بسخاوة نفس بورِك له فيه، ومَن أخذه بإشراف نفس لم يبارَك له فيه ...» الحديث. وفي الباب عن ميمونة عند أبي يعلىٰ[٤] والطبراني[٥] والرامهرمزي في الأمثال[٦]، وعن عبد الله بن عمرو عند الطبراني[٧] فقط رفعاه [بلفظ]: «الدنيا حلوة خضرة».

(وقال عيسىٰ عليه السلام: لا تتخذوا الدنيا ربًّا فتتخذكم عبيدًا، اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه، فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا[٨].

(وقال عليه السلام أيضًا: يا معشر الحواريين، إني قد أكببت لكم الدنيا علىٰ وجهها، فلا تنعشوها بعدي، فإنَّ من خبث الدنيا أن الله عُصي فيها، وإن من خبث الدنيا أن

---

(١) وكذلك ابن حبان في الثقات ٤/ ٢٥٢. ورواه أبو يعلىٰ في مسنده ١١/ ٤٨٧ من طريق إسماعيل بن أمية عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة، وفيه (المال) بدل (الدنيا)، وزاد بعد قوله "ورسوله": «فيما اشتهت نفسه».

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٩٣. ولفظه: «إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق، فلهم النار يوم القيامة».

(٣) السابق ١/ ٤٥٦، ٢/ ٢٩٠، ٤٠٢، ٤/ ١٨٠. وهو أيضا في صحيح مسلم ١/ ٤٥٨.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ١٣/ ١٥.

(٥) المعجم الكبير ٢٤/ ٢٤.

(٦) أمثال الحديث ص ٧٣.

(٧) المعجم الكبير ١٣/ ٤١٧.

(٨) ذم الدنيا ص ٢٦ عن شهر بن حوشب.

الآخرة لا تُدرَكُ إلا بتركها، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها، واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا، ورب شهوة ساعة ورَّثت أهلَها حزنًا طويلاً) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا[١].

وفي الحلية[٢] لأبي نعيم من ترجمة الثوري: قال عيسىٰ عليه السلام: حب الدنيا رأس كل خطيئة. وقد تقدم.

وفي الفردوس[٣] للديلمي بلا سند من حديث ابن عمر: «الدنيا قنطرة الآخرة، فاعبروها ولا تعمروها».

(وقال) عليه السلام **(أيضًا: بُطحت لكم الدنيا)** أي مُهِّدت وفُرشت **(وجلستم علىٰ ظهرها، فلا ينازعنَّكم فيها الملوك والنساء، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا، فإنهم لن يتعرَّضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم، وأما النساء فاتَّقوهن بالصوم والصلاة)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا[٤].

(وقال) عليه السلام **(أيضًا: الدنيا طالبة ومطلوبة، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتىٰ يستكمل رزقه)** الذي كُتب له **(فيها، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتىٰ يجيء الموت فيأخذه بعنقه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا[٥]. وقد رواه صاحب الحلية[٦] من حديث ابن مسعود مرفوعًا قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا جبرون بن عيسىٰ المصري، حدثنا يحيىٰ بن سليمان، حدثنا فضيل بن عياض، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن ابن مسعود

---

(١) السابق ص ٢٦.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٨.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٢٨.

(٤) ذم الدنيا ص ٢٧ عن الفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة.

(٥) السابق ص ٢٧ عن شعيب بن صالح.

(٦) حلية الأولياء ٨/ ١٢٠.

قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أُشرِب قلبه حب الدنيا التاط فيها بثلاث: شقاء لا ينفد، وحرص لا يبلغ مناه، وأمل لا يبلغ منتهاه. فالدنيا طالبة ومطلوبة، فمَن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتىٰ يأتيه الموت فيأخذ بعنقه، ومَن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتىٰ يستوفي منها رزقَه». قال أبو نعيم: غريب من حديث فضيل والأعمش وحبيب، لم نكتبه إلا من حديث جبرون عن يحيىٰ[1].

(**وقال موسىٰ بن يسار**) القرشي[2] المُطَّلِبي المدني، مولىٰ قيس بن مَخرمة، وهو عم محمد بن إسحاق بن يسار، قال ابن معين: ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب الثقات[3]. استشهد به البخاري، وروىٰ له الباقون سوىٰ الترمذي (**قال النبي ﷺ: إن الله جلَّ ثناؤه لم يخلق خلقًا أبغض إليه من الدنيا، وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها**) نظر[4] رضا، وإلا فهو ينظر إليها نظر تدبير، ولولا ذلك لاضمحلَّت.

رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[5] عن موسىٰ أنه بلغه أن النبي ﷺ قال ... فذكره. قال العراقي[6]: ورواه البيهقي في الشعب[7] من طريقه، وهو مرسَل.

قلت: ورواه الحاكم في التاريخ مرفوعًا من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن الله

---

(١) سليمان بن أحمد هو الطبرني، وقد أخرجه في الكبير ١٠/ ٢٠١، وشيخ الطبراني قال عنه الحافظ في الإصابة ٧/ ١٢٠: واهي الحديث، وذكر الدراقطني في المؤتلف ٢/ ٨٤٩: أن جبرون كان يحدث عن يحيىٰ بن سليمان الحضري بنسخة عن أبي معمر عباد بن عبد الصمد عن أنس بن مالك، وذكر ابن ماكولا في الإكمال روايته عن الفضيل بن عياض ٢/ ٢٤٤ ط العلمية. وعباد هذا منكر الحديث، وانظر تاريخ الإسلام للذهبي ٤/ ٦٥٨.

(٢) تهذيب الكمال ٢٩/ ١٦٨.

(٣) الثقات ٥/ ٤٠٤.

(٤) فيض القدير ٢/ ٢٥٨.

(٥) ذم الدنيا ص ٢٩.

(٦) المغني ٢/ ٨٧٥.

(٧) شعب الإيمان ١٣/ ١٠٢.

لم يخلق خلقًا أبغض إليه من الدنيا، وما نظر إليها منذ خلقها بغضًا لها»[١]. وفي إسناده داود بن المحبَّر، قال أحمد[٢] والنسائي[٣]: متروك.

وروىٰ ابن عساكر في التاريخ[٤] من مرسَل علي بن الحسين بن علي: «إن الله تعالىٰ لما خلق الدنيا أعرض عنها فلم ينظر إليها من هوانها عليه».

ومن[٥] حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن الله لما خلق الدنيا نظر إليها ثم أعرض عنها، ثم قال: وعزَّتي وجلالي لا أنزلنَّكِ إلا في شرار خَلْقي».

(**ورُوي أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه**) أي في زينته وحشمته مع عسكره (**والطير تظله**) عن حر الشمس (**والجن والإنس عن يمينه وشِماله. قال: فمر بعابد من عُبَّاد بني إسرائيل، فقال: واللهِ يا ابن داود لقد آتاك الله ملكًا عظيمًا. قال: فسمع سليمان**) ﷺ ذلك (**فقال: لتسبيحةٌ في صحيفة مؤمن خير ممَّا أُعطي ابن داود**) يعني نفسه (**فإن ما أُعطيَ ابن داود يذهب، والتسبيحة تبقىٰ**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا[٦].

وقال صاحب الحلية[٧]: حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، عن إدريس بن وهب، حدثني أبي قال: كان لسليمان ﷺ ألف بيت أعلاه قوارير وأسفله حديد، فركب

---

(١) كنز العمال ٣/ ١٩٠.

(٢) في العلل ومعرفة الرجال ١/ ٣٨٨ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٤٢٤ عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال: «سألت أبي عن داود بن المحبر فضحك وقال: شبه لا شيء، كان لا يدري أي شيء الحديث».

(٣) في الضعفاء والمتروكين للنسائي ص ١٠٠: ضعيف.

(٤) تاريخ دمشق ٢/ ٢٠٠.

(٥) السابق ٥٥/ ١١٧.

(٦) ذم الدنيا ص ٣١ عن أبي عمران الجوني.

(٧) حلية الأولياء ٤/ ٥٩.

الريح يومًا، فمر بحرَّاث، فنظر إليه الحرَّاث فقال: لقد أوتي آل داود ملكًا عظيمًا. فحملته الريح لسليمان[١]. قال: فنزل حتىٰ أتىٰ الحراثَ فقال: إني سمعت قولك[٢]، لَتسبيحةٌ واحدة يتقبَّلها الله تعالىٰ منك خيرٌ ممَّا أُعطيه ابن داود[٣]. فقال الحراث: أذهب الله همَّك كما أذهبتَ همِّي.

(وقال ﷺ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ ﴾ [التكاثر: ١] **يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدَّقت فأمضيت)** قال العراقي[٤]: رواه مسلم[٥] من حديث عبد الله بن الشِّخِّير. انتهىٰ.

قلت: وكذلك[٦] رواه الطيالسي[٧] وسعيد بن منصور وأحمد[٨] وعبد بن حميد[٩] والترمذي[١٠] والنسائي[١١] وابن جرير[١٢] وابن المنذر والطبراني[١٣] والحاكم[١٤] وابن حبان[١٥] وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية[١٦]، كلهم من طريق

(١) في الحلية: فحملت الريح كلامه فألقته في أذن سليمان.

(٢) بعده في الحلية: وإنما مشيت إليك لئلا تتمنىٰ ما لا تقدر عليه.

(٣) في الحلية: مما أوتي آل داود.

(٤) المغني ٢/ ٨٧٥.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٢.

(٦) الدر المنثور ١٥/ ٦١٦ - ٦١٧.

(٧) مسند الطيالسي ٢/ ٤٦٤.

(٨) مسند أحمد ٢٦/ ٢٣٣ - ٢٣٤، ٢٤٤ - ٢٤٧.

(٩) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٤١٢.

(١٠) سنن الترمذي ٤/ ١٦٥، ٥/ ٣٧٤.

(١١) سنن النسائي ص ٥٦٣.

(١٢) جامع البيان ٢٤/ ٥٩٩.

(١٣) المعجم الأوسط ٣/ ١٨٩.

(١٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٢٧، ٤/ ٤٦٧.

(١٥) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٧٥، ٨/ ١٢١.

(١٦) حلية الأولياء ٢/ ٢١١، ٦/ ٢٨١.

مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه، ولفظهم: انتهيت إلىٰ رسول الله ﷺ وهو يقرأ «ألهاكم التكاثر» - وفي لفظ: وقد أُنزِلت عليه «ألهاكم التكاثر» - وهو يقول: «يقول ابن آدم ...» الخ. وأخرج أحمد(١) وعبد بن حميد ومسلم(٢) وابن مردويه من حديث أبي هريرة: «يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاثةٌ: ما أكل فأفنىٰ، وما لبس فأبلىٰ، أو تصدَّق فأبقىٰ، وما سوىٰ ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس». وأخرج عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً مرفوعًا: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وما له من ماله إلا ما أكل فأفنىٰ، أو لبس فأبلىٰ، أو أعطىٰ فأمضىٰ».

(وقال ﷺ: **الدنيا دار مَن لا دار له**) قال(٣) الطيبي(٤): لما كان القصد الأول من الدار الإقامة مع عيش هنيء أبديٍّ والدنيا بخلافه لم تستحقَّ أن تسمَّىٰ دارًا، فمَن دارُه الدنيا فلا دار له ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] قال عيسىٰ عليه السلام: مَن ذا الذي يبني علىٰ البحر دارًا؟ تلكم الدنيا، فلا تتخذوها قرارًا(٥) (**ومال مَن لا مال له**) لأن القصد من المال الإنفاقُ في وجوه القُرَب، فمَن أتلفه في شهواته واستيفاء لذَّاته فحقيقٌ بأن يقال: لا مال له ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الحديد: ٢٠] ولذلك قدَّم الظرف علىٰ عامله في قوله: (**ولها يجمع مَن لا عقل له**) لغفلته عما يهمُّه في الآخرة ويُراد منه في الدنيا، والعاقل إنما يجمع للدار الآخرة ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧] (**وعليها يعادي مَن لا علم عنده، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعىٰ من**

---

(١) مسند أحمد ١٤/ ٤١١، ١٥/ ١٩٦.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٢.

(٣) فيض القدير ٣/ ٥٤٥ - ٥٤٦.

(٤) شرح مشكاة المصابيح ١٠/ ٣٣٠١.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٥٦، وأحمد في الزهد ص ٥١، ٧٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٣٠.

لا يقين له) قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] من حديث عائشة مقتصرًا علىٰ قوله «دار مَن لا دار له ولها يجمع من لا عقل له» دون بقيته، وزاد ابن أبي الدنيا[٣] والبيهقي في الشعب[٤] من طريقه: «ومال من لا مال له» [وإسناده جيد] انتهىٰ.

قلت: رواه أحمد من طريق دُوَيد عن أبي إسحاق عن زُرعة عن عائشة، ورجاله رجال الصحيح غير دويد، وهو ثقة[٥]. ورواه البيهقي[٦] أيضًا من حديث ابن مسعود موقوفًا، قال المنذري[٧]: وإسناده جيد.

(وقال ﷺ: مَن أصبح والدنيا أكبر همِّه فليس من الله في شيء) أي لا حظَّ له في قربه ومحبته ورضاه. رواه ابن أبي الدنيا[٨] من حديث أنس، ورواه الطبراني في الأوسط[٩] من حديث أبي ذر، والحاكم[١٠] من حديث حذيفة، قال العراقي[١١]: وكلها ضعيفة. ا.هـ. ورواه هناد أيضًا عن حذيفة[١٢]. وعند

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٥.

(٢) مسند أحمد ٤٠/ ٤٨٠. وأشار محققوه إلىٰ أن قوله (ومال من لا مال له) موجود في بعض النسخ دون بعض.

(٣) ذم الدنيا ص ٩٢.

(٤) شعب الإيمان ١٣/ ١٨٥.

(٥) مجمع الزوائد ١٠/ ٥١٥.

(٦) شعب الإيمان ١٣/ ١٨٤.

(٧) الترغيب والترهيب ص ١١٧٦ - ١١٧٧.

(٨) ذم الدنيا ص ١٦٤، ولفظه: «من كانت الدنيا همه جعل الله فقره في قلبه، وشتت عليه أمره، ولم يأته منها إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة».

(٩) المعجم الأوسط ١/ ١٥١.

(١٠) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٩.

(١١) المغني ٢/ ٨٧٦.

(١٢) أورده المتقي الهندي في كنز العمال ٣/ ٢٢٥ عنه بلفظ: «من أصبح أكبر همه غير الله فليس من الله». ولم أقف عليه في كتاب الزهد لهناد.

الحاكم[١] من حديث ابن مسعود بسند فيه تالف بلفظ: «مَن أصبح وهمُّه غير الله فليس من الله [في شيء] ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم». ورواه البيهقي[٢] وابن النجار من حديث أنس بلفظ: وأكبر همِّه.

(**وقال ﷺ: مَن أصبح والدنيا أكبر همِّه ألزم الله قلبَه أربعَ خصال**) لا ينفكُّ من واحدة حتىٰ يأتيه الموت: (**همًّا لا ينقطع عنه أبدًا، وشغلاً لا يتفرَّغ منه أبدًا، وفقرًا لا يبلغ غِناه أبدًا، وأملاً لا يبلغ مُنتهاه أبدًا**) رواه الديلمي في الفردوس[٣] من حديث ابن عمر، قال العراقي: وإسناده ضعيف.

والمصنف خلط الحديثين فجعلهما حديثًا واحدًا[٤].

(**وقال أبو هريرة**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**قال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة، ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها؟ قلت: بلىٰ يا رسول الله. فأخذ بيدي وأتىٰ بي واديًا من أودية المدينة، فإذا مزبلة فيها رؤوس أناس وعَذِرات**) جمع عَذِرة، علىٰ وزن كلمة: الخرء، ولا يُعرَف تخفيفها (**وخِرَق وعظام، ثم قال: يا أبا هريرة، هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم، وتأمل كآمالكم، ثم هي اليوم عظام بلا جلد، ثم هي صائرة رمادًا، وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم، اكتسبوها من حيث اكتسبوها، ثم قذفوها من بطونهم، فأصبحت والناس يتحامونها**) أي يتباعدون عنها (**وهذه الخِرَق البالية كانت رِياشهم ولباسهم، فأصبحت والرياح تصفقها، وهذه العظام عظام دوابِّهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد**) أي يسيرون ويقطعون (**فمَن**

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٣. قال الذهبي في التلخيص: إسحاق بن بشر ومقاتل بن سليمان غير ثقتين ولا صادقين.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٥.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٥٨٠.

(٤) وعن الترمذي من حديث أنس بن مالك: من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا الذي قدر له. وقد روي عن جمع من الصحب الكرام، وهو صحيح.

كان باكيًا على الدنيا فليبْكِ. قال: فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا) قال العراقي[١]: لم أجد له أصلاً.

قلت: لكن أورده صاحب القوت عن الحسن مرسلاً بنحوه، وسيأتي في أمثلة الدنيا.

(ورُوي أن الله عَزَّوَجَلَّ لما أهبط آدمَ) عليه السلام **(إلى الأرض قال له: ابنِ للخراب، ولِدْ للفناء)**[٢] روى[٣] البيهقي في الشعب[٤] من رواية مؤمل بن إسماعيل، عن حماد ابن سلمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة مرفوعًا: «إن ملَكًا بباب من أبواب السماء ينادي: يا بني آدم، لِدوا للموت وابنوا للخراب».

وروى[٥] أيضًا من طريق موسى بن عبيدة، عن محمد بن ثابت، عن أبي حكيم مولى الزبير، عن الزبير رفعه: «ما من صباح يصبح على العِباد إلا وصارخ يصرخ: لِدوا للموت[٦]، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب». وموسى وشيخه ضعيفان، وأبو حكيم مجهول.

ولأبي نعيم في الحلية[٧] من حديث ابن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٦.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١١١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٨٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٧/ ٤٣٧.

(٣) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٤) شعب الإيمان ١٣/ ٢٣٢. وفيه: «عن عبد الرحمن بن أبي رافع أو ابن رافع». والصواب ما ههنا، فإن ابن أبي رافع لا رواية له عن أحد من الصحابة.

(٥) السابق ١٣/ ٢٣٣.

(٦) في الشعب: للتراب.

(٧) حلية الأولياء ١/ ١٦٣. ولفظه: «يولدون للموت، ويعمرون للخراب، ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان الموت والفقر».

عبيد الله بن زَحْر[1] أن أبا ذر قال: تلدون للموت، وتبنون للخراب، وتؤثِرون ما يفنىٰ، وتتركون ما يبقىٰ. وهو موقوف منقطع. وقد رواه أحمد في الزهد له من رواية ابن المبارك عن ابن أيوب فأدخل بين عبيد الله وأبي ذر رجلاً.

وأخرج الثعلبي في التفسير[2] وفي القصص[3] بإسناد واهٍ جدًّا عن كعب الأحبار قال: صاح ورشان[4] عند سليمان بن داود عليهما السلام، فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: يقول: لِدوا للموت وابنوا للخراب.

وأخرج أحمد في الزهد من طريق عبد الواحد بن زياد قال: قال عيسىٰ ابن مريم عليه السلام: يا بني آدم، لِدوا للموت، وابنوا للخراب، تفنَىٰ نفوسُكم، وتبلىٰ ديارُكم.

وقد قيل في معنىٰ ذلك:

له ملَك ينادي كل يوم ... لِدوا للموت وابنوا للخراب[5]

وللحافظ ابن حجر في المعنىٰ:

بني الدنيا أقِلُّوا الهمَّ فيها ... فما فيها يؤول إلىٰ الفوات

بناء للخراب وجمعُ مالٍ ... ليفنَىٰ والتوالُد للممات[6]

---

(١) عبيد الله بن زمر الضمري الأغريقي قال ابن حيان عنه في المجروحين ٢/ ٦٢ منكر الحديث جداً، يرد في الموضوعات عن الأثبات.

(٢) الكشف والبيان ٧/ ١٩٤.

(٣) عرائس المجالس في قصص الأنبياء ص ٤٠٢ (ط - الحيدري بالهند).

(٤) الورشان، ويسمىٰ أيضا حمامة لندن وطائر الغابة الأوروبي: طائر مهاجر من جنس الحمام.

(٥) البيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو في ديوانه ص ٢٣.

(٦) البيتان في كتاب موافقة الخبر للخبر في تخريج أحاديث المختصر لابن حجر ٢/ ٣٠٠ (ط - مكتبة الرشد بالرياض).

(وقال داود بن هلال)[١] لم أجد له ترجمة (مكتوب في صُحُف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا، ما أهونكِ على الأبرار الذين تصنَّعتِ وتزيَّنتِ لهم! إني قذفت في قلوبهم بغضك والصدَّ عنك، وما خلقتُ خلقًا أهون عليَّ منك، كل شأنك صغير، وإلى الفناء تصيرين، قضيت عليك يوم خلقتُكِ أن لا تدومي لأحد ولا يدوم أحد لك وإن بخل بك صاحبك وشحَّ عليك، طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة، طوبى لهم، ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إليَّ من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم، والملائكة حافُّون بهم حتى أُبلِغهم ما يرجون من رحمتي) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا[٢].

(وقال ﷺ: الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها، وتقول يوم القيامة: يا رب، اجعلني لأدنى أوليائك نصيبًا اليوم. فيقول: اسكتي يا لا شيء، إني لم أرضَكِ لهم في الدنيا أأرضاك لهم اليوم)؟ ولفظ القوت: وجاء في الخبر: «إن الدنيا موقوفة بين السماء والأرض، لا ينظر الله إليها منذ خلقها إلى أن يفنيها، تقول: يا رب، لِمَ تبغضني؟ لِمَ تمقتني؟ فيقول تعالى: اسكتي يا لا شيء». وفي لفظ آخر: «أنتِ وأهلك إلى النار». وفي الحديث الآخَر زيادة: «إنها تُبعَث يوم القيامة، فيقول تعالى: ميِّزوا ما كان منها لي وألقُوا سائرَها في النار. فتقول: يا رب، اجعلني اليوم لأدنى عبادك في الجنة منزلةً. فيقول: اسكتي يا لا شيء، أنا لم أرضَكِ لهم في الدنيا أأرضاك لهم اليوم عندي في دار كرامتي». انتهى.

وأخرج أبو نعيم في الحلية[٣] من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن علي بن الحسين قال: قال علي بن أبي طالب: إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها ثم قالت: يا رب، هَبْني لبعض أوليائك. فيقول الله لها: يا لا شيء،

(١) هو داود بن هلال النصيبي، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/ ٤٢٧، ونص على أنه هو ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.
(٢) ذم الدنيا ص ٦٣.
(٣) حلية الأولياء ١/ ٧١ - ٨٢.

اذهبي، فأنت لا شيء، أنت أهون من أن أهبك لبعض أوليائي. فتُطوَىٰ كما يُطوَىٰ الثوب الخلق فتُلقَىٰ في النار.

وسيأتي للمصنف بعض هذا في هذا الباب، وفيه التصريح بأنه من قول أبي هريرة.

وقال العراقي[1]: تقدم بعضُه من رواية موسىٰ بن يسار، ولم أجد باقيه. انتهىٰ.

قلت: ووُجد بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: لابن ماجه نحوه عن ثوبان.

(ورُوي في أخبار آدم ﷺ أنه لما أكل من الشجرة تحرَّكت معدته لخروج الثُّفْل) بالضم: الثخين الذي يبقىٰ أسفل الصافي[2] **(ولم يكن ذلك مجعولاً في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة، فلذلك نُهيا عن أكلها. قال: فجعل يدور في الجنة، فأمر الله ملكًا يخاطبه فقال له: قلْ له: أيَّ شيء تريد؟ قال)** له **(آدم: أريد أن أضع ما في بطني من الأذىٰ. فقيل للملَك: قل له: في أيِّ مكان تريد أن تضعه؟ أعلىٰ الفُرُش أم علىٰ السُّرُر أم علىٰ الأنهار أم تحت ظلال الأشجار؟ هل ترىٰ ههنا موضعًا يصلُح لذلك؟ ولكن اهبط إلىٰ الدنيا)** قال: فتلطَّف الله تعالىٰ له بهذا المعنىٰ فأُهبِط إلىٰ الأرض، فكان أول ما صنع في الأرض أن أحدث، فصارت الدنيا كنيف العقلاء وسجن النبلاء. هكذا أورده صاحب القوت.

(وقال ﷺ: ليجيئنَّ أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تِهامة) أي عظيمة **(فيؤمَر بهم إلىٰ النار. قالوا: يا رسول الله، مصلِّين؟ قال: نعم، كانوا يصلُّون ويصومون ويأخذون هنية من الليل)** أي كانوا يهجعون من الليل قليلاً **(فإذا عرض**

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٦.

(٢) المصباح المنير ص ٨٢، وفيه: «الثُّفْل مثل قُفْل: حثالة الشيء، وهو الثخين ...» الخ.

لهم من الدنيا شيءٌ وثبوا عليه) قال العراقي[١]: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولىٰ أبي حذيفة [بسند ضعيف] وأبو منصور الديلمي[٢] من حديث أنس، وهو ضعيف أيضًا. انتهىٰ.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية[٣]: حدثنا محمد بن أحمد بن علي، حدثنا أحمد بن الهيثم، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا بِشر بن مطر بن حكيم بن دينار القُطَعي قال: سمعت عمرو بن دينار وكيل آل الزبير يحدِّث عن مالك بن دينار قال: حدثني شيخ من الأنصار يحدِّث عن سالم مولىٰ أبي حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليُجاءنَّ بأقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة، حتىٰ إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباءً ثم قذفهم في النار». فقال سالم: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، حِلَّ لنا هؤلاء الأقوام حتىٰ نعرفهم، فوالذي بعثك بالحق إني أتخوَّف أن أكون منهم. قال: «يا سالم، أما إنهم كانوا يصومون ويصلُّون، ولكنهم كانوا إذا عرض لهم شيءٌ من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله أعمالهم». فقال مالك بن دينار: هذا واللهِ النفاق. فأخذ المعلَّىٰ بن زياد بلحيته فقال: صدقتَ واللهِ أبا يحيىٰ. انتهىٰ. وكذلك رواه سمويه في فوائده والخطيب في المتفق والمفترق[٤]. وأورده صاحب القوت فقال: حُدِّثنا عن عبد الواحد ابن زيد عن الحسن عن أنس ... فذكره مثل سياق المصنف. ثم قال: ورويناه من طريق آخر ... فذكره بنحو سياق صاحب الحلية. وهو في الحلية[٥] أيضًا في ترجمة الفضيل بن عياض عنه عن عمران بن حسان عن الحسن قال: خرج رسول الله ﷺ علىٰ أصحابه ذات يوم فقال: «هل منكم من أحد ...» الحديث إلىٰ قوله: «خمسين صِدِّيقًا». ثم قال: لا أعلم رواه

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٦.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٤٩٨.

(٣) حلية الأولياء ١/ ١٧٧ - ١٧٨.

(٤) المتفق والمفترق ص ٥٢٧.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٣٥.

بهذا اللفظ إلا الفضيل عن عمران، وعمران يُعَدُّ من أصحاب الحسن لم يتابَع علىٰ هذا الحديث.

قلت: وبما تقدم عن القوت يظهر أن عبد الواحد بن زيد تابعه علىٰ ذلك. والله أعلم.

(وقال ﷺ في بعض خطبه: المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضىٰ لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه. فليتزوَّد العبد لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن حياته لموته، ومن شبابه لهِرَمه؛ فإن الدنيا خُلقت لكم، وأنتم خُلقتم للآخرة. والذي نفسي بيده، ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الموت من دار إلا الجنة أو النار) قال العراقي[1]: رواه البيهقي في الشعب[2] من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وفيه انقطاع.

(وقال عيسىٰ عليه السلام: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[3].

(ويُروَىٰ أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام: يا أطول الأنبياء عمرًا، كيف وجدتَ الدنيا؟ قال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخَر) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[4].

(وقيل لعيسىٰ عليه السلام: لو اتخذتَ بيتًا يكنُّك) تأوي إليه **(فقال: يكفينا خلقانُ**

(١) المغني ٢/ ٨٧٦.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٣.

(٣) ذم الدنيا ص ٤٥.

(٤) السابق ص ١١١ عن أنس بن مالك قال: جاء ملك الموت إلىٰ نوح، فقال: يا أطول النبيين عمرا، كيف وجدت الدنيا ولذتها؟ قال: كرجل دخل بيتا له بابان، فقام وسط البيت هنية، ثم خرج من الباب الآخر.

مَن كان قبلنا)[١] يقال: ثوب خَلَقٌ، وجمعه: خُلْقان، أي بالٍ.

(وقال نبيُّنا ﷺ: احذروا الدنيا، فإنها أسحر من هاروت وماروت) قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي الدنيا[٣] والبيهقي في الشعب[٤] من طريقه من رواية أبي الدرداء الرهاوي [مرسلاً] وقال البيهقي: إن بعضهم قال: عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة. قال الذهبي[٥]: لا يُدرَىٰ مَن أبو الدرداء. قال: وهذا منكَر لا أصل له.

(وعن الحسن) البصري (قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم علىٰ أصحابه فقال: هل منكم من يريد أن يُذهِب الله عنه العمىٰ ويجعله بصيرًا؟ ألا إنه مَن رغب في الدنيا وطال أملُه فيها أعمىٰ الله قلبَه علىٰ قدر ذلك، ومَن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علمًا بغير تعلُّم، وهدًىٰ بغير هداية. ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم المُلك إلا بالقتل والتجبُّر، ولا الغِنىٰ إلا بالفخر والبخل، ولا المحبة إلا باتِّباع الهوىٰ، ألا فمَن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر علىٰ الفقر وهو يقدر علىٰ الغِنىٰ وصبر علىٰ البغضاء وهو يقدر علىٰ المحبة وصبر علىٰ الذل وهو يقدر علىٰ العز لا يريد بذلك إلا وجه الله أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ ثواب خمسين صدِّيقًا) قال العراقي[٦]: رواه ابن أبي الدنيا[٧] والبيهقي في الشعب[٨] من طريقه هكذا مرسلاً، وفيه إبراهيم بن

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٦٨، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٤٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤١٩. كلهم عن شعيب بن إسحاق البصري.

(٢) المغني ٢/ ٨٧٧.

(٣) ذم الدنيا ص ٧٠.

(٤) شعب الإيمان ١٣/ ١٠٤.

(٥) ميزان الاعتدال ٤/ ٥٢٢.

(٦) المغني ٢/ ٨٧٧.

(٧) الزهد ص ٦٢.

(٨) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٤.

الأشعث، تكلم فيه أبو حاتم(١). انتهىٰ.

قلت: ورواه من هذا الطريق أيضًا أبو نعيم في الحلية(٢) بلفظ: «هل منكم أحد يريد أن يؤتيه الله علمًا من غير تعلُّم وهدىً بغير هداية؟ هل منكم أحد يريد أن يُذهِب الله عنه العمىٰ ويجعله بصيرًا؟ ألا مَن رغب في الدنيا ...» الحديث بطوله.

وأخرج أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب المواعظ والوصايا(٣) من حديث ابن عباس: «مَن رغب في الدنيا وأطال أمله فيها أعمىٰ الله قلبَه علىٰ قدر رغبته فيها، ومَن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علمًا من غير تعلُّم، وهدىً من غير هداية».

وأخرج أبو نعيم في الحلية(٤) والديلمي في مسند الفردوس من حديث علي: «مَن زهد في الدنيا علَّمه الله بلا تعلُّم، وهداه بلا هداية، وجعله بصيرًا، وكشف عنه العمىٰ».

وإسنادهما ضعيف.

(ورُوي أن عيسىٰ ﷺ اشتدَّ عليه المطر والرعد والبرق يومًا، فجعل يطلب شيئًا يلجأ إليه، فرُفعت له خيمة) وفي نسخة: فوقعت عينه علىٰ خيمة **(من بعيد، فأتاها، فإذا فيها امرأة، فحادَ عنها)** أي مالَ **(فإذا هو بكهف في جبل، فأتاه، فإذا فيه أسد، فوضع يده عليه وقال: إلهي، جعلتَ لكل شيء مأوىٰ)** أي موضع يأوي إليه

---

(١) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٨٨: «سألت أبي عن إبراهيم بن الأشعث وذكرت له حديثا رواه عن معن عن ابن أخي الزهري عن الزهري، فقال: هذا حديث باطل موضوع، كنا نظن بإبراهيم بن الأشعث الخير، فقد جاء بمثل هذا».

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣١٢، ٨/ ١٣٥.

(٣) وكذلك ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ص ١٠٧، والرافعي في التدوين ٣/ ٢٢٨، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ١/ ١٢٧.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٧٢.

(ولم تجعل لي مأوىٰ. فأوحىٰ الله إليه: مأواك في مستقر رحمتي، لأزوجنَّك يوم القيامة مائة حوراء خلقتُها بيدي، ولأطعمنَّ في عرسك أربعة آلاف عام، يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرنَّ مناديًا ينادي: أين الزهَّاد في الدنيا؟ زوروا عرس الزاهد عيسىٰ ابن مريم) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[1].

(وقال عيسىٰ ابن مريم عليه السلام: ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها، ويأمنها وتغرُّه، ويثق بها وتخذله. ويل للمغترِّين كيف أرَتْهم ما يكرهون، وفارقهم ما يحبون، وجاءهم ما يوعَدون. ويل لمَن الدنيا همُّه والخطايا عمله كيف يُفتضَح غدًا بذنبه) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[2].

(وقيل: أوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ عليه السلام: يا موسىٰ، ما لك ولدار الظالمين؟ إنها ليست لك بدار، أخرِجْ منها همَّك، وفارِقْها بعقلك، فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي. يا موسىٰ، إني مرصِد للظالم حتىٰ آخذ منه للمظلوم) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[3].

(ورُوي أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة) عامر (ابن الجَرَّاح) أحد العشرة رضي الله عنه (فجاءه بمال من البحرين): ناحية بالبصرة[4] (فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة) بالمال (فوافوا صلاةَ الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلىٰ رسول الله ﷺ انصرف، فتعرَّضوا له، فتبسَّم ﷺ حين رآهم، ثم قال: أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء. قالوا: أجل يا رسول الله. قال: فأبشروا وأمِّلوا ما يسرُّكم، فوالله ما الفقر أخشىٰ عليكم، ولكني أخاف أن تُبسَط عليكم الدنيا كما بُسطت علىٰ مَن كان

---

(١) بل في الزهد ص ٦٤ عن محمد بن سباع النميري.

(٢) ذم الدنيا ص ٥٢ - ٥٣ عن عبيد الله بن مسلم الحضرمي، و ص ١٠٤ عن الفضيل بن عياض.

(٣) ذم الدنيا ص ٥٣، ١٩١ عن عبادة أبي مروان.

(٤) وتسمىٰ الآن: الأحساء، وهي إحدىٰ محافظات شرق السعودية.

قبلكم فتَنافَسوها كما تَنافَسوها فتهلككم كما أهلكتهم) متفق عليه[١] من حديث عمرو بن عوف البدري.

(**وقال أبو سعيد الخُدري**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: إن أكثر ما أخاف عليكم ما يُخرِجِ الله لكم من بركات الأرض. فقيل: ما بركات الأرض؟ فقال: زهرة الدنيا**) متفق عليه[٢].

(**وقال ﷺ: لا تشغلوا قلوبَكم بذكر الدنيا**) لأن الله يغار علىٰ قلب عبده أن يشتغل بغيره. رواه ابن أبي الدنيا[٣] ومن طريقه البيهقيُّ في الشعب[٤] من رواية محمد بن النَّضْر الحارثي مرسلاً[٥].

(**فنهىٰ عن ذكرها فضلاً عن إصابة عينها**) ففيه تشديدٌ.

(**وقال عمار بن سعيد**) كذا في النسخ، ولم أجد له ترجمة (**مر عيسىٰ** عليه السلام **بقرية فإذا أهلها موتىٰ في الأفنية**) جمع فِناء بالكسر، وفناء الدار: ما حولها (**والطرق، فقال لهم: يا معشر الحواريين، إن هؤلاء ماتوا عن سخطة، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا**) أي لدفن بعضهم بعضًا (**فقالوا: يا روح الله، وددنا أنَّا علمنا خبرهم. فسأل ربَّه، فأوحىٰ الله إليه: إذا كان الليل فنادِهم يجيبونك. فلما كان الليل أشرف**) أي سعد (**علىٰ نَشَز**) محرَّكة، أي موضع عالٍ (**ثم نادىٰ: يا أهل القرية. فأجابه مجيب:**

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٤٠٦، ٣/ ٩٤، ٤/ ١٧٧. صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٣.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣١٧، ٤/ ١٧٨. صحيح مسلم ١/ ٤٦٤.

وفي إحدىٰ روايات مسلم: «أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا. قالوا: وما زهرة الدنيا يا رسول الله؟ قال: بركات الأرض».

(٣) ذم الدنيا ص ١٢٢.

(٤) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٥.

(٥) الحارثي من أتباع أتباع التابعين، قال ابن مهدي عنه: ما رأيت مثله في الصلاح، وقد تبعه عبد الرحمن إلىٰ واسط ليتعلم من أدبه وعقله كما في العلل ومعرفه الرجال ١/ ٤٨٦ وحديثه معضل، فإنه يروي عن الأوزاعي وطبقه.

لبيك يا روح الله. فقال: ما حالكم؟ وما قصتكم؟ قال: بِتنا ونحن في العافية، وأصبحنا في الهاوية) وهي دركة من دركات جهنم (قال: وكيف ذلك؟ قال: لحبِّنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي. قال: وكيف كان حبكم للدنيا؟ قال: حب الصبي لأمه، إذا أقبلت فرح بها، وإذا أدبرت بكىٰ وحزن عليها. قال: فما بال أصحابك لا يجيبوني؟ قال: لأنهم ملجَمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غِلاظ شِداد. قال: فكيف أجبتَني أنت من بينهم؟ قال: لأني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلَّق علىٰ شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أُكبكَب فيها. فقال المسيح عليه السلام للحواريين: لأكلُ خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح) جمع مِسح بالكسر، وهو الصوف الأسود[1] (والنوم علىٰ المزابل كثيرٌ مع عافية الدنيا والآخرة) أخرجه أبو نعيم في الحلية[2] عن عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، حدثنا عبد الله بن محمد بن عُقبة، حدثني عبد الرحمن أبو طالوت، حدثنا مهاجر الأسدي، عن وهب بن منبه قال: مر عيسىٰ عليه السلام بقرية ... فساق بنحو من سياق المصنف، وفيه: قال: ما كانت جنايتكم؟ قال: عبادة الطاغوت وحب الدنيا. قال: وما كانت عبادتكم الطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل معاصي الله. وفيه: قال عيسىٰ عليه السلام: وما الهاوية؟ قال: سِجِّين. قال: وما سِجِّين؟ قال: جمرة من نار مثل أطباق الدنيا كلها دُفنت أرواحنا فيها. وفيه: وأنا معلَّق بشعرة في الهاوية لا أدري أُكردَس في النار أم أنجو. فقال عيسىٰ عليه السلام: بحق أقول لكم: لأكلُ خبز الشعير وشرب ماء القراح والنوم علىٰ المزابل مع الكلاب لَكثيرٌ مع عافية الدنيا والآخرة.

(وقال أنس) رضي الله عنه: (كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تُسبَق) أي لا تجاريها النوق في سرعة السير (فجاء أعرابي بناقة له) وفي رواية: علىٰ قعود له (فسبقها، فشقَّ

---

(١) في تاج العروس ٧/ ١٢٢: «المسح: ثوب من الشعر غليظ». وفي المعجم الوسيط (مادة - مسح): «المسح: الكساء من شعر، والمسح: ثوب الراهب».

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٦١.

ذلك علىٰ المسلمين) أي اشتد، كما في رواية **(فقال رسول الله ﷺ: إنه حقٌّ)** وفي رواية: إن حقًّا **(علىٰ الله أن لا يرفع شيئًا من)** أمر **(الدنيا إلا وضعه)** رواه أحمد[١] وعبد بن حميد[٢] والبخاري[٣] وأبو داود[٤] وابن حبان[٥] والدارقطني[٦] والنسائي[٧].

ووُجد بخط الكمال الدميري قال: أفادني بعض طلبة العلم أنه سمع بعض الحفاظ يقول: الأعرابي الذي جاء علىٰ قعود فسبق ناقة النبي ﷺ هو جبريل عليه السلام[٨].

(وقال عيسىٰ عليه السلام: مَن ذا الذي يبني علىٰ موج البحر دارًا؟ تلكم الدنيا، فلا تتخذوها قرارًا)[٩] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(وقيل لعيسىٰ عليه السلام: علِّمْنا عملاً واحدًا يحبنا الله عليه. قال: ابغضوا الدنيا يحبكم الله) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[١٠].

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، ولهانت عليكم الدنيا، ولآثرتم الآخرة)** قال العراقي[١١]: رواه الطبراني دون قوله: ولهانت ... الخ. وزاد: ولخرجتم إلىٰ الصعدات ... الحديث. وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث أبي ذر: «وما تلذَّذتم بالنساء علىٰ الفُرُش».

---

(١) مسند أحمد ١٩/ ٦٨، ٢١/ ٢٤٣.

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٢٨٩، ٣٠٠.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣٢٤، ٤/ ١٩٢.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٧.

(٥) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٧٧.

(٦) سنن الدارقطني ٥/ ٥٤٧.

(٧) سنن النسائي ص ٥٥٨، ٥٥٩.

(٨) وقال الحافظ في الفتح ٦/ ٧٤: ولم أقف علىٰ اسم هذا الأعرابي بعد التتبع الشديد.

(٩) تقدم هذا الأثر قريبا.

(١٠) ذم الدنيا ص ١٧٠ عن سلم بن بشير البصري.

(١١) المغني ٢/ ٨٧٨.

وأول الحديث متفق عليه من حديث أنس، وفي أفراد البخاري من حديث عائشة.

قلت: قد تقدم الكلام علىٰ هذا الحديث. وتمام الحديث عند الطبراني بعد قوله: «ولخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون إلىٰ الله، لا تدرون تنجون أو لا تنجون». وقد رواه الحاكم والبيهقي كذلك. وعند ابن عساكر من حديث أبي الدرداء: «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعامًا علىٰ شهوة أبدًا، ولا شربتم شرابًا علىٰ شهوة أبدًا، ولا دخلتم بيتًا تستظلُّون به، ولمررتم إلىٰ الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون علىٰ أنفسكم». ورواه أبو نعيم في الحلية من قوله. وعند الحاكم من حديث أبي ذر: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا، ولَما ساغ لكم الطعامُ ولا الشراب». وفي الحلية في ترجمة العلاء بن زياد عن أبي ذر مثل سياق الترمذي وابن ماجه بزيادة: «وددت أني شجرة تُعضَد». وأما صدر الحديث فرواه أيضًا من حديث أنس: أحمد والدارمي والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان. ورواه من حديث أبي هريرة: أحمد والبخاري والترمذي. وهو عند الحاكم بزيادة في آخره: «يظهر النفاق وترتفع الأمانة ...» الحديث[١].

(وقال أبو الدرداء من قِبَل نفسه: لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلي الصُّعُدات) بضمتين، أي إلىٰ البَراري والقِفار **(تجأرون وتبكون علىٰ أنفسكم)** قد مر عند الطبراني أنه من جملة حديث أبي الدرداء، ولفظه: «ولخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون إلىٰ الله». وعند ابن عساكر بلفظ: «ولمررتم إلىٰ الصعدات تلدمون صدوركم». وأخرجه أبو نعيم في الحلية[٢] من قوله، قال: حدثنا أحمد بن جعفر ابن حمدان قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا داود بن عمرو، حدثنا عبثر، حدثنا بُرْد، عن حزام بن حكيم قال: قال أبو الدرداء: لو تعلمون ما أنتم راءون بعد

---

(١) تقدمت هذه الأحاديث كلها في الفصل الثاني من كتاب قواعد العقائد، وفي الآفة العاشرة من كتاب آفات اللسان (المزاح).

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢١٦.

الموت لَما أكلتم طعامًا علىٰ شهوة، ولا [شربتم] شرابًا علىٰ شهوة، ولا دخلتم بيتًا تستظلُّون فيه، ولخرجتم إلىٰ الصعدات تضربون صدوركم وتبكون علىٰ أنفسكم، ولَوددتُ أني شجرة تُعضَد ثم تؤكَل. إلىٰ هنا نص الحلية، ثم ساق المصنف بقية كلام أبي الدرداء فقال: (**ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه، ولكن يغيب عن قلوبكم ذِكرُ الآخرة، وحضرها الأملُ، فصارت الدنيا أملك بأعمالكم، وصرتم كالذين لا يعلمون، فبعضكم شرٌّ من البهائم التي لا تَدَعُ**) أي لا تترك (**هواها مخافةً مما هو في عاقبته**) ثم قال: (**ما لكم لا تَحابُّون**) أي لا يحب بعضكم بعضًا (**ولا تَناصحون**) أي لا ينصح بعضكم بعضًا (**وأنتم إخوان علىٰ دين الله، ما فرَّق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم**) أي فساد بواطنكم (**ولو تجامعتم علىٰ البِر لتحاببتم، ما لكم لا تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه علىٰ أمر آخرته، ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم، لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة؛ لأنها أملك لقلوبكم، فإن قلتم: حب العاجلة غالب، فإنَّا نراكم تَدَعون العاجل من الدنيا للآجِل منها، تكدُّون**) أي تُتعِبون (**أنفسَكم بالمشقة والاحتراف**) أي الاكتساب (**في طلب أمرٍ لعلكم لا تدركونه، فبئس القوم أنتم، ما حقَّقتم إيمانكم بما يُعرَف به الإيمان البالغ فيكم، فإن كنتم في شك مما جاء به محمد ﷺ فأتونا لنبيِّن لكم ولنريكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم، واللهِ ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم**) أي نقبل عذركم (**إنكم تستبينون صوابَ الرأي في دنياكم، وتأخذون بالحزم في أموركم، ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا إذ تصيبونه وتحزنون علىٰ اليسير منها إذ يفوتكم حتىٰ يتبيَّن ذلك في وجوهكم، ويظهر علىٰ ألسنتكم، وتسمُّونها المصائب، وتقيمون فيها المآتم**) جمع مأتم، أي البكاء والعويل والحزن (**وعامَّتكم قد تركوا كثيرًا من دينهم ثم لا يتبيَّن ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم، إني لأرىٰ الله قد تبرَّأ منكم، يلقَىٰ بعضُكم بعضًا بالسرور، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبَه بما يكره مخافةَ أن يستقبله صاحبه بمثله،**

فاصطحبتم علىٰ الغل) أي الحقد في الصدور **(ونبتت مراعيكم علىٰ الدِّمَن)** جمع دِمْنة بالكسر، كسِدْرة وسِدَر، وهو الموضع المتلبِّد بالسرجين **(وتصافيتم علىٰ رفض)** أي ترك **(الأجل، ولوددت أن الله أراحني منكم)** بالموت **(وألحقني بمن أحب رؤيتَه ولو كان حيًّا لم يصابركم)** يعني به النبيَّ ﷺ وأصحابه **(فإن كان فيكم خير فقد أسمعتُكم)** أي أبلغتُ القول إلىٰ أسماعكم إن كنتم تقبلونه وتعملون به **(وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرًا)** أي سهلاً **(وبالله أستعين علىٰ نفسي وعليكم)**[1] إلىٰ هنا انتهىٰ كلام أبي الدرداء رضي الله عنه.

ومن كلام علي رضي الله عنه مما هو في نهج البلاغة[2]: ولو تعلمون ما أعلم مما طُوي عنكم غيبُه إذًا لخرجتم إلىٰ الصعدات تبكون علىٰ أعمالكم وتلتدمون علىٰ أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خائف عليها، ولهمَّت كل امرئ منكم نفسَه لا يلتفت إلىٰ غيرها، ولكنكم نسيتم ما ذُكِّرتم، وأمِنتم ما حُذِّرتم، فتاه عنكم رأيُكم، وتشتَّت عليكم أمركم، ولَوددتُ أن الله فرَّق بيني وبينكم وألحقني بمن هو أحق بي منكم.

ومما رواه ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن أبا الدرداء كان يقول: لا تزالون بخير ما أحببتم خيارَكم وما قيل فيكم الحق فقبلتموه، فإنَّ عارف الحق كعامله[3].

ومما رواه المسعودي عن أبي الهيثم قال: قال أبو الدرداء: لا تكلِّفوا الناس

---

(١) هذا الأثر رواه بطوله ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٧٣ - ١٧٤، وفي الزهد ص ٢١٦ - ٢١٧. وبنحوه رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ٧/ ١٧٩.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٠، والبيهقي في شعب الإيمان ١١/ ٣٥٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ١٦١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١١٤١. وعندهم كلهم: فعرفتموه.

ما لم يكلَّفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم. ابن آدم، عليك نفسك، فإنه من يتتبَّع ما يرىٰ في الناس يَطُلْ حزنُه ولا يشفِ غيظَه(١).

ومما رواه أبو بكر ابن أبي شيبة بسنده إليه قال: اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعُدُّوا أنفسكم من الموتىٰ، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خيرٌ من كثير يلهيكم، واعلموا أن البر لا يبلَىٰ، وأن الإثم لا يُنسىٰ(٢).

ومما رواه يزيد بن هارون عن جويبر عن الضحاك عنه قال: يا أهل دمشق، أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار علىٰ الأعداء، ما يمنعكم من مودَّتي؟ وإنما مؤنتي علىٰ غيركم، ما لي أرىٰ علماءكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلمون، وأراكم قد أقبلتم علىٰ ما تُكُفِّل لكم به، وتركتم ما أُمِرتم به، ألا إن قومًا بنوا شديدًا، وجمعوا كثيرًا، وأمَّلوا بعيدًا، فأصبح بنيانهم قبورًا، وأملهم غرورًا، وجمعُهم بورًا(٣).

ومما رواه أحمد بن حنبل بسنده إليه أنه كان يقول: ويل لكل جَمَّاع فاغر فاه كأنه مجنون يرىٰ ما عند الناس ولا يرىٰ ما عنده، لو يستطيع لوصل الليلَ بالنهار، ويله من حساب غليظ وعذاب شديد(٤).

ومما رواه خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عنه أنه كان يقول: يا معشر أهل دمشق، ألا تستحيون؟ تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تبلغون، قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون، فأصبح جمعُهم بورًا، وأملهم غرورًا، وبيوتهم قبورًا، هذه عاد قد ملأت

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١١.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٨٣، وابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٣٣١، وأحمد في الزهد ص ١١١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٢، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٩٩.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٣.

(٤) رواه أحمد في الزهد ص ١١٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٧، وأبو داود في الزهد ص ٢١٦.

ما بين عدن إلىٰ عُمان أموالاً وأولادًا، فمَن يشتري مني تركة عاد بدرهمين[(١)]؟

ومما رواه صفوان بن عمرو عنه أنه كان يقول: يا معشر أهل الأموال بَرِّدوا علىٰ جلودكم من أموالكم قبل أن نكون وإياكم فيها سواء ليس إلا أن تنظروا فيها وننظر فيها معكم، إني أخاف عليكم شهوة خفية في نعمة ملهيَّة، وذلك حين تشبعون من الطعام وتجوعون من العلم[(٢)].

إلىٰ غير ذلك من غرر كلامه مما هو مذكور في الحلية وغيرها. والله أعلم.

(وقال عيسىٰ عليه السلام: يا معشر الحواريين، ارضوا بدنيء الدنيا) أي حقيرها **(مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[(٣)].

(وفي معناه قد قيل:

أرىٰ رجالاً بأدنىٰ الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغنَ بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ ... ـتغنىٰ الملـوك بدنياهـم عـن الدين[(٤)]

وقال عيسىٰ عليه السلام: **يا طالب الدنيا لتبرَّ بها)** أي لتصير برًّا بها **(تركُك الدنيا أَبَرُّ)**[(٥)] أي أكثر برًّا. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(وقال نبيُّنا ﷺ: لتأتينَّكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب)

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٧، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١٧٠، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٣٧.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٨.

(٣) ذم الدنيا ص ١٧٩ عن زكريا بن عدي التيمي.

(٤) تقدم هذان البيتان في كتاب الحلال والحرام.

(٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٢٨ عن سفيان الثوري بلفظ: «قال المسيح: إنما تطلب الدنيا لتبر، فتركها أبر».

قال العراقي[١]: لم أجد له أصلاً.

(**وأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام: يا موسىٰ، لا تركنن إلىٰ حب الدنيا، فلن تأتيني بكبيرة هي أشد عليك منها**) أخرجه صاحب الحلية[٢] من طريق سفيان عن منصور بن المعتمر عن مجاهد عن كعب: قال الرب تعالىٰ لموسىٰ: يا موسىٰ، لا تركنن إلىٰ حب الدنيا، فإنك لن تلقاني بكبيرة من الكبائر أضر عليك من الركون إلىٰ الدنيا.

(**ومر موسىٰ عليه السلام برجل وهو يبكي، ورجع**) عليه (**وهو يبكي، فقال موسىٰ: يا رب، عبدك يبكي من مخافتك. فقال: يا ابن عمران، لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتىٰ تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(**الآثار**) الواردة في ذمها:

(**قال علي رضي الله عنه: مَن جمع ست خصال لم يَدَعْ للجنة مطلبًا ولا عن النار مهربًا، أولها: مَن عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتَّبعه، وعرف الباطل فاتَّقاه**) أي اجتنبه (**وعرف الدنيا فرفضها**) أي تركها (**وعرف الآخرة فطلبها**)[٣] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**رحم الله أقوامًا كانت الدنيا عندهم وديعة فأدَّوها إلىٰ مَن ائتمنهم عليها ثم راحوا خِفافًا**)[٤] نقله صاحب القوت.

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٨.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٥.

(٣) تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ٩٤. شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣٩٨.

(٤) رواه ابن الشجري في أماليه ٢/ ١٦٤، وأوله: «ابن آدم، إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، رحم الله أقواما ...» الخ.

(وقال أيضًا: مَن نافسك في دينك فنافِسْه) أي فإن المنافسة في أمور الدين مندوب إليها (ومن نافسك في دنياك فألْقِها في نحره) نقله صاحب القوت.

(وقال لقمان لابنه) وهو يعظه: (يا بني، إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوىٰ الله، وحشوها الإيمان بالله، وشراعها التوكُّل علىٰ الله لعلك تنجو، وما أراك ناجيًا)[1] نقله صاحب القوت.

وقد رُوي نحو ذلك عن وهب بن منبه، وهو في الحلية[2] قال: يا بني، اتخِذْ طاعة الله تجارة تزيد بها ربح الدنيا والآخرة، والإيمان بالله سفينتك التي تحمل عليها، والتوكل علىٰ الله دقلها[3]، والدنيا بحرك، والأيام موجك، والأعمال المفروضة تجارتك ... إلىٰ آخر ما قال.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ (طالت فكرتي في هذه الآية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من[4] الحيوان والنبات والمعادن (زينة لها) ولأهلها (﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾) أي لنختبرهم (﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾) في تعاطيه، وهو مَن زهد فيه ولم يغترَّ به، وقنع منه بما يزجي به أيامه، وصرفه علىٰ ما ينبغي. وفيه تسكين لرسول الله ﷺ (﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾) تزهيد فيه. والجُرُز: الأرض التي قُطع نباتها، [مأخوذ] من الجرز وهو القطع، والمعنىٰ: إنَّا لَنعيدُ ما عليها من الزينة ترابًا مستويًا بالأرض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه.

(وقال بعض الحكماء: إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٨٤، وأحمد في الزهد ص ٨٦، والبيهقي في الزهد الكبير ص ٣٣٥، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٨٤. كلهم عن سفيان الثوري. ورواه بنحوه الطبراني في الدعاء ص ١٥٨٤ عن الحسن البصري.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٥٤.

(٣) وقل السفينة هو الذي ينصب في وسطه الشراع. التاج ٢٩/ ٣١٤.

(٤) أنوار التنزيل للبيضاوي ٣/ ٢٧٣.

قبلك، وسيكون له أهل بعدك، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم، فلا تهلك في أكله، وصُمْ عن الدنيا، وأفطِرْ علىٰ الآخرة، وإن رأس مال الدنيا الهوىٰ، وربحها النار)[١] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(وقيل لبعض الرهبان: كيف ترىٰ الدهر؟ قال: يخلق الأبدان) أي يبليها (ويجدِّد الآمال، ويقرِّب المنيَّة) أي الموت (ويُبعِد الأمنية. قال: فما حال أهله؟ قال: مَن ظفر به تعب، ومَن فاته نضب)[٢] يقال: نضب الماء في الأرض: إذا غار[٣].

(وقد قيل) في معنىٰ ذلك:

(ومَن يحمد الدنيا لعيش يسرُّه   فسوف لعَمْري عن قليل يلومها

إذا أدبرت كانت علىٰ المرء حسرة   وإن أقبلت كانت كثيرًا همومها)[٤]

وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها، فلا أسكن إليها، فإنَّ عيشها نكدٌ) أي عسر وتعب (وصفوها كدر، وأهلها منها علىٰ وجل) أي خوف (إما بنعمة زائلة) أي ستزول قريبًا (أو بليَّة نازلة) ستنزل قريبًا (أو منيَّة قاضية)[٥] أي متحتِّمة.

---

(١) رواه بنحوه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٦ عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي.

(٢) رواه الخرائطي في اعتلال القلوب ص ٤٧ عن أبي عمرو الشيباني.

(٣) هكذا فسره الشارح بناء علىٰ أن الكلمة بالضاد المعجمة، والسياق يأباه، والصواب: نصب، بالصاد المهملة، أي أعيا وتعب.

(٤) ينسب هذان البيتان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهما في ديوانه ص ١٨١. وروىٰ ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٨٦ بسند فيه مجهولان أن غلاما لعبد الملك بن مروان كتب إليه: إن صخرة قبلنا يقال إن تحتها كنزا يحتاج إلىٰ نفقة. فكتب إليه عبد الملك: أن واصل بين النفقة حتىٰ تستخرج هذا الكنز. فعولجت حتىٰ قُلبت فلم يجد تحتها كنزا، ووجد عليها كتابا فيه هذان البيتان.

(٥) أول الأثر رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٠٥ من طريق سفيان بن عيينة قال: قال عيسىٰ عليه السلام: كانت الدنيا ولم أكن فيها، وتكون ولا أكون فيها، وإنما لي فيها أيامي التي أنا فيها، فإن شقيت فيها فأنا شقي. وأما بقية الأثر فرواه بنحوه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٣٦ ويعقوب بن =

(وقال بعضهم: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدًا ما يستحق، لكنها إما أن تزيد) فوق استحقاقه **(وإما أن تُنقِص)** من استحقاقه. رُوي ذلك من كلام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١].

(وقال سفيان) الثوري[٢] رحمه الله تعالىٰ: **(أما ترىٰ النعم كأنها مغضوب عليها قد وُضعت في غير أهلها)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالىٰ: **(مَن طلب الدنيا علىٰ المحبة لها لـم يُعْطَ منها شيئًا إلا أراد أكثر)** مما طلب **(ومَن طلب الآخرة علىٰ المحبة لها لم يُعْطَ منها شيئًا إلا أراد أكثر)** مما طلب **(وليس لهذا غاية، ولا لهذا غاية)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال رجل لأبي حازم) سلمة بن دينار الأعرج المدني التابعي رحمه الله تعالىٰ: **(أشكو إليك حب الدنيا، وليست لي بدار. فقال: انظر ما آتاك الله عَزَّوَجَلَّ منها فلا تأخذه إلا من حِلِّه)** أي من حيث هو حلال **(ولا تضعه إلا في حقه، ولا يضرُّك حبُّ الدنيا)**[٣] أخرجه ابن أبي الدنيا.

(وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتىٰ يتبرَّم) أي يتضجر **(بالدنيا ويطلب الخروج منها)** وأخرج أبو نعيم في الحلية[٤] من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: قلت لأبي حازم يومًا: إني لأجد شيئًا يحزنني. قال: وما هو يا

= سفيان في المعرفة والتاريخ ٣/ ٤٤٠ ضمن رسالة طويلة كتبها الحسن البصري إلىٰ عمر بن عبد العزيز.

(١) ونسبه أبو حيان التوحيدي في البصائر والذخائر ٩/ ٨٤ لبزرجمهر الحكيم الفارسي.

(٢) بل هو سفيان بن عيينة، كما رواه عنه المعافىٰ بن زكريا في الجليس الصالح ٣/ ٣٣٩ (ط - عالم الكتب) والخطيب في تاريخ بغداد ١٢/ ١٠٨.

(٣) رواه بنحوه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ١/ ٦٧٩ ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٥٠٣ عن سفيان بن عيينة.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ٢٤٤.

ابن أخي؟ قلت: حب الدنيا. فقال لي: اعلمْ يا ابن أخي أن هذا الشيء ما أعاتب نفسي علىٰ بغض[١] شيء حبَّبه الله إليَّ؛ لأن الله تعالىٰ قد حبَّب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا أنْ لا يدعونا حبُّها إلىٰ أن نأخذ شيئًا من شيء يكرهه الله تعالىٰ، ولا أن نمنع شيئًا من شيء أحبه اللهُ تعالىٰ، فإذا نحن فعلنا ذلك لم يضرَّنا حبُّنا إياها.

(**وقال يحيىٰ بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالىٰ: (**الدنيا حانوت الشيطان**) أي دكّانه الذي فيه متاعه (**فلا تسرق من حانوته شيئًا فيجيء في طلبه فيأخذك**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (**لو كانت الدنيا من ذهب يفنىٰ والآخرة من خزف يبقىٰ لكان ينبغي لنا أن نختار**) لأنفسنا (**خزفًا يبقىٰ علىٰ ذهب يفنىٰ، فكيف وقد اخترنا خزفًا يفنىٰ علىٰ ذهب يبقىٰ**)[٢] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال أبو حازم**) سلمة بن دينار الأعرج رحمه الله تعالىٰ: (**إياكم والدنيا، فإنه بلغني أنه يوقَف العبد يوم القيامة إذا كان معظِّمًا للدنيا فيقال: هذا عظَّمَ ما حقَّره الله تعالىٰ**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا وأبو نعيم في الحلية.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف ومالُه عارية، والضيف مرتحل، والعارية مردودة**) أخرجه الطبراني[٣] ومن طريقه أبو نعيم في الحلية[٤] من رواية الضحَّاك بن مزاحم قال: قال عبد الله: ما منكم إلا ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل، والعارية مؤدَّاة لأهلها.

(١) في الحلية: علىٰ حب.
(٢) هذا الأثر عزاه القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٢٣٥ إلىٰ مالك بن دينار.
(٣) المعجم الكبير ٩/ ١٠٥.
(٤) حلية الأولياء ١/ ١٣٤.

(**وقد قيل**) في معنىٰ ذلك:

(**وما المال والأهلون إلا وديعة ... ولا بد يومًا أن تُرَد الودائع**[١]

و) يُحكَىٰ أنه (زار رابعة) بنت إسماعيل العدوية البصرية (**أصحابُها**) ممَّن كان يتردَّد عليها (**فذكروا الدنيا فأقبلوا علىٰ ذمِّها، فقالت: اسكتوا عن ذِكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذِكرها، ألا مَن أحب شيئًا أكثرَ من ذكره**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[٢].

وقولها «مَن أحب شيئًا أكثرَ من ذكره» حديث مرفوع أخرجه أبو نعيم ثم الديلمي من طريق مقاتل بن حيَّان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به.

(**وقيل لإبراهيم بن أدهم: كيف أنت؟ فقال**) منشدًا:

(**نرقِّع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقىٰ ولا ما نرقِّع**

فطوبَىٰ لعبدٍ آثرَ الله ربَّه ... وجاد بدنياه لِما يتوقع)

أخرجه أبو نعيم في الحلية[٣] من طريق يعلىٰ بن عبيد قال: دخل إبراهيم بن أدهم علىٰ أبي جعفر أمير المؤمنين، فقال: كيف شأنكم يا أبا إسحاق؟ قال: يا أمير المؤمنين

نرقِّع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقىٰ ولا ما نرقِّع

ومن طريق أبي عمير عن ضمرة قال: دخل إبراهيم بن أدهم علىٰ بعض الولاة، فقال له: مِمَّ معيشتك؟ قال: نرقِّع دنيانا ... الخ. فقال: أخرِجوه فقد

---

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري، وهو في ديوانه ص ٨٩ من قصيدة يرثي بها أخاه أربد.

(٢) ذم الدنيا ص ١٨٤ عن العباس بن الفضل البجلي قال: أكثر قوم ذم الدنيا عند رابعة، فقالت: أقلوا من ذم الدنيا، فإنه من أحب شيئا أكثر ذكره.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٠.

استقبل(١).

(وقيل أيضًا في ذلك) المعنىٰ:

(أرىٰ طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سرورًا وأنعُما

كبانٍ بنىٰ بنيانه فأقامه ... فلما استوىٰ ما قد بناه تهدَّما)(٢)

وفي نسخة: فأتمَّه، بدل: فأقامه.

(وقيل أيضًا في ذلك) المعنىٰ:

(هَب الدنيا تُساق إليك عفوًا ... أليس مصير ذاك إلىٰ انتقال

وما دنياك إلا مثل فيء ... أظلَّك ثم آذَنَ بالزوال)(٣)

وفي نسخة: للزوال.

(وقال لقمان لابنه) وهو يعظه: (يا بني، بعْ دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تَبعْ آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعًا)(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(وقال مطرِّف بن) عبد الله بن (الشِّخِّير) بن عوف العامري التابعي العابد، ولأبيه صحبة، وقد ذُكر (لا تنظر إلىٰ خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظر إلىٰ سرعة ظَعْنهم وسوء منقلَبهم)(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه: (إن الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزءًا للمؤمن،

---

(١) كذا هنا، وفي الحلية: استقتل. وفي الزهد للبيهقي ص ١٧٠: استثقل.

(٢) البيتان في معجم السفر لأبي طاهر السلفي ص ٤٦٣ دون نسبة.

(٣) البيت الأول لأبي العتاهية، وهو في ديوانه ص ٣٣٨. أما البيت الثاني فلم أقف علىٰ قائله.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٤٣ من قول الحسن البصري، و٧/ ٣٥ من قول سفيان الثوري.

(٥) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٤٢٨، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٨/ ٣٢٠.

وجزءًا للمنافق، وجزءًا للكافر، فالمؤمن يتزوَّد) منها لآخرته (**والمنافق يتزيَّن**) بمتاعها (**والكافر يتمتع**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(**وقال بعضهم: الدنيا جيفة**) أي بمنزلة جيفة في هوانها ونتنها (**فمن أراد منها شيئًا فليصبر علىٰ معاشرة الكلاب**) رواه صاحب القوت من قول علي رضي الله عنه[1]. وقال: علىٰ مزاحمة الكلاب، بدل: معاشرة.

وفي هذا المعنىٰ قال الشافعي رحمه الله تعالىٰ:

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همُّهن اجتذابُها[2]

ومن هنا يؤخَذ القول المشهور علىٰ الألسنة: الدنيا جيفة وطلاَّبها كلاب.

وفي القوت: ولقد أُشهد ذلك بعض المكاشَفين فقال: رأيت الدنيا في صورة جيفة، ورأيت إبليس في صورة كلب وهو جاثم عليها، ومناديًا ينادي من فوق: أنت كلب من كلابي، وهذه جيفة من خَلْقي، ولقد جعلتُها نصيبك مني، فمَن نازعك شيئًا منها فقد سلَّطتُك عليه.

(**وقد قيل في هذا**) المعنىٰ:

(يا خاطب الدنيا إلىٰ نفسها تَنَحَّ عن خطبتها تَسلمِ
إن التي تخطب غدَّارة قريبة العرس إلىٰ المأتم)[3]

---

(١) ورواه أيضا من قوله: أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٣٨، والدارقطني في المزكيات ص ٢٥١، وابن الشجري في أماليه ٢/ ١٩٣.

(٢) البيت في ديوانه ص ٥٢ (ط - دار الكتاب العربي) وبعده:

فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

(٣) البيتان في البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ١٨٠ منسوبان لأبي العتاهية، ولم أجدهما في ديوانه. ونسبهما الذهبي في تاريخ الإسلام ١٢/ ٩٠ لبهلول المجنون. وهما في العقد الفريد ٣/ ١٢٢ دون نسبة. وفي كتاب ذم الدنيا لابن أبي الدنيا ص ٧٦: وأنشدني أبو الحسن الباهلي أو غيره ... فذكرهما.

وقال أبو محمد الحريري:

يـا خاطـب الدنيـا الدنيَّـة إنهـا   شَـرَكُ الـردَىٰ وقَـرارة الأكـدار
دار متـىٰ مـا أضحكـت أبكـت   غـدَّارة تبًّـا لهـا مـن دار

في أبيات أُخر ذكرها في مقاماته(١).

(وقال أبو الدرداء) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(من هوان الدنيا علىٰ الله أنه لا يُعصَىٰ إلا فيها، ولا يُنال ما عنده إلا بتركها)**(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. وذكره صاحب نهج البلاغة(٣) من كلام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(وقيل في) معنىٰ **(ذلك)** وهو أحسن ما سُمع في تشبيه الدنيا:

(إذا امتحـن الدنيـا لبيـبٌ تكشَّـفتْ   لـه عـن عـدوٍّ في ثيـاب صديـق)(٤)

وقيل أيضًا) في معناه:

(يا راقد الليل مسرورًا بأوله   إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنىٰ القرونَ التي كانت منعَّمة   كر الليالي إقبالاً وإدبارا
كم قد أبادت صروفُ الدهر من ملك   قد كان في الدهر نَفَّاعًا وضَرَّارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها   يمسي ويصبح في دنياه سَفَّارا)

---

(١) مقامات الحريري ص ١٩٢ [المقامة الشعرية] والبيت الثاني فيها هكذا:
دار متـىٰ مـا أضحكـت في يومهـا   أبكـت غـدا بعـدًا لهـا مـن دار
(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ١٨ عن سعيد بن خثيم قال: قال بعض الحكماء: من هوان الدنيا ... فذكره.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩/ ١٧٧ - ١٧٨، قال: «هذا الكلام نسبه الغزالي في الإحياء إلىٰ أبي الدرداء، والصحيح أنه من كلام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ذكره شيخنا أبو عثمان الجاحظ في غير موضع من كتبه، وهو أعرف بكلام الرجال».
(٤) البيت لأبي نواس، وهو في ديوانه ٢/ ١٥٩.

أي كثير السفر لأجل تحصيلها

(هلاَّ تركتَ من الدنيا معانَقةً حتىٰ تعانق في الفردوس أبكارا

إن كنت تبغي جِنان الخُلد تسكنها فينبغي لك أن لا تأمن النارا)[1]

وقيل في هذا المعنىٰ:

يا راقد الليل انتبهْ إن الخطوب لها سُرَىٰ

ثقة الفتىٰ بزمانه ثقةٌ محلَّله العُرَىٰ[2]

(وقال أبو أمامة) صُدَيُّ بن عجلان (الباهلي) رضي الله عنه: (لما بُعث محمد ﷺ أتت إبليسَ جنودُه فقالوا: قد بُعث نبي وأُخرجت أمته. قال: يحبون الدنيا؟ قالوا: نعم. قال: لئن كانوا يحبونها ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان، وأنا أغدو عليهم وأروح بثلاث: أخذ المال من غير حقه، وإنفاقه في غير حقه، وإمساكه عن حقه، والشر كله من هذا نبعَ) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[3].

(وقال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، صِفْ لنا الدنيا. فقال: وما أصف لك من دار مَن صح فيها ما أَمِنَ، ومَن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنىٰ فيها فُتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العذاب، وفي متشابهها العتاب) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[4]. وكذلك ذكره صاحب نهج البلاغة[5]، ولفظه: ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنىٰ فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومَن قعد عنها واتته، ومن أبصر بها بصَّرته، ومن أبصر إليها أعمَتْه.

---

(١) لم أقف علىٰ قائل هذه الأبيات.

(٢) ذكرها الخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٤٣٧.

(٣) ذم الدنيا ص ١٧.

(٤) السابق ص ٢١.

(٥) شرح نهج البلاغة ٦/ ٣٢٤.

(وقيل له ذلك مرة أخرىٰ) أي سؤال وصفِ الدنيا (فقال: أطوِّل أم أقصِرُ؟ فقيل: أقصرْ. فقال: حلالها حساب، وحرامها عذاب) أخرجه أيضًا ابن أبي الدنيا[١]، وسيأتي ذلك في المرفوع.

(وقال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالىٰ: (اتقوا السَّحَّارة، فإنها تسحر قلوب العلماء. يعني الدنيا) رواه صاحب الحلية[٢] من طريق سيَّار بن حاتم العنزي أبي سلمة البصري عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار في ترجمة مالك بن دينار: اتقوا السحَّارة. مرة واحدة، وفي ترجمة جعفر بن سليمان عن مالك مرتين.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالىٰ: (إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها) للؤمها (فإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة) لكرمها (لأن الآخرة كريمة، والدنيا لئيمة)[٣] نقله صاحب القوت وقال: معناه أن يسير الدنيا يُخرِج كثير الآخرة، وكثير من شأن الآخرة لا يُخرِج يسيرًا من الدنيا، وأن كثيرًا من أمر الآخرة قد يزيله قليلٌ من أمر الدنيا، وأن قليلاً من أمر الدنيا قد لا يزيله الكثير من أمر الآخرة، هذا لعزَّة شأن الآخرة وقلة النصب منها، وللؤم شأن الدنيا ودناءتها وكثرة النصب منها وعِظَم البلوىٰ بها.

قال المصنف: (وهذا تشديد عظيم، ونرجو أن يكون ما ذكره سيَّار بن الحكم) كذا في النسخ كلها، والصواب: سيَّار[٤] أبو الحكم العَنَزي الواسطي [ويقال]: البصري، وهو سيار بن أبي سيار، واسمه: وَرْدان، وقيل: ورد، وقيل: دينار، يقال: إنه أخو مساور الورَّاق لأمه. قال أحمد: صدوق، ثقة، ثبت في كل

---

(١) ذم الدنيا ص ٢٠، وفيه: وحرامها النار.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٦٤، ٦/ ٢٨٧.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٦٦، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٧/ ٣٢٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٦٠.

(٤) تهذيب الكمال ١٢/ ٣١٣ - ٣١٥.

المشايخ. وقال ابن معين والنسائي: ثقة[١]. وقال الحافظ ابن حجر[٢]: وليس هو الذي يروي عن طارق بن شهاب. مات سنة ١٢٢، روىٰ له الجماعة (**أصح؛ إذ قال: الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب، فأيُّهما غلب كان الآخَر تبعًا له**)[٣] أي فالحكم للغالب، وهذا لا يمنع مزاحمةَ الدنيا مع الآخرة.

(**وقال مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**بقدر ما تحزن للدنيا يخرج همُّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج همُّ الدنيا من قلبك**)[٤] نقله صاحب القوت.

(**وهذا اقتباس مما قاله علي** رضي الله عنه**، حيث قال**) في تشبيه الدنيا والآخرة: (**الدنيا والآخرة ضرَّتان، فبقدر ما ترضي إحداهما تُسخِط الأخرىٰ**) وقد رُوي ذلك أيضًا من قول وهب بن منبه، كما في الحلية[٥]. ومثله قول عون بن عبد الله المسعودي: الدنيا والآخرة في قلب العبد ككفَّتَي الميزان ترجح إحداهما فتخف الأخرىٰ[٦].

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**واللهِ لقد أدركتُ أقوامًا كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه، ما يبالون أشرَّقت الدنيا أم غرَّبت، ذهبت إلىٰ ذا أمْ ذهبت إلىٰ ذا**)[٧] نقله صاحب القوت.

(**وقال رجل للحسن**) البصري: (**ما تقول في رجل آتاه الله مالاً فهو يتصدَّق منه ويصل منه أيحسُن له أن يتعيَّش فيه؟** يعني التنعُّم، **فقال: لا**) يجوز له (**لو كانت**

(١) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٢٥٥.

(٢) تقريب التهذيب ص ٤٢٧.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٦٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣١٣.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٦٦، وأحمد في الزهد ص ٢٥٩، والبيهقي في الزهد الكبير ص ١٣٤.

(٥) حلية الأولياء ٤/ ٥١.

(٦) رواه عنه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٥١، وفيه: ترجح إحداهما بالأخرىٰ.

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٥٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٧٢.

له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف، ويقدِّم ذلك ليوم فقره)[١] نقله صاحب القوت بلفظ: سُئل عن الرجل يوسَّع عليه في رزقه هل له أن يتسع في الشهوات؟ فقال: لا واللهِ، إذ لو كانت له الدنيا لم يكن ينبغي أن يأخذ من ماله إلا للحاجة والكفاية من غير سرف ولا تبذير، ويقدِّم فضول ذلك لآخرته ذخيرةً له. ا.هـ. والكفاف: هو ما يكف به نفسه فيما لا بد له منه، فهذا هو الذي لا يُعَدُّ من الدنيا.

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (**لو أن الدنيا بحذافيرها**) أي بجملتها (**عُرضت عليَّ حلالاً لا أحاسَب بها في الآخرة لكنت أتقذَّرها كما يتقذَّر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية[٢] عن محمد ابن جعفر بن يوسف، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن يزيد، حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل يقول ... فذكره.

(**وقيل: قدم عمرُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **الشامَ**) قدمته الأولىٰ (**فاستقبله أبو عبيدة**) عامر (**بن الجرَّاح**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**علىٰ ناقة مخطومة بحبل**) أي خطامها من حبل الليف (**فسلَّم**) عليه (**وسأله، ثم أتىٰ منزله فلم يرَ فيه إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **لو اتخذتَ متاعًا. فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا يبلِّغنا المقيلَ**) قال أبو نعيم في الحلية[٣]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا أبو خالد الأحمر. ح. وحدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، قالا: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: دخل عمر بن الخطاب علىٰ أبي عبيدة بن الجرَّاح، فإذا هو مضطجع علىٰ طنفسة رَحْله، متوسِّد الحقيبة، فقال له عمر: ألا اتخذتَ ما

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٥٦، وأحمد في الزهد ص ٢١٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ١٩٨.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٨٩.

(٣) السابق ١/ ١٠١ - ١٠٢.

اتخذ أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذا يبلِّغني المقيل. وقال معمر في حديثه: لما قدم عمر الشام تلقَّاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: مَن؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيتَه، فلم يرَ في بيته إلا سيفه وترسه ورحله ... ثم ذكر نحوه.

(**وقال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالىٰ: (**خذ من الدنيا لبدنك**) أي قدْر ما تقيم به عمارة البدن لأداء ما كُلِّفت به (**وخذ من الآخرة لقلبك**) أخرجه ابن أبي الدنيا[١].

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**واللهِ لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا**)[٢] أي بسبب حبهم لها فأوقعتهم في الشرك. نقله صاحب القوت.

(**وقال وهب**) بن منبه اليماني رحمه الله تعالىٰ: (**قرأت في بعض الكتب**) أي السماوية: (**الدنيا غنيمة الأكياس**) أي العقلاء (**وغفلة الجُهَّال، لم يعرفوها حتىٰ خرجوا منها**) لجهلهم بها (**فسألوا الرجعةَ**) إليها (**فلم يرجعوا**)[٣] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال لقمان لابنه**) وهو يعظه: (**يا بني، إنك استدبرت الدنيا من يومِ نزلتها**) أي من بطن أمك (**واستقبلت الآخرة، فأنت إلىٰ دار تقرُب منها أقرب من دار تَباعَدُ عنها**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٤].

---

(١) الزهد ص ٦٩.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٧٣، وأحمد في الزهد ص ٢١٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٥٦، ٦/ ١٩٨.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٤٠.

(٤) رواه أبو طاهر السلفي في الطيوريات ٣/ ١١٦٩ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٢٠ عن مالك بن أنس. ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٣١٠ عن عبد الله بن دينار. ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٤٣ عن موسىٰ بن عبيدة الربذي.

(وقال سعد بن مسعود: إذا رأيتَ العبد تزداد دنياه وتنقص آخرتُه وهو به راضٍ فذلك المغبون الذي يُلعَب بوجهه وهو لا يشعر)[١] سعد بن مسعود هذا لم أجد له ترجمة في رجال الحديث، وهو هكذا في سائر نسخ الكتاب. وفي الزهد والرقائق[٢] من مرسَل شعيب بن أبي سعيد: «إذا رأيتَ كلما طلبتَ شيئًا من أمر الآخرة وابتغيته يُسِّرَ عليك وإذا طلبت شيئًا من أمر الدنيا وابتغيته عسُرَ عليك فاعلمْ أنك علىٰ حال حسنة، وإذا رأيت كلما طلبت شيئًا من أمر الآخرة وابتغيته عسُرَ عليك وإذا طلبت شيئًا من أمر الدنيا وابتغيته يُسِّر لك فأنت علىٰ حال قبيحة».

(وقال عمرو بن العاص) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(علىٰ المنبر: واللهِ ما رأيتُ قومًا قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم، واللهِ ما مرَّ برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له)** قال العراقي[٣]: رواه الحاكم[٤] وصحَّحه، ورواه أحمد[٥] وابن حبان[٦] بنحوه.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ **(بعد أن تلا قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾** [لقمان: ٣٣، فاطر: ٥] **مَن قال ذا؟ قاله مَن خلقها)** بقدرته **(ومَن هو أعلم بها، إياكم وما شغلَ)** عن الله **(من الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الأشغال، لا يفتح رجل علىٰ نفسه بابَ شغلٍ إلا أوشك ذلك**

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٠٧، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٥٤.

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ٧٠، وأوله: أن رجلا قال: يا رسول الله، كيف لي أن أعلم كيف أنا؟ فقال: إذا رأيت ... الخ.

(٣) المغني ٢/ ٨٧٨.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٧.

(٥) مسند أحمد ٢٩/ ٣٥٢.

(٦) صحيح ابن حبان ١٤/ ٢٩١، ولفظه: أيها الناس، كان نبيكم ﷺ أزهد الناس في الدنيا، وأصبحتم أرغب الناس فيها.

الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب)(١) نقله صاحب القوت.

(وقال) الحسن (أيضًا: مسكين ابن آدم، رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب، إن أخذه من حِلِّه حوسِب بنعمته، وإن أخذه من حرام عُذِّب به) نقله صاحب القوت. وفيه أيضًا: مسكين (ابن آدم، يستقلُّ ماله ولا يستقل عمله، يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه(٢).

وكتب الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز) رحمهما الله تعالىٰ: (سلام عليك، أما بعد، فكأنك بآخر مَن كُتب عليه الموت قد مات. فأجابه عمر: سلام عليك) أما بعد (كأنك بالدنيا لم تكن، وكأنك بالآخرة لم تزل) أخرجه أبو نعيم في الحلية(٣). وأعاده المصنف في كتاب ذم الجاه والرياء.

(وقال الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالىٰ: (الدخول في الدنيا هيِّن، ولكن التخلُّص منها شديد)(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال بعضهم(٥): عجبًا لمَن يعرف أن الموت حق كيف يفرح، وعجبًا لمَن

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٨٣، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٦٠ - ٦١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٥٣.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٠٤.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٣٠٥.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٠٩، والبيهقي في الزهد الكبير ص ١٤٠.

(٥) أبهم الغزالي القائل؛ لأن هذا الأثر قد روي عن غير واحد. فرواه الطبراني في الدعاء ص ١٥٣٧ عن ابن عباس قال: الكنز الذي ذكره الله عز وجل في كتابه ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبا ... فذكره. ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٦٨٠ عن نعيم العنبري من أصحاب الحسن البصري. ورواه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٨٦ - ٣٨٧ من طريق موسىٰ بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري عن عمه، ثم رواه عن علي بن أبي طالب. ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١١٠ عن مسعر بن كدام قال: قدم ملك من الملوك علىٰ رجل يقضي فقتله، فقال: ما أراه كان يقضي إلا وعنده كتب، فبعث إلىٰ امرأته أو إلىٰ أخته: هل كانت له =

يعلم أن النار حق كيف يضحك، وعجبًا لمن يرىٰ تقلُّب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها، وعجبًا لمَن يعلم أن القدَر) أي ما قدَّره الله **(حق)** كائن **(كيف ينصب)** أي يتعب.

وروىٰ ابن عدي[١] والبيهقي[٢] من حديث ابن مسعود: «عجبت لطالب الدنيا والموتُ يطلبه، وعجبت لغافل وليس بمغفول عنه، وعجبت لضاحك ملء فيه ولا يدري أرَضِيَ الله عنه أم سخط».

(وقَدِم علىٰ معاوية) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في أيام ولايته **(رجل من نجران)**: بلد من بلاد هَمْدان باليمن، قال البكري: سُمِّي باسم أبيها نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٣] **(عمره مائتا سنة، فسأله عن الدنيا كيف وجدها؟ فقال: سُنَيَّات بلاء وسنيات رخاء)** جمع سُنَيَّة تصغير سنة **(يوم فيوم، وليلة فليلة، يولَد ولدٌ، ويهلك هالكٌ، فلولا المولود لبادَ الخلقُ)** أي فني **(ولولا الهالك لضاقت الدنيا بمن فيها. فقال له: سَلْ ما شئتَ. قال: عمر)** قد **(مضىٰ فتردُّه)** عليَّ **(وأجل حضر فتدفعه)** عني؟ **(قال)** معاوية: **(لا أملك ذلك. قال: لا حاجة لي إليك)** أخرجه ابن أبي الدنيا[٤].

(وقال داود) بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالىٰ: **(يا ابن آدم، فرحتَ ببلوغ أملك، وإنما بلغتَه بانقضاء أجلك، ثم سوَّفت بعملك كأنَّ منفعته لغيرك)**[٥] أخرجه

= كتب؟ قالت: لا، إلا أنه كان معه كتاب صغير لا يفارقه. فالتمسوه في مقتله، فوجدوا كتابا فيه أربع كلمات: عجبت ... فذكره. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٠/ ١٣٧ مرفوعا من حديث أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، ما كان في صحف موسىٰ؟ قال: كان فيه: عجبت ... فذكره.

(١) الكامل في الضعفاء ٢/ ٦٨٩.

(٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٧.

(٣) تقدم الكلام عن نجران في كتاب رياضة النفس.

(٤) ذم الدنيا ص ١١٤.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١١٥، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٣٢٢، ٧/ ٩٨.

أبو نعيم في الحلية.

(وقال بِشر) بن الحارث الحافي رحمه الله تعالىٰ: **(مَن سأل الله الدنيا فإنما يسأله طولَ الوقوف بين يديه)**[١] نقله صاحب القوت. أي لطول حسابه إن كانت حلالاً أو حرامًا.

(وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الأعرج: **(ما في الدنيا شيء يسرُّك إلا وقد أُلزق إليه شيء يسوءك)** رواه أبو نعيم في الحلية[٢] من طريق ابن مطرف عنه بلفظ: ما يسوءك.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاثة: أنه لم يشبع مما جمع)** منها من متاعها **(ولم يدرك ما أمَّل)** أي منتهَىٰ أمله **(ولم يُحسِن الزاد لِما يقدُم إليه)**[٣] نقله صاحب القوت.

(وقيل لبعض العُبَّاد: قد نِلتَ الغِنىٰ. فقال: إنما نال الغنىٰ مَن عُتق من رقِّ الدنيا) أخرجه ابن أبي الدنيا[٤].

(وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالىٰ: **(لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا مَن كان في قلبه ما يشغله بالآخرة)**[٥] نقله صاحب القوت.

(وقال مالك بن دينار) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(اصطلحنا علىٰ حب الدنيا، فلا يأمر بعضنا بعضًا، ولا ينهىٰ بعضنا بعضًا، ولا يَدَعنا الله علىٰ هذا، فليت**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٢١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣٣٧، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٢٤٥.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٣٩، وفيه (شيء يسوءك) كما هنا.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٢٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٧٢.

(٤) الزهد ص ١٧٩.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٢٩ بلاغا.

شِعري أيٌّ عذاب الله ينزل علينا) رواه أبو نعيم في الحلية[1] عن محمد بن علي بن حبيش، عن أحمد بن يحيىٰ، عن يحيىٰ بن معين، عن سعيد بن عامر، عن جعفر ابن سليمان، عنه.

(وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الأعرج رحمه الله تعالىٰ: **(يسير الدنيا)** أي قليلها **(يشغل عن كثير الآخرة)** وإنك تجد الرجل يشغل نفسَه بهمٍّ غيره حتىٰ لَهُو أشد اهتمامًا من صاحب الهم بهمِّ نفسه. هكذا رواه صاحب الحلية[2] بتلك الزيادة من طريق قتيبة بن سعيد عن يعقوب بن عبد الرحمن عنه.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(أهينوا الدنيا، فوالله ما هي لأحد بأهنأ منها لمَن أهانها)**[3] نقله صاحب القوت بلفظ: فوالله لأهنأ ما تكون حين تهينها.

(وقال أيضًا: إذا أراد الله بعبد خيرًا أعطىٰ له من الدنيا عطية ثم يمسك، فإذا نفد أعاد عليه، وإذا هان عليه عبدٌ بسط له الدنيا بسطًا)[4].

وكان يحلف بالله: ما أعزَّ عبدٌ الدنيا إلا أذلَّ دينَه، وما أعز عبدٌ دينه إلا هانت عليه الدنيا.

وبعضهم يقول: مَن أكرم الدنيا أهانته غدًا، ومن أهانها اليوم أكرمته غدًا.

(وكان بعضهم يدعو) أي يقول في دعائه: **(يا ممسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنك أمسِك الدنيا عني)** وهذا خاف الافتتان علىٰ نفسه منها فطلب الإمساك عنها.

(وقال) أبو عبد الله **(محمد بن المنكدر)**[5] بن عبد الله بن الهُدَير التيمي

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٦٣.

(٢) السابق ٣/ ٢٣٠.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٣٩.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٣٩، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٢٤٥.

(٥) الصحيح أن قائل ذلك هو ابنه عمر بن محمد بن المنكدر. كذا رواه عنه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٤٠، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٧/ ٩٨ - ٩٩.

القرشي المدني، ابن خال عائشة الصدِّيقة ﷺ (أرأيتَ لو أن رجلاً صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر) أي لا يكسل (وتصدَّق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتَىٰ به يوم القيامة فيقال: أما إن هذا عظُم في عينه ما صغَّره الله، وصغُر في عينه ما عظَّمه الله كيف ترىٰ يكون حاله؟ فمَن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا) نقله صاحب القوت.

(وقال أبو حازم) سلمة بن دينار رحمه الله تعالىٰ: (اشتدَّت مؤنة الدنيا والآخرة، فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعوانًا، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلىٰ شيء منها إلا وجدتَ فاجرًا قد سبقك إليه) قال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا سفيان قال: قال أبو حازم: اشتدت مؤنة الدنيا والدين. قالوا: يا أبا حازم، هذا الدين، فكيف الدنيا؟ قال: لأنك لا تمد يديك إلىٰ شيء إلا وجدتَ فاجرًا قد سبقك إليه.

(وقال أبو هريرة) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي) أي القِربة المتخرِّقة (تنادي ربَّها منذ خلقها إلىٰ يوم يفنيها: يا رب، يا رب، لِمَ تبغضني)؟ لِمَ تمقتني؟ (فيقول لها: اسكتي يا لا شيء)[2] تقدم في أول الباب.

(وقال عبد الله بن المبارك) رحمه الله تعالىٰ: (حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته) أي استولت عليه وسدَّت عليه طريق الخير (فمتىٰ يصل الخير إليه)؟ أخرجه أبو نعيم في الحلية[3].

(وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالىٰ: (مَن فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٣٨. ورواه بلفظ المصنف: ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٤٢، والبيهقي في الزهد الكبير ص ١٧٢.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٥٣.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ١٦٧.

أخطأ الحكمة، ومَن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطانُ من ظلِّه، ومَن غلب علمُه هواه فهو الغالب) رواه أبو نعيم في الحلية[١] عن حبيب بن الحسن، حدثنا أبو شعيب الحَرَّاني، حدثنا جدي أحمد بن أبي شعيب، حدثنا القشيري، عن محمد بن زياد، عن وهب قال: مَن جعل شهوته تحت قدميه فزع الشيطان من ظلِّه، ومَن غلب علمُه هواه فذلك العالِم الغلاَّب.

ومن[٢] طريق جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: مَن غلب شهوةَ الدنيا فذاك الذي يفرق الشيطانُ من ظلِّه.

(وقيل لبشر) بن الحارث الحافي رحمه الله تعالىٰ: **(مات فلان. فقال: جمع الدنيا وذهب إلىٰ الآخرة، ضيَّع نفسه. قيل: إنه كان يفعل ويفعل .. وذكروا أبوابًا من البِر، فقال)** بشر: **(وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا)**[٣]؟ نقله صاحب القوت.

(وقال بعضهم: الدنيا تبغِّض إلينا نفسَها ونحن نحبها) مع ذلك **(فكيف لو تحبَّبت إلينا)** أخرجه ابن أبي الدنيا[٤].

(وقيل لحكيم: الدنيا لمَن هي؟ قال: لمن تركها. فقيل: الآخرة لمن هي؟ فقال: لمن طلبها)[٥] وفي ذلك قيل:

كل مَـن لاقيـت يشـكو حالـه ... ليـت شِـعري هـذه الدنيـا لمـن

هـذه الدنيـا لمـن طلَّقهـا ... ورضـي منه بقـوت وكفـن[٦]

---

(١) السابق ٤/ ٦٠.

(٢) السابق ٢/ ٣٦٥.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٨٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣٣٧.

(٤) ذم الدنيا ص ١٨٥.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٨٧. ورواه البيهقي في الزهد الكبير ص ١٤٤ عن محمد بن عبد الملك بن هاشم قال: قال رجل لذي النون: الدنيا لمن ... الخ.

(٦) لم أقف علىٰ قائل هذين البيتين.

(وقال حكيم: الدنيا دار خراب، وأخربُ منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران، وأعمرُ منها قلب من يطلبها) أخرجه ابن أبي الدنيا[١].

(وقال) أبو القاسم (الجنيد) بن محمد البغدادي قُدِّس سره: (كان الشافعي) رحمه الله تعالىٰ (من المؤيَّدين الناطقين بلسان الحق في الدين) يُروَىٰ أنه (وعظ أخًا له في الله) أي في ذات الله عَزَّوَجَلَّ (وخوَّفه بالله فقال: يا أخي، إن الدنيا دحض مزلَّة) الدَّحْض هو الذي تزلق فيه الأقدام ولا تثبُت، والمَزلَّة بمعناه (ودار مذلَّة) أي دار هوان وذل (عمرانها إلىٰ الخراب صائرٌ) أي راجع (وساكنها إلىٰ القبور زائر) أي عما قريب يزور القبور ويسكنها (شملُها) أي جمعُها (علىٰ الفُرقة) أي الافتراق (موقوف، وعناؤها) أي تعبها (إلىٰ الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار) أي فقر (والإعسار فيها يسار) أي غِنىٰ (فافزعْ إلىٰ الله) أي الجأْ إليه (وارْضَ برزق الله) مما قدَّره لك في الأزل (لا تستلف) أي لا تستقرض (من دار بقائك) من الآخرة (في دار فنائك) من الدنيا (فإنَّ عيشك فيءٌ زائل) أي ظل يزول قريبًا (وجدار مائل) لا يُعتمَد (أكثِرْ من عملك) الصالح (وقصِّرْ من أملك[٢]).

وقال إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالىٰ (لرجل: أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟ فقال: دينار في اليقظة. فقال: كذبتَ؛ لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام، والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وعن إسماعيل بن عيَّاش) بن[٣] سُلَيم العَنْسي - بالنون - الحِمصي، يكنىٰ أبا عُتبة، صدوق في روايته عن الشاميين، مخلِّط في غيرهم، مات سنة إحدىٰ وثمانين [ومائة] عن بضع وسبعين سنة، روىٰ له البخاري في كتاب رفع اليدين له والأربعة

(١) ذم الدنيا ص ١٨٧ .وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ص ٧٤٦ من قول يحيىٰ بن معاذ الرازي.
(٢) رواه البيهقي في مناقب الشافعي ٢/ ١٧٨.
(٣) تقريب التهذيب ص ١٤٢.

(قال: كان أصحابنا يسمُّون الدنيا خنزيرة فيقولون: إليكِ عنا يا خنزيرة، فلو وجدوا لها اسمًا أقبح من هذا لسمَّوها به) ولفظ القوت: وقال أبو راشد التنوخي: سمعت أصحابنا إذا أقبلت إلىٰ أحدهم الدنيا قالوا: إليك إليكِ عنا يا خنزيرة، استأخري عنا، لا حاجة لنا فيك، إنَّا نعرف إلهنا. ا.هـ. وقد أورده صاحب القوت في أوائل شرح مقام الزهد عن يزيد بن ميسرة، وهو الصواب، قال أبو نعيم في الحلية(١): حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا داود بن عمرو الضبي، سمعت إسماعيل بن عَيَّاش، حدثني أبو راشد التنوخي، عن يزيد بن ميسرة قال: كان أشياخنا يسمُّون الدنيا: الدنيَّة، ولو وجدوا لها اسمًا شرًّا منه لسمَّوها به، وكانوا إذا أقبلت إلىٰ أحدهم دنيا قالوا: إليكِ إليك عنا يا خنزيرة، لا حاجة لنا بك، إنَّا نعرف إلهنا.

(وقال كعب: لتحببنَّ إليكم الدنيا حتىٰ تعبدوها وأهلَها(٢)).

وقال يحيىٰ بن معاذ الرازي رحمه الله تعالىٰ: العقلاء ثلاثة: مَن ترك الدنيا قبل أن تتركه، ومن بنىٰ قبره قبل أن يدخله، ومَن أرضىٰ خالقَه قبل أن يلقاه) أخرجه أبو نعيم في الحلية(٣).

(وقال أيضًا: إن الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنِّيك بما يلهيك عن طاعة الله، فكيف الوقوع فيها) أخرجه كذلك في الحلية.

(وقال بكر بن عبد الله) المزني التابعي الثقة: **(مَن أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفئ النار بالتبن)**(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا.

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٢٣٥.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٧٣، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٥٣٢.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٦٨ بلفظ: المصيب من عمل ثلاثة أشياء ... فذكرها.

(٤) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٣٧٨. وعزاه الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ٣٣٨ إلىٰ عبد الله بن مسعود.

(وقال) أبو[١] الحسين (بُندار) بن الحسين الشيرازي، صحب الشِّبْليَّ، مات بأرَّجان سنة ٣٥٣ (**إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلمْ أنهم في سُخرة الشيطان**) يعني: لا يتكلم في الزهد إلا مَن كان زاهدًا حتىٰ يكون لكلامه التأثير، ولذلك لما خطب بشر بن مروان علىٰ منبر الكوفة قال رافع بن خديج: انظروا إلىٰ أميركم، يعظ الناسَ وعليه ثياب الفُسَّاق. فقلت: وما كان عليه؟ قال: ثياب رِقاق[٢]. ولما جاء عبد الله بن عامر القرشي إلىٰ أبي ذر رضي الله عنه في بزَّته وجعل يتكلم في الزهد وضع أبو ذر راحته علىٰ فيه وجعل يضرط به، فغضب ابن عامر فأتىٰ ابنَ عمر فشكا إليه وقال: ألم ترَ ما لقيتُ من أبي ذر؟ قال: وما ذاك؟ قال: جعلت أقول في الزهد فأخذ يهزأ بي. فقال ابن عمر: أنت صنعتَ بنفسك، تأتي أبا ذر في هذه البَزَّة وتتكلم في الزهد[٣]؟!

(وقال) بُندار (**أيضًا: مَن أقبل علىٰ الدنيا أحرقته نيرانها** - يعني الحرص - **حتىٰ يصير رمادًا، ومَن أقبل علىٰ الآخرة صفَّته نيرانُها فصار سبيكة ذهب يُنتفَع به، ومن أقبل علىٰ الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصارا جوهرًا لا حد لقيمته**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال علي رضي الله عنه: إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم، فأشرف المطعومات العسل وهو مَذْقة ذباب**) أي ممَّا تلقيه النحل بفيها (**وأشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البَر والفاجر، وأشرف الملبوسات**

---

(١) الرسالة القشيرية ص ١٢١.

(٢) رويت هذه القصة علىٰ غير هذا النحو، فروىٰ الترمذي في سننه ٤/ ٨١ عن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلىٰ أميرنا يلبس ثياب الفساق. فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله».

ورواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٨٣ بسياق أطول.

(٣) سيذكر الغزالي هاتين القصتين في كتاب الزهد.

الحرير وهو نسج دودة، وأشرف المركوبات الفرس وعليه تُقتَل الرجال، وأشرف المنكوحات المرأة وهي مَبال في مبال) أي ظرف بول في ظرف بول **(واللهِ إن المرأة لتَزيِّنُ أحسنَ شيء منها ويُراد أقبح شيء منها، وأفضل المشمومات المسك وهو دم الغزال)** قال أبو القاسم الراغب في كتاب الذريعة(١): جميع اللذَّات تنقسم عشرة أقسام: مأكل ومشرب ومنكح وملبس ومشموم ومسموع ومبصَر ومركب وخادم ومرفق من الآلات وما يشبهها، وقد جعل ذلك سبعة، وأدخل الخادم والمركب والمرفق وما يجري مجرىٰ ذلك في جملة المبصَرات، وعلىٰ ذلك ما رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حيث قال لعمار بن ياسر وقد رآه يتنفس: يا عمار، علىٰ ماذا تنفُّسك؟ إن كان علىٰ الآخرة فقد ربحت تجارتك، وإن كان علىٰ الدنيا فقد خسرت صفقتُك، فإني قد وجدت لذَّاتها سبع: المأكولات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات والمشمومات والمسموعات والمبصَرات، فأما المأكولات فأفضلها العسل وهو ضعة ذباب. وأما المشروبات فأفضلها الماء، وهو مباح، أهون موجود وأعز مفقود. وأما المنكوحات فمَبال في مبال، وحسبك أن المرأة تزيِّن أحسنَ شيء فيها ويُراد أقبح شيء فيها. وأما الملبوسات فأفضلها الديباج وهو نسج دودة، وأما المشمومات فأفضلها المسك وهو دم فأرة. وأما المسموعات فريح هابَّة في الهواء. وأما المبصَرات فخيالات صائرات إلىٰ الفناء.

قال الراغب: وقد ذكر الله تعالىٰ أصل ذلك في قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾ الآية [آل عمران: ١٤] فالمشار إليه بـ «حرث الدنيا» إلىٰ هذه الأشياء السبعة علىٰ ما ذكره علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والعشرة علىٰ ما ذكره غيره، وكِلا القولين في التحصيل واحد.

---

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ٢١٨ (ط - دار السلام).

(بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها)

(قال بعضهم) في موعظته: (يا أيها الناس، اعملوا علىٰ مَهَل) أي في مهلة من عمركم (وكونوا من الله) علا وجلَّ (علىٰ وَجَل) أي خوف منه، ولله در مَن قال:

كُنْ من مواهب ذا الكريم علا وجلَّ علىٰ وَجَل
واعلمْ بأن قضاءه حتم أجل وله أجل[1]

(ولا تغترُّوا بالأمل ونسيان الأجل، ولا تركنوا إلىٰ الدنيا فإنها غدَّارة): كثيرة الغدر (خدَّاعة) كثيرة الخداع (قد تزخرفت لكم بغرورها، وفتنتكم بأمانيها، وتزيَّنت لخُطَّابها فأصبحت كالعروس المجليَّة) عند إهدائها لزوجها (العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها عاكفة) أي مقيمة محبوسة (والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها قتلت، ومطمئن إليها خذلت، فانظروا إليها بعين الحقيقة، فإنها دار كثرت بوائقُها) أي دواهيها (وذمَّها خالقُها) فهو أعرَفُ بها منا (جديدها يبلىٰ، ومُلكها يفنىٰ، وعزيزها يُذَل، وكثيرها يقل، وحيُّها يموت، وخيرها يفوت) أي لا يستمر (فاستيقِظوا رحمكم الله من غفلتكم، وانتبِهوا من رقدتكم قبل أن يقال: فلان عليل) أي مريض (أو مُدنَف) كمُكرَم: مَن لازَمَه الدَّنَف، محرَّكة، أي المرض، وقد دَنِفَ كعَلِمَ، وأدنفَ، وأدنفه المرضُ[2] (ثقيل، فهل علىٰ الدواء من دليل، وهل إلىٰ الطبيب من سبيل فيُدعَىٰ لك الأطباء ولا يُرجَىٰ لك الشفاء. ثم يقال: فلان أوصىٰ) بكذا وكذا (ولماله أحصىٰ) أي ضبط (ثم يقال: قد ثقل لسانُه فما يكلِّم إخوانه ولا يعرف جيرانه، وعرقَ عند ذلك جبينُك، وتتابع أنينك) وهو صوت المريض، وتتابُعه: تعاقُبه (وثبت

(١) البيتان لحجة الدين محمد ابن ظفر المكي ثم المغربي [المتوفي سنة ٥٦٧]. أوردهما عماد الدين الأصفهاني في ترجمته من خريدة القصر ٣/ ٥٣ [قسم شعراء الشام].

(٢) المصباح المنير ص ٢٠١ بتصرف.

يقينُك، وطمحت جفونك، وصدقت ظنونك، وتلجلج لسانك، وبكىٰ إخوانك، وقيل لك: هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان، ومُنعتَ الكلام فلا تنطق) لشدة ما نزل بك **(وخُتم علىٰ لسانك فلا ينطلق، ثم حلَّ بك القضاء)** المحتوم **(وانتُزعت نفسك من الأعضاء ثم عُرج بها إلىٰ السماء، فاجتمع عند ذلك إخوانك، وأُحضِرت أكفانك، فغسَّلوك وكفَّنوك، فانقطع عُوَّادك)** الذين كانوا يعودونك أيام المرض **(واستراح حُسَّادك، وانصرف أهلك إلىٰ مالك وبقيتَ مرتهنًا)** أي محبوسًا **(بأعمالك)** إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وفي كلام علي رضي الله عنه في أثناء خطبته: بينا[1] هو يضحك إلىٰ الدنيا وتضحك إليه في ظل عيش غَفُول إذ وطئ الدهرُ به حَسَكَه، ونقضت الأيامُ قُواه، ونظرت إليه الحتوف من كَثَبٍ، فخالطه بثٌّ لا يعرفه ونَجِيُّ همٍّ ما كان يجده، وتولَّدت فيه فترات عِلَل، أنسَ ما كان بصحبته ففزع إلىٰ ما كان عوَّده الأطباء من تسكين الحار بالقارِّ وتحريك البارد بالحار، فلم يطفئ ببارد إلا ثوَّرَ حرارةً، ولا حرَّك بحارٍّ إلا هيَّج برودةً، ولا اعتدل بمُمازج لتلك الطبائع إلا أمَدَّ منها كلَّ ذات داء حتىٰ فتر معلِّلُه، وذهل ممرِّضُه، وتعايا أهلُه بصفة دائه، وخرسوا عن جواب السائلين عنه، وتنازعوا دونه شَجَىٰ خبر يكتمونه، فقائل: هو لما به، ومُمَنٍّ لهم إياب عافيته ومصبِّر لهم علىٰ فقده، يذكر لهم أسىٰ الماضينَ من قبله، فبينما هو كذلك علىٰ جناح من فراق الدنيا وتركِ الأحبَّة إذ [عرض له عارض من غُصَصه، فتحيَّرت نوافذ فطنته، ويبست رطوبة لسانه].

(وقال بعضهم لبعض الملوك: إن أحق الناس بذم الدنيا وقِلاها) أي بغضها **(مَن بُسط له فيها وأُعطيَ حاجته منها؛ لأنه يتوقَّع آفة تعدو علىٰ ماله فتجتاحه)** أي تستأصله بالهلاك **(أو علىٰ جمعه فتفرِّقه، أو تأتي سلطانَه فتهدمه من القواعد)** فلا يثبُت له سلطانُه **(أو تدب إلىٰ جسمه فتسقمه)** أي تمرضه **(أو تفجعه بشيء هو**

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١/ ٩٩.

ضنين به) أي بخيل (عن أحبابه، فالدنيا أحقُّ بالذم، هي الآخذة ما تعطي، الراجعة فيما تهب، بينا هي تُضحِك صاحبَها إذ أضحكت منه غيرَه، وبينا هي تبكي له إذ أبكت عليه، وبينا هي تبسط كفَّه بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد، تعقد التاجَ علىٰ رأس صاحبها اليوم وتعفِّره في التراب غدًا) أي بعد أن تجعله رئيسًا مملَّكًا إذا هو معفَّر تحت التراب (سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي، تجد في الباقي من الذاهب خلفًا، وترضىٰ بكل من كل بدلاً) فمَن هذا وصفُه فهو حريٌّ بأن يُقلَىٰ ويُذَم. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا[1] هكذا.

(وكتب الحسن البصري) رحمه الله تعالىٰ (إلىٰ عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالىٰ يعظه في كتابه حين ولي الخلافةَ: (أما بعد، فإن الدنيا دار ظعنٍ) أي سفر (ليست بدار إقامة، وإنما أُنزِل آدم ﷺ من الجنة إليها عقوبةً) لِما صدر منه من مخالفة الأمر. وفي الحلية[2] في ترجمة الفضيل قال: ليست الدار دار إقامة، وإنما أُهبط آدم إليها عقوبةً، ألا ترىٰ كيف يزويها عنه ويمررها عليه[3] (فاحذرها يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركُها، والغِنىٰ منها فقرها، لها في كل حين قتيل، تذل مَن أعزَّها، وتفقر مَن جمعها، هي كالسم يأكله مَن لا يعرفه وهو حتفه) أي موته (فكنْ فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلاً مخافةَ ما يكره طويلاً، ويصبر علىٰ شدة الدواء مخافة طول البلاء، فاحذر هذه الدار الغدَّارة الختَّالة) أي الكثيرة الختل (الخَدَّاعة التي قد تزيَّنت بخدعها، وفتنت بغرورها، وخلت بآمالها، وتشوَّفت لخُطَّابها) وفي نسخة: سوَّفت بخطابها (فأصبحت كالعروس المجليَّة) المزيَّنة (فالعيون إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي

---

(١) بل في الزهد ص ٣٩.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٩٠.

(٣) في الحلية: «ويمرر عليه بالجوع مرة وبالعري مرة وبالحاجة مرة، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها تسقيه مرة حضيضا ومرة صبرا، وإنما تريد بذلك ما هو خير له».

لأزواجها كلهم قاتلة) وفي نسخة: قالية. أي باغضة (فلا الباقي بالماضي معتبِر، ولا الآخِر بالأول مزدجِر، ولا العارف بالله ﷻ حين أخبره عنها مدَّكِر، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغترَّ وطغىٰ ونسي المعاد فشُغل فيها لُبُّه) عن الله (حتىٰ زلَّت به قدمُه، فعظمت ندامتُه، وكثرت حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت وتألُّمه، وحسرات الفوت بغُصَّته، ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب، ولم يروِّح نفسَه من التعب، فخرج بغير زاد، وقَدِم علىٰ غير مهاد، فاحذرها يا أمير المؤمنين، وكنْ أسَرَّ ما تكون فيها، أحذَرَ ما تكون لها، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن فيها إلىٰ سرور أشخصتْه إلىٰ مكروه) أي أصدرته ورفعته (السارُّ في[1] أهلها غارٌّ) أي مغرور (والنافع فيها غدَّار ضارٌّ، وقد وُصِل الرخاء منها بالبلاء، وجُعل البقاء فيها إلىٰ فناء، فسرورها مشوب) أي مخلوط (بالأحزان، لا يرجع منها ما ولَّىٰ وأدبر، ولا يُدرَىٰ ما هو آتٍ فيُنتظَر، أمانيها كاذبة، وآمالها باطلة، وصفوها كدرٌ، وعيشها نكدٌ، وابن آدم فيها علىٰ خطر، إن عقل ونظر فهو من النعماء علىٰ خطر، ومن البلاء علىٰ حذر، فلو كان الخالق) تعالىٰ (لم يخبر عنها خبرًا ولم يضرب لها مثلاً لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبَّهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله ﷻ عنها زاجرٌ، وفيها واعظ، فما لها عند الله قدْر) أي قيمة (وما نظر إليها منذ خلقها) نظر رضا، كما ورد ذلك في الخبر وتقدَّم (ولقد عُرضت علىٰ نبيِّك ﷺ بمفاتحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبىٰ أن يقبلها) قال العراقي[2]: هكذا أورده ابن أبي الدنيا[3] مرسلاً، ورواه أحمد[4] والطبراني[5] متصلاً من حديث أبي مويهبة في أثناء حديث فيه: «إني قد أُعطيتُ خزائن الدنيا والخُلد ثم الجنة ...» الحديث، وسنده

---

(١) في ط المنهاج ٦/ ٤٨، وم الإمام: فيها لأهلها غار.

(٢) المغني ٢/ ٨٧٩.

(٣) رسالة الحسن إلىٰ عمر بن عبد العزيز رواها ابن أبي الدنيا في الزهد ص ٤٠ - ٤٢ بتمامها، ومنها هذا الحديث والذي بعده. ورواها أيضا أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣١٣ - ٣١٤.

(٤) مسند أحمد ٢٥/ ٣٧٦.

(٥) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٤٧ - ٣٤٨.

صحيح. وللترمذي[١] من حديث أبي أمامة: «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا ...» الحديث، وقال: حسن، وعلي بن زيد يضعَّف في الحديث **(إذ كره أن يخالف علىٰ الله أمره أو يحب ما أبغض خالقُه أو يرفع ما وضع مليكُه، فزواها عن الصالحين اختبارًا[٢]، وبسطها لأعدائه اغترارًا)** وقد رُوي ذلك من كلام علي رضي الله عنه، قال[٣] في بعض خطبه في ذكر النبي ﷺ: قد حقَّر الدنيا وصغَّرها وأهون بها وهوَّنها، وعلم أن الله زواها عنه اختيارًا، وبسطها علىٰ غيره احتقارًا، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأماتَ ذِكرها من نفسه، وأحَبَّ أن تغيب زينتها عن عينه لئلاً يتخذ منها رياشًا أو يرجو منها معاشًا[٤] **(فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أُكرِم بها)** حيث أُعطيها **(ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد ﷺ حين شد الحجر علىٰ بطنه)** هكذا رواه ابن أبي الدنيا. وللبخاري من حديث جابر: قام وبطنه معصوب بحجر. وللترمذي من حديث أنس: رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين. وقال: حديث غريب. وقد تقدَّم[٥] **(ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه تبارك وتعالىٰ أنه قال لموسىٰ عليه السلام: إذا رأيتَ الغِنىٰ مقبلاً فقلْ ذنب عُجِّلت عقوبته، وإذا رأيتَ الفقر مقبلاً فقل مرحبًا بشعار الصالحين)** ذكره صاحب القوت مع زيادة جملة قبله[٦]. ورواه أبو عثمان الصابوني[٧] من طريق محمد بن أبي الأزهر قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: قيل لموسىٰ عليه السلام: يا موسىٰ، إذا رأيتَ ... فساقه مثل سياق المصنف.

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) في الزبيدي و«م» الإمام: اختيارًا - بالياء - والمثبت من ط الشعب والمنهاج وحلية الأولياء ٦/ ٣١٢. وكأن ما في الزبيدي أصوب. والله أعلم.

(٣) شرح نهج البلاغة ٧/ ١٤١.

(٤) في نهج البلاغة: مقاما.

(٥) في كتاب أخلاق النبوة.

(٦) وهي: «إن لم تلق الفقير بمثل ما تلقىٰ الغني فاجعل كل علم علَّمتك تحت التراب».

(٧) ومن طريقه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ١٤٦.

وأخرجه صاحب الحلية[١] من طريق مجاهد عن كعب قال: إن الرب تعالىٰ قال لموسىٰ عليه السلام ... فساقه **(فإن شئتَ اقتديتَ بصاحب الروح والكلمة عيسىٰ ابن مريم** عليه السلام **حيث كان يقول: إدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وصلائي)** أي دفائي، يقال: صَلِيَ بالنار وبالشمس: إذا تدفَّأ بها **(في الشتاء مشارق الشمس، وسراجي القمر، ودابَّتي رجلاي، وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الأرضُ، أبيت وليس لي شيء وأصبح وليس لي شيء وليس علىٰ الأرض أحد أغنىٰ مني)** وفي خطبة علي رضي الله عنه، كما في نهج البلاغة[٢]: ولقد كان رسول الله ﷺ كافٍ لك في الأسوة، ودليل لك علىٰ ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها [ومساويها] إذ قُبضت عنه أطرافها، ووُطِّئت لغيره أكنافها، وفُطم عن رضاعها، وزُوي عن زخارفها. وإن شئت ثنَّيت بموسىٰ كليم الله عليه السلام؛ إذ يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤] والله ما سأل إلا خبزًا يأكله؛ لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقلة تُرَىٰ من شفيف صِفاق بطنه لهزاله وتشذُّب لحمه. وإن شئت ثلَّثت بداود عليه السلام[٣]، كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيُّكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها. وإن شئت اقتديت بعيسىٰ عليه السلام، فلقد كان يتوسَّد الحجرَ، ويلبس الخشن، وإدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وصلاؤه في الشتاء مشارق الشمس ومغاربها، وفاكهته [وريحانه] ما تنبت الأرضُ للبهائم، ولم تكن له زوجة ولا ولد، لا يعز مالاً ولكن يذلُّه[٤]، دابَّته رجلاه، وخادمه يداه.

(وقال وهب بن منبه: لما بعث الله موسىٰ وهارون عليهما السلام إلىٰ فرعون) كان فيما **(قال)** له: اسمع كلامي واسمع وصيَّتي **(لا يروعنكما لباسُه الذي لبس من الدنيا)** أي لا يعجبنَّكما **(فإن ناصيته بيدي، ليس ينطق)** بحرف **(ولا يطرف)** بلحظ

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩/ ١٥١.

(٣) بعده في نهج البلاغة: صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة.

(٤) في نهج البلاغة: ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذله.

(ولا يتنفس إلا بإذني، ولا يعجبنَّكما ما مُتِّع به منها) ولا تمدَّا إلىٰ ذلك أعينكما **(فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، ولو شئتُ أن أزيِّنكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي)** أي أقبض **(ذلك عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، إني لأذودُهم)** أي أسوقهم **(عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق)** أي المشفق **(غنمَه عن مواقع الهَلَكة)** محرَّكة، أي الهلاك **(وإني لأجنِّبهم ملاذَّها)** ورفاءها **(كما يجنِّب الراعي الشفيقُ إبله عن مَبارك العُرة)** بالضم وهي الجرب **(وما ذاك لهوانهم عليَّ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالمًا موفرًا)** لم تكلِمه الدنيا ولم يطغِه الهوىٰ، واعلمْ يا موسىٰ أنه لم يتزيَّن لي العِباد بزينة هي أبلغ عندي من الزهد في الدنيا، فإنها زينة الأبرار عندي **(إنما يتزيَّن لي أوليائي بالذل والخشوع والخوف)** والنحول والسجود **(والتقوىٰ تنبُت في قلوبهم فتظهر علىٰ أجسادهم، فهي ثيابهم التي يلبسون، ودِثارهم الذي يُظهِرون، وضميرهم الذي يستشعرون، ونجاتهم التي بها يفوزون، ورجاؤهم الذي إياه يأملون، ومجدهم الذي به يفخرون، وسيماهم التي بها يُعرَفون)** أولئك هم أوليائي حقًّا **(فإذا لقيتَهم فاخفضْ لهم جناحك، وذلِّل لهم قلبك ولسانك)** هكذا أورد قول وهب هذا صاحبُ الحلية[١] وصاحب القوت **(واعلمْ)** يا موسىٰ **(أنه مَن أخافَ لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة ثم أنا الثائر له يوم القيامة)** أي الآخذ بالثأر.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء[٢] والحكيم في النوادر[٣] وأبو نعيم في الحلية[٤] والبيهقي في الأسماء والصفات[٥] وابن عساكر[٦] من حديث أنس:

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١١.

(٢) الأولياء ص ٩.

(٣) نوادر الأصول ص ٦٤٢.

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٣١٨.

(٥) لم أقف عليه في المطبوع من حديث أنس بهذا اللفظ

(٦) تاريخ دمشق ٧/ ٩٦.

«يقول الله عَزَّوَجَلَّ: مَن أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة ...» الحديث.

وعند الطبراني[١] من حديث ابن عباس: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: مَن عادَىٰ لي وليًّا فقد ناصبني بالمحاربة ...» الحديث.

وروىٰ أحمد[٢] والحكيم وأبو يعلىٰ[٣] والطبراني في الأوسط[٤] وأبو نعيم في الطب[٥] والبيهقي في الزهد[٦] وابن عساكر[٧] من حديث عائشة: «قال الله عَزَّوَجَلَّ: مَن آذَىٰ لي وليًّا فقد استحلَّ محاربتي ...» الحديث.

(**وخطب علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يومًا خطبة فقال فيها: اعلموا أنكم ميتون، ومبعوثون من بعد الموت، وموقوفون علىٰ أعمالكم، ومجزيُّون بها، فلا تغرَّنَّكم الحياة الدنيا، فإنها بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلىٰ زوال، فهي بين أهلها دول**) أي نُوَب (**وسِجال**) جمع سَجْل بالفتح وهو الدلو، يقال: الحرب بينهم سجال، أي تارة لهم وتارة عليهم (**لا تدوم أحوالها**) أي لا تثبُت علىٰ حالة واحدة (**ولن يَسلم من شرها نُزَّالُها**) جمع نازل، أي واردها، شبَّههم بالمسافر الذي ينزل ثم يسافر (**بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور وأحوال مختلفة وتارات متصرِّفة**) أي متغيرة (**العيش فيها مذموم، والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدَفة**) بالبلايا والمِحَن (**ترميهم بسهامها، وتقصمهم**) أي تكسرهم (**بحِمامها**) أي موتها العاجل (**وكلٌّ**) منهم (**حتفه فيها**

---

(١) المعجم الكبير ١٢/ ١٤٦.

(٢) مسند أحمد ٤٣/ ٢٦١.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ١٢/ ٥٢٠ من حديث ميمونة، وليس من حديث عائشة. وعنده: استحق، بدل: استحل.

(٤) المعجم الأوسط ٩/ ١٣٩.

(٥) الطب النبوي ١/ ٢٢٦.

(٦) الزهد الكبير ص ٢٧٠.

(٧) تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٧٧ - ٢٧٨.

مقدور) مكتوب من الأزل (وحظه منها موفور) أي وافٍ (واعلموا عبادَ الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل مَن قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارًا، وأشد منكم بطشًا) أي قوة وقهرًا (وأعمر ديارًا، وأبعد آثارًا، فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة) أي ساكنة (من بعد طول تقلُّبها، وأجسادهم بالية، وديارهم على عروشها خاوية، وآثارهم عافية) أي مندرسة (استُبدلوا بالقصور المشيدة والسُّرُر والنمارق الممهَّدة الصخور والأحجار المسنَدة في القبور اللاطئة) أي اللاصقة (الملحَدة، فمحلها مقترب، وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون تواصُل الجيران والإخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنوِّ الدار، وكيف يكون بينهم تواصُل) أو توافُق (وقد طحنهم بكَلْكَله) أي بصدره، يقال: أناخ عليه الدهرُ بكلكله، وأصله في صدر البعير، وذلك لأنه إذا أناخ على شيء بصدره فقد أهلكه، ثم استُعير للدهر (البِلَى) أي استأصلهم فلم يُبقِ منهم شيئًا (وأكلتهم الجنادل والثرَى، وأصبحوا بعد الحياة أمواتًا، وبعد نضارة العيش) أي طراوته (رُفاتًا) متكسِّرين (فُجع بهم الأحباب، وسكنوا تحت التراب، وظعنوا) أي ساروا (فليس لهم إياب) أي رجوع (هيهات هيهات! ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فكأنْ قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البِلَى والوحدة في دار المثوى، وارتُهنتم في ذلك المضجع) أي حُبستم (وضمَّكم ذلك المستودَعُ، فكيف بكم لو) قد (عاينتم الأمور وبُعثرت القبور) أي أُخرِج ما فيها (وحُصِّل ما في الصدور) من النيَّات (وأُوقِفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل، فطارت القلوب لإشفاقها) أي خوفها (من سالف الذنوب، وهُتكت عنكم الحُجُب والأستار) أي مُزِّقت ورُفعت (وظهرت منكم العيوب والأسرار، هنالك تُجزَى كل نفس بما كسبت) من خير أو شر (إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ [النجم: ٣١] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ الآية [الكهف: ٤٩] جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ومتَّبعين لأوليائه حتى يحلَّنا وإياكم

دار المُقامة من فضله، إنه حميد مجيد)[١] هذه الخطبة أوردها الشريف في نهج البلاغة[٢]، ونصها: دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا يَسلم نُزَّالها، أحوال مختلفة، وتارات متصرِّفة، العيش فيها مذموم، والأمان فيها معدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدَفة، ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحِمامها. واعلموا عبادَ الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا علىٰ سبيل مَن قد مضىٰ قبلكم ممَّن كان أطول منكم أعمارًا، وأعمر ديارًا، وأبعد آثارًا، أصبحت أصواتهم هامدة، ورياحهم راكدة، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، واستُبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهَّدة الصخور والأحجار المسنَدة والقبور اللاطئة الملحَدة التي قد بُنِيَ علىٰ الخراب فِناؤها، وشِيدَ بالتراب بناؤها، فمحلُّها مقترب، وساكنها مغترب بين أهل محلة موحشين وأهل فراغ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصُل الجيران علىٰ ما بينهم من قرب الجوار ودنوِّ الدار، وكيف يكون بينهم تزاوُر وقد طحنهم بكَلْكله البِلَىٰ، وأكلتهم الجنادل والثرَىٰ، وكأنْ قد صرتم إلىٰ ما صاروا إليه، وارتهنكم ذلك المضجعُ، وضمَّكم ذلك المستودَعُ، فكيف بكم لو تناهت بكم الأمورُ وبُعثِرت القبور ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٣٠﴾ [يونس: ٣٠].

(وقال بعض الحكماء: الأيام سهام، والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه، ويخترمك بلياليه وأيامه) أي ينتقصك **(حتىٰ يستغرق جميعَ أجزائك)** أي يستولي **(فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك، لو كُشف لك)** وحقَّقت الحقائقَ **(عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك، واستثقلت ممر الساعة بك، ولكن تدبير الله فوق الاعتبار)**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٧٣ - ٧٤، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٢٨٢ - ٢٨٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/ ٥٠٠ - ٥٠١.

(٢) شرح نهج البلاغة ١١/ ١٧٢ - ١٧٣.

لكل معتبر (**وبالسلوِّ عن غوائل الدنيا**) أي مَهالكها (**وُجد طعم لذَّاتها**) لذائقيه (**وإنها لأَمَرُّ من العلقم**) وهو الحنظل، وقيل: قِثَّاء الحمار (**إذا عجنها الحكيم**)[١] أي اختبرها (**وقد أعيت الواصفَ**) أي أعجزته (**لعيوبها بظاهر أفعالها، وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظُ**) في فصيح مقاله (**فنستوهب اللهَ رشدًا إلىٰ الصواب**) هذا كله ما كتبه الحسن البصري إلىٰ عمر بن عبد العزيز، أورده هكذا بتمامه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا[٢].

(**وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدْر بقائها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفُك؛ لأن ما مضىٰ عنك فقد فاتك إدراكُه، وما لم يأتِ فلا علم لك به**) وإليه أشار القائل[٣]:

ما مضىٰ فات والمؤمَّل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

وإليه أشار الصوفية بقولهم: الصوفي ابن وقته (**والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته، وتطويه ساعته، وأحداثه**) أي صروفه (**تتوالىٰ علىٰ الإنسان بالتغيير والنقصان، والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقُّل الدول، والأمل طويل، والعمر قصير، وإلىٰ الله تصير الأمور**) أخرجه ابن أبي الدنيا[٤].

(**وخطب عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالىٰ (**فقال: يا أيها الناس، إنكم**

---

(١) في ط المنهاج: عجمها، وكذا في الحلية. وهي أصوب.

(٢) بل هو أثر آخر رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٩٦ - ٩٧ وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ١٥٠ عن محمد بن إسحاق الثقفي قال: قال بعض الحكماء: الأيام سهام ... الخ.

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزي [المتوفي سنة ٥٢٤] وقبل هذا البيت بيت آخر وهو:

إنما هذه الدنيا متاع ... والسفيه الغوي من يصطفيها

المنتظم لابن الجوزي ١٧/ ٢٥٨. تاريخ دمشق لابن عساكر ٧/ ٥٣. البداية والنهاية لابن كثير ١٦/ ٢٨٦. خريدة القصر لعماد الدين الأصفهاني ١/ ٣٦ [قسم شعراء الشام]. وهذان البيتان ليسا في ديوانه المطبوع.

(٤) ذم الدنيا ص ٩٧.

خُلقتم لأمر إن كنتم تصدِّقون به فأنتم حمقىٰ) لا عقول لكم **(وإن كنتم تكذِّبون به إنكم لَهلكىٰ، إنما خُلقتم للأبد، ولكنكم من دار إلىٰ دار تُنقَلون. عبادَ الله، إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غُصَصٌ)** جمع غُصَّة بالضم وهو ما يعترض في الحلق فيغص به **(ومن شرابكم شَرَقٌ)** وهو ما يشرق به في الحلق **(لا تصفو لكم نعمة تُسَرُّون بها إلا بفراق أخرىٰ تكرهون فراقها، فاعملوا لِما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه. ثم غلبه البكاء ونزل)** هكذا أخرجه ابن أبي الدنيا[١]. وأخرجه أبو نعيم في الحلية[٢] مختصرًا فقال: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: قال عمر بن عبد العزيز: إنما خُلقتم للأبد، ولكنكم تُنقَلون من دار إلىٰ دار. ثم ساق سندًا آخر إلىٰ ابن عيينة قال فيه: قال عمر بن عبد العزيز. ولم يذكر عمرو بن دينار. وقال في موضع آخر: إن هذه الخطبة كانت بخُناصِرة[٣].

وقد سبقه إلىٰ ذلك عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال في بعض خطبه: أيها[٤] الناس، إنما أنتم في هذه الدنيا غرضٌ تنتضل فيه المنايا، مع كل جرعةٍ شَرَقٌ، وفي كل أكلة غصصٌ، لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرىٰ، ولا يعمَّر معمَّر منكم يومًا من عمره إلا بهدم آخَر من أجله، ولا تجدَّد له زيادة في أكلة إلا بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثرٌ إلا مات له أثر، ولا يتجدَّد له جديد إلا بعد أن يخلَق له جديدٌ، ولا تقوم له نابتة إلا وتسقط منه محصودة.

(وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **في خطبته: أوصيكم بتقوىٰ الله والترك)** وفي نهج البلاغة[٥] للشريف الرضي: قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نحمده علىٰ ما كان، ونستعينه من أمرنا علىٰ ما يكون،

---

(١) السابق ص ١١٢.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ٢٨٧.

(٣) خناصرة: مدينة صغيرة تقع ضمن محافظة حلب في شمال سوريا.

(٤) شرح نهج البلاغة ٩/ ٦٢.

(٥) السابق ٧/ ٥٣ - ٥٤.

ونسأله المعافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان، أوصيكم بالرفض (**للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها**) ولفظ الأصل: وإن لم تحبوا تركها (**المُبلية أجسامكم وإن كنتم تريدون**) ولفظ الأصل: تحبون (**تجديدها، فإنما مَثَلكم ومثلها كمثل سَفْر**) بفتح فسكون، جمع سافر، كراكب ورَكْب (**سلكوا طريقًا وكأنَّهم قد قطعوه، وأفضوا إلىٰ عَلَم**) محرَّكة وهو المنار في الأرض. ولفظ الأصل: وأمُّوا عَلَمًا (**فكأنَّهم بلغوه، وكم عسىٰ أن يجري المجرىٰ حتىٰ ينتهي إلىٰ الغاية**) [ولفظ الأصل]: وكم عسىٰ المَجرىٰ إلىٰ الغاية أن يجري إليها حتىٰ يبلغها (**وكم عسىٰ أن يبقىٰ مَن له يوم في الدنيا**) ولفظ الأصل: وما عسىٰ أن يكون بقاء مَن له يوم لا يعدوه (**وطالب حثيث يطلبه**) ولفظ الأصل: يحدوه في الدنيا (**حتىٰ يفارقها**[1]**، فلا**) تَنافَسوا في عز الدنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا (**تجزعوا لبؤسها وضَرَّائها**) ولفظ الأصل: من ضَرَّائها وبؤسها (**فإنه إلىٰ انقطاع**) ولفظ الأصل: فإنَّ عزها وفخرها إلىٰ انقطاع (**ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فإنه إلىٰ زوال**) ولفظ الأصل: وزينتها ونعيمها إلىٰ زوال، وضَرَّاءها وبؤسها إلىٰ نفاد، وكل مدة فيها إلىٰ انتهاء، وكل حي فيها إلىٰ فناء، أوَ ليس لكم في آثار الأوَّلين مزدجَر، وفي آبائكم الأوَّلين تبصرة ومعتبَر إن كنتم تعقلون، أوَ لم تروا إلىٰ الماضينَ منكم لا يرجعون، وإلىٰ الخَلَف الباقين لا يبقون، أوَ لستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون علىٰ أحوال شتَّىٰ: فميت يُبكَىٰ، وآخر يعزَّىٰ، وصريع مبتلًىٰ، وعائد يعود، وآخَر بنفسه يجود (**عجبتُ لطالب الدنيا والموتُ يطلبه**) ولفظ الأصل بعد قوله «يجود»: وطالب للدنيا والموتُ يطلبه (**وغافل وليس بمغفول عنه**)[2] وعلىٰ أثر الماضي ما يمضي الباقي، ألا فاذكروا هاذم اللذَّات ومنغِّص الشهوات وقاطع الأمنيات عند المساورة للأعمال القبيحة، واستعينوا اللهَ علىٰ أداء واجب حقه وما لا يُحصَىٰ من أعداد نِعَمه وإحسانه.

---

(١) في نهج البلاغة: وطالب حثيث من الموت يحدوه ومزعج في الدنيا عن الدنيا حتىٰ يفارقها رغمًا.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٧٠.

(وقال محمد بن الحسن) هكذا في النسخ، وفي بعضها: محمد بن الحسين. والمسمَّىٰ بمحمد بن الحسن جماعة كثيرون، منهم: محمد بن الحسن بن أَتَش الصنعاني، ومحمد بن الحسن بن أبي الحسن البَرَّاد الكوفي(١)، ومحمد ابن الحسن بن زَبالة المديني، ومحمد بن الحسن بن الزبير الكوفي، ومحمد ابن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، ومحمد بن الحسن بن عمران الواسطي، ومحمد بن الحسن بن هلال، ومحمد بن الحسن بن أبي يزيد الهَمْداني، والله أعلم أيّهم أراده المصنِّف **(لمَّا علم أهلُ العقل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عَزَّوَجَلَّ قد أهان الدنيا)** وحقَّر شأنَها **(وأنه لم يرضَها لأوليائه وأنها عنده حقيرة قليلة)** المقدار **(وأن رسول الله ﷺ زهدَ فيها)** ورغب عنها **(وحذَّر أصحابَه من فتنتها)** وضرب لهم في ذلك الأمثالَ، كما سيأتي ذِكرُها **(أكلوا منها قصدًا)** أي مقتصدين، لا إفراطًا ولا تفريطًا **(وقدَّموا فضلاً)** بين أيديهم **(وأخذوا منها ما يكفي)** في عمارة البدن **(وتركوا ما يلهي)** عن الله تعالىٰ **(لبسوا من الثياب ما ستر العورةَ)** واكتفوا به عن لبس ثياب الشهرة **(وأكلوا من الطعام أدناه)** أي أقلَّه **(مما سد الجوعةَ)** وأمسك الرمقَ **(ونظروا إلىٰ الدنيا بعين أنها فانية)** وكل ما فيها إلىٰ زوال **(وإلىٰ الآخرة أنها باقية، فتزوَّدوا من الدنيا كزاد الراكب)** كناية عن التقليل، فإن الراكب مع الراحلة لا يحمل من الزاد إلا قدر ما يكفيه فقط، ولا يحمل الفضلَ **(فخرَّبوا الدنيا وعمروا بها الآخرةَ، ونظروا إلىٰ الآخرة بعين قلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لمَّا علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم، صبروا قليلاً وتنعَّموا طويلاً، كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم، أَحَبُّوا ما أَحَبَّ لهم، وكرهوا ما كره لهم)** ولله در القائل(٢):

إنَّ لله عِبادًا فُطَنا ... طلَّقوا الدنيا وخافوا الفِتنا

---

(١) الصواب: المديني، كما في تهذيب الكمال ٢٥/ ٦٠.

(٢) هو الإمام الشافعي، والأبيات في ديوانه ص ١٠١ (ط - دار الكتب العلمية).

نظـروا فيهـا فلمـا علمـوا أنهـا ليسـت لحـيٍّ وطنـا
جعلوهـا لُجَّـة واتخـذوا صالـحَ الأعمـال فيهـا سُـفُنا

ولنختم هذا الفصل بكلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيما يتعلق بالدنيا مما ذكره صاحب نهج البلاغة، وفي سياقه المشهَىٰ؛ إذ هو مستقىً من بحر النبوة:

قال(١) رضي الله عنه في بعض خطبه: لا ترفعوا مَن رفعتْه الدنيا، ولا تَشيموا بارقَها، ولا تسمعوا ناطقها، ولا تجيبوا ناعقها، ولا تستضيئوا بإشراقها، ولا تُفتَنوا بأعلاقها؛ فإن برقها خالب، ونطقها كاذب، وأموالها محروبة، وأعلاقها مسلوبة، ألا وهي المتصدِّية العَنُون، والجامحة الحَرُون، والمائنة الخؤون، والجَحُود الكَنُود، والعَنُود الصَّدُود، والحَيُود المَيُود، حالها انتقال، ووطأتها زلزال، وعزها ذلٌّ، وجدُّها هزل، وعلوها سُفْل، دار حرب وسلب ونهب وعطب، أهلها علىٰ ساق وسباق ولحاق [وفراق] قد تحيَّرت مذاهبُها، وأعجزت مَهاربها، وخابت مطالبها، فأسلمتهم المعاقلُ، ولفظتْهم المنازلُ، وأعيتهم المَحاوِل، فمن ناجٍ معقور، ولحم مجزور، وشِلْو مذبوح، ودم مسفوح، وعاضٍّ علىٰ يديه، وصافق بكَفَّيه، ومرتفق بخدَّيه، وزارٍ علىٰ رأيه، وراجع عن عزمه، وقد أدبرت الحيلة، وأقبلت الغِيلة، ولاتَ حين مَناص، هيهات هيهات! فات ما فات، وذهب ما ذهب، ومضت الدنيا لحال بالِها ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان: ٢٩].

وقال(٢) رضي الله عنه في خطبة له: والدنيا دار مُنِيَ لها الفناء، ولأهلها منها الجلاء، وهي حلوة خضرة، قد عُجِّلت للطالب، والتبست بقلب الناظر، فارتحِلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا فيها أكثر من البلاغ.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٣/ ٧٦.
(٢) السابق ٣/ ٩٧.

وقال(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبة له: فإن الدنيا رَنِقٌ مشربُها، رَدِغٌ مَشْرَعها، يونِق منظرُها، ويوبِق مَخبرُها، غرور حائل، وضوء آفِل، وظل زائل، وسِناد مائل، حتىٰ إذا أنسَ نافرُها واطمأن ناكرها قمعت بأرجلها، وقنصت بأحبُلها، وأقصدت بأسهمها، وأعلقت المرءَ أوهاق المنيَّة، قائدةً له إلىٰ ضنك المضطجع ووحشة المرجِع ومعاينة المحل وثواب العمل.

وقال(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبة له: انظروا إلىٰ الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصادفين عنها، فإنها واللهِ عما قليل تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المترَفَ الآمن، لا يرجع ما تولَّىٰ منها فأدبر، ولا يُدرَىٰ ما هو آت منها فيُنتظَر، سرورها مشوب بالحزن، وجَلَدُ الرجال فيها إلىٰ الضعف والوهن، فلا تغرَّنَّكم كثرةُ ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها. رحم الله امرءًا تفكَّرَ فاعتبر، واعتبر فأبصر، فكأنَّ ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكأنَّ ما هو كائن من الآخرة عمَّا قليل لم يزَل، وكل معدود منقَضٍ، وكل متوقَّع آتٍ، وكل آتٍ قريب دانٍ.

وقال(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبة له: أما بعد، فإني أحذِّركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات، وتحبَّبت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلَّت بالآمال، وتزيَّنت بالغرور، لا تدوم حَبْرتُها، ولا تؤمَن فَجْعتها، غَرَّارة، ضَرَّارة، حائلة، زائلة، نافدة، بائدة، أكَّالة، غَوَّالة، لا تعدو إذا تناهت إلىٰ أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله تعالىٰ: ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥] لم يكن امرؤ منها في حَبرة إلا أعقبته بعدها عَبْرة، ولم يَلْقَ من سَرَّائها بطنًا إلا منحته من ضَرَّائها ظهرًا، ولم تَطُلَّه فيها ديمةُ رخاءٍ إلا هتنت عليه مُزْنة بلاء، وحريٌّ إذا أصبحت له منتصرةً

(١) السابق ٦/ ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٢) السابق ٧/ ٦٩.

(٣) السابق ٧/ ١٤٧ - ١٤٩.

أن تمسي له متنكِّرة، وإنْ جانبٌ منها اعذوذب واحلولَىٰ أَمَرَّ منها جانبٌ فأوبَىٰ، لا ينال امرؤ من غَضارتها رَغَبًا إلا أرهقته من نوائبها تعبًا، ولا يمسي منها في جناح أمنٍ إلا أصبح علىٰ قوادم خوف، غَرَّارة، غرورٌ ما فيها، فانية، فانٍ مَن عليها، لا خير في [شيء من] أزوادها إلا التقوىٰ، مَن أقلَّ منها استكثر مما يؤمِّنه، ومَن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه. كم من واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صرعته، وذي أُبَّهة قد جعلته حقيرًا، وذي نخوة قد ردَّته ذليلاً، سلطانها دول، وعيشها دنفٌ، وعذبها أُجاج، وحلوها صبر، وغذاؤها سِمام، وأسبابها رِمام، حيُّها بعَرَضِ موتٍ، وصحيحها بعَرَضِ سُقمٍ، مُلْكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وموفورها منكوب، وجارها محروب، ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعمارًا، وأبقىٰ آثارًا، وأبعد آمالاً، وأعَدَّ عديدًا، وأكثف جنودًا، تعبَّدوا للدنيا أيَّ تعبُّدٍ، وآثروها أيَّ إيثار، ثم ظعنوا عنها بغير زادٍ مبلِّغٍ ولا ظهر قاطع، فهل بلغكم أن الدنيا سَخَتْ لهم نفسًا بفدية أو أعانتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبةً؟ بل أرهقتهم بالفوادح، وأدهشتهم[1] بالقوارع، وضعضعتهم بالنوائب، وعفَّرتهم للمناخر، ووطئتهم بالمَناسِم، وأعانت عليهم رِيَب المَنُون، فقد رأيتم تنكُّرها لمَن دانَ لها وآثرها وأخلد إليها حتىٰ ظعنوا عنها لفراقِ الأبد، هل زوَّدتهم إلا السَّغَب، أو أحلَّتهم إلا الضنك، أو نوَّرت لهم إلا الظُّلمة، أو أعقبتهم إلا الندامة، أفهذه تؤثرون، أم إليها تطمئنون، أم عليها تحرصون! فبئست الدارُ لمَن لم يتَّهمها ولم يكن فيها علىٰ وَجل منها، فاعلموا - وأنتم تعلمون - بأنكم تاركوها وظاعنون عنها، واتَّعِظوا فيها بالذين قالوا: مَن أشد منا قوةً؟ حُملوا إلىٰ قبورهم، فلا يُدعَون رُكْبانًا، وأُنزِلوا الأجداثَ فلا يُدعَون ضِيفانًا، وجُعل لهم من الصفيح أجنان، ومن التراب أكفان، ومن الرُّفات جيران، فهم جيرة لا يجيبون داعيًا، ولا يمنعون ضَيْمًا، ولا يبالون مَندبة، إن جيدوا لم يفرحوا، وإن قحطوا لم يقنطوا، جميع وهم آحاد، وجيرة وهم أبعاد، متدانون لا يتزاورون، وقريبون ولا يتقاربون، حلماء

(١) في نهج البلاغة: وأوهقتهم. يعني جعلتهم في الوهق وهو الحبل.

قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يُخشَىٰ فجعهم، ولا يُرجَىٰ دفعهم، استبدلوا بظهر الأرض بطنًا، وبالسعة ضيقًا، وبالأهل غربة، وبالنور ظُلمة، فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة، قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلىٰ الحياة الدائمة والدار الباقية، كما قال سبحانه: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال[١] رضي الله عنه في خطبة له: أما بعد، فإني أحذِّركم الدنيا، فإنها منزل قُلْعة، وليست بدار نُجعة، قد تزيَّنت بغرورها، وغرَّت بزينتها، دارٌ هانت علىٰ ربها فخلط حلالها بحرامها، وخيرها بشرها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرِّها، لم يُصْفِها الله لأوليائه، ولم يضنَّ بها علىٰ أعدائه، خيرها زهيد، وشرها عتيد، وجمعُها ينفد، ومُلْكها يُسلَب، وعامرها يخرب، فما خير دارٍ تُنقَض نقض البناء، وعمر يفنىٰ فَناء الزاد، ومدة تنقطع انقطاع السير.

وقال[٢] رضي الله عنه في خطبة له: ثم إن الدنيا دار فناء وعناء وعِبَر وغِيَر، فمن الفناء أن الدهر موتِر قوسه، لا تخطئ سهامه، ولا تؤسَىٰ جراحه، يرمي الحي بالموت، والصحيح بالسقم، والناجي بالعَطَب، آكل لا يشبع، وشارب لا ينقع. ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل، ويبني ما لا يسكن، ثم يخرج إلىٰ الله لا مالاً حمل، ولا بناء نقل. ومن غِيَرها أنك ترىٰ المرحوم مغبوطًا، والمغبوط مرحومًا، ليس ذلك إلا نعيمًا زلَّ وبؤسًا نزل. ومن عِبَرها أن المرء يشرف علىٰ أمله فيقتطعه حضورُ أجله، فلا أمل يدرَك ولا مؤمَّل يُترَك، فسبحان الله! ما أعز سرورها وأظمأ رِيها وأضحىٰ فيئها! لا جاءٍ يُرَدُّ ولا ماضٍ يرتدُّ، فسبحان الله! ما أقرب الحي من الميت للحاقه به، وأبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه! إنه ليس شيء بشرٍّ من الشر إلا عقابه، وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه، وكل شيء من الدنيا سماعه

---

(١) السابق ٧/ ١٦٠.

(٢) السابق ٧/ ١٦٢ - ١٦٣.

أعظم من عِيانه، وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه، فليكفكم من العيان السماع، ومن الغيب الخبر.

وقال[1] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أيضًا في خطبة له: وإنما الدنيا منتهَىٰ بصر الأعمىٰ، لا يبصر مما وراءها شيئًا، والبصير ينفُذها بصرُه ويعلم أن الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمىٰ إليها شاخص، والبصير منها متزود، والأعمىٰ لها متزود.

وقال[2] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أيضًا في خطبة له: وأحذِّركم الدنيا، فإنها دار شخوص ومحلة تنغيص، ساكنها ظاعن، وقاطنها بائن، تميد بأهلها مَيَدان السفينة تصفِّقها العواصف في لجج البحار، فمنهم الغَرِق الوَبِق[3]، ومنهم الناجي علىٰ متون الأمواج تحفزه الرياح بأذيالها وتحمله علىٰ أهوالها، فما غرق منها فليس بمستدرَك، وما نجا منها فإلىٰ مَهلك.

وله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كلام في هذا الباب كثير، قد اقتصرتُ علىٰ ما ذكرتُ.

(١) السابق ٨/ ٣٧٢.

(٢) السابق ١٠/ ٣٢٩.

(٣) الوبق: الهالك.

(بيان صفة الدنيا بالأمثلة)

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ (أن الدنيا سريعة الفناء) أي تفنىٰ سريعًا (قريبة الانقضاء) أي تنقضي قريبًا (تَعِدُ) محبِّيها (بالبقاء) أي تمنِّيهم بأنهم يبقون فيها (ثم تخلف في الوفاء) وهذا معنىٰ قول علي ﷺ في بعض خطبه: ووعدُها خُلفٌ (تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرَّة وهي سائرة سيرًا عنيفًا) أي شديدًا (ومرتحلة ارتحالاً سريعًا، ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها، وإنما يحس عند انقضائها، ومثالها الظل، فإنه متحرك ساكن) أي متَّصف بوصفين: التحرك والسكون، باعتبارين مختلفين (متحرك في الحقيقة) ولولا ذلك لَما انتقل (ساكن في الظاهر لا تُدرَك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة) وقد جاء تشبيهها به في كلام علي ﷺ وغيره تارة بالظل الزائل، وتارة بالفيء المائل، ومنه قول الشاعر:

* إنما الدنيا كظل زائل *

(ولمَّا ذُكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ أنشد وقال:

أحلام نوم أو كظل زائل ... إن اللبيب بمثلها لا يُخدَع[1]

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ يتمثَّل كثيرًا ويقول:

يا أهل لذَّات دنيا لا بقاء لها ... إن اغترارًا بظل زائل حمقُ

وكان يُرَىٰ أنه من قوله)[2] أي هو الذي أنشأه.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٣١. والبيت لعمران بن حطان السدوسي الخارجي، وهو في كتاب شعر الخوارج للدكتور إحسان عباس ص ١٥٥ (ط - دار الثقافة ببيروت). هو في مجموع ابن الهمامي ط ٣٢ في أواء السلف.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٣١ عن يوسف بن الحكم الرقي.

(ويقال: نزل أعرابي بقوم، فقدَّموا إليه طعامًا، فأكل، ثم قام إلىٰ ظل خيمة لهم فنام هناك، فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه) من النوم **(فقام وهو يقول:**

ألا إنما الدنيا كظلٍّ بنيته ولا بد يومًا أن ظلك زائلُ[١]

وكذلك قيل:

وإنَّ امرءًا دنياه أكبر همِّه لمستمسك منها بحبل غرور)

هكذا أنشده الأصمعي، وله قصة[٢].

(مثال آخر للدنيا:

اعلمْ أن الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها) أي إيقاع الغرور بما يتخيل منها **(ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها)** أي اليأس منها بعد شرودها **(تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام)** وهي[٣] أخلاط منامات، واحدها: ضِغْثُ حُلمٍ من ذلك؛ لأنه يشبه الرؤيا الصادقة وليس بها **(قال رسول الله ﷺ: الدنيا حلم، وأهلها عليها مجازَون ومعاقَبون)** قال العراقي[٤]: لم أجد له أصلاً.

(وقال يونس بن عبيد) بن[٥] دينار العبدي، أبو عبيد البصري، ثقة ثبت فاضل ورع، مات سنة تسع وثلاثين [ومائة] روىٰ له الجماعة **(ما شبَّهت نفسي في الدنيا إلا كرجل نام فرأىٰ في منامه ما يكره وما يحب، فبينما هو كذلك إذ انتبه)** من نومه **(فكذلك الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، فإذا ليس بأيديهم شيء ممَّا ركنوا إليه وفرحوا به)**[٦] وقوله «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا» هو من قول علي رضي الله عنه؛ قاله

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٢٣ عن شيخه موسىٰ بن عبد الله المقرئ.

(٢) ذكرها أبو بكر الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين ص ٣٨ (ط - دار المعارف).

(٣) المصباح المنير ص ٣٦٢.

(٤) المغني ٢/ ٨٧٩.

(٥) تقريب التهذيب ص ١٠٩٩.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٢٢.

السخاوي في المقاصد[١]. ورواه أبو نعيم في الحلية[٢] من طريق المعافَىٰ بن عمران عن سفيان الثوري من قوله.

(وقيل لبعض الحكماء: أيُّ شيء أشبه بالدنيا؟ قال: أحلام النائم[٣]).

مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها) ومحبِّيها:

(اعلمْ أن طبع الدنيا التلطُّف في الاستدراج أولاً) حتىٰ يُتمكَّن منها (والتوصُّل إلىٰ الإهلاك آخرًا، وهي كامرأة تتزيَّن للخُطَّاب) بأنواع الزينة (حتىٰ إذا نكحتهم ذبحتهم) من حيث لا يشعرون.

(وقد رُوي أن عيسىٰ عليه السلام كوشِف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء) أي مكسورة الأسنان (عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوجتِ؟ قالت: لا أحصيهم. قال: فكلهم مات عنكِ أو كلهم طلَّقك؟ قالت: بل كلهم قتلتُ. فقال عيسىٰ عليه السلام: بؤسًا لأزواجك الباقين ألا يعتبرون بأزواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدًا واحدًا ولا يكونون منك علىٰ حذر)[٤] نقله صاحب القوت. وقد رُوي ذلك مرفوعًا من حديث أنس بلفظ: «مُثِّلت لأخي عيسىٰ ابن مريم الدنيا في صورة امرأة، فقال لها: ألكِ زوج؟ قالت: نعم، أزواج كثيرة. قال: هم أحياء؟ قالت: لا، قتلتُهم. فعلمَ حينئذٍ أنها دنيا مُثِّلت له». رواه الديلمي في مسند الفردوس[٥].

والمقصود من سياق هذا أنها تستدرج بنيها بلطف حيلة، فإذا استولت عليهم أهلكتهم، فلا ينبغي الاعتماد علىٰ ما يظهر منها من ظاهر الزينة فإن في باطنها الهلاكُ.

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٤٤٢.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٥٢.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٢٢.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٢٤ عن الليث بن سعد.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ١٦٧.

(مثال آخر للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها:

اعلمْ أن الدنيا مزيَّنة الظواهر، قبيحة السرائر، وهي تشبه عجوزًا متزيِّنة تخدع الناس بظاهرها فإذا وقفوا علىٰ باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثَّلت لهم قبائحها فندموا علىٰ اتِّباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها. قال) أبو[1] نصر (**العلاء بن زياد**) بن مطر العدوي البصري، أحد العُبَّاد، ثقة، روىٰ له البخاري تعليقًا وأبو داود في المراسيل والنسائي وابن ماجه (**رأيت في النوم عجوزًا كبيرة**) السن (**متعصِّية الجلد**) أي يابسته (**عليها من كل زينة الدنيا**) أي من الملابس الفاخرة والحلي (**والناس عكوف عليها**) أي محيطون بها، قائمون لديها (**معجَبون، ينظرون إليها، فجئت ونظرت وتعجَّبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها، فقلت لها: ويلكِ! من أنتِ؟ قالت: أما تعرفني؟ فقلت: لا أدري من أنت. قالت: إني أنا الدنيا. فقلت: أعوذ بالله من شرِّك. قالت: فإن أحببتَ أن تُعاذ من شرِّي فأبغِض الدرهم**) قال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا أبو العباس السَّرَّاج، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيَّار، حدثنا الحارث بن نبهان، حدثنا هارون بن رئاب، عن العلاء بن زياد قال: رأيت الدنيا في منامي امرأة قبيحة عليها من كل زينة، قلت: من أنت يا عدوَّة الله؟ من أنت أعوذ بالله منك؟ قالت: أنا الدنيا، إن سرَّك[3] أن يعيذك الله مني فأبغِض الدراهم. وحدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا وهب بن جرير قال: [حدثنا أبي قال]: سمعت حميد بن هلال يحدِّث عن العلاء بن زياد قال: رأيت الناس في النوم يتبعون شيئًا، فتبعتُه فإذا عجوز كبيرة هتماء عوراء عليها من كل حلية وزينة. فقلت: من أنتِ؟ قالت: أنا الدنيا. قلت: أسأل الله أن يبغِّضك إليَّ. قالت: نعم إن أبغضتَ الدراهم.

---

(١) تقريب التهذيب ص ٧٦٠.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٣) في الحلية: إن أردت.

وأورده صاحب القوت عن مورِّق العِجلي، ولفظه: رأيت الدنيا في صورة عجوز شمطاء دندانية سَمِجة عليها ألوان المصبغات وأنواع الزينة، فقلت: أعوذ بالله منكِ. فقالت: إن أردتَ أن يعيذك الله مني فأبغِض الدرهم. قال: وفي لفظ آخر: واللهِ لا يعيذك الله مني حتىٰ تبغض الدينار والدرهم.

(**وقال أبو بكر بن عَيَّاش**) بتحتانية ومعجمة، الأسدي الكوفي المقرئ، تقدمت ترجمته والاختلاف في اسمه علىٰ عشرة أقوال (**رأيت الدنيا في النوم عجوزًا مشوَّهة**) أي قبيحة الخِلقة (**شمطاء تصفِّق بيديها، وخلفها خَلْقٌ يتبعونها يصفقون ويرقصون، فلما كانت بحذائي**) أي مقابلتي (**أقبلت عليَّ فقالت: لو ظفرتُ بك لصنعتُ بك مثل ما صنعت بهؤلاء. ثم بكىٰ أبو بكر وقال: رأيت هذا قبل أن أقدم إلىٰ بغداد**)(١) قال المزي(٢): وهو من مشهوري مشايخ الكوفة ومن قرَّائهم، وقد دخل بغداد ونشر بها العلم، وروىٰ عنه أكابر الشيوخ، مات سنة ١٩٣ عن ست وتسعين سنة.

(**وقال الفضيل بن عياض**) رحمه الله تعالىٰ: (**قال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**يؤتَىٰ بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية**) وهي أسنانها من قدَّام (**مشوَّهًا خَلْقها**) أي قبيحًا (**وتشرف علىٰ الخلائق، فيقال لهم: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه. فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها**) أي تذابحتم (**بها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم. ثم تُقذَف في جهنم، فتنادي: أي رب، أين أتباعي وأشياعي**)؟ أي جماعتي (**فيقول الله عز وجل: ألحِقوا بها أتباعها وأشياعها**)(٣) فيُقذَفون في النار. هكذا أورده صاحب القوت عن ابن عباس ولم يذكر الفضيل بن عياض. وقد روىٰ الفضيل عن جماعة عن عكرمة

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٢٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣٠٤.

(٢) تهذيب الكمال ٣٣/ ١٢٩ - ١٣٥. وليس فيه (ودخل بغداد ونشر بها العلم).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٦٦، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٠٣.

عن ابن عباس، وعن جماعة عن عطاء عن ابن عباس.

وقد روىٰ أبو سعيد ابن الأعرابي في كتاب الزهد[١] له من حديث عبادة: «يُجاء بالدنيا يوم القيامة، فيقال: ميِّزوا ما كان منها لله وألقُوا سائرَها في النار».

(وقال الفضيل) رحمه الله تعالىٰ: (**بلغني أن رجلاً عُرج بروحه، فإذا امرأة علىٰ قارعة الطريق عليها من كل زينة من الحلي والثياب، وإذا لا يمر بها أحد إلا جرحته، فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس، وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء. قال: فقلت: أعوذ بالله منكِ. قالت: لا، واللهِ لا يعيذك الله مني حتىٰ تبغض الدرهم. قال: قلت: مَن أنتِ؟ قالت: أنا الدنيا**)[٢] وهذه القصة أشبهُ بقصة العلاء بن زياد التي أوردناها آنفًا، وأن الفضيل بلغه عن رجل عنه، والتاريخ يقبله. والله أعلم.

(**مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها:**

اعلمْ) هداك الله تعالىٰ (**أن الأحوال ثلاثة: حالة لم تكن فيها شيئًا**) مذكورًا (**وهي ما قبل وجودك**) في هذا العالَم (**إلىٰ الأزل**) أي[٣] استمرار الوجود في أزمنة مقدَّرة غير متناهية في جانب الماضي (**وحالة لا تكون فيها مشاهدًا للدنيا، وهي ما بعد موتك إلىٰ الأبد**) وهو استمراره كذلك في المآل (**وحالة متوسطة بين الأبد والأزل، وهي أيام حياتك في الدنيا**) ووجودك فيها (**فانظر إلىٰ مقدار طولها وانسبْه إلىٰ طرفَي الأزل والأبد حتىٰ تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر طويل، ولذلك قال ﷺ: ما لي وللدنيا**) أي[٤] ليس لي ألفة ومحبة معها ولا أنها معي حتىٰ أرغب فيها، أو أيُّ ألفة لي وصحبة لي مع الدنيا؟ قال الطيبي[٥]: واللام في «الدنيا» مقحمة

(١) الزهد وصفة الزاهدين ص ٨٣ (ط - دار الكتب المصرية).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٦٧.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ١٦،٥.

(٤) فيض القدير ٥/ ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٥) الكاشف عن حقائق السنن ١٠/ ٣٢٩٠.

للتأكيد إن كان الواو بمعنىٰ مع، وإن كان للعطف فتقديره: ما لي وللدنيا وما للدنيا معي؟ (**إنما مَثَلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف**) أي شديد الحر (**فرُفعت له**) أي ظهرت له (**شجرة فقالَ تحت ظلِّها**) من القيلولة وهي نوم نصف النهار، والمراد هنا مطلَق الاستراحة (**ساعةً**) يدفع بذلك حرَّ الوقت (**ثم راح وتركها**) قال العراقي[1]: رواه الترمذي[2] وابن ماجه[3] والحاكم[4] من حديث ابن مسعود بنحوه. ورواه أحمد[5] والحاكم[6] وصحَّحه من حديث ابن عباس. انتهىٰ.

قلت: سياق المصنِّف هو حديث ابن عباس قال: دخل عمر علىٰ رسول الله ﷺ وهو علىٰ حصير قد أثَّرَ في جنبه، فقال: يا رسول الله، لو اتخذتَ فِراشًا أوثر من هذا. فقال: «ما لي وللدنيا وما للدنيا وما لي؟ والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظلَّ تحت شجرة ساعةً من نهار ثم راح وتركها». هكذا أخرجه أحمد والطبراني[7] والحاكم وابن حبان[8] والبيهقي[9]. وأما لفظ حديث ابن مسعود: «ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلَّ

---

(١) المغني ٢/ ٨٧٩.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٨٦.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٥٧.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥٢.

(٥) مسند أحمد ٤/ ٤٧٣.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٥١.

(٧) المعجم الكبير ١١/ ٣٢٧.

(٨) صحيح ابن حبان ١٤/ ٢٦٥.

(٩) شعب الإيمان ٣/ ٤٩.

تحت شجرة ثم راح وتركها». هكذا رواه أيضًا أحمد[١] وهنَّاد[٢] وابن سعد[٣] والطبراني[٤] والحاكم والبيهقي[٥]، قال ابن مسعود: دخلت علىٰ النبي ﷺ وهو نائم علىٰ حصير قد أثَّر بجنبه، فبكيت، فقال: «ما يبكيك»؟ قلت: كسرىٰ وقيصر علىٰ الخز والديباج، وأنت نائم علىٰ هذا الحصير ... فذكره. قال الهيثمي[٦]: رجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة. وقال الترمذي: هو حسن صحيح. وقال الحاكم: علىٰ شرط البخاري. وأقرَّه الذهبي. قال الطيبي: وهذا التشبيه تمثيليٌّ، ووجه الشبه سرعة الرحيل وقلة المكث، ومن ثَم خصَّ الراكب. ومقصوده أن الدنيا زينة زُيِّنت للعيون والنفوس فأخذت بهما استحسانًا ومحبة، ولو باشر القلبُ معرفةَ حقيقتها ومصيرها لأبغضها ولَما آثرها علىٰ الآجِل الدائم. وقال الحكيم في نوادر الأصول[٧]: جعل الله الدنيا ممرًّا، والآخرة مقرًّا، والروح عارية، والرزق بلغة، والمعاش حُجة، والسعي جزاء، ودعا من دار الآفات إلىٰ دار السلام، ومن السجن إلىٰ البستان، وذلك حال كل إنسان، لكن للنفس أخلاق دنيئة رديئة تعمىٰ عن كونها دار ممر وتلهي عن تذكُّر كون الآخرة دار مقرٍّ، ولا يبصر ذلك إلا من اطمأنَّت نفسه وماتت شهوته واستنار قلبه بنور اليقين، ولذلك شهد النبي ﷺ هذه الحال في نفسه ولم يضفْها لغيره، وإن كان سكان الدنيا

---

(١) مسند أحمد ٦/ ٢٤١ - ٢٤٢، ٧/ ٢٥٩.

(٢) الزهد ٢/ ٣٨٢.

(٣) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٤٠١ - ٤٠٢.

(٤) المعجم الكبير ١٠/ ٢٠٠ - ٢٠١.

(٥) شعب الإيمان ١٣/ ٤٦ - ٤٧.

(٦) كلام الهيثمي هنا عن حديث ابن عباس. وقال عن حديث ابن مسعود: «رواه الطبراني، وفيه عبيد الله ابن سعيد قائد الأعمش، وقد وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات». مجمع الزوائد ١٠/ ٥٨٧.

(٧) نوادر الأصول ص ٥٢٢ - ٥٢٣ باختصار.

جميعًا كذلك لعَماهم عمَّا هناك.

(ومَن رأىٰ الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم يبالِ كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية، بل لا يبني لبنة علىٰ لَبِنة) بفتح[١] فكسر، واحدة اللَّبِن ككَتِف، وقد يخفَّف، وهو ما يُعمَل من الطين ويُبنَىٰ به (توفي رسول الله ﷺ وما وضع لبنة علىٰ لبنة، ولا قصبة علىٰ قصبة) قال العراقي[٢]: رواه ابن حبان[٣] والطبراني في الأوسط[٤] من حديث عائشة بسند ضعيف. انتهىٰ.

وفي[٥] خطبة علي رضي الله عنه يذكر فيها ما كان عليه ﷺ من الزهد في الدنيا فقال: خرج من الدنيا خميصًا، وورد الآخرة سليمًا، لم يضع حجرًا علىٰ حجر حتىٰ مضىٰ لسبيله وأجاب داعي ربه.

(ورأىٰ بعضَ أصحابه يبني بيتًا من خُص) بالضم، هو القصب الفارسي يُبنَىٰ به البيت، ويقال للبيت المبنيِّ به: خص، والجمع: أَخصاص (فقال: أرىٰ الأمر

---

(١) المصباح المنير ص ٥٤٨.

(٢) المغني ٢/ ٨٨٠.

(٣) ذكره في كتاب الثقات ٦/ ٢٦١ مرسلا فقال: «خالد بن شوذب الجشمي أبو عبد الله قال: سمعت الحسن يقول: من رأىٰ محمدا فقد رآه غاديا رائحا لم يضع لبنة علىٰ لبنة ولا قصبة علىٰ قصبة، رُفع له علم فشمر إليه. الوحي الوحي، ثم النجاء النجاء، علىٰ ما تعرِّجون وقد أُسرع بخياركم وذهب نبيكم، وأنتم كل يوم ترذلون، العيان العيان. حدثنا محمد بن المنذر بن سعيد قال: ثنا إبراهيم بن يحيىٰ البصري قال: ثنا أبو غسان قال: ثنا خالد بن شوذب قال: سمعت الحسن يقوله».

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ٣٠٧. ولفظه: «من سأل عني أو سره أن ينظر إليَّ فلينظر إلىٰ أشعث شاحب مشمر، لم يضع لبنة علىٰ لبنة، ولا قصبة علىٰ قصبة، رُفع له علم فشمر إليه، اليوم المضمار، وغدا السباق، والغاية الجنة والنار».

(٥) شرح نهج البلاغة ٩/ ١٥٤.

أعجل من هذا) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] من حديث عبد الله ابن عمرو وقال: حسن صحيح **(وأنكر ذلك)** عليه.

(وإلىٰ هذا أشار عيسىٰ ﷺ حيث قال: الدنيا قنطرة) يُعبَر عليها إلىٰ الآخرة **(فاعبروها ولا تعمروها)** كذا نقله صاحب القوت. وقد رُوي كذلك من حديث ابن عمر مرفوعًا، رواه الديلمي في الفردوس[٤] بلا سند.

(وهو مثال واضح، فإن الحياة الدنيا مَعبر إلىٰ الآخرة، والمهد هو المِيل الأول) بكسر الميم، اسم للمسافة **(علىٰ رأس القنطرة، واللحد هو المِيل الآخِر)** في آخر القنطرة **(وبينهما مسافة محدودة)** معيَّنة **(فمن الناس مَن قطع نصف القنطرة، ومنهم من قطع ثلثها، ومنهم من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبقَ له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها. وكيفما كان فلا بد له من العبور)** والمرور **(والبناء علىٰ القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان)** وفي القوت: قال الحواريون لعيسىٰ ﷺ: إنما نريد أن نبني بيتًا نجتمع فيه نتعبَّد ونتدارس، فاخترْ لنا موضعًا نبني فيه. فقال: تعالوا. فمشوا معه، فوقف علىٰ قنطرة فقال: ابنوا ههنا. فقالوا: أنبني علىٰ قنطرة وهي مَدرجة للناس لا يَدَعونا فيها. فقال: كذلك الدنيا مدرجة الموتىٰ، وأنتم تبنون عليها ولا يَدَعونكم فيها.

(مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها:

اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ **(أن أوائل)** أمر **(الدنيا تبدو هينة لينة، يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها، وهيهات! فإن الخوض في الدنيا سهل،**

---

(١) المغني ٢/ ٨٨٠.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٤٤٤.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٦٠.

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٢٨.

والخروج منها مع السلامة) للدين (**شديد. وقد كتب علي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **إلىٰ سلمان الفارسي)** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**بمثالها فقال: مثل الدنيا مثل الحية ليِّن مسُّها وتقتل بسمِّها**) وبين «المس» و«السم» جناس القلب (**فأعرِضْ عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وضعْ عنك هومَمَها لِما أيقنت**) به (**من فراقها، وكنْ أَسَرَّ ما تكون فيها، أحذَرَ ما تكون لها، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلىٰ سرور أشخصه عنه مكروهٌ. والسلام**)[1] وهذا الكتاب كتبه إليه قبل أيام خلافته، ذكره الشريف الرضي في نهج البلاغة[2]، ولفظه: أما بعد، فإن مَثَل الدنيا مثلُ الحية، ليِّنٌ مسُّها، قاتل سمُّها ... فذكره، وفيه: وكنْ آنَس ما تكون فيها، أحذرَ ما تكون منها، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلىٰ سرور أشخصتْه منه إلىٰ محذور، أو إلىٰ إيناس أزالته عنه بإيحاش. وفي رواية: أزاله عنه إيحاشٌ.

والمقصود من إيراد هذا الكلام تشبيه الدنيا بالحية في لين المس ونفث السم، وقد قال الشاعر[3] في ذلك:

هـي دنيـا كحيـة تنفـث السـ ... ـم وإن كانـت المجسَّـة لانـت

(**مثال آخر للدنيا في تعذُّر الخلاص من تَبِعاتها بعد الخوض فيها**) والتَّبِعة وِزان: كلمة، واحدة التبعات: اسم لِما يتبعه من ملامة ونحوها (**قال النبي** ﷺ: **إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء، هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا**

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٤٤، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٧٩. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٣٥ ضمن الرسالة الطويلة التي كتبها الحسن البصري إلىٰ عمر ابن عبد العزيز.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٨/ ٢٠٤.

(٣) هو أبو العتاهية، والبيت في ديوانه ص ٩٠، لكن الشطر الثاني فيه هكذا:

وإن حية بلمسها لانت

تبتلَّ قدماه) قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا[٢] والبيهقي من طريقه في الشعب[٣] من رواية الحسن قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال ... فذكره. ووصله البيهقي في الشعب[٤] وفي الزهد[٥] من رواية الحسن عن أنس. انتهىٰ.

قلت: لفظ البيهقي في الشعب: «هل من أحد يمشي علىٰ الماء إلا ابتلَّت قدماه؟ كذلك صاحب الدنيا لا يَسلم من الذنوب». وهو[٦] استثناء من أعم عام الأحوال، تقديره: هل يمشي في حال من الأحوال إلا في حال ابتلال قدميه.

(وهذا يعرِّفك جهالةَ قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم عنها مطهَّرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة، وذلك مكيدة من الشيطان) ألقاها علىٰ قلوبهم فأعمىٰ بها بصائرَهم **(بل لو أُخرِجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجِّعين بفراقها)** وإزوائها عنهم **(فكما أن المشي في الماء يقتضي بللاً لا محالة يلتصق بالقدم، فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقةً وظُلمة في القلب، بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة. قال عيسىٰ عليه السلام: بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلىٰ الطعام فلا يلتذُّ به من شدة الوجع، كذلك صاحب الدنيا لا يلتذُّ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا. وبحق أقول لكم إن الدابَّة إذا لم تُركَب وتُمتهَن)** أي تُذلَّل **(لصعبت وتغيَّر خُلُقُها، كذلك القلوب إذا لم ترقَّق بذكر الموت ونَصَب العبادة)** أي تعبها ورياضتها **(تقسو وتغلظ)** فلا تنجع فيها الموعظة **(وبحق أقول لكم إن الزق ما لم ينخرق أو يقحل)** أي ييبس **(يوشك أن يكون وعاء للعسل)** الذي هو أشرف المطعومات **(كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنِّسها**

---

(١) المغني ٢/ ٨٨٠.

(٢) ذم الدنيا ص ٥١ - ٥٢.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٥.

(٤) السابق ١٣/ ٧٤.

(٥) الزهد الكبير ص ١٣٦.

(٦) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ١٠/ ٣٢٩٩.

الطمع أو يقسِّيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة)[١] كذا في القوت.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٢] عن مالك بن دينار قال: إن البدن إذا سقم لم ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حبُّ الدنيا لم تنجع فيه الموعظة.

وقال أيضًا: إن القلب المحب لله عَزَّوَجَلَّ يحب النَّصَب في الله عَزَّوَجَلَّ.

(وقال نبيُّنا ﷺ: إن ما يبقىٰ من الدنيا بلاء وفتنة، وإنما مَثَل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله) قال العراقي[٣]: رواه ابن ماجه[٤] من حديث معاوية، فرَّقه في موضعين، ورجاله ثقات. انتهىٰ.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية[٥] فقال: حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا جعفر الفريابي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، حدثنا أبو عبد رب، سمعت معاوية علىٰ منبر دمشق يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لم يبقَ من الدنيا إلا بلاء وفتنة، وإنما العمل كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله، وإذا خبُث أعلاه خبث أسفله». قال أبو نعيم: رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر[٦] مثله، لم يروه عن معاوية إلا أبو عبد رب.

(مثال آخر لِما بقي من الدنيا وقلَّته بالإضافة إلىٰ ما سبق:

قال أنس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: مَثَل هذه الدنيا مثل ثوب شُقَّ من أوله إلىٰ آخره فبقي معلَّقًا)** وفي رواية: متعلقًا **(بخيط في آخره، فيوشك ذلك الخيط أن**

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٥٢ عن وهب بن منبه.

(٢) حلية الأولياء ٢/ ٣٦٣.

(٣) المغني ٢/ ٨٨٠ - ٨٨١.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٠١، ٦١٠.

(٥) حلية الأولياء ٥/ ١٦٢.

(٦) يعني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر المذكور في السند.

ينقطع) فهذا مثل ضربه علىٰ نقضها وسرعة زوالها. قال ابن القيم[١]: ويوضِّح هذا المثَلَ ما رواه أحمد[٢] من حديث أبي سعيد: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ العصر نهارًا، ثم قام فخطبنا، فلم يترك شيئًا قبل قيام الساعة إلا أخبر به، حفظه مَن حفظه ونسيه مَن نسيه، وجعل الناس يلتفتون إلىٰ الشمس هل بقي منها شيء، فقال: «ألا إنه لم يبقَ من الدنيا فيما مضي منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضىٰ منه».

قال العراقي[٣]: رواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب[٤] من حديث أنس بسند ضعيف.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية[٥]: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن يزيد، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا فضيل، عن أبان، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «مثل الدنيا والآخرة كمثل ثوب شُقَّ من أوله إلىٰ آخره فتعلَّق بخيط منها فما لبث ذلك الخيط أن ينقطع». قال: غريب من حديث الفضيل، لم نكتبه إلا من حديث إبراهيم، وأبان بن أبي عيَّاش لم تصحَّ صحبته لأنس[٦]؛ لأنه كان لهجًا بالعبادة، والحديث ليس من شأنه.

(مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلىٰ بعض حتىٰ الهلاك) أي بعضها يجرُّ بعضًا ويستدعيه حتىٰ يوقعه في الهلاك **(قال عيسىٰ عليه السلام: مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر)** أي المالح **(كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتىٰ يقتله)**[٧] نقله

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٢٤٣ (ط - دار ابن كثير ودار التراث).

(٢) مسند أحمد ١٧/ ٢٢٧ - ٢٢٨، ١٨/ ١٣٢ - ١٣٣.

(٣) المغني ٢/ ٨٨١.

(٤) شعب الإيمان ١٢/ ٤٧١.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٣١.

(٦) في الحلية: لا يصح حديثه.

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٤٦، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٢٦٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٣١.

صاحب القوت. وهذا لأن شارب ماء البحر لا يحصل له الري مما يشربه، بل يزيده وهجًا في جوفه، فلم يزل يسيغ منه جرعة بعد أخرىٰ حتىٰ يكون حتفه فيه، وعلائق الدنيا كذلك كلما يتعلق بعلاقة منها تستدعي الأخرىٰ، ولا يقنع بها حتىٰ تستولي عليه العلائق وتحيط به فيكون سبب هلاكه الأبدي، نعوذ بالله من ذلك.

(مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أولها لنضارة أوائلها) أي طراوتها وبهجتها **(وخبث عواقبها:**

اعلمْ) هداك الله تعالىٰ **(أن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الأطعمة في المعدة، وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده في الأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتَها، وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعمًا وأكثر دسمًا وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر)** أي ما خرج من بطنه أكثر قذرًا **(وأشد نتنًا فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهىٰ وألذ وأقوىٰ فنتنها وكراهتها والتأذِّي بها عند الموت أشد، بل هي في الدنيا مشاهَدة، فإنَّ مَن نُهبت داره وأُخِذ أهله وولده وماله فتكون مصيبته وألمه وتفجُّعه في كل ما فقد بقدر لذَّته به وحبه له وحرصه عليه، فكل ما كان عند الوجود أشهىٰ عنده وألذ فهو عند الفقد أدهىٰ وأَمَرُّ، ولا معنىٰ للموت إلا فقد ما في الدنيا)** ومن هنا قال من قال:

ومَن سرَّه أن لا يرىٰ ما يسوءه ... فلا يتخذ شيئًا يخاف له فقدا[١]

(وقد رُوي أن النبي ﷺ قال للضحَّاك بن سفيان) بن[٢] عوف بن أبي بكر ابن كِلاب، أبي سعيد **(الكلابي)** كان من عمَّال النبي ﷺ علىٰ الصدقات، وروىٰ البغوي[٣] وابن قانع[٤] أنه كان سيَّافًا لرسول الله ﷺ، يقوم علىٰ رأسه متوشِّحًا

(١) تقدم هذا البيت في الباب الثالث من كتاب الصلاة.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ١٨٤ - ١٨٥. تقريب التهذيب ص ٤٥٧.

(٣) معجم الصحابة ٣/ ٣٨٩.

(٤) لم أقف علىٰ ذلك في معجم ابن قانع.

بسيفه، روىٰ له الأربعة أرباب السنن (**ألستَ تؤتَىٰ بطعامك وقد مُلِّح**) أي أُصلِح بالملح (**وقزح**) أي أُصلِح بالقِزْح، بكسر[١] فسكون، وهي الأبزار، وقزح قِدْرَه، بالتخفيف والتثقيل: جعل فيها القِزْح (**ثم تشرب عليه اللبن والماء؟ قال: بلىٰ. قال: فإلام يصير**)؟ أي يرجع (**قال: إلىٰ ما قد علمتَ يا رسول الله. قال: فإن الله عَزَّوَجَلَّ ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم**) قال العراقي[٢]: رواه أحمد[٣] والطبراني[٤] [من حديثه] بنحوه، وفيه علي بن زيد بن جدعان، مختلَف فيه.

ولفظ القوت: وقد ضرب رسول الله ﷺ مثل الدنيا بما يخرج من نجو ابن آدم بقوله للأعرابي: «أرأيتم ما تأكلون وتشربون تنظِّفون وتطيِّبون وتبرِّدون». قال: بلىٰ. قال: «فإلىٰ أيِّ شيء يصير»؟ قال: إلىٰ ما قد علمتَ يا رسول الله. قال: «أليس أحدكم يقعد خلف بيته فيجعل يده علىٰ أنفه من نتن ريحه»؟ قال: نعم. قال: «فإن الله جعل الدنيا مثلاً لِما يخرج من ابن آدم».

(**وقال أبيّ بن كعب**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله ﷺ: إن الدنيا ضُربت مثلاً لابن آدم، فانظر إلىٰ ما يخرج من ابن آدم وإن قزحَه وملَّحه**) بالتشديد[٥] فيهما، ويُروَيان بالتخفيف أيضًا (**إلىٰ ما يصير**) يعني ما يخرج منه كان قبل ذلك ألوانًا من الأطعمة طيبة ناعمة وشرابًا سائغًا، فصارت عاقبته إلىٰ ما ترىٰ.

---

(١) المصباح المنير ص ٥٠٢.
(٢) المغني ٢/ ٨٨١.
(٣) مسند أحمد ٢٥/ ٢٤.
(٤) المعجم الكبير ٨/ ٣٥٩.
(٥) فيض القدير ٢/ ٥٢٢.

قال العراقي[١]: رواه الطبراني[٢] وابن حبان[٣] بلفظ: «إن مَطعم ابن آدم قد ضُرب للدنيا مثلاً». ورواه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند[٤] بلفظ «جعل».

قلت: وقد رواه أحمد أيضًا، ولفظهم جميعًا: «إن مَطعم ابن آدم ضُرب مثلاً للدنيا وإن قزحه وملَّحه، فانظر إلىٰ ما يصير». قال المنذري[٥]: إسناده جيد قوي.

(**وقال ﷺ: إن الله ضرب الدنيا لمَطعم ابن آدم مثلاً، وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً وإن قزحه وملَّحه**) قال العراقي[٦]: الشطر الأول منه غريب، والشطر الأخير هو الذي تقدَّم من حديث الضحَّاك بن سفيان: «إن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا».

قلت: ولفظ القوت: ورواه يحيىٰ السعدي عن أبيِّ بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: إن الله ضرب ... فذكره مثل سياق المصنف، وزاد في آخره: فانظر ما يخرج من ابن آدم.

(**وقال الحسن**) رحمه الله تعالىٰ: (**قد رأيتهم يطيِّبونه بالأفاويه**) أي التوابل (**والطِّيب ثم يرمونه[٧] بأخبث ما رأيتم**)[٨] نقله صاحب القوت.

(**وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾ [عبس: ٢٤] قال ابن عباس:**

---

(١) المغني ٢/ ٨٨١.

(٢) المعجم الكبير ١/ ١٩٨.

(٣) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٧٦.

(٤) مسند أحمد ٣٥/ ١٦١.

(٥) الترغيب والترهيب ص ٨٣٦.

(٦) المغني ٢/ ٨٨١.

(٧) في غير الزبيدي: ثم يرمون به حيث رأيتم.

(٨) قول الحسن أورده ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٧٠ وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع ص ١٠٨ عقيب حديث أبي بن كعب.

إلىٰ رجيعه)[١] كيف صار وإلىٰ ما آل؛ نقله صاحب القوت [قال]: ويُروَىٰ عن ابن عباس أنه لما أُهبط آدم إلىٰ الأرض وأحدث نظر إلىٰ ما خرج منه وآذاه ريحه فاغتمَّ لذلك، فقال له جبريل: هذه رائحة خطيئتك.

(وقال رجل لابن عمر) رضي الله عنه: **(إني أريد أن أسألك وأستحي. قال: فلا تستح وسَلْ)** عما بدا لك **(قال: إذا قضىٰ أحدنا حاجته فقام ينظر إلىٰ ذلك منه. قال: نعم، إن الملَك يقول له: انظر هذا ما بخلتَ به انظر إلىٰ ماذا صار)**[٢] نقله صاحب القوت وقال: فهذة مشاهدة ذوي الألباب الذين فهموا عن الله تعالىٰ باطن الخطاب من قوله تعالىٰ: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١] قيل: مجاري الطعام والشراب إلىٰ ما يؤول فيزهدون في أوله إذ قد كوشِفوا بآخره[٣].

(وكان بُشَير) مصغَّرًا **(ابن كعب)** ابن[٤] أبيٍّ الحِميري العدوي، أبو أيوب البصري، مخضرم، قال النسائي وابن سعد[٥]: ثقة. احتفر قبرًا في طاعون الجارف

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه ٢/ ٢٧١ - ٢٧٢ عن أبي الوليد عبد الله بن الحارث قال: قلت لابن عمر: ما بدء هذا الحصىٰ في المسجد؟ قال: مطرنا من الليل، فجئنا إلىٰ المسجد للصلاة، فجعل الرجل يحمل في ثوبه الحصىٰ فيلقيه فيصلي عليه، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «ما هذا»؟ فأخبروه، فقال: «نعم البساط هذا». فاتخذه الناس. فقلت له: ما كان بدء هذا الزعفران؟ قال: جاء رسول الله ﷺ لصلاة الصبح، فإذا هو بنخامة في قبلة المسجد فحكها وقال: «ما أقبح هذا»! فجاء الرجل الذي تنخع فحكها ثم طلا عليها الزعفران، فلما رأىٰ رسول الله ﷺ المكان قال: «إن هذا أحسن من ذلك». قلت: ما بال أحدنا إذا قضىٰ حاجته نظر إليها إذا قام عنها؟ فقال: إن الملك يقول له: انظر إلىٰ ما بخلت به إلىٰ ما صار.

(٣) قال السيوطي في الدر المنثور ١٣/ ٦٧٩: «أخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن الزبير في قوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ قال: سبيل الغائط والبول. وأخرج الخرائطي في مساوئ الأخلاق عن علي بن أبي طالب مثله. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: ما يدخل من طعامكم وما يخرج».

(٤) تهذيب الكمال ٤/ ١٨٤ - ١٨٧. تقريب التهذيب ص ١٧٤.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ٢٢٢.

فقرأ فيه القرآن، فلما مات دُفن فيه[١]. ذكره مسلم في مقدمة كتابه، وروىٰ له الباقون (**يقول: انطلِقوا حتىٰ أريكم الدنيا. فيذهب بهم إلىٰ السوق وهي مزبلة فيقول: انظروا إلىٰ ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم**)[٢] نقله صاحب القوت، قال: وفي حديث الحسن: مر رسول الله ﷺ علىٰ مزبلة، فقال: «مَن سرَّه أن ينظر إلىٰ الدنيا بحذافيرها فلينظر إلىٰ هذه المزبلة». قال: ورُوي عن عمر أنه مر بمزبلة، فاحتبس عندها، فكأنَّ أصحابه تأذَّوا من ذلك، فقال: هذه دنياكم التي تحرصون عليها.

(**مثال آخر في نسبة الدنيا إلىٰ الآخرة**) أي إنها حقيرة (**قال رسول الله ﷺ: ما الدنيا في الآخرة**) أي[٣] في جنبها وبالإضافة إليها، وهو حال عاملها بمعنىٰ النفي، وقد يقدَّر مضاف، أي ما قدر الدنيا واعتبارها؟ فهو العامل (**إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليَم**) أي البحر (**فلينظر أحدكم بمَ يرجع إليه**)[٤] فإنه لا يجدي وجودُه لواجديه، ولا يضر فقدُه لفاقديه. أخرجه أبو نعيم في الحلية[٥] قال: أُخبِرت عن سهل بن السري البخاري وأذنَ لي سهل في الرواية عنه قال: حدثنا محمد بن علي بن سهل، حدثنا النضر بن سلمة، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، عن فضيل بن عياض، عن سليمان الشيباني وبيان بن بشر، عن قيس بن أبي حازم، عن المستورد بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بمَ يرجع». قال أبو نعيم: وهو غريب من حديث فضيل عن سليمان، وصحيحه ما رواه إسماعيل بن يزيد، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا فضيل، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن المستورد، عن النبي ﷺ. ا.هـ. ورواه

---

(١) ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٢/ ١٣٢.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٣٩، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٠/ ٣٢٤.

(٣) فيض القدير ٥/ ٤٠٥.

(٤) هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه ٢/ ١٣٠٨. وقد ذكر ذلك العراقي في المغني ٢/ ٨٨٢، غير أن الشارح رحمه الله غفل عن ذلك.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ١٣٧.

الحاكم في المستدرك[١] عن المستورد قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فتذاكروا في الدنيا والآخرة، فقال بعضهم: إنما الدنيا بلاغ للآخرة، فيها العمل. وقالت طائفة: الآخرة فيها الجنة. وقالوا ما شاء الله، فقال رسول الله ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلىٰ اليم فأدخل أصبعه فيه، فما خرج منه فهو الدنيا». قال الحاكم: صحيح. وأقرَّه الذهبي.

ثم اعلمْ أن المثل إنما يُضرب عن غائب بحاضر يشبهه من بعض وجوهه أو معظمها، وما لا شبه له مُنع فيه من ضرب المثل، ومثَّل الدنيا بالذي يعلق بالأصبع من البحر تقريبًا للعوام في احتقار الدنيا، وإلا فالدنيا كلها في جنب الجنة ودوامها أقل؛ لأن البحر يفنىٰ بالقطرات، والجنة لا تبيد، ولا ينفد نعيمُها، بل يزيد للواحد من العبيد، فكيف بجميع أهل التوحيد.

(مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها:

اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ **(أن أهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا في سفينة)** ليجوزوا عليها إلىٰ وطنهم **(فانتهت بهم إلىٰ جزيرة)** في البحر ذات أساود وأسود فأرست هناك **(فأمرهم الملاَّح بالخروج)** منها **(لقضاء الحاجة)** والتفسُّح **(وحذَّرهم)** أي خوَّفهم **(المقام)** أي الإقامة والمكث في الجزيرة إلا قدر قضاء الحاجة **(وخوَّفهم مرورَ السفينة واستعجالها)** فخرجوا منها **(فتفرَّقوا في نواحي الجزيرة، فقضىٰ بعضهم حاجته وبادر إلىٰ السفينة فصادف المكانَ خاليًا فأخذ)** لنفسه **(أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده. وبعضهم توقَّف في الجزيرة ونظر إلىٰ أزهارها وأنوارها العجيبة وغياضها الملتفَّة)** الأشجار **(ونغمات طيورها الطيِّبة وألحانها الموزونة الغريبة، وصار يلحظ من بَرِّيَّتِها أحجارَها وجواهرها، ومعادنها**

---
(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٢.

المختلفة الألوان، والأشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين لحسن زبرجدها) أي زينتها (وعجائب صورها، ثم تنبَّهَ لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف) فيها (إلا مكانًا ضيقًا حرجًا فاستقر فيه. وبعضهم أكبَّ علىٰ تلك الأصداف والأحجار فأعجبه حسنُها، ولم تسمح نفسه بإهمالها) أي تركها (فاستصحب منها جملة) فأتىٰ بها إلىٰ السفينة (فلم يجد في السفينة إلا مكانًا ضيقًا، وزاده ما حمله من الحجارة ضِيقًا وصار ثقلاً عليه ووبالاً، فندم علىٰ أخذه، ولم يقدر علىٰ رميه) لإعجابه به (ولم يجد مكانًا لوضعه فحمله في السفينة علىٰ عنقه وهو متأسِّف) نادم (علىٰ أخذه) من الجزيرة (وليس ينفعه التأسُّف. وبعضهم تولَّجَ) تلك (الغياضَ ونسي المركب وبعُد في متفرَّجه ومتنزَّهه منه حتىٰ لم يبلغه نداءُ الملاَّح): رئيس السفينة (لاشتغاله بأكل تلك الثمار واشتمام تلك الأنوار والتفرُّج بين تلك الأشجار، وهو مع ذلك خائف علىٰ نفسه من السباع) العوادي في تلك الجزيرة أن تهجم عليه (وغير خالٍ من السقطات والنكبات، ولا منفك عن شوك يتشبَّث بثيابه، وغصن يجرح بدنه، وشوكة تدخل في رجله، وصوت هائل يفزع منه، وعوسج) وهو شجر شائك (يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه من الانصراف لموارده، فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلاً بما معه ولم يجد في المركب موضعًا فبقي علىٰ الشط حتىٰ مات جوعًا. وبعضهم لم يبلغه النداء، وسارت السفينة، فمنهم مَن افترسته السباع، ومنهم مَن تاه علىٰ وجهه حتىٰ هلك، ومنهم من مات في الأوحال، ومنهم من نهشته الحيات، فتفرَّقوا كالجيف المنتنة) فلم يغنِ عنهم حجرُهم وزهرُهم، فصاروا كما قال تعالىٰ حكايةً عمَّن هذه حاله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩] (فأما مَن وصل إلىٰ المركب بثقل ما أخذه من الحجارة) المزبرجة (والأزهار) المزيَّنة (فقد استرقَّته) أي استعبدتْه (وشغله الحزنُ بحفظها والخوف من فوتها، وقد ضيَّقت عليه مكانه، فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت ألوان) تلك (الأحجار، فظهر نتنُ رائحتها، فصارت مع كونها مضيِّقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها، فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هربًا منها، وقد أثَّر فيه ما أكل منها،

فلم ينتهِ إلىٰ الوطن إلا بعدما ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح) المنتنة (فبلغ سقيمًا مدنَفًا) ناحل البدن (مدبرًا) قد أدبرت عنه العافيةُ (ومَن رجع قريبًا ما فاته إلا سعة المحل فتأذَّىٰ بضيق المكان مدةً، ولكن لما وصل إلىٰ الوطن استراح، ومَن رجع أولاً وجد المكان الأوسع ووصل إلىٰ الوطن سالمًا) من الأثقال والأشغال (فهذا مثال) أصناف (أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمرهم، وما أقبح من يزعم) في نفسه (أنه بصير عاقل أن تغرَّه أحجارُ الأرض وهي الذهب والفضة) فإنهما ينبتان في المعادن كما تنبت بقية الأحجار، ولولا تسنِّي الحاجات بهما لكانا هما والأحجار سواء في القدْر (وهشيم النبات وهي زينة الدنيا) وزخرفها (وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلاًّ) أي ثقلاً (ووبالاً عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه، وهذه حال الخلق كلِّهم إلا مَن عصمه الله تعالىٰ) فرأس المعاصي كلِّها حب الدينار والدرهم، فمَن أسقط حبَّهما فقد استراح بالُه. والله الموفِّق.

(مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم بقول الله تعالىٰ في تحذيره إياهم غوائل الدنيا) ودواهيها:

(قال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: (بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مَفازة غبراء) أي لا نبات بها ولا ماء (حتىٰ إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي) منها (أنفدوا الزادَ) أي فني زادُهم (وحسروا الظهر) أي أعروه، وهو كناية عن هلاك ما يركبونه (وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد) لهم (ولا حمولة) تبلغهم. وفي لفظ: فحسر ظهرُهم، ونفد زادُهم، وسقطوا بين ظهراني المفازة (فأيقنوا بالهلكة) محرَّكة، أي الهلاك (فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حُلَّة يقطر رأسه) أي مدهنًا رأسه، غير أشعث (فقالوا: هذا قريب) وفي لفظ: لَحديث (عهد بريف) أي خصب (وما جاءكم هذا إلا من قريب، فلما انتهىٰ إليهم قال: يا هؤلاء) القوم (قالوا: يا هذا)

الرجل **(قال: علىٰ ما أنتم)**؟ أي علىٰ أيِّ حال أنتم؟ **(فقالوا: علىٰ ما ترىٰ)** من الضنك والشدة، حسر ظهرُنا، ونفد زادُنا، وسقطنا بين ظهراني المفازة، ولا ندري ما قطعنا منها أكثر أم ما بقي منها **(قال: أرأيتم إن هديتُكم إلىٰ ماء رِواء)** ككتاب، أي ما يرويكم وتصدرون منه علىٰ الري **(ورياض خضر ما تعملون؟ قالوا: لا نعصيك شيئًا. قال: عهودكم ومواثيقكم بالله. فأعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله)** أنهم **(لا يعصونه شيئًا)** وفي لفظ: قال: ما تجعلون لي إن أوردتكم ماء رواء ورياضًا خضرًا؟ قالوا: نجعل لك حكمك. قال: تجعلون لي عهودكم ومواثيقكم أن لا تعصوني. فجعلوا له عهودهم ومواثيقهم أن لا يعصوه **(قال)**: فمال بهم **(فأوردهم ماء رواء ورياضًا خضرًا)** كما وعدهم **(فمكث فيهم ما شاء الله)** أن يمكث **(ثم قال: يا هؤلاء)** القوم **(قالوا: يا هذا)** الرجل **(قال: الرحيل)** أي ارتحِلوا **(قالوا: إلىٰ أين؟ قال: إلىٰ ماء ليس كمائكم، وإلىٰ رياض ليست كرياضكم)** بل هي أجلُّ وأفخر. وفي لفظ: ثم قال: هلمُّوا إلىٰ رياض أعشب من رياضكم، وماء أروىٰ من مائكم **(فقال أكثرهم: واللهِ ما وجدنا هذا حتىٰ ظننا أنَّا لن نجده، وما نصنع بعيش خير من هذا)**؟ فلم يرتحلوا. قال: **(وقالت طائفة وهم أقلُّهم: ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيئًا؟ وقد صدقكم في أول حديثه، فواللهِ ليصدقنَّكم في آخره. فراح فيمن اتبعه)** أي ارتحلوا معه حيث أشار. وفي لفظ: فراح وراحوا معه فأوردهم ماء رواء ورياضًا خضرًا **(وتخلَّف بقيتهم، فبدرهم عدوٌّ)** فأغار عليهم **(فأصبحوا من بين أسير وقتيل)** قال العراقي[١]: رواه ابن أبي الدنيا[٢] هكذا بطوله. ولأحمد[٣] والطبراني[٤] والبزار[٥] من حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أتاه فيما

---

(١) المغني ٢/ ٨٨٢.

(٢) ذم الدنيا ص ٥١.

(٣) مسند أحمد ٤/ ٢٢٨.

(٤) المعجم الكبير ١٢/ ٢١٩.

(٥) كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ١٣١.

يرىٰ النائم ملكان ...» الحديث، وفيه: «فقال – أي أحد الملكين –: إن مثل هذا ومثل أمَّته مثل قوم سفر انتهوا إلىٰ مفازة ...» فذكر نحوه وأخصر منه، وإسناده حسن. انتهىٰ.

قلت: وبخط الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح. واللفظ الذي ساقه المصنف وهو سياق حديث الحسن عند ابن أبي الدنيا، وقد روىٰ نحوه ابن عساكر عن ابن المبارك[1] قال: بلغنا عن الحسن. قال ابن عساكر: وهذا مرسل، وفيه انقطاع بين ابن المبارك والحسن.

(مثال آخر لتنعُّم الناس بالدنيا ثم تفجُّعهم علىٰ فراقها:

اعلمْ) بصَّرك الله بنوره **(أن مثل الناس فيما أُعطوا من الدنيا)** من ولد ومال وعقار **(مثل رجل هيَّأ دارًا وزيَّنها وهو يدعو إلىٰ داره علىٰ الترتيب قومًا واحدً بعد واحد، فدخل واحد داره، فقدَّم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمَّه ويتركه لمن يلحقه)** بعده **(لا ليتملَّكه ويأخذه، فجهل رسمه فظن أنه قد وُهب ذلك منه فتعلَّق به قلبه لما ظن أنه له، فلما استُرجع منه ضجرَ)** وقلق **(وتفجَّع)** وحزن **(ومن كان عالمًا برسمه انتفع به وشكره وردَّه بطيبة قلب وانشراح صدر، فكذلك مَن عرف سنَّة الله في الدنيا)** التي أجرىٰ مراسمها علىٰ خلق **(علم أنها دار ضيافة سُبِّلت)** أي حُبست **(علىٰ المجتازين)** العابرين **(لا علىٰ المقيمين؛ ليتزوَّدوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري)** جمع عاريه **(ولا يصرفون إليها كلَّ قلوبهم)** ولا يميلون بالأنس بها كل المَيل **(حتىٰ تعظُم مصيبتهم عند فراقها)** فمَن أنسَ بشيء وتعلق به قلبه حزن عند فراقه لا محالة.

(فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها) وقد بقيت للدنيا أمثلة خطرت بالفكر عند كتابتي لهذا الموضع لا بأس بذكرها:

---

(١) والحديث في الزهد والرقائق لابن المبارك ص ١٧٤.

* فمنها: مثال للدنيا في انقطاعها وفنائها وإن كانت مدتها أكثر مما هي بالإضافة إلىٰ الآخرة، بل لو فُرض أن السموات والأرض مملوءتان خردلاً وبعد كل ألف سنة طائر ينقل خردلة لفني الخردلُ، والآخرة لا تفنىٰ، فنسبة الدنيا إلىٰ الآخرة في التمثيل كنسبة خردلة واحدة إلىٰ ذلك الخردل(١). روىٰ الطبراني في الكبير(٢) من حديث المستورد بن شداد مرفوعًا: «ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما أخذ المخيط غُرس في البحر من مائه».

* مثال آخر للدنيا وأهلها: اعلمْ أن الدنيا مشتقَّة من الدناءة وهي الخسَّة والحقارة، وهي شِبه جيفة متغيِّرة منتنة، والمتكالبون علىٰ حوزها لأنفسهم بمنزلة الكلاب العادية كاشرة أنيابها، وقد تقدَّم في قول علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تشبيهها كذلك، وكذا في قول غيره، ويُستأنَس له بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ۝٢٦﴾ [الرعد: ٢٦] أي جيفة متغيرة، رُوي عن الأصمعي أنه قال: يقال: متع اللحمُ: إذا راح وتغيَّر.

* مثال آخر للدنيا في سرعة انفضاضها: هي كالسوق التي يجتمع فيها الناس لقضاء أغراضهم من بيع وشراء وغير ذلك، فعن قريب يعود كلٌّ إلىٰ منزله وتنفض السوق. ورد في بعض الأخبار: «إنما الدنيا كسوق قام ثم انفضَّ، ربح فيه مَن ربح، وخسر فيه مَن خسر».

* مثال آخر للدنيا في شدة عنائها: هي كالبحر العميق الذي لا حد لقعره، وله أمواج متلاطمة، وفيه تماسيح فاغرة فاها، وقد جُعل في أسفله من نفائس الجواهر، فمَن أراد غورها وقع فيها وغرق ولم يخلص. قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾ [العنكبوت: ٤٠] أي في بحر الدنيا. وتقدَّم قول لقمان: إن الدنيا بحر عميق. وقال الحريري(٣):

(١) هذا المثال ذكره ابن القيم في عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ص ٢٣٢.
(٢) المعجم الكبير ٢٠/ ٣٠٨.
(٣) مقامات الحريري ص ١٤٤ [المقامة المغربية].

فلا توغلنَّ إذا ما سبحتَ ... فإن السلامة في الساحل

* مثال آخر للدنيا: هي بمنزلة الكنيف الذي يحتاجه الإنسان في وقت دون وقت، فينبغي أن يأخذ الإنسان منها بُلغة على قدر الاحتياج كما يحتاج إلى الكنيف تارةً ولا يدخله إلا ضرورةً، وكلما استغنيتَ عن دخولك الكنيف كان أجود[١].

* مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها: هي كالكنيف المبيَّض أو الروث المفضَّض، فإن ظاهرها يغرُّ الإنسانَ بزينته وباطنها لا شيء ينتفع به.

* مثال آخر للدنيا: هي بمنزلة الحمَّام إنما يُدخَل فيه للحاجة، فخذ منه ما ينقِّي الدرن ويُذهِب الصِّنَّة ويذكِّر النار، فإذا قارَبَ أن يأخذ منك فاهرب منه، وفيه قال الشاعر:

خذ من الحمَّام واخرج ... قبل أن يأخذ منك
حدِّثنَ عنه وإلا ... حدَّث الحمَّام عنك[٢]

* مثال آخر للدنيا في إصابتها لبعض وإخطائها لآخرين: هي بمنزلة امرأة صمَّاء عمياء ورهاء، في حِجرها جواهر، وهي قاعدة على حجر مدوَّر، يتبعها ناس كثير يلتمسون ما عندها، وهي لا تسمع قولاً ولا ترى وجهًا، وقد اعتزل عنها قوم قليلو العدد وقعدوا على حجرة وهي تولي في كل ساعة قبضة ممَّا في حجرها واحدًا من القوم لا تخص أتباعها، بل ربما تخطئهم وربما تعطيهم، كأنها المعنيَّة بقول الشاعر:

لا تمدحنَّ ابنَ عبَّاد وإن كثرت ... كفَّاه جودًا ولا تذممه إن ذمما
فليس يبخل إبقاءً على نشب ... ولن يجود بفضل المال معتزما

---

(١) هذا المثال ذكره أبو طالب المكي في القوت بعبارة مختصرة.

(٢) لم أقف على قائل هذين البيتين.

لكنهـا خطـرات مـن وساوسـه   يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرما[1]

وتارة تعرِّج علىٰ مَن أعطته فتسلبه سلبًا وتدوسه دوسًا بحجرها[2].

* مثال آخر للدنيا: هي بمنزلة خان قد بُني علىٰ قارعة الطريق، ومقتنياتها آلات موضوعة فيه يصلُح الانتفاع بها ما دام المسافر نازلاً في ذلك الخان، فيتناول منها مقدار الكفاية ويتسلَّىٰ عن الباقي عند الرحلة، ويستهجن لنفسه أن يكذب ويغضب ويحزن ويرتكب القبائح بسببها[3]. وهذا المثال قد يُستنبَط من آخر الأمثلة التي ذكرها المصنف، ولكن تشبيهها بالخان للمسافر أقعَدُ من تشبيهها بدار الضيافة وإن كان مآلهما – أي محصَّلهما – واحدًا، فتأملْ.

* مثال آخر للدنيا: هي بمنزلة صديقك الذي يُظهِر لك الصداقة في الظاهر ويحفر وراءك ليوقعك في الهلاك، فهي تغرُّ بزينتها مَن أقبل عليها وأحبها، ولكنها في الباطن تختله وتورده موارد الهلاك، فهي[4] عدوَّة محبوبة، وإياه عنىٰ أبو نواس[5] بقوله:

إذا امتحـن الدنيـا لبيـبٌ تكشَّـفت   لـه عـن عـدوٍّ في ثيـاب صديـق

ورُوي عن الحسن قال: ما مثلنا مع الدنيا إلا كما قال كُثيِّر[6]:

---

(١) أصل هذه الأبيات لأبي القاسم الأعمىٰ البغدادي، واسمه معاوية بن سفيان. وقد أوردها المرزباني في معجم الشعراء ص ٣٧٢، ولكن فيه: «لا تحمدن حسنًا». يعني الحسن بن سهل البرمكي وزير المأمون العباسي. وأخذ أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي البيت الأول والثالث ليهجو بهما الصاحب ابن عباد. مرآة الجنان لليافعي ٢/ ٣١٤. وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ٤٠٢. معجم الأدباء لياقوت ٢/ ٦٩٦. الوافي بالوفيات للصفدي ٣/ ١٥٨.

(٢) هذا المثال ذكره الراغب في الذريعة ص ٢٧٦ – ٢٧٧ نقلا عن بعض الحكماء.

(٣) هذا المثال ذكره الراغب في الذريعة ص ٢٧٤.

(٤) من هنا إلىٰ قوله (إن تقلت) عن الذريعة للراغب ص ٢٣٥.

(٥) البيت في ديوانه ٢/ ١٥٩.

(٦) البيت في ديوانه ص ١٠١.

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلَّت

بيان حقيقة الدنيا وماهيَّتها في حق العبد

(اعلمْ) أرشدكَ الله تعالىٰ (أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي) أي ما حقيقتها وماهيَّتها في حقك (وما الذي ينبغي أن يُجتنَب منها) ويُحترَز عنها (وما الذي لا يُجتنَب) منها (فلا بد أن نبيِّن الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوَّة قاطعة لطريق الله ما هي. فنقول) وبالله التوفيق: (دنياكَ وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك، فالقريب الداني منهما يسمَّىٰ دنيا، وهو كل ما قبل الموت، والمتراخي المتأخر يسمَّىٰ آخرة، وهو ما بعد الموت) وهذا يؤيِّد قولَ من قال: إن الدنيا فُعْلَىٰ من الدنوِّ، كما سيأتي قريبًا للمصنف (وكل ما لك فيه حظٌّ وغرض ونصيب وشهوة ولذَّة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك، إلا أن جميع ما لك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم، بل هو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يصحبك في الآخرة) بعد سفرك من الدنيا (وتبقىٰ معك ثمرته بعد الموت) ولا ينقطع (وهو شيئان: العلم والعمل فقط. وأعني بالعلم: العلم بالله وصفاته وأفعاله) يشير به إلىٰ مراتب التوحيد الثلاثة بأن: الله واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله. ثم بما يتبع ذلك، وإليه أشار بقوله: (وملائكته وكتبه ورسله) وبما يليق في حق كلٍّ منها، حسبما مر في قواعد العقائد (وملكوت أرضه وسمائه) بما فيهما من العجائب الدالَّة علىٰ كمال قدرته (والعلم بشريعة نبيِّه) الذي هو معدود في أمَّته. وكل ما يوصل إلىٰ تحصيل هذه المعلومات فهو داخل فيها (وأعني بالعمل: العبادة الخالصة لوجه الله تعالىٰ) عن الشك والشرك الخفي بمقتضَىٰ علمه بالشريعة التي أُمِر باتِّباعها، وهما[١] من اللذَّات العقلية،

(١) الذريعة ص ٢١٨.

وهي أشرف اللذَّات وأقلها وجودًا، فشرفها أنها لا تُمَلُّ ولا تُبتذَل، ولكن لا يعرفها إلا مَن تخصَّص بها، كالحكمة لا يستلذُّها إلا الحكيم **(وقد يأنس العالِم بالعلم حتىٰ يصير ذلك ألذ الأشياء عنده، فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذَّته)** فلا يألف فراشَ النوم، ولا يشتغل بالأكل، ويَدَع زوجته كأنها أرملة **(لأنه)** أي العلم بما ذُكر **(أشهىٰ عنده من جميع ذلك، فقد صار حظًّا عاجلاً في الدنيا، ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعدَّ هذا من الدنيا أصلاً، بل قلنا: إنه من الآخرة)** كيف وغالب مَن مضىٰ من صالحي السلف هكذا كان شأنهم، حيث شغلتهم معرفةُ الله تعالىٰ عن كثير من اللذات البدنية، وحتىٰ عن كثير من اللذات المتوسطة بينها وبين العقلية **(وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو مُنع عنها)** ولو ساعة من الزمان **(لكان ذلك أعظم العقوبات عليه)** ويرىٰ نفسه متلهِّفًا نادمًا كأنه كان في يده شيء ففاته **(حتىٰ قال بعضهم: ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل)** فهذا قد حذرَ الموتَ لأجل حيلولته بينه وبين التهجُّد **(وكان آخر يقول: اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر)** ومنهم مَن استُجيبَ له ذلك فكُشف عن قبور بعض منهم فرُؤي مصلّيًا، ومنهم مَن رُؤي في قبره قارئًا للقرآن **(فهذا قد صارت الصلاة)** والقراءة عنده **(من حظوظه العاجلة، وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنوِّ)** الذي هو القرب بالذات أو الحكم، فهي إذًا فُعْلَىٰ من الدنو، قال الحرالي: وهو الأنزل رتبةً في مقابلة عليا، ولكونها لزمتها العاجلةُ صارت في مقابلة الأخرىٰ اللازمة للعلو، ففي الدنيا نزول قدْر وتعجيل، وفي الآخرة علو قدر وتأخير، فتقابلتا[1] **(ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك)** كيف يكون ذلك **(وقد قال ﷺ: حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث: الطِّيب، والنساء، وقرَّة عيني في الصلاة)** رواه النسائي والحاكم من حديث أنس دون قوله «ثلاث»، وتقدم في النكاح، وفي بعض ألفاظه: «وجُعلت قرَّة عيني في الصلاة»، وفي بعضها: «وجُعل»، وتقدم تفصيل ذلك. ومنهم من قال: إن لفظ

---

(١) نقله البقاعي في نظم الدرر ٢/ ١٤.

«ثلاث» لم يقع في شيء من طرقه، بل زيادته محيلة للمعنىٰ، ولكن شرحه الإمام أبو بكر ابن فُورك في رسالة ووجَّهَه بما حاصله في كلام المصنِّف، حيث قال: (**فجعل الصلاة من جملة ملاذِّ الدنيا، وذلك لأن كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالَم الشهادة، وهو من الدنيا، والتلذُّذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا، فلذلك أضافها إلىٰ الدنيا**) فعلىٰ هذا لفظ الثلاث إن ثبت لا يكون محيلاً للمعنىٰ، ولكن لما لم يكن في الصلاة تَقاضي شهوة نفسانية كما في النساء والطِّيب عبَّر عنها بعبارة تخالف السياق الأول فقال: «وجُعلت قرَّة عيني في الصلاة» كما في رواية، وعند أحمد في الزهد زيادة علىٰ هذا الحديث وهي: «أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن». وروىٰ الديلمي من حديث أنس: «الجائع يشبع والظمآن يروىٰ، وأنا لا أشبع من حب الصلاة والنساء» (**إلا أنَّا في هذا الكتاب لسنا نتعرَّض إلا للدنيا المذمومة فنقول: هذه ليست من الدنيا**.

القسم الثاني، وهو المقابل له علىٰ الطرف الأقصىٰ: كل ما فيه) للإنسان (**حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً، كالتلذُّذ بالمعاصي كلها، والتنعُّم بالمباحات الزائدة علىٰ قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية**) أي سعة العيش (**والرعونات**) وهي الوقوف مع مقتضَىٰ طباع النفس (**كالتنعُّم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة**) أي العدد الكثير منها (**والخيل المسوَّمة**) أي الفارهة، السمينة، المعلَّمة بأنواع الزينة، السائمة منها والمستعدَّة (**والأنعام**) المراد بها الأزواج الثمانية (**والحرث**): الزراعة (**والغلمان والجواري**) المتخَذة للخدمة (**والحيوان والمواشي**) فيه تخصيص بعد تعميم من قوله «والأنعام» (**والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة**) والأشربة (**فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة، وفيما يُعَدُّ فضولاً أو في محل الحاجة نظرٌ طويل**) فقد يختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأزمان (**إذ رُوي عن عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه استعمل أبا الدرداء**) عويمر بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**علىٰ حِمْص**) وهي مدينة معروفة بالشام (**فاتخذ كنيفًا**) أي حظيرة

تستره من حر الشمس (**أنفق عليه درهمين**) فبلغ ذلك عمر (**فكتب إليه: من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلىٰ عويمِر**) وهو[1] اسمه علىٰ ما اشتهر، وقيل: بل لقبه، واسمه عامر؛ حكاه الفَلاَّس عن بعض ولده، وبه جزم الأصمعي في رواية الكديمي عنه (**قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أذنَ الله بخرابها، فإذا أتاك كتابي هذا فقد سيَّرتك وأهلك إلىٰ دمشق**) فلما بلغه الكتاب سار بأهله إلىٰ دمشق (**فلم يزل بها حتىٰ مات**)[2] في خلافة عثمان علىٰ الأصح عند أصحاب الحديث. وقال ابن حبان[3]: ولاَّه معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر.

(**فهذا رآه فضولاً من الدنيا، فتأملْ فيه**) كيف عدَّ مثله فضولاً مع أن الذي صُرف عليه شيء حقير.

(**القسم الثالث، وهو متوسط بين الطرفين: كل حظ في العاجل معين علىٰ أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام**) الذي به يتغذَّىٰ، ومن الماء الذي به يروىٰ (**والقميص الواحد الخشن**) الذي يواري عورته. وخرج من الواحد أن يكون له قميصان، ومن الخشن أن يكون رقيقًا (**وكل ما لا بد منه ليتأتَّىٰ للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلىٰ العلم والعمل، وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول؛ لأنه معين علىٰ القسم الأول ووسيلة إليه، فمهما تناوله العبد**) بما لا يمكن التبلُّغ بأقل منه (**علىٰ قصد الاستعانة به علىٰ العلم والعمل**) فمعذور، بل مشكور ومأجور، و(**لم يكن به متناولاً للدنيا، ولم يَصِرْ به من أبناء الدنيا**) ولم يلحقه الذم (**وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة علىٰ التقوىٰ التحق بالقسم الثاني**) الذي هو مقابل الأول (**وصار من جملة الدنيا**) ولو كان المتناوَل حقيرًا في نفسه (**ولا يبقىٰ مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات**) الأولىٰ: (**صفاء القلب، أعني**

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٧/ ١٨٢ - ١٨٣.

(٢) رواه هناد في الزهد ٢/ ٣٧٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٣٠٥، وابن أبي الدنيا في قصر الأمل ص ١٧٢، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٢٣٥.

(٣) الثقات ٣/ ٢٨٦.

طهارته من أدناس الدنيا) وأوساخها (و) الثانية: (**أنه يأنس بذكر الله تعالىٰ. و)** الثالثة: (**حبه لله تعالىٰ. وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا)** وحظوظها (**والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة)** إذ مَن لم يعرف لم يحب (**ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر)** في جلال الله وعظمته (**وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات)** للعبد (**بعد الموت**[١]، **أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات؛ إذ تكون جُنَّة بين العبد وبين عذاب الله، كما ورد في الأخبار: إن أعمال العبد تناضل)** أي تدافع (**عنه، فإذا جاء العذاب من جهة رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه، وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه ... الحديث)** أي إلىٰ آخر الحديث. قال العراقي[٢]: رواه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن سمرة بطوله، وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزومي، ضعَّفه البخاري وأبو حاتم[٣]. ولأحمد[٤] من حديث أسماء بنت أبي بكر: «إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنًا أحفَّ به عملُه الصلاة والصيام ...» الحديث، وإسناده صحيح. انتهىٰ.

قلت: رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي[٥]، قال الذهبي[٦]: ضعَّفوه. وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي[٧]. وهو الذي أشار إليه العراقي. وقد رواه أيضًا الحكيم في النوادر[٨]، وسنده ضعيف أيضًا،

(١) في حاشية م الإمام زاد: وهي الباقيات الصالحات. وهو موجود في ط المنهاج ٦/ ٧٧.

(٢) المغني ٢/ ٨٨٢.

(٣) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٣٤٢: «سمعت أبي يقول: هو ذاهب الحديث، تركوا حديثه».

(٤) مسند أحمد ٤٤/ ٥٣٥.

(٥) الأحاديث الطوال للطبراني ص ٨٤ - ٨٥.

(٦) المغني في الضعفاء ١/ ٣٩٨.

(٧) انظر: مجمع الزوائد ٧/ ٣٧٢.

(٨) نوادر الأصول ص ١٠٢٣ - ١٠٣٣.

ولفظهما: «إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمَّتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك [ورأيت رجلاً من أمتي قد بُسط عليه عذاب القبر، فجاءته صلاته فاستنقذته من ذلك] ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشًا، فجاءه صيام رمضان فسقاه. ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فخلَّصه منهم. ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظُلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شِماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة، ورأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه برُّه بوالديه فردَّه عنه. ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: إن هذا كان واصلاً لرحمه، فكلَّمهم وكلَّموه، وصار معهم. ورأيت رجلاً من أمتي يأتي النبيين وهم حلق حلق، كلما مر علىٰ حلقة طُرد، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه إلىٰ جنبي. ورأيت رجلاً من أمتي يتَّقي وَهَج النار بيديه عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت ظلاً علىٰ رأسه وسترًا عن وجهه. ورأيت رجلاً من أمتي جاءته زَبانية العذاب، فجاءه أمرُه بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي هوىٰ في النار، فجاءته دموعه اللاتي بكىٰ بها في الدنيا من خشية الله فأخرجته من النار. ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفتُه إلىٰ شِماله، فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه. ورأيت رجلاً من أمتي قد خفَّ ميزانُه، فجاءه أفراطه فثقَّلوا موازينه. ورأيت رجلاً من أمتي علىٰ شفير جهنم، فجاءه وَجَلُه من الله عَزَّوَجَلَّ فاستنقذه من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتي يرعد كما ترعد السعفة، فجاءه حسن ظنه بالله فسكَّن رعدته. ورأيت رجلاً من أمتي يزحف علىٰ الصراط مرة، ويحبو مرة، ويتعلق مرة، فجاءته صلاته عليَّ فأخذت بيده فأقامته علىٰ الصراط حتىٰ جاز. ورأيت رجلاً من أمتي انتهىٰ إلىٰ أبواب الجنة فغُلِّقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله فأخذت بيده فأدخلتْه الجنة».

(وأما الأنس والحب فهما من المسعِدات، وهما موصلان للعبد إلىٰ لذة اللقاء والمشاهدة، وهذه السعادة تُتعجَّل عقيب الموت إلىٰ أن يدخل أوانُ الرؤية في الجنة، فيصير القبر روضة من رياض الجنة) ويتنعَّم فيها (وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له) في الدنيا (إلا محبوب واحد) لم يَمِلْ إلىٰ غيره (وكانت العوائق تعوقه) أي تمنعه (عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله، فارتفعت العوائق) بالموت (وأفلت من السجن) إلىٰ البستان (وخُلِّي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورًا، سليمًا من الموانع، آمنًا من الفراق) مطمئنًا بالوصال (وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذَّبًا ولم يكن له محبوب إلا الدنيا، وقد غُصب منه، وحِيلَ بينه وبينه، وسُدَّت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه، ولذلك قيل:

ما حال مَن كان له واحد غُيِّبَ عنه ذلك الواحد(١)

وليس الموت عدمًا، إنما هو فراق لمَحابِّ الدنيا وقدوم علىٰ الله تعالىٰ. فإذًا سالك طريق الآخرة هو المواظب علىٰ) حيازة (أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذِّكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغِّض إليه مَلاذَّها ويقطعه عنها، وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن) لأن سقمه مما يشوِّش عليه ويعوقه عن حيازة تلك الأسباب (وصحة البدن لا تُنال إلا بقوت) يقيم عمارة البدن (وملبس) يواري عورته (ومسكن) يأوي إليه فيطمئن قلبه (ويحتاج كل واحد) من هذه الثلاثة (إلىٰ أسباب) كثيرة (فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة) أيْ للوصول إليها (لم يكن من أبناء الدنيا، وكانت الدنيا في حقه مزرعة) أي بمنزلة بقعة يزرع فيها (لـ) أجل (الآخرة، وإن أخذ ذلك لحظ النفس) وقضاء الشهوة (وعلىٰ قصد التنعُّم صار من أبناء الدنيا و) من (الراغبين في حظوظها. إلا أن

(١) البيت في التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ٢١١ بلا نسبة، والشطر الثاني فيه هكذا:
يؤخذ منه ذلك الواحد

الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلىٰ ما يعرِّض صاحبه لعذاب في الآخرة ويسمَّىٰ ذلك حرامًا، وإلىٰ ما يحول بينه وبين الدرجات العلىٰ ويعرِّضه لطول الحساب ويسمَّىٰ ذلك حلالاً. والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل الحساب أيضًا عذاب، فمَن نوقِش الحساب فقد عُذِّب) رواه الشيخان من حديث عائشة بدون «فقد». وروىٰ الطبراني في الكبير من حديث ابن الزبير: «مَن نوقِش المحاسبة هلك»[1] **(إذ قال رسول الله ﷺ: حلالها حساب، وحرامها عذاب)** قال العراقي[2]: رواه ابن أبي الدنيا[3] والبيهقي في الشعب[4] من طريقه موقوفًا علىٰ علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ: وحرامها النار. ولم أجده مرفوعًا. انتهىٰ.

قلت: بل أخرجه الديلمي في مسند الفردوس[5] من حديث ابن عباس بلفظ: «يا ابن آدم، ما تصنع بالدنيا؟ حلالها حساب، وحرامها عقاب». نبَّه عليه الحافظ السخاوي في المقاصد[6].

(وقد قال أيضًا: حلالها عذاب) أي لأن المناقشة في الحساب عذاب **(إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام، بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلىٰ في الجنة وما يَرِدُ في القلب من التحسُّر علىٰ تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضًا عذاب، وقِسْ به حالك في الدنيا إذا نظرتَ إلىٰ أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطَّع قلبك عليها حسرةً مع علمك بأنها سعادات)** زائلة (منصرمة) منقطعة **(لا بقاء لها، ومنغَّصة بكدورات لا صفاء لها، فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها)** ولا يمكن مقدار جلالتها

---

(١) تقدم هذان الحديثان في كتاب رياضة النفس.

(٢) المغني ٢/ ٨٨٣.

(٣) ذم الدنيا ص ٢٠.

(٤) شعب الإيمان ١٣/ ١٧٨.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٢٨٣.

(٦) المقاصد الحسنة ص ١٩٥.

(**وتنقطع الدهور**) وتنصرم الأزمنة (**دون غايتها**) وإدراك نهايتها (**فكل من تنعَّم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر**) حسن الصوت كالعندليب والهزار والببغاء (**أو بالنظر إلىٰ خضرة**) بجنب ماء جارٍ أو تحت شجرة مثلاً (**أو شربة ماء بارد**) ونحو ذلك (**فإنه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه**) فإن كل ذلك من نعيم الدنيا (**وهو المعنيُّ**) أي المراد (**بقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه: هذا من النعيم الذي نُسئل عنه. أشار به إلىٰ الماء البارد**) رُوي[1] ذلك من حديث جابر قال: جاءنا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، فأطعمناهم رطبًا، وسقيناهم ماء، فقال رسول الله ﷺ: «هذا من النعيم الذي تُسئلون عنه». رواه أحمد[2] والنسائي[3] والبيهقي في الشعب[4]. ورواه عبد بن حميد وابن مردويه بلفظ: ثم أتيناهم برطب وماء، فأكلوا وشربوا، ثم قال: «هذا من النعيم الذي تُسئلون عنه».

وروىٰ مسلم[5] والأربعة[6] من حديث أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ... فذكر قصة إتيانهم إلىٰ منزل أبي الهيثم الأنصاري، وفيه: فجاء بعِذْق فيه بُسْر وتمر، وذبح لهم شاة، فأكلوا من الشاة ومن العذق وشربوا، فلما شبعوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتُسئلُنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة».

وروىٰ ابن حبان[7] وابن مردويه من حديث ابن عباس نحو هذه القصة لأبي

---

(١) الدر المنثور ١٥/ ٦٢٦ - ٦٣٠، ٦٤٠.

(٢) مسند أحمد ٢٣/ ٨، ٩٨ - ٩٩، ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٣) سنن النسائي ص ٥٦٦ - ٥٦٧.

(٤) شعب الإيمان ٦/ ٣٢٧، ٨/ ٥٥.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ٩٧٨.

(٦) الحديث في سنن الترمذي ٤/ ١٨٠ - ١٨١ والسنن الكبرىٰ للنسائي ٦/ ٢١٢. وليس هو عند أبي داود ولا ابن ماجه.

(٧) صحيح ابن حبان ١٢/ ١٦ - ١٨.

أيوب الأنصاري، وفيه: «والذي نفسي بيده، إن هذا لَهو النعيم الذي تُسئلون عنه يوم القيامة».

وروىٰ أحمد[١] وابن جرير[٢] وابن عدي[٣] والبغوي في معجمه وابن منده في المعرفة وابن عساكر[٤] وابن مردويه والبيهقي في الشعب[٥] من حديث أبي عسيب مولىٰ النبي ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ ليلاً، فمر بي فدعاني فخرجت إليه، ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه، ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه، فانطلق حتىٰ دخل حائطًا لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «أطعِمْنا». فجاء بعذق فوضعه، فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب، وقال: «لَتسئلُنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة». فأخذ عمر العِذق فضرب به الأرض حتىٰ تناثر البُسر، ثم قال: يا رسول الله، إنَّا لَمسئولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «نعم، إلا من ثلاث: كِسرة يسد بها الرجل جوعته، أو ثوب يستر به عورته، أو جُحر يدخل فيه من الحر والبرد».

وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الأطعمة، وذكرنا شيئًا من ذلك هناك.

وأخرج أبو بكر ابن أبي شيبة[٦] وهنَّاد بن السري[٧] عن بُكَير بن عُتَيق قال: سقيت سعيد بن جبير شربة من عسل في قدح، فشربها ثم قال: واللهِ لأُسألنَّ عن هذا. فقلت: لِمَ؟ قال: شربتُه وأنا أستلذُّه.

(والتعرُّض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار، وكل ذلك من نقصان الحظ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: اعزلوا عني حسابهما. حيث كان

---

(١) مسند أحمد ٣٤/ ٣٦٧.

(٢) جامع البيان ٢٤/ ٦٠٧.

(٣) الكامل في الضعفاء ٢/ ٨٤٧.

(٤) تاريخ دمشق ٤/ ١٣٤ - ١٣٥.

(٥) شعب الإيمان ٦/ ٣٢٨.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٢٢٣.

(٧) الزهد ٢/ ٣٦٤.

به عطش، فعُرض عليه ماء بارد) ممزوج (بعسل) في قدح (فأداره في كفِّه ثم امتنع عن شربه) وناوله بعضَ أصحابه فشربها. رواه سليمان بن المغيرة عن ثابت. وقد تقدم (فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة) أي مبعَدة من الله تعالىٰ (إلا ما أعان علىٰ تقوىٰ الله فإنَّ ذلك القدر ليس من الدنيا، وكل من كانت معرفته) بالله (أقوىٰ وأيقن) أي أكثر يقينًا. وفي بعض النسخ: وأتقن. أي أثبت وأرسخ (كان حذره من نعيم الدنيا أشد، حتىٰ إن عيسىٰ عليه السلام وضع رأسه علىٰ حجر لما نام ثم رماه؛ إذ تمثَّل له إبليس وقال: رغبتَ في الدنيا) نقله صاحب القوت (وحتىٰ إن سليمان عليه السلام في مُلكه كان يطعم الناسَ لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير) وكذا رُوي عن يوسف عليه السلام أنه كان يطعم الناس في المجاعة لذائذ الأطعمة وهو يجوع ويأكل خبز الشعير، فقيل له في ذلك، فقال: أخشىٰ أن أنسىٰ الجياع (فجعل الملك علىٰ نفسه بهذا الطريق امتحانًا وشدة، فإن الصبر عن لذائذ الأطعمة مع القدرة عليها ووجودها) عنده (أشد، ولهذا زوىٰ الله تعالىٰ الدنيا عن نبيِّنا ﷺ) قال العراقي[1]: رواه محمد بن خفيف في «شرف الفقراء» من حديث عمر بن الخطاب قال: قلت: يا رسول الله، عجبًا لمَن بسط الله لهم الدنيا وزواها عنك ...» الحديث. وهو من طريق ابن إسحاق معنعنًا. انتهىٰ.

قلت: وفي[2] خطبة علي رضي الله عنه: لقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلُّك علىٰ مساوئ الدنيا وعيوبها؛ إذ جاع فيها مع خاصَّته، وزُويت عنه زخارفها مع عظيم زُلفته.

(فكان يطوي أيامًا) قال العراقي: رواه الترمذي[3] وابن ماجه[4] من حديث ابن عباس: أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله ... الحديث. قال

---

(١) المغني ٢/ ٨٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩/ ١٥٤.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٧٦.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٠.

الترمذي: حسن صحيح (**وكان يشد الحجر علىٰ بطنه من الجوع**) تقدم[1] (**ولهذا سلَّط الله البلاء والمحن علىٰ الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل**) روىٰ أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه من حديث سعد: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل ...» الحديث. وروىٰ الطبرانيٰ في الكبير من حديث أخت حذيفة: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل». وروىٰ ابن ماجه وأبو يعلىٰ والحاكم من حديث أبي سعيد: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون، لقد كان أحدهم يُبتلَىٰ بالفقر حتىٰ ما يجد إلا العباءة يحوِّيها فيلبسها، ويُبتلَىٰ بالقمل حتىٰ يقتله، ولأحدُهم كان أشد فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء»[2] (**كل ذلك نظرًا لهم وامتنانا عليهم ليتوفَّر من الآخرة حظهم، كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويُلزِمه ألم الفصد والحجامة شفقةً عليه وحبًّا له، لا بخلاً عليه**) وذلك لأن نظر الوالد في حقه أتمُّ فيما يؤول إليه من النفع، ونظر الولد قاصر علىٰ اللذة العاجلة (**وقد عرفتَ بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا، وما هو لله فذلك ليس من الدنيا. فإن قلتَ: فما الذي هو لله؟ فأقول: الأشياء ثلاثة أقسام: منها ما لا يُتصوَّر أن يكون لله، وهو الذي يعبَّر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التنعُّمات في المباحات، وهي الدنيا المحضة المذمومة، فهي الدنيا صورةً ومعنًىٰ**) أما صورةً فظاهر، وأما معنىٰ فإنَّ هذه لا يُتقرَّب بها إلىٰ الله تعالىٰ، بل هي تُبعِد عن ساحات رحمته، فليس لها تعلُّق بالآخرة أصلاً (**ومنها ما صورته لله**) تعالىٰ (**ويمكن أن يُجعل لغير الله، وهي ثلاثة: الفكر والذكر**) بالقلب واللسان (**والكف عن الشهوات**) النفسانية (**فإن هذه الثلاث إذا جرت سرًّا**) ولم يطَّلع عليها أحد (**ولم يكن عليها باعث سوىٰ أمر الله واليوم الآخِر فهي لله**) تعالىٰ (**وليست من الدنيا. وإن كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرُّف به وطلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال**) وجمعه (**أو الحمية لصحة البدن أو الاشتهار**) بين

---

(١) في كتاب أخلاق النبوة.

(٢) ستأتي هذه الأحاديث كلها في كتاب التوبة.

الناس (بالزهد) والصلاح (فقد صار هذا من الدنيا بالمعنىٰ وإن كان يُظَن بصورته أنه لله) تعالىٰ (ومنها ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يُجعل معناه لله، وذلك كالأكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده، فإن كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا، وإن كان القصد الاستعانة به علىٰ التقوىٰ فهو لله بمعناه وإن كانت صورته صورة الدنيا. قال ﷺ: مَن طلب الدنيا حلالاً مكاثرًا مفاخرًا لقي اللهَ وهو عليه غضبان، ومَن طلبها استعفافًا عن المسألة وصيانةً لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر) تقدم هذا الحديث في كتاب آداب الكسب، وقد رواه أبو الشيخ في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، ولفظهم: «مَن طلب الدنيا حلالاً استعفافًا عن المسألة وسعيًا علىٰ أهله وتعطُّفًا علىٰ جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر، ومَن طلبها حلالاً مكاثرًا بها مفاخرًا لقي اللهَ عَزَّوَجَلَّ وهو عليه غضبان».

(فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد، فإذًا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة، ويعبَّر عنه بالهوىٰ، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾) [النازعات: ٤٠ - ٤١] فصارت الدنيا طاعة النفس للهوىٰ (ومَجامع الهوىٰ خمسة أمور، وهي ما جمعه الله تعالىٰ في قوله: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠] والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾) [آل عمران: ٤١] وأصل هذا منتزَع من سياق صاحب القوت، فإنه لما ذكر اختلاف الصوفية في ماهية الزهد وتبايُن أقوالهم علىٰ نحو أربعين قولا قال: ونحن - بحمد الله تعالىٰ ونعمته - غير محتاجين إلىٰ أقوالهم بما بيَّن اللهُ تعالىٰ في كتابه المبين الذي جعل فيه الشفاء والغِنىٰ، فهو هدًىٰ للمتقين، وقد قال ﷺ: «هو الحبل

المتين والصراط المستقيم، مَن طلب الهدىٰ في غيره أضلَّه الله». فقد ذكر جلَّ اسمُه في كتابه أن الدنيا سبعة أشياء، وهو قوله: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱلۡحَرۡثِۗ﴾ ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ فوصف حب الشهوات بالتزيُّن، ثم نسَّق الأوصافَ السبعة علىٰ الحب لها، ثم أشار إليها بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ فـ «ذا» إشارة إلىٰ الكاف، والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق، واللام بين «ذا» والكاف للتمكين والتوكيد. فحصل من تدبُّر الخطاب أن هذه السبعة جملة الدنيا، وأن الدنيا هي هذه الأوصاف السبعة، وما تفرَّع من الشهوات رُدَّ إلىٰ أصل من هذه الجمل، فمَن أحب جميعَها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب، ومَن أحب أصلًا منها أو فرعًا من أصل فقد أحب بعضَ الدنيا، فعلمنا بنص الكلام أن الشهوة دنيا، وفهمنا من دليله أن الحاجات ليست بدنيا؛ لأنها تقع ضرورات، فإذا لم تكن الحاجة دنيا دلَّ أنها لا تسمَّىٰ شهوة وإن كانت قد تُشتهَىٰ. ثم سمعناه قد ردَّ هذه الأوصاف السبعة في مكان آخر إلىٰ خمسة معانٍ فقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ﴾ فهذه الخمسة وصفُ مَن أحب تلك السبعةَ. ثم اختصر الخمسة في معنيين هما جامعان للسبعة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾ ثم ردَّ الوصفين إلىٰ وصف واحد عبَّر عنه بمعنيين، فصارت الدنيا ترجع إلىٰ شيئين جامعين مختصرين يصلُح أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا، فالوصف الواحد الذي رُدَّ الاثنين إليه اللذان هما اللعب واللهو هو الهوىٰ اندرجت السبعة فيه فقال تعالىٰ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠﴾ فصارت الدنيا طاعة النفس للهوىٰ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩] فلما كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوىٰ هو الدنيا؛ لأن النهي عنه ضد الإيثار له، فمَن نهىٰ نفسه عن الهوىٰ فإنه لم يؤثر الدنيا، وإذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمَن لم ينهَ نفسه عن الهوىٰ بإيثاره الدنيا، فصارت الدنيا هي طاعة الهوىٰ وإيثاره في كل شيء، فينبغي أن يكون الزهد مخالفة الهوىٰ من كل شيء.

وقال أبو القاسم الراغب في الذريعة[١]: اللذات ثلاث: لذة عقلية وهي التي يختصُّ الإنسان بها كالعلم والحكمة، ولذة بدنية وهي التي يشارك فيها جميعُ الحيوان الإنسانَ كلذة المأكل والمشرب والمَنكح، ولذة مشتركة بين بعض الحيوان وبين الإنسان كلذة الرياسة والغلبة. وجميع اللذات تنقسم عشرة أقسام، ومآلها إلىٰ سبعة، وهي التي ذكرها أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعمار، وقد تقدم ذكرها. ثم قال: والمراد بالنساء اقتناؤهن والاستكثار منهن، وبالبنين الذكور من الأولاد والحفدة والخدم، وبالأنعام الأزواج الثمانية، وبالخيل المسوَّمة السائمة منها والمستعَدَّة.

(فقد عرفتَ أن كل ما هو لله فليس من الدنيا، وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله إن قُصد به وجه الله، والاستكثار منه تنعُّم وهو لغير الله، وبين التنعُّم والضرورة درجة يعبَّر عنها بالحاجة، ولها طرفان وواسطة طرف) منها **(يقرُب من حد الضرورة فلا يضر، فإن الاقتصار علىٰ حد الضرورة غير ممكن)** قال صاحب القوت: وروينا في أخبار إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في قصة تطول قال في آخرها: إن الله عَزَّ وَجَلَّ قال له: لو بخليلك أنزلتَ حاجتك لقضاها – يعني نفسه تعالىٰ – ولم يُعنِتك. وقد كان احتاج، فذهب إلىٰ خليل له يستمنحه شيئًا، فتوارَىٰ عنه، فرجع إبراهيم منكسرًا، فلما قيل له ذلك قال: إلهي، علمتُ مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها فتمقتني. فأوحىٰ الله إليه: أما علمتَ أن الحاجة في الدنيا ليست من الدنيا؟

قال: وروينا مرة أن القوت ليس هو من الدنيا، وقد جاءنا معناه عن نبيِّنا ﷺ قال: «مَن نظر إلىٰ زهرة الدنيا أصبح ممقوتًا في ملكوت السماء، ومَن صبر علىٰ القوت نزل من الفردوس حيث أحب». فدلَّ ذلك علىٰ أن القوت ليس هو من الدنيا؛ لأنه استثناء منها، فمدحه علىٰ الصبر عليه بعد ذمِّها **(وطرف)** آخر **(يزاحم)** أي يقابل **(جانب التنعُّم ويقرُب منه وينبغي أن يُحذَر منه، وبينهما أوساط متشابهة،**

(١) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ٢١٨.

ومَن حام حول الحِمَىٰ يوشك أن يقع فيه) كما ورد ذلك في الخبر، وتقدم في كتاب الحلال والحرام **(والحزم)** كل الحزم **(في الحذر)** من الشبهات **(والتقوىٰ)** فإنها مِلاك الأمور كلها **(والتقرُّب من حد الضرورة ما أمكن اقتداءً بالأنبياء والأولياء عليهم السلام؛ إذ كانوا يردُّون أنفسهم إلىٰ حد الضرورة، حتىٰ إن أُوَيسًا القَرَني)** رحمه الله تعالىٰ، وهو[١] ابن عامر بن جَزْء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عمرو بن عَصْوان بن قَرَن بن رَدْمان بن ناجية بن مراد المرادي القرني، الزاهد المشهور، أدرك النبيَّ ﷺ، وروىٰ عن عمر وعلي، وروىٰ عنه بشير بن عمرو وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ. ذكره ابن سعد[٢] في الطبقة الأولىٰ من تابعي أهل الكوفة وقال: كان ثقة. وذكره البخاري[٣] فقال: في إسناده نظرٌ. قال ابن عدي: ليس له رواية، لكن كان مالك ينكر وجوده، إلا أن شهرته وشهرة أخباره لا تسع أحدًا أن يشك فيه[٤]. وقال عبد الغني بن سعيد[٥]: القَرَني بفتح القاف والراء، هو أويس، أخبر به النبيُّ ﷺ قبل وجوده، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، وكان من خيار المسلمين. وروىٰ ضمرة عن أصبغ بن زيد قال: أسلم أويس علىٰ عهد النبي ﷺ، ولكن منعه من القدوم بره بأمه. وقد روىٰ له مسلم في آخر صحيحه من كلامه، وقُتل بصفين علىٰ الصحيح المشهور **(كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه علىٰ نفسه)** أي في المعيشة **(فبنوا**

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٨٧ - ١٩٠.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٨/ ٢٨١ - ٢٨٥.

(٣) التاريخ الكبير ٢/ ٥٥.

(٤) الذي في الكامل لابن عدي ١/ ٤٠٣ - ٤٠٤ أن الذي كان ينكره هو عمرو بن مرة، فروىٰ عن شعبة قال: قلت لعمرو بن مرة: أخبرني عن أويس هل تعرفونه فيكم؟ قال: لا. وفي رواية أخرىٰ عن شعبة: سألت عمرو بن مرة عن أويس القرني فلم يعرفه. ثم قال ابن عدي: «وليس لأويس من الرواية شيء، وإنما له حكايات ونتف وأخبار في زهده، وقد شك قوم فيه، إلا أنه من شهرته في نفسه وشهرة أخباره لا يجوز أن يُشك فيه، وليس له من الأحاديث إلا القليل فلا يتهيأ أن يحكم عليه بالضعف، بل هو صدوق ثقة في مقدار ما يروىٰ عنه».

(٥) مشتبه النسبة لعبد الغني بن سعيد الأزدي ص ١٥٣ (ط - دار المنتخب العربي ببيروت).

له بيتًا على باب دارهم، فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجهًا، وكان يخرج أول الأذان) ويمكث في مسجد الحي (و) لا **(يأتي منزله)** إلا **(بعد العشاء الآخرة)** فلا يرونه لذلك **(وكان طعامه أن يلتقط)** ما سقط من **(النوى، فكلما أصاب حَشَفة)** محرَّكة: التمر الرديء الذي يُرمَىٰ به **(خبَّأها لإفطاره، وإن لم يُصِب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته، وكان لباسه ما يلتقط من المزابل من قِطَع الأكسية)** التي يرمونها **(فيغسلها في الفُرات)** وهو نهر الكوفة **(ويلفِّق بعضها إلى بعض ثم يلبسها، فكان ذلك لباسه. وكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه)** بالحجارة **(ويظنون أنه مجنون، فيقول لهم: يا إخوتاه، إن كنتم ترمونني ولا بد فارموني بأحجار صغار، فإني أخاف أن تدموا عقبي فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء.**

فهكذا كانت سيرته، ولهذا عظَّم رسولُ الله ﷺ أمره فقال: إني لأجد نَفَس الرحمن من جانب اليمن. إشارة إليه) تقدم في كتاب قواعد العقائد. وروى الطبراني في الكبير[1] من حديث سلمة بن نفيل السكوني: «إني أجد نَفَس الرحمن من ههنا» وأشار إلى اليمن ... الحديث. وليس له غيره. وقد أخرج النسائي[2] بقية الحديث ولم يذكر هذه الجملة، وكذا ابن حبان في الأنواع والتقاسيم[3]. وروى مسلم في صحيحه[4] من حديث أبي نَضْرة عن أُسَير بن جابر عن عمر ابن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر». وفي رواية له: «فمَن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم». وله من طريق قتادة عن زُرارة عن أسير بن جابر، وفيها قول عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن، ثم من مراد، ثم من قَرَن، كان به بَرَص فبرأ منه إلا موضع

(١) المعجم الكبير ٧/ ٦٠.
(٢) سنن النسائي ص ٥٥٤ - ٥٥٥.
(٣) صحيح ابن حبان ١٥/ ١٨٠ مختصرا.
(٤) صحيح مسلم ٢/ ١١٨٣ - ١١٨٤.

درهم، له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم علىٰ الله لأبَرَّه، فإن استطعتَ أن يستغفر لك فافعل ...» الحديث. ورواه كذلك ابن سعد والعقيلي[(١)] وأحمد[(٢)] والحاكم[(٣)] مختصرًا. ورواه البيهقي[(٤)] وأبو نعيم في الدلائل وفي الحلية[(٥)] من هذا الوجه مطولاً، وهو ما ذكره المصنف بقوله: (**ولما ولي عمر** رضي الله عنه **الخلافة قال: أيها الناس، من كان منكم من العراق فليقُم. قال: فقاموا، فقال: اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة. فجلسوا، فقال: اجلسوا إلا من كان من مراد**) وهي قبيلة من اليمن (**فجلسوا، فقال: اجلسوا إلا من كان من قَرَن**) محرَّكة، وهي قبيلة من مراد (**فجلسوا كلهم إلا رجلاً واحدًا، فقال له عمر: أقرنيٌّ أنت؟ فقال: نعم. فقال: أتعرف أويس بن عامر القرني؟ فوصفه له**) بوصفه الذي أخبره به ﷺ (**فقال: نعم، وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين؟ واللهِ ما فينا أحمق منه، ولا أجن منه، ولا أوحش منه، ولا أدنىٰ منه**) أي أحقر. وقد رواه ابن منده[(٦)] من طريق سعد بن الصلت عن مبارك بن فضالة عن مروان الأصفر عن صعصعة بن معاوية قال: كان عمر يسأل وفد أهل الكوفة إذا قدموا عليه: تعرفون أويس بن عامر القرني؟ فيقولون: لا ... فذكر نحوه. ورواه هُدْبة بن خالد عن مبارك فقال: عن أبي الأصفر، بدل: مروان الأصفر، أخرجه أبو يعلىٰ[(٧)]. وروىٰ الروياني في مسنده[(٨)] من طريق نوفل بن عبد الله عن الضحَّاك عن أبي هريرة ... فذكر حديثًا في وصف الأتقياء الأصفياء، قال: قلنا: يا رسول الله، كيف لنا برجل منهم؟ قال: «ذاك أويس ...» وساق الحديث في توصية النبي ﷺ عليًا وعمر إذا

---

(١) الضعفاء الكبير ١/ ١٥٣ - ١٥٥.

(٢) مسند أحمد ١/ ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٤٩٥ - ٤٩٦.

(٤) دلائل النبوة ٦/ ٣٧٥ - ٣٧٨.

(٥) حلية الأولياء ٢/ ٧٩ - ٨٠.

(٦) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٤١٩ - ٤٢٠.

(٧) مسند أبي يعلىٰ ١/ ١٨٧ - ١٨٨.

(٨) وكذلك أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٨١ - ٨٣.

لقياه أن يستغفر لهما، وفيه قصة طلب عمر إياه (**فبكىٰ عمر ثم قال: ما قلتُ ما قلت إلا لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدخل الجنة بشفاعته مثل ربيعة ومُضَر**) قال العراقي[1]: رويناه في جزء ابن السمَّاك من حديث أبي أمامة: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمَّتي أكثر من ربيعة ومضر». وإسناده حسن، وليس فيه ذِكر لأويس، بل في آخره: فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان.

قلت: ما ذكره المصنف رواه ابن أبي شيبة[2] والحاكم[3] والبيهقي وابن عساكر[4] من حديث الحسن مرسلاً: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر». قال الحسن: هو أويس القرني.

وروىٰ ابن عساكر[5] من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر رفعه: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي يقال له أويس فئام من الناس».

وروىٰ البيهقي في الدلائل من طريق الثقفي عن خالد عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن أبي الجذعاء رفعه قال: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم». قال الثقفي: قال هشام بن حسان: كان الحسن يقول: هو أويس القرني. وقد رواه الترمذي[6] وقال: حديث حسن صحيح غريب. ورواه أيضًا الحاكم[7]. وليس لعبد الله بن أبي الجذعاء غير هذا الحديث. ورواه ابن عساكر[8]

(١) المغني ٢/ ٨٨٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٥٤٢.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٤٩٧.

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٤٣٨ - ٤٣٩.

(٥) السابق ٩/ ٤٣٨.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٢٣٣.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٥٠٠.

(٨) تاريخ دمشق ٩/ ٤٣٨.

من حديث ابن عباس. ورواه أبو نعيم في الحلية[١] وابن عساكر[٢] أيضًا من حديث واثلة بن الأسقع.

وأما حديث أبي أمامة الذي ذكره العراقي فأورده الذهبي في كتاب «التبيان في سيرة أمير المؤمنين عثمان»، وهو عندي بخطه، ما نصه: شَبابة بن سَوَّار وغيره، حدثنا حَريز بن عثمان، عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن عبيد الرحبي، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيَّين ربيعة ومضر». فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان رضي الله عنه[٣]. هذا حديث صالح السند غريب.

قلت: رواه الطبراني في الكبير[٤]، وفيه زيادة، ولفظه: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد مضر، ويشفع الرجل في أهل بيته، ويشفع علىٰ قدر عمله». ورواه أحمد[٥] والطبراني أيضًا والضياء بلفظ: «ليدخلَنَّ الجنة بشفاعة رجل ليس بنبيٍّ مثل الحيين - أو مثل أحد الحيين - ربيعة ومضر، إنما أقول ما أقول».

ثم قال الذهبي في الكتاب المذكور: ويُروَىٰ بإسناد لا يصح عن ابن عباس مرفوعًا: «ليدخلنَّ بشفاعة عثمان الجنة سبعون ألفًا».

قلت: رواه ابن عساكر[٦] بلفظ: «ليدخلنَّ بشفاعة عثمان سبعون ألفًا كلهم قد استوجبوا النار الجنة بغير حساب».

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٥.

(٢) تاريخ دمشق ٩/ ٤٤١.

(٣) هكذا رواه أبو الحسن ابن مخلد البزار البغدادي في جزئه ص ٢٤٣ [ضمن مجموع أجزاء حديثية] ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ١٢٢.

(٤) المعجم الكبير ٨/ ٣٣٠.

(٥) مسند أحمد ٣٦/ ٥٤٧، ٥٨٨، ٦٣٣.

(٦) تاريخ دمشق ٣٩/ ١٢٢ - ١٢٣.

وروىٰ ابن عساكر[١] أيضًا من حديث الحسن مرسلاً: «ليدخلَنَّ الجنة بشفاعة رجل من أمتي عدد ربيعة ومُضَر». قيل: مَن هو يا رسول الله. قال: «عثمان بن عفان».

ثم قال الذهبي في الكتاب المذكور: الثوري ويزيد بن زريع عن خالد الحَذَّاء عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: جلست إلىٰ نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم ابن أبي الجذعاء، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلنَّ الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم». قالوا: سواك يا رسول الله؟ قال: «سواي». وزاد يزيد عن الحَذَّاء في حديثه قال: أظن الرجل عثمان. ولم يسمِّ يزيدُ في حديثه ابنَ أبي الجدعاء، بل قال: رجل[٢].

(**فقال هَرِم بن حَيَّان**) العبدي[٣]، قال ابن عبد البر[٤]: هو من صغار الصحابة. وعدَّه ابن أبي حاتم في الزهَّاد الثمانية من كبار التابعين. وقال ابن سعد[٥]: ثقة، له فضل. وكان علىٰ عبد القيس في الفتوح. وقال ابن حبان[٦]: أدرك عمر، ووليَ الولايات في خلافته. وفي الزهد[٧] لأحمد: أنه كان يصحب حُمَمة الدوسي، وحممة مات في خلافة عثمان. وفيه أيضًا: حدثنا محمد بن مصعب، سمعت مخلدًا – هو ابن الحسين – ذكر عن هشام – يعني ابن حسان – عن الحسن أن هرمًا مات في غزاة له في يوم صائف، فلما فُرِغ من دفنه جاءت سحابة حتىٰ كانت حيال القبر، فرشَّت القبر حتىٰ روي لا تجاوزه قطرة، ثم عادت عَوْدها علىٰ بدئها. وكذا رواه

---

(١) السابق ٣٩/ ١٢٤.

(٢) هكذا رواه من الطريقين ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٩/ ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ١٠/ ٢٤٠ - ٢٤١. المقاصد الحسنة ص ٤٥٦.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٣٢١.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ٩/ ١٣١.

(٦) الثقات ٥/ ٥١٣.

(٧) الزهد ص ١٨٧ - ١٨٩.

ابنه عبد الله في زوائده من طريق أبي جعفر الطَّبَّاع عن مخلد. وأخرجه سنيد بن داود عن مخلد به. وفي لفظ لأبي نعيم في الحلية[1]: مات هرم في يوم صائف شديد الحر، فلما نفضوا أيديهم من قبره جاءت سحابة تسير حتىٰ قامت علىٰ قبره، فلم تكن أطول منه ولا أقصر منه، رشَّته حتىٰ روتْه ثم انصرفت. وفي لفظ آخر: لما مات جاءت سحابة فظلَّلت سريره، فلما دُفن رشَّت علىٰ القبر، فما أصابت حول القبر شيئًا. وله أيضًا من طريق السري بن يحيىٰ عن قتادة قال: مُطر قبر هرم من يومه، وأنبت العشب من يومه **(لما سمعتُ هذا القول من عمر بن الخطاب)** رضي الله عنه **(قدمت الكوفة، فلم يكن لي همٌّ إلا أن أطلب أويسًا القرني وأسأل عنه، حتىٰ سقطت عليه جالسًا علىٰ شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه. قال: فعرفتُه بالنعت الذي نُعت لي، فإذا رجل لحيم، شديد الأَدَمة، محلوق الرأس، كث اللحية، متغيِّر جدًّا، كريه الوجه، متهيب المنظر. قال: فسلَّمت عليه، فردَّ عليَّ السلام ونظر إليَّ، فقلت: حيَّاك الله من رجل. ومددت يدي لأصافحه، فأبىٰ أن يصافحني، فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك، كيف أنت رحمك الله؟ ثم خنقتني العَبرة من حبي إياه ورقَّتي عليه؛ إذ رأيت من حاله ما رأيت حتىٰ بكيت وبكىٰ، فقال: وأنت فحيَّاك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخي؟ مَن دلَّك عليَّ؟ قال: قلت: الله)** عز وجل **(فقال: لا إله إلا الله، سبحان الله، إن كان وعد ربنا لَمفعولاً. قال: فتعجَّبت حين عرفني، ولا واللهِ ما رأيته قبل ذلك ولا رآني، فقلت: من أين عرفتَ اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ فقال: نبَّأني العليم الخبير، وعرفت روحي روحك حين كلَّمتْ نفسي نفسك، إن الأرواح لها أنفُس كأنفُس الأجساد، وإن المؤمنين لَيعرفُ بعضهم بعضًا ويتحابُّون بروح الله وإن لم يلتقوا)** بالأبدان **(يتعارفون ويتكلمون وإن نأتْ)** أي بعدت **(بهم الدارُ وتفرَّقت بهم المنازل)** وقد ورد: «الأرواح أجناد مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكَرَ منها اختلف». وورد أيضًا: «إن الأرواح لَتشامُّ كما تشام الخيلُ». وكل ذلك تقدَّم في كتاب آداب الصحبة والأخوَّة **(قال:**

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٢٢.

قلت: حدِّثْني رحمك الله عن رسول الله ﷺ بحديث أسمعه منك. قال: إني لم أدرك رسول الله ﷺ ولم تكن لي معه صحبة بأبي وأمي) أفدي (رسولَ الله ﷺ، ولكن رأيت رجالاً قد صحبوه، وبلغني من حديثه نحو ما بلغك، ولستُ أحب أن أفتح هذا الباب علىٰ نفسي أن أكون محدِّثًا أو مفتيًا أو قاضيًا، في نفسي شغلٌ عن الناس يا هرم بن حيان. فقلت: يا أخي، اقرأ عليَّ آية من القرآن أسمعها منك، وادْعُ لي بدعوات، وأوصني بوصية أحفظها عنك، فإني أحبك في الله حبًّا شديدًا. قال: فقام وأخذ بيدي علىٰ شاطئ الفرات ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. ثم بكىٰ، ثم قال: قال ربي، والحق قول ربي، وأصدق الحديث حديثه، وأصدق الكلام كلامه. ثم قرأ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ [الدخان: ٣٨ - ٤٢] فشهق شهقة ظننت أنه قد غشي عليه، ثم قال: يا ابن حيان، مات أبوك حيان، ويوشك أن تموت، فإما إلىٰ الجنة وإما إلىٰ النار، ومات أبوك آدم، وماتت أمك حواء، ومات نوح، ومات إبراهيم خليل الرحمن، ومات موسىٰ نجيُّ الرحمن، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ رسول رب العالمين، ومات أبو بكر خليفة المسلمين، ومات عمر بن الخطاب أخي وصفيي، ثم قال: يا عمراه! يا عمراه! قال: فقلت: رحمك الله، إن عمر لم يمُتْ) بعدُ (فقال: فقد نعاه إليَّ ربي، ونعىٰ إليَّ نفسي. ثم قال: أنا وأنت في الموتىٰ كأنه قد كان. ثم صلىٰ علىٰ النبي ﷺ، ثم دعا بدعوات خفيفات، ثم قال: هذه وصيَّتي إياك يا هرم بن حيان، كتاب الله ونهج الصالحين المؤمنين، فقد نُعيتْ إليَّ نفسي ونفسك، عليك بذكر الموت، لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيتَ، وأنذِرْ قومك إذا رجعتَ إليهم) أي لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢] أي حذِّرْهم من عقاب الله تعالىٰ (وانصح للأمَّة جميعًا) أي للخاصة والعامة، فقد ورد: «الدين النصيحة» (وإياك أن تفارق الجماعة) أي جماعة المسلمين (قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة) فقد ورد: «مَن فارق الجماعةَ

شبرًا فقد فارق الإسلام». وفي لفظ: «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». وفي لفظ: «فهو في النار» (**ادْعُ لي ولنفسك. ثم قال: اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك، فعرِّفْني وجهه في الجنة، وأدخِلْه عليَّ في دارك دار السلام، واحفظه ما دام في الدنيا حيًّا حيثما كان، وضُمَّ عليه ضيعته**) أي ما يخاف عليه الضياع من عقار أو حرفة أو صناعة (**وأرْضِه من الدنيا باليسير**) أي بالقليل مما يكف به وجهه (**وما أعطيته من الدنيا فيسِّرْه له تيسيرًا، واجعله لما أعطيتَه من نعمائك من الشاكرين، واجزِه عني خير الجزاء. ثم قال: أستودعك الله يا هرم بن حيان، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني، فإني أكره الشهرة**) بين الناس (**والوحدة أعجب إليَّ، إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيًّا، فلا تسأل عني، ولا تطلبني، واعلمْ أنك مني علىٰ بال وإن لم أرَك وإن لم ترني، فاذكرني وادْعُ لي، فإني سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله تعالىٰ، انطلقْ أنت ههنا حتىٰ أنطلق أنا ههنا. فحرصت أن أمشي معه ساعةً فأبىٰ عليَّ، وفارقته، فبكىٰ وأبكاني، وجعلت أنظر في قفاه حتىٰ دخل بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحدًا يخبرني عنه بشيء، رحمه الله تعالىٰ وغفر له**) هكذا أخرج هذه القصة بطولها أبو نعيم في الحلية[1].

وأخرج الحاكم[2] من طريق ابن المبارك، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن الجريري، عن أبي نضرة العبدي، عن أسير بن جابر قال: قال لي صاحب لي وأنا بالكوفة: هل لك في رجل تنظر إليه؟ ... فذكر قصة أويس، وفيها: فتنحَّىٰ إلىٰ سارية فصلىٰ ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: ما لكم ولي تطأون عقبي وأنا إنسان ضعيف تكون لي الحاجة ولا أقدر عليها معكم؟ لا تفعلوا رحمكم الله، من كانت له إليَّ حاجة فليلقني بعشاء. ثم قال: إن هذا المجلس يغشاه ثلاثة نفر: مؤمن فقيه،

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٨٤ - ٨٦. وهو في تاريخ دمشق كما في المصنف ٩/ ٤٣٢ - ٤٣٤.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٣١ - ٤٣٢.

ومؤمن لم يتفقَّه، ومنافق، وذلك في الدنيا مثل الغيث [ينزل من السماء إلىٰ الأرض] فيصيب الشجرة المونقة المثمرة فتزداد حسنًا وإيناعًا وطِيبًا، ويصيب الشجرة غير المثمرة فيزداد ورقها حسنًا وتكون لها ثمرة، ويصيب الهشيمَ من الشجر فيحطمه. ثم قرأ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢] اللهم ارزقني شهادة توجب لي الحياة والرزق. وإسناده صحيح.

وأخرج أحمد في الزهد[1] عن عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن أشعث ابن سَوَّار، عن محارب بن دثار رفعه: «إن من أمَّتي من لا يستطيع أن يأتي مسجده أو مصلاَّه من العري، يحجزه إيمانه أن يسأل الناس، منهم أويس القرني وفرات ابن حيَّان».

(**فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا، وقد عرفتَ ممَّا سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا: كل ما أظلَّته الخضراء**) أي السماء، سُمِّيت بها لخضرة لونها عند النظر إليها (**وأقلَّته**) أي حملتْه (**الغبراء**) أي الأرض، سُمِّيت [بذلك] لاغبرارها (**إلا ما كان لله عَزَّوَجَلَّ من ذلك، وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريدَ به الله تعالىٰ مما يؤخَذ بقدر الضرورة**) الحاقة (**من الدنيا لأجل قوة طاعة الله تعالىٰ**) والتبلُّغ به إليها (**فذلك ليس من الدنيا**) أي ليس محسوبًا منها (**ويتبيَّن هذا بمثال**) يُذكَر (**وهو أن الحاج**) إلىٰ بيت الله الحرام (**إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير**) أمور (**الحج بل يتجرَّد له، ثم اشتغل بحفظ الزاد**) الذي يتقوَّت به (**وعلفِ الجمل**) الذي يركبه (**وخرز الراوية**) أي القِربة التي يشرب منها (**وكل ما لا بد للحج منه، لم يحنث في يمينه، ولم يكن مشغولاً بغير الحج**) فهو صادق في يمينه (**فكذلك البدن مَركب النفس، يقطع بها مسافة العمر**) أي مدَّته (**فتعهُّدُ البدن**) أي محافظته (**بما تبقىٰ به قوَّته علىٰ سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا. نعم، إذا قصد تلذُّذ البدن وتنعُّمه**

---

(١) الزهد ص ١٤، ٢٧٧.

بشيء من هذه الأسباب كان منحرفًا عن الآخرة ويُخشىٰ علىٰ قلبه) إحداث **(القسوة)** فيه بسبب ركونه إلىٰ ذلك مع قصد التنعُّم **(قال الطنافسي)** وهو[1] محمد بن عبيد بن أبي أمية الكوفي الأحدب الثقة، مات سنة أربع ومائتين، روىٰ له الجماعة **(كنت علىٰ باب بني شيبة في المسجد الحرام)** وهو أحد أبوابه المشهورة **(سبعة أيام طاويًا)** علىٰ الجوع **(فسمعتُ في الليلة الثامنة مناديًا وأنا بين اليقظة والنوم: ألا مَن أخذ من الدنيا أكثر ممَّا يحتاج إليه أعمىٰ الله عين قلبه)** وقد ورد معنىٰ ذلك في بعض الأخبار، والمراد بعين القلب: البصيرة.

(فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقِّك) فتأملْ في معناها **(فاعلمْ ذلك ترشد إن شاء الله تعالىٰ)**.

---

(١) تقريب التهذيب ص ٨٧٥.

بيان ماهية الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هِمَم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ (أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة، وللإنسان فيها حظ) ونصيب (وله في إصلاحها شغلٌ، فهذه ثلاثة أمور، وقد يُظَن أن الدنيا عبارة عن آحادها، وليس كذلك) بل هي عبارة عن مجموعها (أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾) من أعيان ونبات ومعادن (﴿ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ ﴾) أي نختبرهم (﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾) [الكهف: ٧] أي أكثر زهدًا فيها. رواه ابن أبي حاتم عن الثوري[١] (فالأرض فِراش الآدميين ومِهاد ومسكن ومستقَر) وكل ذلك بنص الآيات الواردة فيه (وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير[٢] وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ قال: ما عليها من شيء (ويجمع ما علىٰ الأرض ثلاثةُ أقسام: المعادن والنبات والحيوان. أما النبات فيطلبه الآدمي للاقتيات وللتداوي) أي منه ما هو للقوت خاصةً وهو أنواع الحبوب، ومنه ما هو للتداوي وهو أنواع الحشائش (وأما المعادن فيطلبها الآدمي للآلات والأواني) أي لاتخاذها (كالنُّحاس) بنوعيه الأحمر والأصفر (والرصاص) والقلعي وغيرها (وللنقد كالذهب والفضة) فإذا أُطلِق النقدان في عبارة الفقهاء فإنما يُراد بهما إياهما (ولغير ذلك من المقاصد. وأما الحيوان فينقسم إلىٰ الإنسان والبهائم، أما البهائم فتُطلَب لحومها للمآكل،

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٩/ ٤٨٦.

(٢) جامع البيان ١٥/ ١٥٢.

وظهورها للمركب) قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ [الأنعام: ١٤٢] فالحمولة: ما يُحمَل عليها، والفرش: ما يُفرَش للذبح (والزينة) قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨] **(وأما الإنسان فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان)** شراءً بملك اليمين أو استئجارًا **(أو ليتمتَّع بهم كالجواري)** بملك اليمين **(والنسوان)** بعقد النكاح **(ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام، وهو الذي يعبَّر عنه بالجاه؛ إذ معنىٰ الجاه: ملك قلوب الآدميين. فهذه هي الأعيان التي يعبَّر عنها بالدنيا، وقد جمعها الله تعالىٰ في قوله:** ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ **وهذا من الإنسان)** والمراد بالبنين: الأولاد الذكور والحفدة (﴿ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ **وهذا من الجواهر والمعادن، وفيه تنبيه علىٰ غيرها من اللآلئ واليواقيت وغيرها)** من أنوع الحلي كالماس والزمرُّذ والبلخش والعقيق (﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾) أي المعلَّمة السائمة منها والمستعَدَّة (﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ **وهي البهائم والحيوانات)** وهي الأزواج الثمانية المذكورة في القرآن (﴿وَٱلْحَرْثِ﴾ **وهو النبات والزرع. فهذه هي أعيان الدنيا. إلا أن لها مع العبد علاقتين: علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همِّه إليها حتىٰ يصير قلبه كالعبد)** المذلَّل **(أو المحب المستهتر بالدنيا، ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر، وهذه هي الدنيا الباطنة، وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها. والعلاقة الثانية مع البدن، وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلُح لحظوظه وحظوظ غيره، وهي جملة الصناعات والحِرَف)** بأنواعها **(التي الخلق مشغولون بها)** ملتفتون إليها **(والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين: علاقة القلب بالحب، وعلاقة البدن بالشغل، ولو عرف نفسه وعرف ربَّه وعرف حكمة الدنيا وسرها)** وأنها لماذا خُلقت

ولماذا خُلق هو (**علم أن هذه الأعيان التي سمَّيناها دنيا لم تُخلَق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلىٰ الله تعالىٰ، وأعني بالدابة: البدن، فإنه**) أي البدن (**لا يبقىٰ**) أي لا يوصف بالبقاء والمتعة (**إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن**) وهي ضرورات في حفظ البدن (**كما لا يبقىٰ الجمل في طريق الحج إلا بعلف وماء وجِلال**) جمع جُل بالضم وهو ما يقي ظهرَه لئلا ينقبه الرحلُ (**ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده**) الذي هو متوجِّه إليه (**مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهَّدها**) بالخدمة (**وينظفها ويكسوها ألوان الثياب**) المزخرفة (**ويحمل إليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج**) لم يزل مشغولاً بذلك (**حتىٰ تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع**) تفرسه (**هو وناقته**) أو نهبة للعربان يستفردونه فيأخذونه مع ناقته كالأسير إن لم يقتلوه (**والحاج البصير**) العاقل (**لا يهمه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوَىٰ به علىٰ المشي فيتعهَّده**) ويُصلِح شأنه (**وقلبه إلىٰ الكعبة والحج، وإنما يلتفت إلىٰ الناقة بقدر الضرورة**) والحاجة (**وكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهُّد البدن إلا بالضرورة**) بل يتناول ما يتناوله تناوُل مفطر عالم بقذارة مآله (**كما لا يدخل بيت الماء إلا بالضرورة، ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجه من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن، ومَن همتُه ما يدخل بطنه**) أي مَن شغل همتَه في إصلاح ما يدخل بطنه (**فقيمته ما يخرج من بطنه**) فأخسِسْ بهذه اللقمة التي قيمتها ذلك، فحققه[1] أن يعلم أن نسبة الإنسان إلىٰ الثمار والفواكه نسبة الجُعل إلىٰ الروث، فلو نطق الشجر لقال لك: أنت تأكل فضالتي كما يأكل الجعل فضالتك. والخنزير إذا استطاب لفاظة الإنسان فما هو إلا كاستطابتنا لفاظة الشجر، وبهذا يُعلَم أن شرف المطعم والمشرب بالإضافة لا بالإطلاق (**وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالىٰ هو البطن**) ولذا قيل: إن البطن عدو الإنسان (**فإن القوت**) أمر (**ضروري**) فإنه لا قوام له في الدنيا إلا به (**وأمر المسكن والملبس أهون**) من أمر

---

(١) الذريعة للراغب ص ٢١٩.

القوت (ولو عرفوا سبب الحاجة إلىٰ هذه الأمور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغالُ الدنيا) أي لم تستولِ عليهم (وإنما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها، ولكنهم جهلوا وغفلوا، وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض، فتداعت إلىٰ غير نهاية محدودة، فتاهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقصودها، ونحن نذكر) الآن (تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتىٰ يتضح لك أن أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله، وكيف أنستهم عاقبة أمورهم، فنقول: الأشغال الدنيوية هي الحِرَف والصناعات والأعمال التي ترىٰ الخلق منكبِّين عليها) يقال: أكبَّ علىٰ كذا: إذا لازَمَ عليه (وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلىٰ ثلاث: القوت والمسكن الملبس، فالقوت للغذاء والبقاء) أي بقاء البدن علىٰ اعتداله (والملبس لدفع الحر والبرد، والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال، ولم يخلق الله القوت والملبس والمسكن مصلَحًا بحيث يستغني عن صنعة الإنسان فيه. نعم، خلق ذلك للبهائم، فإن النبات يغذِّي الحيوان من غير طبخ، والحر والبرد لا يؤثِّر) كلٌّ منهما (في بدنه فيستغني عن البناء) أي المسكن (ويَقنع بالصحراء) صيفًا وشتاء (ولباسها شعورها وجلودها فتستغني عن اللباس، والإنسان ليس كذلك، فحدثت الحاجة لذلك إلىٰ خمس صناعات) لا قوام للعالَم دونها (هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء) وعدَّ أبو القاسم الراغب في الذريعة(١) الأصول أربعة، فذكر الفلاحة والحياكة والبناء، وزاد السياسة، وجعل الرعاية من المرشحات، ولم يذكر الاقتناص (أما البناء فللمسكن) أي لأجل تهيئة الموضع الذي يسكن فيه، فمحترفه يقال له: البنَّاء (والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس) ومحترفها يقال له: الحائك والنسَّاج (والفلاحة للمطعم) ومحترفها يقال له: الفلاح والزارع (والرعاية للمواشي) يتعهَّدها بالإطعام والاستقاء وغيرهما، ومحترفها يقال له

(١) السابق ص ٢٧١.

الراعي، وراعي الجواميس بالخصوص يقال له: الجميسي **(والخيل أيضًا للمطعم والمركب. والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب)** وهذا اصطلاح خاص، وإلا فالمقتنص في العرف هو الذي يصطاد حيوانات البر كالقنيص والقانص، كما أن الصائد والصياد له وللذي يصطاد الطيور وحيوانات البحر، ومَن يستخرج معادن البحر يقال له: الغطَّاس، ومعادن البر يقال له: النابل، ومن يقطع الحشيش يقال له: الحَشَّاش، ومتطلِّب الحطب من البراري والفيافي يقال له: الحطَّاب. فهذه اصطلاحات عرفية، والمصنف جعل الاقتناص لفظًا شاملاً للكل **(فالفلاح يحصِّل النبات، والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها، والمقتنص يحصِّل ما نبت)** في الأرض **(ونتج بنفسه من غير صنع آدمي، وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خُلق فيها من غير صنع آدمي، ونعني بالاقتناص ذلك)** ولا مشاحَّة في الاصطلاح **(وتدخل تحته صناعات وأشغال عدة)** هي كالخادمة لها **(ثم هذه الصناعت تفتقر إلىٰ أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص)** فإنَّ كلاًّ منها يحتاج إلىٰ ما ذُكر **(والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب، أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما، أو من جلود الحيوانات، فحدثت الحاجة إلىٰ ثلاثة أنواع أُخَر من الصناعات: النِّجارة والحِدادة)** بكسرهما **(والخرز. وهؤلاء هم عمَّال الآلات. ونعني بالنجار: كل عامل في الخشب كيفما كان، وبالحداد: كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتىٰ النحاس والإبري وغيرهما)** الذي يشتغل بالإبر في الخياطة وغيرها، وهذا أيضًا اصطلاح خاص؛ إذ المعروف أن الحداد كل عامل في جنس الحديد خاصةً، وأما عامل بقية المعادن فلكلٍّ اسمٌ خاص، ففي النُّحاس: نَحَّاس، وفي الرصاص: رَصَّاص، وفي القلعي: سمكري. وقِسْ علىٰ ذلك، فهي صناعات مختلفة لا يدخل بعضها علىٰ بعض **(وغرضنا ذِكر الأجناس، وأما آحاد الحِرَف فكثيرة)** لا تُحصَر **(وأما الخرَّاز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها)** وتحته النَّعَّال والقَرَّاب والدبَّاغ والسروجي وغيرهم

(**فهذه أمَّهات الصناعات**) المحتاج إليها، وما[1] عداها فإنها مرشحة لكل واحد وخادمة له، كالحدادة للزراعة [والحلاجة والغِزالة للحياكة. أو ثمرة لكل واحد من ذلك ومزيِّنة له، كالطحانة والخبازة للزراعة] وكالقصارة والخياطة للحياكة، ومثل ذلك بالإضافة إلىٰ العالَم مثل أجزاء الشخص إلىٰ الشخص سواءً بسواء، فإنها علىٰ ثلاثة أضرُب: إما أصول كالقلب والكبد والدماغ، وإما مرشحة لتلك الأصول وخادمة كالمعدة والعروق والشرايين، وإما مكمِّلة لها ومزيِّنة كاليد والحاجب.

وأما بيان شرف هذه الصناعات مع بعضها فقد تقدمت الإشارة إليه في كتاب العلم.

(**ثم إن الإنسان خُلق**) مدنيًا بالطبع (**بحيث لا يعيش وحده، بل يضطر إلىٰ الاجتماع مع غيره من جنسه**) ليحصِّل[2] لنفسه أدنىٰ ما يحتاج إليه بمعاونة غيره له، وعليه نبَّه النبيُّ ﷺ بقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا». وبقوله: «مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا تألَّم بعضه تداعَىٰ سائرُه [بالسهر والحمَّىٰ]». وقيل: الناس كجسد واحد، متىٰ عاون بعضه بعضًا استقلَّ، ومتىٰ خذل بعضه بعضًا اختلَّ (**وذلك لسببين، أحدهما: حاجته إلىٰ النسل لبقاء جنس الإنسان، ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والأنثىٰ وعشرتهما**) فصار ذلك ضروريًّا ومما لا بد منه (**والثاني: التعاون علىٰ تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد، فإن الاجتماع**) بين الذكر والأنثىٰ (**يفضي إلىٰ**) حدوث (**الولد لا محالة، و**) معلوم أن (**الواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت.**

ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد في المنزل، بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفَّل كل واحد بصناعة) هي له متظاهرين

---

(١) السابق ص ٢٧١.

(٢) السابق ص ٢٦٥.

متعاونين (**فإن الشخص الواحد كيف يتولّىٰ الفلاحة وحده وهو يحتاج إلىٰ آلاتها**) وأعظمها الثوران والفَدَّان، فالثوران يحتاجان إلىٰ رعايتهما وتعهُّدهما، والفدان يحتاج إلىٰ خشب وحديد وحبال (**وتحتاج**) هذه (**الآلة إلىٰ حدَّاد ونجار**) وحبَّال، فالنجار يقطع الخشب ويصلحه، والحداد يُصلِح المسامير، والحبَّال يفتل الحبل الذي به يربط بعضه مع بعض (**ويحتاج الطعام إلىٰ**) دائس وذَرَّاء ومنقٍّ ومغربِل، ثم إلىٰ (**طحَّان**) يطحنه إما برحىٰ فبيديه أو طحن الطاحون فبالبهائم، والبهائم تحتاج إلىٰ رعاية وتعهُّد، ثم الدقيق المطحون إذا حضر احتاج بعد نخله إلىٰ عجَّان، والعجن يحتاج إلىٰ ظرف، وذلك الظرف إما من المعادن فاحتاج إلىٰ حداد ونحَّاس وصَفَّار، وإما من الخزف فاحتاج إلىٰ خزَّاف (**و**) إلىٰ (**خبَّاز**) والخباز يحتاج إلىٰ الوقيد والوقاد (**وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر إلىٰ حراسة القطن**) والحراثة تحتاج إلىٰ آلاتها (**وآلات الحياكة**) كالنول والبكرات والمناسج والشيوخ والسفينة والمغازل وغيرها (**و**) آلات (**الخياطة**) كالإبر والمقص والذراع والخيط والاسفيداج وغيرها مما يحتاج إليه الخيَّاط (**وأعمال كثيرة**) غير ما ذُكر (**فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده، وحدثت الحاجة إلىٰ الاجتماع**) والتعاون.

(**ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة**) تحت السماء (**لتادوا**) أي هلكوا[1]. وفي نسخة: لتأذَّوا (**بالحر**) في الصيف (**والبرد**) في الشتاء (**والمطر واللصوص**) بالليالي عند اشتغالهم بالنوم (**فافتقروا إلىٰ أبنية مُحكَمة ومنازل**) محدودة (**ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات**) المحتاج إليها (**والأثاث**) والأمتعة (**والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر**) بالاستكنان فيها (**وتدفع**) أيضًا (**أذىٰ الجيران من اللصوصية وغيرها، ولكن المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص**) متظاهرين مع البعض (**خارج المنازل، فافتقر أهل المنازل إلىٰ التناصر والتعاون والتحصُّن بسور يحيط بجميع المنازل، فحدثت البلاد لهذه الضرورة**) فالبلد: كل مجتمع

---

(١) كذا، وكأن الناسخ سهىٰ أن يضع النقطة فوق الدال.

قوم يحيط به سور (**ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد**) لا محالة أن يتعاملوا في أمور معايشهم، فإذا (**تعاملوا تولَّدت بينهم**) لا محالة (**خصومات**) ومنازعات ومشابكات بحكم ما جُبل عليه الإنسان من الحرص والشُّح والحسد (**إذ تحدث رياسة وولاية للزوج علىٰ الزوجة**) بحكم قيامه عليها (و) تحدث (**ولاية للأبوين علىٰ الولد؛ لأنه ضعيف محتاج إلىٰ قوام به، ومهما حصلت الولاية علىٰ عاقل**) كالزوجة والولد والرقيق والأجير (**أفضىٰ**) الحال (**إلىٰ الخصومة، بخلاف الولاية علىٰ البهائم؛ إذ ليس لها قوة المخاصمة وإن ظُلمت**) لكونها خرساء (**فأما المرأة فتخاصم الزوج، والولد يخاصم الأبوين**) وكذا الرقيق والأجير (**هذا في المنزل، فأما أهل البلد أيضًا فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها، ولو تُركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا، وكذلك الرعاة**) للمواشي (**وأرباب الفلاحة**) يضطرون في أحوالهم أن يبعدوا في المراعي حيث مساقط الغيث، ويتقرَّبون إلىٰ المواضع القريبة من المياه لمصلحة المواشي، فإذا بعدوا تعسر عليهم إراحة المواشي إلىٰ المنازل التي فيها أربابها، فحدثت الحاجة إلىٰ بناء كفور وأحياء وأحماء، فيريحون فيها المواشي ويبيتون بها معهم مع تلك الآلات التي يحتاجون إليها في الحراثة؛ ليكون غدوُّهم ورواحهم قريبًا من مواضع حاجاتهم، ثم إنهم (**يتواردون علىٰ المراعي والأرضين والمياه، وهي لا تفي بأغراضهم، فيتنازعون لا محالة.**

ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمىٰ أو مرض أو هِرَم) أي كبر سن (**وتعرض عوارض مختلفة، ولو تُرك ضائعًا لهلك، ولو وُكل تفقُّده إلىٰ الجميع لتخاذلوا، ولو خُصَّ واحد من غير سبب يخصُّه لكان لا يذعن له**) أي لا ينقاد (**فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرىٰ، فمنها صناعة المساحة التي بها تُعرَف مقادير الأرض**) يقال[1]: مسحت الأرضَ مسحًا: إذا ذرعتها، والاسم: المِساحة، بالكسر. وإنما احتيجَ إليها (**لتمكن القسمةُ بينهم**

---

(١) المصباح المنير ص ٥٧٢.

بالعدل) فيُعطَىٰ كل ذي حق حقه **(ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف)** والسنان **(ودفع اللصوص عنهم)** بالشوكة **(ومنها صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصومة. ومنها الحاجة إلىٰ الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يُضبَط به الخلق ويلزموا الوقوف علىٰ حدوده حتىٰ لا يكثُر النزاعُ، وهو معرفة حدود الله في المعاملات)** الجارية بينهم **(وشروطها)** مما يصح ومما يبطُل **(فهذه أمور سياسية لا بد منها)** ولا يُستغنَىٰ عنها **(ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية)** والتوفيق والرشد **(وإذا اشتغلوا بها لم يتفرَّغوا لصناعة أخرىٰ، ويحتاجون إلىٰ المعاش)** ليستعينوا به علىٰ تفرُّغهم **(ويحتاج أهل البلد إليهم)** في معرفة الأحكام والحدود الشرعية **(إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلاً تعطَّلت الصناعات، ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطَّلت البلاد عن الحرَّاس)** لها عن نكاية الأعداء واللصوص **(واستضرَّ الناسُ، فمسَّت الحاجة إلىٰ أن تُصرَف إلىٰ معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت)** حسبما تقدم حكمُها في آخر كتاب الزكاة **(أو تُصرَف إليهم الغنائم إن كانت العداوة مع الكفار، فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح، وإن أرادوا التوسُّع فتمس الحاجة لا محالة إلىٰ أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة)** والضبط **(فتحدث الحاجة إلىٰ الخَراج)** وهو ما يتحصَّل من غلة الأرض **(ثم يتولَّد بسبب الحاجة إلىٰ الخراج الحاجة إلىٰ صناعات أُخَر؛ إذا يُحتاج إلىٰ من يوظِّف الخراج بالعدل)** والتسوية **(علىٰ الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال)** وصناعتهم العِمالة، بالكسر **(وإلىٰ من يستوفي منهم بالرفق)** والتدريج **(وهم الجُباة)** وصناعتهم الجِباية **(و)** يقال لهم أيضًا **(المستخرِجون)** والمستوفون، والواحد: مستوفٍ ومستخرِج **(وإلىٰ مَن يُجمَع عنده ليحفظه إلىٰ وقت التفرقة)** إما مرة في السنة أو مرتين أو أكثر أو أقل **(وهم الخُزَّان)** جمع خازن **(وإلىٰ من يفرِّق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر)** وصناعته الفِراضة **(وهذه الأعمال لو تولاَّها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام)**

وتعرَّض للفساد (فتحدث منه الحاجة إلىٰ ملك يدبِّرهم) ويسوسهم ويقودهم (وأمير مطاع) وهو الوزير (يعيِّن لكل عمل شخصًا، ويختار لكل أحد ما يليق به، ويراعي النَّصَفة) محرَّكة: الانتصاف (في أخذ الخراج وإعطائه، واستعمال الجند في الحرب، وتوزيع أسلحتهم، وتعيين جهات الحرب، ونصب الأمير والقائد علىٰ كل طائفة منهم ... إلىٰ غير ذلك من صناعات الملك، فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد المَلِك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبِّرهم الحاجةُ إلىٰ الكُتَّاب والخُزَّان والحُسَّاب والجُباة والعمال) فالكُتَّاب هم الذين يكتبون علىٰ لسان الملك إلىٰ الرعايا والآفاق، وهم علىٰ طبقات، أعلاها كُتَّاب السِّيَر، وصناعتهم الكتابة، وهي أعظم الصنائع وأسناها وأكثرها افتقارًا للمعلومات. والخُزَّان هم الخازنون للمال والغِلال الحاصلينِ من خراج الأرض وغيره. والحُسَّاب هم الكَتَبَة الذين يحسبون المداخل والمخارج من تلك الأموال والغلال. والجُباة والعمال قد تقدم ذِكرهما (ثم هؤلاء أيضًا يحتاجون إلىٰ معيشة، ولا يمكنهم الاشتغال بالحِرَف، فتحدث الحاجة إلىٰ مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمَّىٰ فرع الخراج، وعند هذا تكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف) الأولىٰ: (الفلاحون والرعاة والمحترفون. والثانية: الجندية الحُماة لهم بالسيوف. والثالثة: المتردِّدون بين الطائفتين في الأخذ والإعطاء وهم العمال والجُباة وأمثالهم) كالخُزَّان والمستوفين.

(فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والمسكن والملبس وإلىٰ ماذا انتهىٰ، وهكذا أمور الدنيا لا يُفتح منها باب إلا وتُفتح بسببه) عشرة[1] (أبواب أُخَر) لم تكن في باله (وهكذا تتناهَىٰ إلىٰ غير حد محصور، وكأنها هاوية) عميقة، أي وهدة منخفضة (لا نهاية لعمقها، مَن وقع في مهواة منها) أي حفرة (سقط منها إلىٰ أخرىٰ .. وهكذا علىٰ التوالي.

---

(١) قال بعدها: وأشرف هذا السياسات الأربع بعد النبوة: إفادة العلم، وتهذيب الناس به.

فهذه هي الحِرَف والصناعات) وأشرفها[1] السياسة، وهي أربعة أضرُب، الأول: سياسة الأنبياء وحكمهم علىٰ الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم. والثاني: الولاة، وحكمهم علىٰ ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم. والثالث: الحكماء، وحكمهم علىٰ باطن الخواص. والرابع: الفقهاء والوعَّاظ، وحكمهم علىٰ بواطن العامة[2] **(إلا أنها)** أي تلك الصناعات **(لا تتم إلا بالأمول والآلات، والمال عبارة عن أعيان الأرض وما عليها مما يُنتفَع به، وأعلاها الأغذية، ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي الدور، ثم الأمكنة التي يسعىٰ فيها للتعيُّش)** فهي معَدَّة لذلك لا للسكنىٰ **(كالحوانيت والأسواق والمزارع، ثم الكسوة، ثم أثاث البيت وآلاته، ثم آلات الآلات)** هكذا علىٰ هذا الترتيب **(وقد يكون في الآلات ما هو حيوان، كالكلب آلة الصيد، والبقر آلة الحراثة، والفرس آلة الركوب في الحرب. ثم يحدث من ذلك** حاجةُ **البيع، فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها آلة الفلاحة، والنجار والحداد يسكنان قرية لا يمكن بها الزراعة، فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما)** في اتخاذ آلة الفلاحة **(ويحتاجان إلىٰ الفلاح)** في الزراعة **(فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتىٰ يأخذ منه غرضه، وذلك بطريق المعاوضة)** والمبادَلة **(إلا أن النجار مثلاً إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلىٰ الآلة فلا يبيعه، والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه، فتتعوَّق الأغراض، فاضطروا إلىٰ حانوت يجمع آلةَ كل صناعة ليترصَّد بها صاحبُها أربابَ الحاجات)** لوقت حاجتهم **(وإلىٰ أبيات)** وهو مخزن الغِلال **(يجمع إليه ما يحمله الفلاحون، فيشتريه منهم صاحب الأبيات ليترصَّد به أربابَ الحاجات، فظهرت لذلك الأسواق والمخازن، فيحمل الفلاح الحبوب، فإذا لم يصادف محتاجًا)** إلىٰ أخذها **(باعها بثمن رخيص من الباعة، فخزنوها في انتظار أرباب الحاجات طمعًا في الربح)** والفائدة **(وكذلك في جميع**

---

(١) الذريعة ص ٢٧١.

(٢) في م الإمام وط المنهاج ٦/ ٩٨ لفظه: «عشرة» من كلام الغزالي.

الأمتعة والأموال، ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرىٰ تردُّدٌ، فيتردَّد الناس يشترون من القرىٰ الأطعمة، ومن البلاد الآلات، وينقلون ذلك ويتعيَّشون به؛ لتنتظم أمور الناس في البلاد بسببهم؛ إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة، وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام، فالبعض يحتاج إلىٰ البعض، فيحوج إلىٰ النقل، فيحدث التجار المتكفِّلون بالنقل) من بلد إلىٰ آخر **(وباعثهم عليه حرصٌ في جمع المال لا محالة)** كيفما اتفق **(فيتعبون طول الليل والنهار في الأسفار)** ويتحمَّلون المشاقَّ في البراري والقِفار وركوب متن البحار **(لأغراض غيرهم، ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم إما قاطع طريق)** ينهبه ويسلب ما عنده، وإما أن تنكسر بهم السفينة فلا ينجو إلا بنفسه **(وإما سلطان ظالم)** يطمع في ماله فيسلبه. وهم(١) مع ذلك يقولون: مَن تعطَّل وتبطَّل انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتىٰ، فيمدحون السعي، ويذمُّون التواني والكسل، ويلهجون بقولهم: قد فاز باللذة الجسور(٢). وقد قيل: إذا أردتَ أن لا تتعب فاتعب لئلا تتعب **(ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظامًا للبلاد ومصلحة للعباد)** ولولا حركتهم وسعيهم في تحصيل ما يتحمَّلونه لتعطَّلت الأمور وقلَّ المنتفع **(بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسَّة الهمة، ولو عقل الناسُ وارتفعت هِمَمهم لزهدوا في الدنيا)** لحقارتها وخسَّتها **(ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش، ولو بطلت لهلكوا، ولهلك الزهَّاد**

---

(١) السابق ص ٢٦٩ بتصرف.

(٢) هذا جزء من بيت شعر، تمامه:

مـن راقـب النـاس مـات غمـا ... وفـاز باللـذة الجسـور

وهو لسلم بن عمرو البصري المعروف بسلم الخاسر، وقد أخذه عن بيت لأستاذه بشار بن برد وهو:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

الأغاني ١٩/ ١٨٩. تاريخ بغداد ١٠/ ٢٠١. وفيات الأعيان ٢/ ٣٥٢. معجم الأدباء ٣/ ١٣٨٢. التمثيل والمحاضرة ص ٧٧. نهاية الأرب ٣/ ٧٦.

أيضًا) وهنا نكتة لطيفة عن حكمة خفيَّة، وذلك[١] أن الله تعالىٰ بلطيف قدرته فرَّق هِمَم الناس للصناعات المتفاوتة، ويسَّرَ كلاًّ لِما خُلق له، وجعل آلاتهم الفكرية والبدنية مستعدَّة لها، فجعل لمَن قيَّضه لمراعاة العلم والمحافظة علىٰ الدين قلوبًا صافية وعقولاً بالمعارف لائقة وأمزجة لطيفة وأبدانًا لينة مستصلَحة، ومَن قيَّضه لمراعاة المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والتجارة والبناء جعل لهم قلوبًا قاسية وعقولاً كدَّة وأمزجة غليظة وأبدانًا خشنة، وكما أنه مُحال أن يصلُح السمع للرؤية والبصرُ للسمع كذلك من المُحال أن يكون مَن خُلق للمهنة يصلُح للحكمة، ذلك تقدير العزيز العليم **(ثم هذه الأموال التي تُنقَل لا يقدر الإنسان علىٰ حملها)** علىٰ ظهره **(فيحتاج إلىٰ دواب تحملها، وصاحب المال قد لا يملك الدابَّة، فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمَّىٰ الإجارة)** وقد تقدم الكلام عليها في كتاب الكسب **(ويصير الكِراء نوعًا من الاكتساب أيضًا. ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلىٰ التقدير)**[٢] والتخمين **(فإنَّ من يريد أن يشتري طعامًا بثوب فمن أين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو، والمعاملة تجري في أجناس مختلفة، كما يُباع ثوب بطعام وحيوان بثوب، وهذه أمور لا تتناسب، فلا بد من حاكم عدل يتوسَّط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر، فيُطلَب ذلك العدل من أعيان الأموال، ثم يُحتاج إلىٰ مال يطول بقاؤه؛ لأن الحاجة إليه تدوم، وأبقىٰ الأموالِ المعادنُ)** المركوزة في الأرض **(فاتُّخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس)**[٣] لأجل التعامل بها **(ثم مسَّت الحاجة إلىٰ الضرب والنقش والتقدير، فحدثت الحاجة إلىٰ)** اتخاذ **(دار الضرب)** واتخاذ السكة فيها احتاج العمال فيها إلىٰ صنائع كثيرة تبلغ إلىٰ السبعين، كل ذلك مما يحتاج لتهيئة آلاتها، فالدينار لا يصلُح للتعامل حتىٰ يقع في يد اثني عشر صانعًا، والنقرة المضروبة تزيد علىٰ ذلك **(و)**

---

(١) الذريعة ص ٢٦٧.

(٢) كذا في الزبيدي، وفي غيره - م الإمام، وط الشعب والمنهاج - النقدين. وهو الأسد.

(٣) الذهب للدنانير، والفضة للدراهم، والنحاس للفلوس.

بعد تمام الدينار والدرهم تحدث الحاجة إلىٰ **(الصيارفة)** ليحرِّروهما وينقدوهما بالعيار الصحيح **(وهكذا تتداعَىٰ الأشغال والأعمال بعضها إلىٰ بعض حتىٰ انتهت إلىٰ ما تراه)** والأصل في هذا كلِّه تيسير القوت والملبس والمسكن **(فهذه أشغال الخلق، وهي معايشهم)** ولكن[(١)] ينبغي أن يُعلَم أن حصول الفقر وخوفه الناتجينِ للحرص هما الباعثان علىٰ الجد واحتمال الكد في منفعة الناس إما باختيار وإما باضطرار، ولهذا قيل: رُب ساعٍ لقاعد، وهو أن يكون الناس لو كفىٰ كلٌّ منهم أمره لأدَّىٰ ذلك إلىٰ فساد العالَم من حيث إنه لم يكن أحد يتولَّىٰ لغيره مهنة، وكان الواحد منهم يعجز عن القيام بمصالح نفسه كلِّها، فيؤدي ذلك إلىٰ فقر جميعهم، وقد قيل: قيام العالَم بالفقر أكثر من قيامه بالغِنىٰ؛ لأن الصناعات القائمة بالغِنىٰ ثلاث: المُلك والتجارة والكتابة، وسائرها قائم بالفقر، فلو لم يكن الفقر وخوفه [لَما انتظم معاشُ العالَم] فمَن كان يتولَّىٰ الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة، ومن كان ينقل البز والملابس من الشرق إلىٰ الغرب ومن الجنوب إلىٰ الشَّمال، هذا مع أن من الناس مَن لو كُفي أمر دنياه لكان يوجد منه من البغي والفساد ما يؤدِّي إلىٰ خراب البلاد وفساد العباد، بل كان يوجد منه ما يؤدي إلىٰ هلاك نفسه في أسرع مدة، ومَن تدبَّر صنع الله عَزَّوَجَلَّ لم تعرض له الشبهةُ التي تعرض لمَن يقول: إذا كان الله غنيًّا جوادًا واسعًا فلِمَ خصَّ بعضهم بالغِنىٰ وجعل أكثرهم فقراء؟ ومن حق الغني الذي لا يفنىٰ غناه والجواد الذي لا يُعرَف لجوده منتهىٰ أن لا يخص بالعطية بعضًا دون بعض، وذلك أن الجواد الحق هو الذي يعطي كل أحد بقدر استحقاقه علىٰ وجه يعود لمصلحته ومصلحة غيره، وقد فعل تعالىٰ ذلك بكثير من العباد.

ثم قال المصنف: **(وشيء من هذه الحِرَف)** والصناعات **(لا تمكن مباشرته إلا بنوع تعلُّم وتعب في الابتداء)** أي في أول عمره، ففي الخبر: التعلُّم في الصغر

(١) السابق ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

كالنقش على الحجر، والتعلُّم في الكبر كالنقش على الماء الجاري[١] **(ومن الناس مَن يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع، فيبقى)** في باقي عمره **(عاجزًا عن الاكتساب لعجزه عن الحِرَف، فيحتاج إلى أن يأكل مما يسعى فيه غيره، فتحدث منه حرفتان خسيستان: اللصوصية)** وهي سلب أموال الناس بالقوة **(والكِدية)** بالكسر[٢]، وهي الشحاذة، أي التكفُّف من الناس **(إذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعي غيرهما. ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم)** ولما رأوا أنهم قد حصَّنوا أموالهم **(فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنباط الحِيَل والتدابير)** في أخذ أموالهم **(أما اللصوص فمنهم من يطلب أعوانًا)** يساعدونهم على صنعتهم ويقاسمونهم ما يأخذون **(ويكون)** مع ذلك **(في يديه شوكة وقوة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق)** في البر والبحر **(كالأعراب والأكراد)** وبعض الأتراك **(وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحِيَل إما بالنقب)** وهو أن ينقب الحائط **(أو التسلُّق)** بأن يطلع على الحائط **(عند انتهاز فرصة الغفلة)** من أرباب الأموال، ولكلٍّ منهما آلات معَدَّة، فمن آلات النقب المعاول، ومن آلات التسلق المسامير والمطارق، فيدق المسمار ويمكِّنه من الحائط فيصعد عليه، ثم مسمارًا آخر ... وهكذا إلى أن يصعد، فيربط به حبلاً جعله كالسلَّم فيتدلَّى به وينزل إلى الموضع فيأخذ ما فيه، ثم يصعد بذلك الحبل إلى أن ينزل عَودًا على بدء، وقد يفتقر إلى فتح الباب من داخل ليدخل أعوانه، ويتخذون لفتح الأبواب

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٢٨٧: «حديث: العلم في الصغر كالنقش في الحجر. رواه البيهقي في المدخل من جهة يزيد بن معمر الراسبي سمعت الحسن البصري يقول ... فذكره من قوله. وأخرجه ابن عبد البر من جهة من لم يسم عن معبد عن الحسن بلفظ: طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر. ورواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف عن أبي الدرداء مرفوعا بلفظ: مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء».

(٢) الصواب: بالضم؛ كذا ضبطه الزبيدي نفسه في تاج العروس ٣٩/ ٣٨١ وقال: «الكدية بالضم: حرفة السائل الملحِّ».

والأغاليق آلات تفتحها (**وإما بأن يكون طَرَّارًا**) وأصل[1] الطَّر: الشَّق، والطَّرَّار هو الذي يقطع النفقات ويأخذها علىٰ غفلة من أهلها (**أو سَلاَّلاً**) وهو بمعناه، وكذا المختلس (**إلىٰ غير ذلك من أنواع التلصُّص الحادثة**) في الأزمنة المتأخرة (**بحسب ما تنتجه الأفكار المصروفة إلىٰ استنباطها**) وهي صناعة مستقلَّة، ولها ناس معروفون يعلِّمونها صبيانهم من الصغر حتىٰ ينشأوا علىٰ ذلك، ولهم في ذلك حكايات مستغرَبة (**وأما المكدي فإنه إذا طلب ما سعىٰ فيه غيره وقيل له، اتعب واعملْ**) فيه (**كما عمل غيرك فما لك وللبطالة؟ فلا يعطي شيئًا، فافتقروا إلىٰ حيلة في استخراج الأموال وتمهيد العذر لأنفهسم في البطالة، فاحتالوا للتعلُّل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يعمون أنفسَهم وأولادهم بالحيلة ليُعذَروا بالعمىٰ فيعطَون**) ولقد حكىٰ لي مَن أثق به أنه رأىٰ مكديًا في بلاد الروم مقطوعة يديه، وهو قاعد علىٰ رأس السكة، وهو يقول: أشتهي الرمان. وقد فرش منديلاً بين يديه، والناس يرمون له من الدراهم، فخالج في نفسه أن يطَّلع علىٰ كنه حقيقته، فانتظره يومًا من الأيام عند غروب الشمس، وقد حازَ ما في المنديل، وقام فتبعه من بعد، حتىٰ إذا جاء في زُقاق ضيق ونظر عن يمينه وشماله ولم يرَ أحدًا فدق الباب وفُتح له فدخل فاستعجل من ورائه فدق الباب واستأذن في الدخول وقال: غريب يريد الإيواء. ففُتح له الباب، فإذا في البيت جوارٍ قد تلقَّينه، وقال لهن: أكرِمن هذا الضيف. فإذا بيت وسيع وفُرش فاخرة، فأتوا بالطست والإبريق وغسلن الغبار عن وجهه، وغيَّرن عليه الثياب الفاخرة غير ثياب الكدية، وأُتي بالطعام، فأكل معه، ثم استجرَّ الحديثَ بأن قال له: ما بالك تفعل كذا وأنت بهذه الحالة؟ فقال: يا فلان، إني قد قطعت يدي اختيارًا للكدية، وما جمعتُ هذا الذي ترىٰ إلا من الكدية. وأحضر ولدًا له صغيرًا وقد قطع يديه كذلك ليعلِّمه الكدية، وبات عنده تلك الليلة وأخذ جليَّة خبره، فلما أصبح نزع تلك الثياب الفاخرة ولبس ثياب الكدية وخرج من منزله إلىٰ ما كان عليه. وهذا أغرب ما سمعتُ (**وإما بالتعامي والتفالُج والتجانُن**

---

(١) المصباح المنير ص ٣٧٠.

والتمارُض) أي ادِّعاء كلٍّ من ذلك وليس على الحقيقة **(وإظهار ذلك بأنواع من الحِيَل)** بأن يربط على عينيه خرقة فيُظهِر أنه أعمى، أو يُظهِر أنه لا يقدر على حركة يده فيربطها بالخِرَق، أو أن به فالجًا، أو يُظهِر الخُرْق فيتكلم بكلام غير منتظم، أو يدَّعي أمراضًا كالبواسير والنواسير أو غير ذلك، وقد يربط بساقيه خرقًا مدهونة بالزيت والقطران، يدَّعي بذلك أن به جراحات. ولله در أبي زيد السروجي[1] حيث اعتذر عن التعارُج فقال:

تعارجتُ لا رغبة في العرج ولكن لأقرع باب الفرج

(مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق؛ ليكون ذلك سبب الرحمة) لحالهم والشفقة عليهم فيعطَون. وجماعة يدَّعون أنهم كانوا أهل صناعات نظرية فانقطعوا عنها بالعمَى **(وجماعه يلتمسون أفعالاً وأقوالاً يتعجَّب الناس منها حتى تنبسط قلوبُهم عند مشاهدتها)** وسماعها **(حتى يسخوا برفع اليدين عن قليل من المال في حال التعجب، ثم قد يندم بعد زوال التعجب، ولا ينفع الندمُ)** لأن الدرهم إذا خرج من الكيس لا يعود إليه **(وذلك قد يكون بالتمسخُر)** والاستهزاء بالناس **(والمحاكاة)** والتقليد **(والشعبذة والأفعال المضحكة)** والحركات المستغرَبة من عين وحاجب وتحريك أعضاء وتعويج فم، وغير ذلك **(وقد يكون بالأشعار الغريبة أو الكلام المنثور المسجَع مع حسن الصوت)** ولطف الإيقاع **(والشعر الموزون أشد تأثيرًا في النفس لا سيَّما إذا كان فيه تعصُّب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت)** ووقائعهم ومَقاتِلهم وما جرى لهم مع إخوانهم **(أو الذي يحرك داعيةَ العشق من أهل المَجانة كصنعة الطبَّالين في الأسواق)** فيوردون من المواليا[2]

---

(١) أبو زيد السروجي شخصية خيالية جعلها أبو محمد الحريري بطلا لمقاماته ونظم على لسانه الشعر، وهذا البيت في مقامات الحريري ص ٣٤ [المقامة الدينارية].

(٢) قال الرافعي في تاريخ آداب العرب ٢/ ١٥٣: وحرف المصريون هذه الكلمة بكلمة «موال» وأهل الصعيد منهم أشهر الناس بهذه المواويل، ويقسمون الموال إلى نوعين: أحمر للحماسة والحرب والحكمة وأخضر وهو ما دخل في الغزل والنسيج.

والدوبيت[1] ما في معانيه تهييجٌ على العشق وترويج لوصال المحبوب وما أشبهَ ذلك **(وصنعة ما يشبه العوضَ وليس بعوض، كبيع التعويذات)** والتمائم المزخرفة بألوان المِداد **(والحشيش الذي يخيِّل بائعه أنه أدوية، فيخدع بذلك الصبيان والجُهَّال)** فيأخذون منهم الدراهم في مقابلته **(وكأصحاب القرعة والفأل من المنجِّمين)** فيكتبون ذلك في رِقاع ويخبرون عما سيقع وسيكون من خير وشر بحكم النجم الطالع وبحكم الفأل والقرعة **(ويدخل في هذا الجنس الوعَّاظ المكدون على رؤوس المنابر)** والكراسي **(إذا لم يكن وراءهم طائل علميٌّ وكان غرضهم استمالة قلوب العوام)** وجلبها **(وأخذ أموالهم بأنواع الكدية، وأنواع الكدية تزيد على ألف نوع وألفين)** فإذا نظرنا إلى الفروع التي أحدثها المتأخرون من المكدين فقد تزيد على ألفين، وهي صناعة مستقلة، ولها شيوخ معروفون وتراتيب وآداب، وكلها مَبناها على الحِيَل والخداع في أخذ أموال الناس بالباطل، ويدخل[2] في هذا الجنس من يتوسَّع في تناوُل عمل غيره في مأكله وملبسه ومسكنه وغير ذلك ثم لا يعمل لهم عملاً بقدر ما يتناوله منهم فإنه ظالم لهم، سواء قصدوا إفادته أو لم يقصدوا، وكذلك من يدَّعي التصوف فيتعطَّل عن المكاسب ولا يكون له علم يؤخَذ عنه ولا عمل صالح في الدين يُقتدَى به، بل يجعل همه على غارب بطنه وفرجه، فإنه يأخذ منافعهم، ويضيِّق عليهم معاشَهم، ولا يردُّ إليهم نفعًا، ولا طائل في مثلهم إلا بأن يكدِّروا الماء ويغلوا الأسعار، ولهذا كان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى ذي سيماء سأل: أله حرفة؟ فإذا قيل: لا، سقط من عينه. ومن الدلالة على قبح مَن هذا فعلُه أن الله تعالى ذمَّ مَن يأكل مال نفسه إسرافًا وبِدارًا، فما حال من أكل مال غيره على ذلك ولا ينيلهم عوضًا، ولا يردُّ عليهم بدلاً؟ **(وكل ذلك استُنبط بدقيق الفكر لأجل المعيشة.**

---

(١) قال الرافعي في تاريخ آداب العرب ٢/ ١٥٠: وهذا الاسم من كلمتين، إحداهما فارسية وهي (ود) بمعنى اثنين، والأخرى (بيت) العربية، وسموه كذلك لأنه لا يكون أكثر من بيتين، وقد أخذه أدباء العرب عن الفرس.

(٢) الذريعة ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبُّوا عليها) ولازَموها (وجرَّهم إلىٰ ذلك كله الحاجةُ إلىٰ القوت والكسوة، ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم) الذي خُلقوا لأجله (ومنقلبهم ومآبهم فضلُّوا وتاهوا) في أودية الحيرة (وسبق إلىٰ عقولهم الضعيفة بعد أن كدَّرتها زحمةُ أشغال الدنيا خيالات فاسدة، فانقسمت مذاهبهم) وتنوَّعت مشاربهم (واختلفت آراؤهم علىٰ عدة أوجه:

فطائفة) منهم (غلبهم الجهل والغفلة فلم تتفتَّح أعينهم للنظر إلىٰ عاقبة أمرهم فقالوا: المقصود أن نعيش أيامًا في الدنيا فنجتهد حتىٰ نكتسب القوت) من حيث اتفق (ثم نأكل حتىٰ نقوىٰ علىٰ الكسب، ثم نكتسب حتىٰ نأكل. فيأكلون ليكتسبوا، ويكتسبون ليأكلوا، وهذا مذهب الفلاحين) وغالب أهل القرىٰ (والمحترفين ومَن ليس له تنعُّم في الدنيا ولا قدم في الدين، فإنه يتعب نهارًا ليأكل ليلاً، ويأكل ليلاً ليتعب نهارًا، وذلك كسير السواني) التي تدور علىٰ المياه (فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت) ولا ينجع في هؤلاء الوعظ والتنبيه؛ لتراكُم الغفلة، وهم كالبهائم يأكلون ويتعبون ويأكلون.

(وطائفة أخرىٰ زعموا أنهم تفطَّنوا لأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقىٰ الإنسان بالعمل ولا يتنعَّم في الدنيا، بل السعادة في أن يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج) وهم غالب أهل هذا العصر، قد قصر نظرُهم علىٰ ذلك (فهؤلاء نسوا أنفسهم، وصرفوا هِمَمهم إلىٰ اتِّباع النسوان) بقصد نكاح ومِلك يمين (وجمع لذائذ الأطعمة) والأشربة، فيرفقون فيها، ويبالغون في استحسانها (يأكلون كما تأكل الأنعام، ويظنون أنهم إذا أدركوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادات، فشغلهم ذلك عن الله وعن اليوم الآخر) وتاهوا عن المقصود.

(وطائفة أخرىٰ ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز، فأسهروا ليلهم وأتعبوا نهارهم في الجمع) من هنا ومن هنا (فهم يتعبون في الأسفار) والبراري والبحار (طول الليل والنهار، ويتردَّدون في الأعمال الشاقة، ويكتسبون،

ويجمعون، ولا يأكلون إلا قدر الضرورة) من غير توسُّع (شحًّا وبخلاً عليها أن تنقص، وهذه لذَّتهم، وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلىٰ أن يدركهم الموت، فيبقىٰ) المال موقوفًا (تحت الأرض، أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات) ويتوسَّع فيها (فيكون للجامع تعبه ووباله) إذ يحاسَب به يوم القيامة (وللآكل لذَّته) ولله در القائل[1]:

قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غيرُ مَن جمعه

(ثم الذين يجمعون) المال (ينظرون إلىٰ أمثال ذلك) ممن جمع فلم يأكل وأكله غيره (ولا يعتبرون) وذلك من عمىٰ بصائرهم.

(وطائفة أخرىٰ ظنوا أن السعادة في حسن الاسم) والذِّكر الطيب (وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمُّل والمروءة، فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش ويضيِّقون علىٰ أنفسهم في المطعم والمشرب، ويصرفون جميع مالهم إلىٰ الملابس الحسنة والدواب النفيسة) وربما يتداينون فوق طاقتهم (ويزخرفون أبواب الدور وما تقع عليه أبصار الناس) ويتخذون فرسًا نفيسة وخدمًا وحشمًا ويُلبِسونهم فاخر الثياب (حتىٰ يقال إنه غني وإنه ذو ثروة، ويظنون أن ذلك هو السعادة، فهمَّتهم في ليلهم ونهارهم في تعهُّد موقع نظر الناس) من داره وأثاثه وملبسه ومركبه، وهذه حال خواص أهل الزمان، وهو قصور عن بلوغ المقصود وإراءة ما ليس له حقيقة وخبث النية وفساد الطويَّة من حب المَحمدة والثناء.

(وطائفة أخرىٰ ظنوا أن السعادة في الجاه والمكرمة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير، فصرفوا هِمَمهم إلىٰ استجرار الناس إلىٰ الطاعة) والانقياد (لهم بطلب الولايات وتقلُّد الأعمال السلطانية؛ لينفذ أمرُهم بها علىٰ طائفة من الناس،

---

(١) هو الأضبط بن قريع السعدي (شاعر جاهلي). الأغاني ١٨/ ٩٢. الوافي بالوفيات ٩/ ١٧٠. أمالي القالي ١/ ١٠٧ - ١٠٨. التمثيل والمحاضرة ص ٦٠. العقد الفريد ٣/ ١٥٩. تاج العروس ٢٠/ ٤٨٦ - ٤٨٧.

ويرون أنهم إذا اتَّسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب، وهذا أغلبُ الشهوات علىٰ قلوب الغافلين من الناس، فهؤلاء شغلهم حبُّ تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكُّر في آخرتهم ومعادهم.

ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها) علىٰ الضابط (تزيد علىٰ نيِّف وسبعين فرقة، كلهم قد ضلُّوا) في أنفسهم (وأضلُّوا) كثيرًا ممَّن تبعهم وقلَّدهم (عن سواء السبيل) أي الطريق المستقيم (وإنما جرَّهم إلىٰ جميع ذلك حاجةُ المطعم والملبس والمسكن، فنسوا ما تُراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها، وانجرَّت بهم أوائل أسبابها إلىٰ أواخرها، وتداعَىٰ بهم ذلك إلىٰ) الوقوع في (مَهاوٍ) أي وهدات منخفضة (ولم يمكنهم الرقي) أي الصعود والخلاص (منها، فمَن عرف وجه الحاجة إلىٰ هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل) منها (إلا وهو عالم بمقصوده، وعالم بحظه ونصيبه منها، و) عالم (أن غاية مقصوده تعهُّد بدنه بالقوت) الذي يتقوَّىٰ به (والكسوة) التي يتقي بها من الحر والبرد (حتىٰ لا يهلك) جوعًا وعريًا (وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل) مقتصرًا فيه علىٰ الكفاف (اندفعت الأشغال عنه) جملةً (وفرغ القلبُ) لمعرفة الله (وغلب عليه ذِكرُ الآخرة) وما أعدَّ الله له منها (وانصرفت الهمَّة) لا محالة (إلىٰ الاستعداد له) أي لذكر الآخرة (وإن تعدَّىٰ به قدرَ الضرورة) وتجاوز عنه (كثرت الأشغال، وتداعَىٰ البعض إلىٰ البعض، وتسلسل إلىٰ غير نهاية، فتتشعَّب به الهموم) فقد روىٰ ابن ماجه والحكيم والشاشي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود: «مَن جعل الهموم همًّا واحدًا هم المعاد كفاه الله سائر همومه»(١) (ومَن تشعَّبت به الهموم في أودية الدنيا) وأحوالها (فلا يبالي الله في أيِّ وادٍ أهلكه منها) وفي لفظ: لم يبالِ الله في أيِّ أوديتها هلك (فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا) المكبِّين عليها

---

(١) تقدم هذا الحديث غير مرة.

(وتنبَّه لذلك طائفة) من الناس **(فأعرضوا عن الدنيا، فحسدهم الشيطان)** على ذلك **(ولم يتركهم)** من مكيدته **(وأضلَّهم في الإعراض أيضًا حتىٰ انقسموا إلىٰ طوائف، فظنَّت طائفة)** منهم **(أن الدنيا دار بلاء ومحنة)** واختبار وعِبَر وشقاوة **(والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها)** بأيِّ طريق كان **(سواء تعبَّد في الدنيا أو لم يتعبَّد، فرأوا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم)** قتلاً حقيقيًّا **(للخلاص من محنة الدنيا)** وبلائها وفتنتها، فهم صدقوا في أول ظنهم وهو كون الدنيا دار محنة وبلاء، ولكن أخطأوا في طريق الوصول إلىٰ سعادة الآخرة **(وإليه ذهب طوائف)** البراهمة المعروفة بالجركية **(من العُبَّاد من أهل الهند، فهم يتهجَّمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق فيها)** كما نقل ذلك الشيخ الأكبر قُدِّس سره في الفتوحات، وأورده ابن بطُّوطة في رحلته[١] **(ويظنون أن ذلك خلاص لهم من مِحَن الدنيا)** وهو غاية الضلال والخسران، وقد تمكَّن منهم الشيطان حتىٰ سوَّل لهم ذلك، ولهذه الطائفة فضائح كثيرة من هذا الجنس، ويدخل في هذا الجنس طوائف الدُّرزية الذين يرمون أنفسهم من شاهق الجبل بعد أن يأخذوا ديتهم ويسلِّمونها إلىٰ أولادهم، فيظنون أن الموت علىٰ هذا الوصف سعادة لهم ولأولادهم، وهو عين الضلال **(وظنَّت طائفة أخرىٰ أن القتل لا يخلِّص)** من محن الدنيا **(بل لا بد أولاً من إماتة الصفات البشرية)** المذمومة **(وقطعِها عن النفس بالكلية، وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب، ثم أقبلوا علىٰ المجاهدة)** الشديدة **(وشدَّدوا علىٰ أنفسهم حتىٰ هلك بعضهم بشدة الرياضة)** كما فعل ذلك بعض أولياء العجم **(وبعضهم فسد عقله وجُنَّ)** كما وقع ذلك لبعض أهل عَبَّادان، وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالىٰ ينكر عليهم ذلك ويقول: يا أهل عَبَّادان، احفظوا عقولكم. ويقول: إن مَن ترك الدسم فسد دماغُه. وقد تقدم ذلك في كتاب رياضة النفس[٢] **(وبعضهم مرِض)** وفتر عن العمل **(وانسدَّ عليه**

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص ٤٢٢ - ٤٢٥ (ط - دار إحياء العلوم ببيروت).

(٢) بل في كتاب كسر الشهوتين عن سهل التستري بلفظ: احفظوا عقولكم وتعاهدوها بالأدهان والدسم، فإنه ما كان ولي لله ناقص العقل.

طريق العبادة) وهذا يقع لكثير من المتريِّضين **(وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلَّفه الشرع)** من قمعها **(مُحال)** ليس من الممكنات **(وأن الشرع تلبيس لا أصل له)** ويحمل ألفاظه علىٰ غير معانيه مما تنتجه أفكاره **(فوقع في)** وهدة **(الإلحاد)** وخرج من ربقة الدين **(وظهر لبعضهم أن هذا التعب كلَّه لله، وأن الله مستغنٍ عن عبادة العِباد، لا ينقصه عصيان عاصٍ، ولا تزيده عبادة متعبِّد)** وتمكَّن الشيطان منهم في هذا الفهم السخيف وقوَّاه فيهم حتىٰ انسلخوا **(فعادوا إلىٰ الشهوات)** واللذَّات **(وسلكوا مسلك الإباحة)** في سائر ما يتناولونه **(وطووا بساط الشرع)** علىٰ غرته **(و)** أبطلوا مقتضيات **(الأحكام، وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم)** أي كلفوه **(حيث إنهم اعتقدوا أن الله مستغنٍ عن عبادة العِباد)** وهي دسيسة عظيمة هلك بها طوائف من المتصوفة لعدم إتقانهم في العلم، وإنما معنىٰ غناه عَزَّوَجَلَّ: تنزهُّه عن العلاقة مع الأغيار في الذات والصفات **(وظنت طائفة أخرىٰ أن المقصود من العبادات المجاهدةُ حتىٰ يصل العبد بها إلىٰ معرفة الله تعالىٰ)** ويتخلَّق بأخلاق الله تعالىٰ **(فإذا حصلت المعرفة)** وحصل التخلُّق **(فقد وصل)** إلىٰ المقصود إليهم **(وبعد الوصول)** إلىٰ هذا المقام **(يستغني عن الوسيلة و)** إعمال **(الحيلة، فتركوا السعي والعبادة)** ورفضوهما بالكلية **(وزعموا أنهم ارتفع محلُّهم في معرفة الله تعالىٰ عن أن يُمتهَنوا)** أي يُذَلُّوا **(بالتكاليف)** الشرعية، فهم خواص الخواص **(وإنما التكليف علىٰ عوام الخلق)** حتىٰ سُلبوا ذلك المقام، وربما تعلَّقوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩] أي: فإذا وصلتَ إلىٰ مقام اليقين فقد سقطت عنك العبادة. ومنهم من قال: سلَّمنا أن المراد باليقين الموت، فنحن قد أمتنا نفوسنا بالكلِّية، فارتفعت عنا تكاليف العبادة. ومنهم من يعتمد ذلك، فإذا دخل ضالٌّ مثله في سلكه أمر أن يغسَّل ويكفَّن ويجهَّز تجهيز الموتىٰ، ثم يتقدَّم فيصلي عليه صلاة الجنازة، ثم يقول له: قمْ، فقد صِرتَ في عِداد الموتىٰ، وسقطت عنك التكاليف. وكل ذلك تلبيس وضلال وشناعات، وغالب الملاحدة علىٰ ذلك وبعض طوائف من جهلة الصوفية، أعاذنا الله من أحوالهم

(ووراء هذا) الذي أوردناه (مذاهب) أخرىٰ (باطلة وضلالات هائلة) لا طائل تحتها (يطول إحصاؤها إلىٰ أن تبلغ نيِّفًا وسبعين فِرقة) علىٰ ما أورده الشهرستاني في «الملل والنِّحل» وصاحب الشجرة وغيرهما ممَّن أَلَّف في بيان الفرق الإسلامية، وكلهم في النار (وإنما الناجي منها فرقة واحدة) بنص الخبر الآتي (وهي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه) الكرام رضوان الله عليهم (وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية، ولا يقمع الشهوات بالكلية، أما الدنيا فيأخذ منها قدْر الزاد) المبلِّغ له إلىٰ الآخرة، فقد ورد في الخبر: «وليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب» (وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع و) انقياد (العقل، فلا يتبع كلَّ شهوة، ولا يترك كل شهوة، بل يتبع) طريق (العدل) والاقتصاد (ولا يترك كل شيء من الدنيا، ولا يطلب كل شيء من الدنيا، بل يعلم مقصود كل ما خلق الله من الدنيا ويحفظه علىٰ حد مقصوده، فيأخذ من القوت ما يقوَىٰ به البدنُ علىٰ العبادة) وإليه الإشارة بقوله: «حسبُ ابن آدم لُقَيمات يُقِمْنَ صُلبه» (ومن المسكن) ما لا بد منه وهو (ما يحفظ عن) تطرُّق (اللصوص و) يحميه عن نكاية (الحر والبرد، ومن الكسوة كذلك) أي قدر ما يستر به عورته، ويكون به وقاية من الحر والبرد (حتىٰ إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل علىٰ الله بكنه الهمَّة) أي خالصها (واشتغل بالذكر والفكر) والمراقبة (طولَ العمر، وبقي ملازمًا لسياسة الشهوات ومراقبًا لها حتىٰ لا يجاوز حدودَ الورع والتقوىٰ) وإلىٰ هذا الإشارة بقوله ﷺ: «ليس خيركم مَن ترك هذه وأخذ هذه، بل خيركم مَن أخذ من هذه لهذه». يعني الدنيا للآخرة. وروىٰ الخطيب[١] والديلمي[٢] من حديث أنس: «خيركم مَن لم يترك آخرته لدنياه، ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كلاًّ علىٰ الناس». ورواه ابن عساكر[٣] بلفظ: «ليس بخيركم مَن ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتىٰ يصيب منهما جميعًا، فإن الدنيا بلاغ

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٣٦٢.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٤٠٩ عن أنس وابن عمر معا.

(٣) تاريخ دمشق ٦٥/ ١٩٧.

إلىٰ الآخرة، ولا تكونوا كَلاً علىٰ الناس»[١] **(ولا يُعلَم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية)** وقد اختلفوا في تعيين هذه الفرقة، فكلٌّ يدَّعي حُسن معتقده ويقول هو من الفرقة الناجية، وهو كما قال الشاعر:

وكلٌّ يدَّعـي وصـلاً بليلـىٰ ... وليلـىٰ لا تقـرُّ لهـم بـذاكا[٢]

(و) الصحيح أن الفرقة الناجية[٣] **(هم الصحابة)** رضوان الله عليهم **(فإنه ﷺ لما قال: الناجي منها واحدة، قالوا: يا رسول الله، ومَن هم؟ قال: أهل السنَّة والجماعة. فقيل: ومَن أهل السنة والجماعة؟ فقال: ما أنا عليه وأصحابي)** قال العراقي[٤]: حديث افتراق الأمَّة، وفيه: الناجي منهم واحدة. قالوا: ومَن هم؟ قال: أهل السنة والجماعة ... الحديث، رواه الترمذي[٥] من حديث عبد الله بن عمرو وحسَّنه: «تفترق أمَّتي علىٰ ثلاث وسبعين ملَّة، كلهم في النار إلا ملة واحدة». قالوا: ومَن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي». ولأبي داود[٦] من حديث معاوية وابن ماجه[٧] من حديث أنس وعوف بن مالك: «وهي الجماعة»، وأسانيدها جياد.

قلت: وقد رُوي أيضًا عن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص؛ كذا ذكره الحاكم. وزاد السخاوي في المقاصد[٨] فقال: وعن جابر وأبي أمامة وابن عمر وابن مسعود

---

(١) ما ذكره هو حديث موضوع باطل. وانظر: المداوي للغماري ٣/ ٥٣٤، والسلسلة الضعيفة للألباني ١/ ٧١٥، ٢/ ١.

(٢) لم أقف علىٰ قائل هذا البيت.

(٣) في م الإمام وط المنهاج ثابتة من كلام الغزالي.

(٤) المغني ٢/ ٨٨٤ - ٨٨٥.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٣٨١.

(٦) سنن أبي داود ٥/ ١٨٢ - ١٨٣.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٧٢ - ٤٧٣.

(٨) المقاصد الحسنة ص ١٥٨.

وعمرو بن عوف وأبي الدرداء وواثلة وعلي بن أبي طالب. فهؤلاء أربعة عشر رووا حديث التفرُّق بألفاظ مختلفة، ونحن نذكر ذلك جميعه:

* فأما حديث عبد الله بن عمرو فقد ذكره العراقي كما تراه وعزاه إلىٰ الترمذي، ورواه الحاكم في المستدرك[١]، وإنما ذكره شاهدًا. ورواه البزار في مسنده وسكت عنه. ورواه البيهقي في المدخل فقال: عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو رفعه بلفظ: «إن بني إسرائيل تفرَّقوا علىٰ اثنتين وسبعين ملَّة، وإن أمَّتي ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

* وأما حديث معاوية فرواه أبو داود، كما أشار إليه العراقي، ولفظه: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا علىٰ اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمَّة ستفترق علىٰ ثلاثة وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة ...». الحديث. وقد رواه أيضًا أحمد[٢] والدارمي[٣] والحاكم[٤] والبيهقي في المدخل[٥] من طريق عبد الله بن لُحَيٍّ الهوزني عنه.

* وأما حديث أنس فرواه ابن ماجه، كما أشار إليه العراقي، ولفظه عنده: «إن بني إسرائيل افترقت علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق علىٰ ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة». وكذلك رواه ابن جرير في التفسير[٦]، ورجاله رجال الصحيح، ورواه أحمد[٧] بلفظ: «إن بني إسرائيل تفرَّقت

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٢٠٧.
(٢) مسند أحمد ٢٨/ ١٣٤.
(٣) سنن الدارمي ٢/ ٣١٤.
(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٢٠٦.
(٥) وأخرجه أيضا في دلائل النبوة ٦/ ٥٤٢.
(٦) جامع البيان ٥/ ٦٤٧.
(٧) مسند أحمد ١٩/ ٤٦٢.

إحدىٰ وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة وخلَصت فرقة واحدة، وإن أمَّتي ستفترق علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، تهلك إحدىٰ وسبعون فرقة وتخلُص فرقة». قيل: يا رسول الله، مَن تلك الفرقة؟ قال: «الجماعة». وقال أبو نعيم في الحلية[١]: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا عمر بن حفص السدوسي. ح. وقال ابن مردويه في التفسير: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أحمد بن يونس أيضًا، قالا: حدثنا عاصم بن علي، حدثنا أبو معشر، عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت أمَّة موسىٰ علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، منهم في النار سبعون فرقة، وواحدة في الجنة. وتفرَّقت أمة عيسىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، منها في الجنة واحدة، وإحدىٰ وسبعون في النار [وتعلو أمتي علىٰ الفرقتين جميعًا بملة واحدة في الجنة، واثنتان وسبعون منها في النار]». قالوا: مَن هم يا رسول الله؟ قال: «الجماعات». ورواه الطبراني في الأوسط[٢] مختصرًا بلفظ: «تفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلهن في النار إلا واحدة: ما أنا عليه اليوم وأصحابي». ورواه أبو يعلىٰ في مسنده بلفظ: «تفترق هذه الأمة علىٰ بضع وسبعين فرقة، إني أعلم أهداها فرقة: الجماعة»[٣].

* وأما حديث عوف بن مالك فرواه ابن ماجه، كما أشار إليه العراقي، ولفظه عنده: «افترقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار. وافترقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، فإحدىٰ وسبعون في النار، وواحدة في الجنة. والذي نفس محمد بيده لتفترقَنَّ أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعون في النار». قيل: يا رسول الله، مَن هم؟ قال:

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢) المعجم الأوسط ٥/ ١٣٧، ٨/ ٢٢.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ عند أبي يعلىٰ، ولعله في مسنده الكبير المفقود. ولكن رواه ٧/ ٣٢، ٣٦ بلفظ: «إن بني إسرائيل افترقت علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا السواد الأعظم».

«الجماعة». ورجاله موثَّقون، وكذلك رواه الطبراني في الكبير[١]، ورواه الطبراني أيضًا وابن عدي[٢] وابن عساكر[٣] بإسناد ضعيف بلفظ: «افترقت بنو إسرائيل علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وتزيد أمتي عليها فرقة، ليس فيها فرقة أضر علىٰ أمتي من قوم يقيسون الدين برأيهم فيحلُّون ما حرَّم الله ويحرِّمون ما أحلَّ الله». ورواه الحاكم[٤] بلفظ: «تفترق أمتي علىٰ بضع وسبعين فرقة، أعظمها فتنةً علىٰ أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلُّون الحرام ويحرِّمون الحلال».

* وأما حديث أبي هريرة فأخبرناه عبد الخالق بن أبي بكر بن المزيني الزبيدي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد المكي. ح. وأخبرناه أعلىٰ من ذلك بدرجة شيخنا عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني، قالا: أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا النور علي بن يحيىٰ، أخبرنا يوسف بن زكريا، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين الحافظ، أخبرني محمد بن أحمد بن محمد بن هبة الله، أخبرنا عبد الخالق بن طرخان، أخبرنا علي بن نصر، أنبأنا عبد الملك بن أبي القاسم، أنبأنا محمد بن القاسم وأحمد بن عبد الصمد وعبد العزيز بن محمد قالوا: أخبرنا عبد الجبار ابن محمد، أنبأنا محمد بن أحمد بن محبوب، أنبأنا محمد بن عيسىٰ الحافظ، حدثنا الحسين بن حُرَيث أبو عمار، حدثنا الفضل بن موسىٰ، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تفرَّقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة - أو اثنتين وسبعين فرقة - والنصارىٰ مثل ذلك، وتفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة».

---

(١) المعجم الكبير ١٨/ ٥١، ٧٠.

(٢) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٤٨٣.

(٣) تاريخ دمشق ٦٢/ ١٥١.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٦٧٣، ٤/ ٥٩٤.

هكذا رواه الترمذي[١] وقال: حسن صحيح. ورواه أيضًا أبو داود[٢] وابن ماجه[٣] وابن حبان في صحيحه[٤] والبيهقي[٥]، وقال أبو يعلىٰ في مسنده[٦]: محمد بن عمرو يشك. فزاد أبو داود في روايته: «منها اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة»[٧]. وزاد الترمذي: «كلهم في النار إلا ملة واحدة». قالوا: مَن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[٨]. ورواه الحاكم في المستدرك[٩] وقال: احتجَّ مسلم بمحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، واتفقا جميعًا علىٰ الاحتجاج بالفضل بن موسىٰ، وهو ثقة. واستدرك عليه الذهبي في مختصره فقال: لم يحتجَّ به منفردًا ولكن مقرونًا بغيره. ورواه أحمد[١٠] وأبو يعلىٰ في مسنديهما بلفظ: «تفرَّقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة ...». الحديث، وباقي سياقه كسياق حديث أبي أمامة الآتي ذِكره قريبًا.

* وأما حديث سعد بن أبي وقاص فرواه ابن أبي شيبة في مسنده فقال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، عن أبي بكر بن [عيَّاش، عن] موسىٰ بن عبيدة، عن عبد الله بن عبيدة، عن ابنة سعد، عن أبيها، عن النبي ﷺ قال: «افترقت بنو إسرائيل علىٰ إحدىٰ وسبعين ملَّة، ولن تذهب الليالي ولا الأيام حتىٰ تفترق أمتي علىٰ مثلها، وكل فرقة منها في النار إلا واحدة وهي الجماعة». وكذلك رواه عبد بن

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٣٨١.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ١٨٢.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٧١.

(٤) صحيح ابن حبان ١٤/ ١٤٠، ١٥/ ١٢٥.

(٥) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٥١.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ١٠/ ٣١٧، ٣٨١ - ٣٨٢، ٥٠٢.

(٧) هذه الزيادة ليست في حديث أبي هريرة، وإنما في حديث معاوية السابق.

(٨) هذه الزيادة ليست في حديث أبي هريرة، وإنما في حديث عبد الله بن عمرو السابق.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٥.

(١٠) مسند أحمد ١٤/ ١٢٤.

حميد[1] والبزار[2]، وفي إسنادهم ضعفٌ.

* وأما حديث جابر، فقال أسلم بن سهل الواسطي المعروف ببحشل في كتابه تاريخ واسط[3]: حدثنا محمد بن الهيثم، حدثنا شجاع بن الوليد، عن عمرو بن قيس، عمَّن حدثه[4] عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرَّقت اليهود علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة كلها في النار، وتفرَّقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار، وإن أمتي ستفترق علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة». فقال عمر بن الخطاب: أخبِرْنا يا رسول الله مَن هم. قال: «السواد الأعظم». وفي السند مجهول.

* وأما حديث أبي أمامة فرواه الطبراني في الكبير[5] بلفظ: «تفرَّقت بنو إسرائيل علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، وتفرَّقت النصارىٰ علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وأمتي ستزيد عليهم فرقة، كلها في النار إلا السواد الأعظم». ورواته موثَّقون. ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان[6]: حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد، حدثنا يحيىٰ ابن مطرِّف، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك، حدثنا قريش بن حيان، حدثنا أبو غالب، عن أبي أمامة به. ورواه الضياء في المختارة بلفظ: «إن بني إسرائيل ...» والباقي سواء، وفيه: «وإن هذه الأمَّة ستزيد عليهم فرقة». ورواه أحمد وأبو يعلىٰ من حديث أبي هريرة مثله في السياق، إلا أن فيه: تفرَّقت اليهود، بدل: بني إسرائيل. وقد تقدمت الإشارة إليه.

* وأما حديثا ابن عمر وابن مسعود فقد أشار إليهما السخاوي في المقاصد.

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ١٦٤.

(٢) مسند البزار ٤/ ٣٨ حتىٰ قوله (علىٰ مثلها) ولم يذكر ما بعده.

(٣) تاريخ واسط ص ٢٣٥ (ط - مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة).

(٤) في تاريخ واسط: عن جدته. وهو تحريف.

(٥) المعجم الكبير ٨/ ١٧٩، ٣٢١، ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٦) تاريخ أصبهان ١/ ٢٨٦.

* وأما حديث عمرو بن عوف فرواه الحاكم[١] من طريق كثير بن عبد الله ابن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده عمرو بن عوف المُزَني عن النبي ﷺ قال: «إن بني إسرائيل افترقت علىٰ موسىٰ [علىٰ إحدىٰ و] سبعين فرقة، كلها ضالة إلا واحدة [الإسلام وجماعته] ثم افترقت علىٰ عيسىٰ ابن مريم علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، كلها ضالَّة إلا واحدة [الإسلام وجماعته] وإنكم تفترقون علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، كلها ضالة إلا واحدة: الإسلام وجماعته». وفيه قصة. ورواه أيضًا الطبراني[٢]. قال الحاكم: وكثير بن عبد الله لا تقوم به حُجة.

* وأما حديثا أبي الدرداء وواثلة فقد أشار إليهما السخاوي في المقاصد.

* وأما حديث علي بن أبي طالب فرواه أبو نعيم في الحلية[٣] وابن النجار في التاريخ بلفظ: تفترق هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، شرُّها فرقة تنتحل حبَّنا وتفارق أمرنا. وفي سنده لِين.

(وقد كانوا) ﷺ (علىٰ المنهج القصد) أي المتوسط بين الإفراط والتفريط **(وعلىٰ السبيل الواضح الذي فصَّلناه من قبل، فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا)** أي لأجل إقامة أمور الدنيا **(بل للدين)** وما يتوصَّلون بها إليه **(وما كانوا يترهَّبون)** أي ما كانوا مثل الرهابين يتخلَّون **(ويهجرون الدنيا بالكلية، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط، بل كان أمرهم بين ذلك قوامًا)** أي معتدلاً **(وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين)** وبه فُسِّر قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧] **(وهو أحب الأمور إلىٰ الله تعالىٰ)** لِما ورد في الخبر: «خير الأمور أوساطها» **(كما سبق ذِكرُه في مواضع)** من هذا الكتاب **(والسلام)**.

ولنختم الكتاب بفائدة لها تعلُّق بما سبق نشير إليها:

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٢٠٧.

(٢) المعجم الكبير ١٧/ ١٣.

(٣) حلية الأولياء ٥/ ٨ موقوفا.

اعلم[1] أنه لمَّا احتاج الناس بعضهم إلىٰ بعض سخَّر الله كل واحد من كافَّتهم لصناعةٍ ما يتعاطاها، وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفيَّة واتفاقات سماوية ليؤثر الواحد بعد الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملابستها، وتطيعه قُواه لمزاولتها، فإذا جعل الله صناعة أخرىٰ فربما وُجد متبلِّدًا فيها ومتبرِّمًا بها، وقد سخَّرهم الله لذلك لئلاَّ يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الأقوات والمعاونات، ولولا ذلك لَما اختاروا من الأسماء إلا أحسنها، ومن البلاد إلا أطيبها، ومن الصناعات إلا أجملها، ومن الأعمال إلا أرفعها، ولتناصروا علىٰ ذلك، ولكن الله بحكمته جعل كل واحد منهم في ذلك مجبرًا في صورة مخيَّر، فالناس إما راضٍ بصنعته لا يريد عنها حِوَلاً، كالحائك الذي يرضىٰ بصنعته ويعيب الحَجَّام الذي يرضىٰ بصناعته ويعيب الحائكَ، وبهذا انتظم أمرُهم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٣] وإما كاره لها يكابدها مع كراهته لها كأنه لا يجد عنها بدلاً، وعلىٰ ذلك دلَّ قولُ النبي ﷺ: «كل ميسَّر لِما خُلق له». بل صرَّح تعالىٰ بذلك في قوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا﴾ الآية [الزخرف: ٣٢] وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ﴾ [الفرقان: ٢٠] وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] ولهذا قال ﷺ: «لن يزال الناس بخير ما تباينوا، فإذا تساووا هلكوا». فالتباين والتفرُّق والاختلاف في نحو هذا الموضع سبب الالتئام والاجتماع والاتفاق، كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتعدُّدها الذي لولاه لَما حصل لها نظام، فسبحان الله، ما أحسن ما صنع، وأحكم ما أسَّس، وأتقن ما دبَّر! تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

(١) الذريعة ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

قد وقع الفراغ من شرح كتاب ذم الدنيا علىٰ يد مسوِّده العبد الفقير أبي الفيض محمد مرتضىٰ الحسيني، غفر الله له بمنِّه وكرمه، في آخر ساعة من نهار السبت ثامن عشري صفر الخير من شهور سنة ١٢٠٠، حامدًا لله مسلِّمًا محسبلاً.. آمين. والحمد لله رب العالمين.

فهرس موضوعات كتاب ذم الدنيا

٢٦ - كتاب ذم الدنيا

المقدمة ٥

بيان ذم الدنيا ١١

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها ٧٠

بيان صفة الدنيا بالأمثلة ٨٩

بيان حقيقة الدنيا وماهيَّتها في حق العبد ١١٧

بيان ماهية الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هِمَم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم ١٤٣

فهرس موضوعات كتاب ذم الدنيا ١٧٧

كتاب ذم البخل وذم حب المال

- الفصل الأول: في بيان ذم المال وكراهة حبه
- بيان مدح المال، والجمع بينه وبين الذم
- بيان تفصيل آفات المال وفوائده
- بيان ذم الحرص والطمع، ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس
- بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي تُكتسَب به صفة القناعة
- بيان فضيلة السخاء
- حكايات الأسخياء
- بيان ذم البخل
- حكايات البخلاء
- بيان الإيثار وفضله
- بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما
- بيان علاج البخل
- بيان مجموع الوظائف التي علىٰ العبد في ماله
- بيان ذم الغِنىٰ ومدح الفقر

٢٧ - كتاب ذم البخل وذم حب المال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر، نحمده علىٰ عظيم إحسانه ونيِّر برهانه ونوامي فضله وامتنانه، حمدًا يكون لحقه قضاء، ولشكره أداء، وإلىٰ ثوابه مقرِّبًا، ولحسن مزيده موجِبًا، ونستعين به استعانة راجٍ لفضله، مؤمِّل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطَّول، مذعن له بالعمل والقول، ونؤمن به إيمان مَن رجاه موقنًا، وأناب إليه مؤمنًا، وخضع له مذعنًا، وأخلص له موحِّدًا، وعظَّمه ممجِّدًا، ولاذَ به راضيًا مجتهدًا. ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله وصفيّه وخليله، المجتبَىٰ من خلائقه، والمفتاح لشرح حقائقه، والمختص بعقائل كراماته، والمصطفىٰ لمكارم رسالاته، الموضحَة به أشراط الهدىٰ، والمجلو به غريب الردىٰ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله الأئمة الأطهار، وأصحابه الفضلاء الأخيار، وأتباعهم المقتفين للآثار، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فهذا شرح كتاب «ذم البخل وحب المال»، وهو السابع من الربع الثالث من كتاب الإحياء للإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، سقىٰ الله ثراه صوب الغمامة المنحلَّة العزالي، يتضمَّن حل معاقده، وضبط أوابده، وضم ما انتثر من فوائده، وإبانة ما خفيَ من إشاراته،

وتوضيح ما اعتاص من مشكلات عباراته، عازيًا كل قول إلىٰ قائله، وكل خبر إلىٰ راويه، وكل أثر إلىٰ ناقله، مرتقيًا ذروة معاليه، متكفِّلاً بضبط ألفاظه ومعانيه، وبالله أعتصم، وأسأله العصمة فيما يصم، مستعيذًا بالله من شر الشيطان الرجيم، ومن يعتصم بالله فقد هُديَ إلىٰ صراط مستقيم.

قال رحمه الله تعالىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله مستوجِب الحمد**) أي مُستحقه (**برزقه المبسوط**) أي المنثور علىٰ عِباده (**وكاشف الضر**) بالضم[1]، ويُفتح: ما يؤلم الظاهرَ من الجسم وهو ما يتصل بمحسوسه في مقابلة الأذىٰ وهو إيلام النفس وما يتصل بأحوالها، وتُشعِر الضمة فيه أنه عن علو وقهر، والفتحة بأنه ما يكون عن مماثل ونحوه (**بعد القنوط**) أي بعد الإياس من كشفه وهو رفعُه ودفعه (**الذي خلق الخلق**) أي المخلوقات بأسرها (**ووسَّع الرزق**) الحسي والمعنوي (**وأفاض علىٰ العالَمين**) بمقتضَىٰ جوده المطلق (**أصناف الأموال**) وأنواعها من الصامت والناطق (**وابتلاهم**) أي اختبرهم (**فيها**) أي في تلك الأموال التي أُعطُوها (**بتقليب الأحوال**) أي تغييرها من حال إلىٰ حال (**وردَّدهم فيها**) أي جعلهم مردَّدين فيها (**بين**) حالتَي (**العسر واليسر**) أي الضيق والفرج (**والغنىٰ والفقر، والطمع واليأس، والثروة**) أي الكثرة (**والإفلاس**) أي الفقر والعدم (**والعجز والاستطاعة**) أي التمكُّن والقدرة (**والحرص والقناعة، والبخل والجود، والفرح بالموجود والأسف**) محرَّكة، أي الحزن (**علىٰ المفقود، والإيثار والإنفاق، والتوسُّع والإملاق**) أي الافتقار والاحتياج (**والتبذير**) أي تفريق المال علىٰ وجه الإسراف (**والتقتير**) أي تقليل النفقة (**والرضا بالقليل واستحقار الكثير**) بأن لا يكون له مقام كبير عنده (**كل ذلك ليبلوهم**) أي يختبرهم (**أيُّهم أحسن عملاً**) أي أزهدهم في الدنيا، كما قاله الفضيل بن عياض (**وينظر أيهم آثَرَ الدنيا علىٰ الآخرة بدلاً**) أي اختارها بدلاً عنها (**وابتغىٰ عن الآخرة عدولاً وحِوَلاً**) بكسر ففتح: اسم

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٧٩ نقلا عن أبي الحسن الحرالي.

بمعنىٰ التحول والانقلاب (**واتخذ الدنيا ذخيرة**) يعتدُّها (**وخَوَلاً**) محرَّكة، وهو الحشم والخدم.

(**والصلاة علىٰ**) السيد الكامل (**محمد، الذي نسخ بملَّته**) الحنيفية (**مِلَلاً**) أي أزال أحكامها وعاداتها (**وطوىٰ بشريعته أديانًا ونِحَلاً**) بكسر ففتح، جمع نِحلة بالكسر، وهي الدعوة (**وعلىٰ آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذُلُلاً**) بضمتين، جمع ذليل، أي أذِلاَّء منقادين (**وسلم تسليمًا كثيرًا**.

أما بعد، فإن فتن الدنيا كثيرة الشُّعَب والأطراف) والشُّعبة - بالضم - من الشجرة: الغصن المتفرِّع منها، والجمع: شُعَب، كغرفة وغُرَف (**واسعة الأرجاء والأكناف**) والأرجاء: النواحي، والأكناف: الجوانب (**ولكن الأموال أعظم فِتنها وأطم**) أي أعم (**محنها، وأعظم فتنة فيها**) أي في الأموال (**أنه لا غِنىٰ لأحد عنها**) ولله در المتنبي[1] حيث قال:

ومن نكدِ الدنيا علىٰ الحُر أن يرىٰ ... عدوًّا له ما من صداقته بدُّ

إن كان عنىٰ بذلك المالَ فهو أحسن ما قيل فيه (**ثم إذا وُجدت فلا سلامة منها**) أي من شرورها (**فإن فقد المال**) وعدمه (**حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرًا**) كما ورد في الخبر: «كاد الفقر أن يكون كفرًا». رُوي ذلك من حديث أنس مرفوعًا ومن حديث الحسن مرسلاً، وقد تقدم[2]. وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة أن لقمان قال لابنه: يا بني، قد ذقتُ المرار، فليس شيء أمرَّ من الفقر. ولذا استعاذ النبي ﷺ منه (**وإن وُجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خُسرًا**) أي انتقاصًا في رأس ماله (**وبالجملة، فهي لا تخلو من الفوائد والآفات**) باختلاف الحالات (**وفوائدها من المنجيات، وآفاتها من المهلكات،**

---

(١) البيت في ديوانه ص ١٩٨.

(٢) في كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، وكذا أثر لقمان بعده.

وتمييز خيرها من شرِّها من المعوصات) أي من المشكلات، يقال: أعوصَ الأمرُ: إذا أشكل فهمُه (التي لا يقوَىٰ عليها إلا ذوو البصائر في الدين) الذين كشف الله عن بصيرتهم، وأنار بنور الهداية سريرتَهم، أولئك (من العلماء الراسخين) أي المتمكِّنين في معارفهم (دون المترسِّمين) الذين يعرفون من العلوم رسومها (المغترِّين) بما هم فيه (وشرحُ ذلك مهم علىٰ الانفراد) أي الاستقلال (فإن ما ذكرناه) أولاً (في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرًا في المال خاصةً بل في الدنيا عامةً؛ إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل) من حظوظه (والمال بعض أجزاء الدنيا، والجاه بعضها، واتِّباع شهوة البطن والفرج بعضها، وتشفِّي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها، والكبر وطلب العلو بعضها، ولها أبعاض كثيرة) غير ما ذُكر (ويجمعها كلُّ ما كان للإنسان فيه حظ عاجل) كما سبق بيانه (ونظرُنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده؛ إذ فيه آفات وغوائل) أي مَهالك (وللإنسان من فقده صفةُ الفقر، ومن وجوده صفة الغِنىٰ، وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان. ثم للفاقد حالتان: القناعة والحرص، وإحداهما مذمومة) وهي الحرص (والأخرىٰ محمودة) وهي القناعة، ولا يكون الحرص إلا إذا تناهت الشهوة عقلية كانت أو بدنية، وقد يكون الحرص محمودًا لكن لا في أمور الدنيا (وللحريص حالتان: طمع فيما في أيدي الناس) مما يملكونه (أو تشمُّر للحِرَف والصناعات مع اليأس من الخلق، والطمع شر الحالتين. وللواجد) وهو في مقابلة الفاقد (حالتان: إمساك بحكم البخل والشح، وإنفاق) أي بذل (وإحداهما مذمومة) وهي الإمساك (والأخرىٰ محمودة) وهي الإنفاق (وللمنفق حالتان: تبذير) في غير محله (واقتصاد، والمحمود) منهما (هو الاقتصاد. وهذه أمور متشابهة، وكشفُ الغطاء عن الغموض فيها مهم، ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلاً إن شاء الله تعالىٰ، وهو: بيان ذم المال، ثم مدحه، ثم تفصيل فوائد المال وآفاته، ثم ذم الحرص والطمع، ثم علاج الحرص والطمع، ثم فضيلة السخاء، ثم حكايات الأسخياء، ثم ذم البخل، ثم حكايات البخلاء، ثم

الإيثار وفضله، ثم حد السخاء والبخل، ثم علاج البخل، ثم مجموع الوظائف في المال، ثم ذم الغِنىٰ ومدح الفقر) فهذه أربعة عشر مقصدًا، جعل كل مقصد في فصل مستقل علىٰ هذا النسق والترتيب.

الفصل الأول: في بيان ذم المال وكراهة حبه

(قال الله تعالىٰ) في كتابه العزيز: (﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ ﴾) أي لا تشغلكم (﴿ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ﴾) أي إلهاء أحدهما عنه (﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾) [المنافقون: ٩] في تجارتهم، المتنغِّصون في حظوظهم، وأصل الإلهاء الصرف؛ لأن اللهو منقول من لها: إذا غفل.

(وقال تعالىٰ: ﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾) أي تفتنكم عن أمور الدين وتوقعكم في المهالك. وقدَّم الأموال في الآيتين تنبيهًا علىٰ أنها أعظم أسباب الفتنة (﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التغابن: ١٥]. **فمَن اختار ماله وولده علىٰ ما عند الله فقد خسر وغبن خسرانًا عظيمًا.**

وقال تعالىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ الآية) [هود: ١٥] أي إلىٰ آخرها.

(وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾) [العلق: ٦ - ٧] أي[1] رأىٰ نفسه، و«استغنىٰ» مفعوله الثاني؛ لأنه بمعنىٰ علمَ، ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد.

(وقال تعالىٰ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ ﴾) [التكاثر: ١] أي[2] التباهي بالكثرة في الأموال والأولاد ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ ﴾ [التكاثر: ٢] أي حتىٰ متم وقُبِرتم، مضيِّعين أعماركم في طلب الدنيا عمَّا هو أهم لكم وهو السعي لأخراكم. وهذا أحد الوجوه في تفسير الآية.

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ٣٢٥.

(٢) السابق ٥/ ٣٣٤.

(وقال رسول الله ﷺ: حب المال والشرف يُنبِتان النفاق في القلب كما يُنبِت الماء البقل) قال العراقي[1]: لم أجده بهذا اللفظ، وذكره بعد هذا بلفظ «الجاه» بدل «الشرف».

قلت: وروىٰ أبو نعيم في الحلية والديلمي: «حب الغنىٰ يُنبِت النفاقَ في القلب كما ينبت الماءُ العشبَ». واختُلف في المراد به هل هو الغنىٰ المقابل للفقر، أو هو الممدود بمعنىٰ غناء الشعر. وروىٰ الديلمي من حديث أنس: «الغناء واللهو يُنبِتان النفاقَ في القلب كما يُنبِت الماءُ العشبَ». وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب آداب السماع.

(وقال ﷺ: ما ذئبان) مثنىٰ[2] ذئب، و«ما» بمعنىٰ ليس، و«ذئبان» اسمها، وقوله: **(ضاريان)** صفة له، أي لهجان. وفي رواية: جائعان، وفي أخرىٰ: عاديان **(أُرسِلا في زريبة غنم)** أي مأواها، والجملة في محل رفع صفة **(بأكثر إفسادًا)** خبر «ما»، والباء زائدة **(فيها)** أي في الزريبة. وفي رواية: لها. والضمير للغنم، واعتُبِرت فيه الجنسية فلذا أُنِّث **(من حب المال والجاه)** هو المفضَّل عليه لا اسم التفضيل **(في دين الرجل المسلم)** ومقصود الحديث أن حب المال والجاه أكثر إفسادًا للدين من إفساد الذئبين للغنم؛ لأن ذلك يستجرُّ صاحبه إلىٰ ما هو مذموم شرعًا.

قال العراقي[3]: رواه الترمذي[4] والنسائي في الكبرىٰ[5] من حديث كعب بن مالك، وقالا: جائعان، مكان: ضاريان، ولم يقولا: في زريبة. وقالا: الشرف، بدل: الجاه. قال الترمذي: حسن صحيح. وللطبراني في الأوسط[6] من حديث أبي سعيد:

---

(1) المغني 2/ 889.

(2) فيض القدير 5/ 446 - 447 بتصرف.

(3) المغني 2/ 889.

(4) سنن الترمذي 4/ 185.

(5) السنن الكبرىٰ 10/ 386.

(6) المعجم الأوسط 6/ 235.

«ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم ...» الحديث. وله[١] وللبزار من حديث أبي هريرة: ضاريان جائعان. وإسناد الطبراني فيهما ضعيف.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٢] وأبو يعلىٰ[٣] في مسنديهما، قال الهيثمي[٤]: رجالهما رجال الصحيح غير محمد بن عبد الملك بن زنجويه وعبد الله بن محمد بن عقيل، وقد وُثِّقا. وقال المنذري: إسناد الترمذي جيد[٥]. ولفظهم جميعًا[٦]: «ما ذئبان جائعان أُرسِلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء علىٰ المال والشرف لدينه».

ورواه الطبراني[٧] والضياء في المختارة[٨] من حديث عاصم بن [أبي البَدَّاح بن عاصم بن] عدي عن أبيه عن جده قال: اشتريت أنا وأخي مائة سهم من [سهام] خيبر، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «ما ذئبان عاديان أصابا غنمًا أضاعها ربُّها بأفسد لها من حب المرءِ المالَ والشرف لدينه».

وروىٰ الطبراني في الأوسط[٩] من حديث أسامة بن زيد بلفظ: «ما ذئبان ضاريان باتا في حظيرة فيها غنم يفترسان ويأكلان بأسرع فسادًا فيها من طلب المال

---

(١) السابق ١/ ٢٣٦.

(٢) لم أقف عليه في مسند أحمد. بل عنده ١٥٨٢٢ من ح كعب بن مالك.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ١١/ ٣٣١.

(٤) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٣٧. كلام الهيثمي علىٰ مسند أبي يعلي فقط، الذي هو من رواية أبي هريرة ولم يخرجه أحمد من حديثه، ولا هو مخرجه من حديث كعب.

(٥) ذكر المنذري في الترغيب والترهيب ص ٦٩٨، ١٠٦٤، ١١٧٦ حديثي كعب وأبي هريرة، أما حديث كعب فاقتصر علىٰ نقل كلام الترمذي، وأما حديث أبي هريرة - وهو ليس عند الترمذي - فقال عنه: «رواه الطبراني وأبو يعلىٰ، وإسنادهما جيد».

(٦) بل ليس هذا لفظ أبي يعلىٰ.

(٧) المعجم الكبير ١٧/ ١٧٣ - ١٧٤.

(٨) الأحاديث المختارة ٨/ ١٧٦.

(٩) بل في المعجم الصغير ٢/ ١٥٠.

والشرف في دين المسلم». وقد أخرجه الضياء[١] كذلك.

(**وقال ﷺ: هلك الأكثرون إلا مَن قال به**) أي بالمال، أطلق القول وأراد به العمل (**في عباد الله**) أي المستحقِّين من الفقراء (**هكذا وهكذا**) وأشار بيده (**وقليلٌ ما هم**) قال العراقي[٢]: رواه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبزىٰ بلفظ: المكثرون، ولم يقل: في عباد الله. ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ «المكثرون». وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ: «هم الأخسرون». فقال أبو ذر: من هم؟ فقال: «هم الأكثرون مالاً إلا من قال هكذا ...» الحديث.

قلت: رواه أحمد وهنَّاد وعبد بن حميد وأبو يعلىٰ من حديث أبي سعيد بلفظ: «هلك المكثرون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا، وقليلٌ ما هم». وأما حديث أبي ذر المتفق عليه فهو: «إن المكثرين هم المقلُّون يوم القيامة إلا مَن أعطاه الله خيرًا فنفح فيه يمينه وشِماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرًا». وفي رواية: «إن الأكثرين هم الأقلُّون»[٣].

(**وقيل: يا رسول الله، أيُّ أمتك أشرُّ؟ قال: الأغنياء**) قال العراقي[٤]: غريب، لم أجده بهذا اللفظ. وللطبراني في الأوسط[٥] من حديث عبد الله بن جعفر: «شِرار أمتي الذين وُلدوا في النعيم وغُذُّوا به، يأكلون من الطعام ألوانًا...»، وفيه أصرم ابن حوشب، ضعيف. ورواه هنَّاد بن السري في الزهد[٦] له من رواية عروة بن رويم مرسلاً. وللبزار[٧] من حديث أبي هريرة بسند ضعيف: «إن من شِرار أمَّتي الذين

---

(١) الأحاديث المختارة ٤/ ١١٢.

(٢) المغني ٢/ ٨٨٩.

(٣) تقدمت هذه الأحاديث كلها في كتاب الزكاة.

(٤) المغني ٢/ ٨٩٠.

(٥) المعجم الأوسط ٧/ ٣٧٢.

(٦) الزهد ٢/ ٣٦٣.

(٧) مسند البزار ١٦/ ٢٤٣.

غُذُّوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم».

قلت: وحديث عبد الله بن جعفر هذا قد تقدم في آفات اللسان[١]، وله بقية: «ويركبون من الدواب ألوانًا، ويتشدَّقون في الكلام». وقد رواه كذلك الحاكم[٢] وصحَّحه، وتُعُقِّب، والبيهقي في الشعب. ومرسَل عروة بن رويم رواه هناد بن السري في الزهد ومن طريقه أبو نعيم في الحلية[٣]: حدثنا وكيع حدثنا الأوزاعي عنه رفعه: «خيار أمتي الذين ...» الحديث، وفيه: «وشرار أمتي الذين وُلدوا في النعيم وغُذُّوا به، وإنما نهمتهم ألوان الطعام والثياب، ويتشدَّقون في الكلام». ورُوي مثله من حديث ابن عباس بلفظ: «شِرار أمتي الذين وُلدوا في النعيم وغُذُّوا به، الذين يأكلون طيِّب الطعام، ويلبسون ليِّن الثياب، هم شرار أمتي حقًّا حقًّا ...» الحديث، رواه الديلمي[٤]. ورُوي مثله من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ، رواه ابن أبي الدنيا[٥] وابن عدي[٦] والبيهقي[٧]، وقد تقدم في ذم الغيبة.

(وقال ﷺ: سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها، وينكحون أجمل النساء وألوانها، ويلبسون ألين الثياب وألوانها، ويركبون فره الخيل وألوانها، لهم بطون من القليل لا تشبع، وأنفُس بالقليل لا تَقنع، عاكفين علىٰ الدنيا يغدون ويروحون إليها، اتخذوها آلهة من دون إلههم، وربًّا دون ربهم، إلىٰ

(١) بل في كتاب كسر الشهوتين، وكذا حديث فاطمة ﷺ الذي سيشير إليه الشارح.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٧٠٠. ولم يصححه. وعبارة الذهبي في التلخيص: «أظنه موضوعا، فإسحاق بن واصل الضبي متروك، وأصرم متهم بالكذب».

ولم أقف علىٰ الحديث في شعب الإيمان.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ١٢٠.

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣٦٩.

(٥) ذم الغيبة والنميمة ص ٢٨.

(٦) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٥٦.

(٧) شعب الإيمان ٧/ ٤٦٠.

أمرها ينتهون، وهواهم يتبعون، فعزيمةٌ من محمد بن عبد الله لمَن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلِّم عليهم، ولا يعود مرضاهم، ولا يتبع جنائزهم، ولا يوقِّر كبيرهم، فمَن فعل ذلك فقد أعان علىٰ هدم الإسلام)[1] قال العراقي[2]: روىٰ الطبراني في الكبير[3] والأوسط[4] من حديث أبي أمامة: «سيكون بعدي رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، يتشدَّقون في الكلام، أولئك شِرار أمتي». وسنده ضعيف. ولم أجد لباقيه أصلاً.

قلت: وحديث أبي أمامة هذا أخرجه أيضًا أبو نعيم في الحلية[5].

وفي حديث عبد الله بن جعفر الذي ذُكر قبل هذا وفيه: «ويركبون الدواب ألوانًا».

وروىٰ[6] تمام في جزء من حديثه من حديث علي: «شِرار أمتي وأول مَن يُساق إلىٰ النار الأقماع من أمتي الذين إذا أكلوا لم يشبعوا، وإذا جمعوا لم يستغنوا».

(**وقال ﷺ: دعوا الدنيا لأهلها**) أي[7] اتركوها لهم (**مَن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه**) لنفسه ومَن تلزمه مؤنته (**أخذ حتفه**) أي هلاكه (**وهو لا يشعر**) بأن المأخوذ فيه هلاكه؛ إذ هي السم القاتل.

---

(١) هو بتمامه عند الحارث المحاسبي في النصائح التي في مجموع الوصايا صـ٩٦. أفدته من هامش ط المنهاج ٦/ ١١٧.

(٢) المغني ٢/ ٨٩٠.

(٣) المعجم الكبير ٨/ ١٢٧.

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ٢٤.

(٥) حلية الأولياء ٦/ ٩٠.

(٦) كنز العمال ٣/ ٣٩٩.

(٧) فيض القدير ٣/ ٥٣١.

قال العراقي[١]: رواه البزار[٢] من حديث أنس، وفيه هانئ بن المتوكل، ضعَّفه ابن حبان[٣].

قلت: ورواه كذلك ابن لال في مكارم الأخلاق[٤].

(وقال ﷺ: **يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك**) يا ابن آدم (**من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدَّقت فأمضيت**) رواه مسلم من حديث عبد الله بن الشخِّير وأبي هريرة، وقد تقدم في الكتاب الذي قبله.

(**وقال رجل: يا رسول الله، ما لي لا أحب الموت؟ فقال: هل معك من مال؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: قدِّمْ مالك**) بين يديك (**فإن قلب المؤمن مع ماله، إن قدَّمه أحَبَّ أن يلحقه، وإن خلَّفه أحب أن يتخلَّف معه**) قال العراقي[٥]: لم أقف عليه.

قلت: بل رواه ابن المبارك في الزهد[٦] عن عبد الله بن عبيد قال: قال رجل ... فذكره، وفيه: «هل لك مال؟ فقدِّمْ مالك بين يديك». والباقي سواء. ثم رأيت بخط المحدِّث الشمس محمد بن أحمد بن علي الداودي تلميذ الحافظ السيوطي

---

(١) المغني ٢/ ٨٩٠.

(٢) مسند البزار ١٣/ ٨٩، وأوله: ينادي منادٍ. وذكر قوله (دعوا الدنيا لأهلها) ثلاث مرات. وفيه: (أخذ جيفة). وكذا هو في كشف الأستار ٤/ ٢٧٠.

(٣) المجروحون من المحدثين ٢/ ٤٤٦، ونصه: «هانئ بن المتوكل الإسكندراني أبو هاشم، شيخ يروي عن حيوة بن شريح والمصريين، روىٰ عنه أهل مصر والغرباء يعقوب بن سفيان وغيره، كان يُدخَل عليه المناكير فكثرت المناكير في روايته، فلا يجوز الاحتجاج به بحال».

(٤) وقد رواه تمام في فوائده ١/ ٢٩٧ من غير طريق هانئ، ولكن فيه مسلم الملائي، قال البخاري: يتكلمون فيه. وقال ابن معين: لا شيء. وقال الفلاسي: منكر الحديث جدًّا. وقال النسائي: متروك. انظر: التاريخ الكبير ٧/ ٢٧١، والجرح والتعديل ٨/ ١٩٢، ١٩٣، والضعفاء للنسائي صـ٢٢٨.

(٥) المغني ٢/ ٨٩١.

(٦) الزهد والرقائق ص ٢٠٨.

علىٰ هامش المغني ما نصه: رواه أبو نعيم في الحلية[١] من حديث أبي هريرة، وفيه طلحة بن عمرو، ضعيف، وأخرجه من وجه آخر أقوىٰ منه لكن مرسلاً. ا.هـ. قلت: وكأنه يشير إلىٰ الذي قدَّمناه، وعبد الله بن عبيد بن عمير الليثي المكي تابعي ثقة[٢].

(وقال ﷺ: **أخِلاَّء ابن آدم**) جمع خليل، أي أصحابه (**ثلاثة، واحد يتبعه إلىٰ قبض روحه، والثاني إلىٰ قبره، والثالث إلىٰ محشره، فالذي يتبعه إلىٰ قبض روحه هو ماله، والذي يتبعه إلىٰ قبره هو أهله، والذي يتبعه إلىٰ محشره هو عمله**) قال العراقي[٣]: رواه أحمد والطبراني في الكبير[٤] والأوسط[٥] من حديث النعمان بن بشير بإسناد جيد نحوه، ورواه أبو داود الطيالسي[٦] وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط[٧] من حديث أنس بسند جيد أيضًا، وفي الكبير[٨] من حديث سمرة بن جندب. وللشيخين[٩] من حديث أنس: «يتبع الميتَ ثلاثةٌ، فيرجع اثنان، ويبقىٰ واحد ...» الحديث.

قلت: لفظ حديث أنس: «يتبع الميتَ ثلاثةٌ: أهله وماله وعمله، فيرجع

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٣٥٩.

(٢) وثقه أبو زرعة، وقال أبو حاتم: ثقة يحتج بحديثه، وفي حديثه عبيد الله بن الوليد الوصافي، قال أحمد ابن حنبل: ليس بمحكم الحديث، يكتب حديثه للمعرفة. وقال ابن معين: ضعيف. وقال العقيلي: في حديثه مناكير، لا يتابع علىٰ كثير من حديثه. انظر: الجرح والتعديل ٥/ ٣٣٦، الضعفاء للعقيلي ٣/ ١٢٨.

(٣) المغني ٢/ ٨٩١.

(٤) المعجم الكبير ٢١/ ١١٩.

(٥) المعجم الأوسط ٧/ ٢٤٤.

(٦) مسند الطيالسي ٣/ ٧٢.

(٧) المعجم الأوسط ٣/ ٧٢.

(٨) المعجم الكبير ٧/ ٣١٧.

(٩) صحيح البخاري ٤/ ١٩٤. صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٣.

اثنان ويبقىٰ واحد، يرجع أهله وماله ويبقىٰ معه عمله». هكذا رواه ابن المبارك[١] وأحمد[٢] والترمذي[٣] - وقال: حسن صحيح - والنسائي[٤].

(وقال الحواريُّون) وهم أصحاب عيسىٰ عليه السلام **(لعيسىٰ)** ابن مريم (عليه السلام: **ما لك تمشي علىٰ الماء ولا نقدر علىٰ ذلك؟ فقال لهم: ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة. قال: لكنهما عندي والمَدَر سواء**)[٥] نقله[٦] صاحب القوت.

(وكتب سلمان الفارسي إلىٰ أبي الدرداء) رضي الله عنهما: **(يا أخي، إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها ومالُه بين يديه، كلما تكفَّأ به الصراطُ قال له ماله: امْضِ، فقد أدَّيتَ حق الله فيَّ. ثم يُجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها ومالُه بين كتفيه، كلما تكفَّأ به الصراط قال له ماله: ويلك! ألا أدَّيتَ حق الله فيَّ؟ فما يزال كذلك حتىٰ يدعو بالويل والثبور)** قال العراقي[٧]: ليس هو من حديث سلمان، إنما هو من حديث أبي الدرداء أنه كتب إلىٰ سلمان، كذا رواه البيهقي في الشعب[٨]، وقال بدل «الدنيا»: المال، وهو منقطع.

---

(١) الزهد والرقائق ص ٢٠٨.

(٢) مسند أحمد ١٩/ ١٣٥.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٨٧.

(٤) سنن النسائي ص ٣١١.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين ص ٣٦ - ٣٧ عن الفضيل بن عياض.

(٦) هو بمعناه عن: ابن حبان من حديث أبي هريرة ١٤/ ١٠٠، والدارمي ١/ ٣٧٣ عن عطاء بن أبي رباح، وابن أبي شيبة عن ابن عباس قول ١٣/ ٢١١، وأبي نعيم ٣/ ٢٩٣ عن مجاهد، وابن المبارك في الزهد (٥٣٣) عن عطاء مرسلاً، وقال اللكنوي عن إسناد الدارمي: رجاله ثقات، والحديث مرسل. انظر العجالة صـ٨١.

(٧) المغني ٢/ ٨٩١.

(٨) شعب الإيمان ١٣/ ١٩٥ - ١٩٦.

قلت: وكذلك رواه سعيد بن منصور وابن عساكر[1] من طريق محمد بن واسع عن أبي الدرداء رفعه: «يُجاء بصاحب المال الذي أطاع الله فيه وماله بين يديه ... الحديث.

وقال أبو نعيم في الحلية[2]: وحدثنا أبو عمرو ابن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا بشر بن الحكم، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن صاحب له أن أبا الدرداء كتب إلىٰ سلمان: يا أخي، اغتنِمْ صحتك وفراغك ... الحديث، وفيه: يا أخي، لا تجمع ما لا تستطيع شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله فيها وهو بين يدي الله ومالُه خلفه ...» الحديث، وفيه بعد قوله «وماله بين كتفيه»: «فيعيِّره مالُه ويقول له: ويلك! هلاَّ عملتَ بطاعة الله فيَّ ...» الحديث بطوله، ثم قال: ورواه ابن جابر والمطعم بن المقدام عن محمد بن واسع أن أبا الدرداء كتب إلىٰ سلمان مثله.

(وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغِنىٰ ومدح الفقر يرجع جميعه إلىٰ ذم المال، فلا نطوِّل بتكريره، وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا، فيتناول ذم المال بحكم العموم؛ لأن المال أعظم أركان الدنيا، وإنما نذكر الآن ما ورد في المال خاصةً. قال ﷺ: إذا مات العبد قالت الملائكة: ما قدَّم؟ وقال الناس: ما خلَّف) رواه[3] البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة يبلغ به، وقد تقدَّم في كتاب آداب الصحبة.

وفي[4] بعض خطب علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إن المرء إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدَّم؟ لله آباؤكم، فقدِّموا بعضًا يكن لكم قرضًا، ولا تُخلِفوا كُلاًّ فيكون

(١) تاريخ دمشق ٤٧/ ١٥٣ - ١٥٤.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢١٤.

(٣) المغني للعراقي ٢/ ٨٩٢.

(٤) شرح نهج البلاغة ١١/ ٥. ورواه الرافعي في التدوين ٢/ ١٩١ عن الإمام الشافعي أنه حكىٰ عن بعض الحكماء أنه قال وهو يعظ ... فذكره بزيادة في أوله.

عليكم كَلاًّ[١].

(وقال ﷺ: **لا تتخذوا الضيعة**) أي[٢] العقار وهي الأرض التي تُزرَع ويُستغَل منها (**فتحبوا الدنيا**) أي تميلوا إليها فتلهيكم عن ذكر الله، ومن هنا قال بعض الحكماء: الضِّياع مدارج الهموم، وكتب الوكلاء مفاتيح الغموم. وقال أيضًا: الضيعة إن تعهَّدتَها ضِعتَ، وإن لم تتعهَّدها ضاعت. ووهب هشامٌ للأبرش ضيعة، فسأله عنها، فقال: لا عهد لي بها. فقال: لولا أن الراجع في هبته كالراجع في قيئه لأخذتُها منك، أما علمتَ أنها إنما سُمِّيت ضيعة لأنها تضيع إذا تُركت[٣]. وسيأتي للمصنف كلام في هذا، وحاصله: أن اتخاذ الضِّياع مما يسوِّد القلبَ ويلهي عن ذكر الله تعالىٰ، ومَن انتفَىٰ في حقه ذلك جاز له الاتخاذ.

قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] والحاكم[٦] - وصحَّح إسناده - من حديث ابن مسعود بلفظ «فترغبوا».

قلت: أي «فترغبوا في الدنيا». وكذلك رواه ابن المبارك[٧] وهنَّاد كلاهما في الزهد وابن جرير في تهذيبه. وفي سند الترمذي والحاكم شمر بن عطية عن المغيرة ابن سعد بن الأخرم عن أبيه عن ابن مسعود، ولم يُخرِج الستة عن هؤلاء الثلاثة شيئًا غير الترمذي، وقد وُثِّقوا.

(**الآثار**) الواردة في ذم المال:

---

(١) في نهج البلاغة: فرضا.

(٢) فيض القدير ٦/ ٣٨٧.

(٣) هذه الآثار الثلاثة ذكرها الزمخشري في ربيع الأبرار ١/ ١٧٠، ١٨٣.

(٤) المغني ٢/ ٨٩٢.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ١٥٥ - ١٥٦ وقال: حسن.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٧) الزهد والرقائق ص ١٧٣.

(رُوي أن رجلاً نال من أبي الدرداء) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وأراه سوءًا، فقال: اللهم مَن فعل بي سوءًا فأصِحَّ جسمه، وأطِلْ عمره، وأكثِرْ ماله)[١] نقله صاحب القوت (فانظر كيف رأىٰ كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر؛ لأنه لا بد وأن يفضي إلىٰ الطغيان) أي التجاوز عن الحدود.

(ووضع عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ درهمًا علىٰ كفِّه ثم قال: أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعني) نقله صاحب القوت.

(ورُوي أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرسل إلىٰ زينب بنت جحش) الأسدية[٢] أم المؤمنين ﷺ (بعطائها) وهو قسمها من مال البحرين، قال عبد الله بن رافع راوي الأثر: (فقالت: ما هذا؟ قالوا) يعني الرسول ومَن عندها: (أرسل به إليكِ عمر بن الخطاب) من عطائك (قالت: غفر الله له) لقد كان غيري أقوىٰ علىٰ قسمة هذا مني. قال الرسول: هذا كله لكِ. وكان آلافًا كثيرة، فقالت: سبحان الله! ضعوه واطرحوا عليه ثوبًا (ثم حلَّت سترًا كان لها فقطَّعته وجعلته صُرَرًا وقسمتها في أهل بيتها ورحمها وأيتامها) وفي رواية: ثم قالت للراوي: أدخِلْ يدك فاقبِضْ منه قبضة فاذهب بها إلىٰ بني فلان. ثم جعلت تقبض من تحت الثوب ترسله إلىٰ الأيتام والمساكين حتىٰ أنفذته (ثم رفعت يديها وقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا. فكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقًا به) ﷺ[٣]. وقد كان رسول الله ﷺ أخبرهن

---

(١) روي هذا الأثر بغير هذا السياق ولكن عن عامر بن عبد الله بن عبد القيس العنبري وليس عن أبي الدرداء، فروىٰ أحمد في الزهد ص ١٨٥ وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٩/ ١٠٨ عن سعيد الجريري قال: لما سُيِّر عامر بن عبد الله شيعه إخوانه، فلما كان بظهر المربد قال: إني داعٍ فأمِّنوا. قالوا: هات، فقد كنا نستبطئ هذا منك. قال: اللهم من وشىٰ بي وكذب علي وأخرجني من مصري وفرق بيني وبين إخواني اللهم فأكثر ماله وولده وأصح جسمه وأطل عمره.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ١٢/ ١٦٢، ٢٧٥ - ٢٧٨.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٥٤ ومعرفة الصحابة ٦/ ٣٢٢٤، وابن أبي الدنيا في كتاب مجابي الدعوة ص ٤٣ - ٤٤، وابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ١٠٦، كلهم عن عبد الله بن رافع عن برزة بنت رافع.

بذلك وهن مجتمِعات عنده فقال: «أسرعكن لحاقًا بي أطولكن باعًا». كما رواه مسلم[١] والنسائي[٢] وابن حبان[٣] من حديث عائشة. فلم يكن بينهن أجود بالعطاء وأسخىٰ بالمال من زينب، فأسرعت به لحاقًا. وهذه القصة أخرجها ابن سعد في الطبقات[٤] بسند فيه الواقدي عن محمد بن كعب قال: كان عطاء زينب بنت جحش اثنىٰ عشر ألفًا، لم تأخذه إلا عامًا واحدًا، فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال من قابل فإنه فتنة. ثم قسمته في أهل رحمها وفي أهل الحاجة، فبلغ عمرَ فقال: هذه امرأة يُراد بها خير. فوقف عليها وأرسل بالسلام وقال: بلغني ما فرَّقتِ. فأرسل [إليها] ألف درهم [تستنفقها] فسلكت به ذلك المسلك. وفي الصحيحين: وكانت زينب امرأة صَناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدَّق في سبيل الله[٥].

قال صاحب القوت: وكانت بعدها عائشة ﷺ في الجود والسخاء، روىٰ هشام ابن عروة عن أبيه أن معاوية بعث إلىٰ عائشة مرةً بمائة ألف. قال: فوالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتىٰ فرَّقتْها، فقالت مولاة لها: لو اشتريتِ لنا من هذه الدراهم بدرهم لحمًا. فقالت: لو قلتِ لي قبل أن أفرِّقها لفعلتُ[٦].

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(واللهِ ما أعزَّ الدرهمَ أحدٌ إلا أذلَّه الله)**[٧] ولفظ القوت: وقال الحسن: ما أعزَّ أحد نفسه إلا أهان دينه. وحلف

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١١٤٧، وكذا هو في صحيح البخاري ١/ ٤٣٩.

(٢) سنن النسائي ص ٣٩٦.

(٣) صحيح ابن حبان ٨/ ١٠٨ - ١٠٩، ١٥/ ٥٠.

(٤) الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ١٠٦ - ١٠٧.

(٥) هذا اللفظ ليس في الصحيحين، وإنما هو عند ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٥/ ٤٢٦، وفيه: «وكانت زينب امرأة صناع اليدين، كانت تعمل وتتصدق به في سبيل الله».

(٦) هذا سياق أبي نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٤٧. أما صاحب القوت فأورده ٣/ ١٥٠١ مختصرا بلفظ: «وقد كانت عائشة تفرق مائة ألف وإن درعها لمرقوع، فقالت لها الخادمة: لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه. فقالت: لو ذكرتيني لفعلت».

(٧) رواه أحمد في الزهد ص ٢١٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٥٢، ٦/ ٢٧٢، والبيهقي في الزهد الكبير ص ١٤١ - ١٤٢.

بالله ما أعز أحدٌ الدينار والدرهم إلا أذلَّ دينَه. وقال مرةً: إلا أذلَّه الله. ومرةً: يجعل ذلك بعض العقلاء في النفس فيقول: مَن أراد أن يعز نفسه فليذل درهمَه، وما أعز أحدٌ درهمه إلا أهان نفسه.

(**وقيل: إن أول ما ضُرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما علىٰ جبهته ثم قبَّلهما وقال: مَن أحبَّكما فهو عبدي حقًّا**) أخرجه صاحب الحلية عن وهب بن منبه[١].

(**وقال سُمَيط بن عجلان**) الشيباني البصري. و«سميط» يُروَىٰ بالشين المعجمة والمهملة، وهو أخو الأخضر بن عجلان (**إن الدنانير والدراهم أَزِمَّة المنافقين، يُقادون بها إلىٰ النار**)[٢] أي بمنزلة الأزِمَّة التي تُقاد بها الدواب.

(**وقال يحيىٰ بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالىٰ: (**الدرهم عقرب، فإن لم تُحسِن رُقيته فلا تأخذه، فإنه إن لدغك قتلك**[٣] **سمُّه. قيل: وما رقيته؟ قال: أخذُه من حِلِّه ووضعُه في حقه**) نقله صاحب القوت.

(**وقال العلاء بن زياد**) البصري، تقدم ذِكرُه في الكتاب الذي قبله (**تمثَّلت لي الدنيا**) بصورة (**امرأة وعليها من كل زينة، فقلت: أعوذ بالله من شركِ. قالت: إن كنتَ تريد أن يعيذك الله مني فأبغِض الدرهم والدينار**) أخرجه صاحب الحلية، وقد تقدم في الكتاب الذي قبله (**وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها؛ إذ يُتوصَّل بهما إلىٰ جميع أصنافها، فمَن صبر عنهما صبر عن الدنيا، ولذلك قيل:**

---

(١) بل رواه ١/ ٣٢٨ عن ابن عباس بلفظ: «لما ضُرب الدينار والدرهم أخذه إبليس فوضعه علىٰ عينيه وقال: أنت ثمرة قلبي وقرة عيني، بك أطغِي، وبك أُكفِر، وبك أُدخِل النار، رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدك».

(٢) رواه أحمد في الزهد ص ٣٣، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ١٢٨. وعندهما: إلىٰ السوءات. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب إصلاح المال ص ٢٩ بلفظ المصنف.

(٣) إلىٰ هنا رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٥٩.

إني وجدت فلا تظنُّوا غيرَه ... أن التورُّع عند هذا الدرهم

فإذا قدرتَ عليه ثم تركتَه ... فاعلمْ بأن تُقاك تقوى المسلم[1]

وفي ذلك قيل أيضًا:

لا يغرَّنَّك من المر ... ءِ قميصٌ رقَعه

أو إزارٌ فوق عظم السـ ... ـاق منه رفعه

أو جبينٌ لاحَ فيه ... أثرٌ قد خلعه

أرِه الدرهمَ تعرف ... غيَّه أو ورعه)

هكذا أوردها صاحب القوت، وتقدم للمصنف أيضًا في كتاب آداب السماع[2].

(ويُروىٰ عن مَسلمة بن عبد الملك) بن مروان، كان عالمًا في علم الحدثان[3]، وزعم أنه أخذه عن خالد بن يزيد بن معاوية، وهو الذي بشَّر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بمُلك الأندلس، وغزا مسلمة إلىٰ القسطنطينية سنة ثمان وتسعين في البر، وعمر بن هبيرة في البحر، فجازا جميعًا الخليج وافتتحا مدينة الصقالبة، ثم عادا إلىٰ القسطنطينية، ثم دخلها، وأقام المسلمون بعرصتها وبنوا وزرعوا وأكلوا من زراعتهم (**أنه دخل علىٰ عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالىٰ (**عند موته، فقال: يا أمير المؤمنين، صنعتَ صنيعًا لم يصنعه أحد قبلك، تركتَ ولدك ليس لهم دينار ولا درهم. وكان عنده ثلاثة عشر من الولد**) الذكور وخمس

---

(١) البيتان لسفيان الثوري، كذا أوردهما له ياقوت في معجم الأدباء ١/ ٣٦. وأورد أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٧٦ البيت الأول فقط، وفيه (التنسك) بدل (التورع).

(٢) بل في كتاب الكسب والمعاش.

(٣) هو الإخبار عن المغيبات. انظر: مقدمة ابن خلدون ٢/ ٧٦٢، وتعليق وافي ٣/ ١٢٨٣ ط الدكتور علي عبد الواحد وافي رحمه الله تعالىٰ.

من الإناث، وقيل: أربعة عشر، والصحيح: اثنا عشر ذكورًا وست بنات، كما سيأتي، منهم إبراهيم وعبد الله وحفص وعبد العزيز، وأما عبد الملك وسهل فإنهما ماتا قبله (**فقال عمر: أقعِدوني. فأقعدوه، فقال: أما قولك لم أدَعْ لهم دينارًا ولا درهمًا، فإني لم أمنعهم حقًّا لهم، ولم أعطِهم حقًّا لغيرهم، وإنما ولدي أحد رجلين: إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولَّىٰ الصالحين، وإما عاصٍ لله فلا أبالي علىٰ ما وقع**) أخرجه أبو نعيم في الحلية[1] فقال: حدثنا أبو محمد ابن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني أبو إسحاق، حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا هاشم قال: لمَّا كانت الصرعة التي هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إنك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال فتركتَهم عالة لا شيء لهم، فلو أوصيت بهم إليَّ أو إلىٰ نُظَرائي من أهل بيتك. قال: فقال: أسنِدوني. ثم قال: أما قولك إني أقفرت أفواه ولدي من هذا المال، فإني واللهِ ما منعتُهم حقًّا هو لهم، ولم أعطِهم ما ليس لهم. وأما قولك لو أوصيت بهم إليَّ أو إلىٰ نُظَرائي من أهل بيتك، فإن وصيي ووليي [فيهم] الله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولَّىٰ الصالحين، بَنِيَّ أحد رجلين: إما رجل يتَّقي الله فسيجعل الله له مخرجًا، وإما رجل مكبٌّ علىٰ المعاصي فإني لم أكن لأقوِّيه علىٰ معصية الله. ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكرًا. قال: فنظر إليهم، فذرفت عيناه فبكىٰ، ثم قال: بنفسي الفِتية الذين تركتُهم علىٰ لا شيء لهم، بل بحمد الله تركتُهم علىٰ خير، أي بَني، إنكم لن تلقوا أحدًا من العرب ولا من المعاهدين إلا كان لكم عليهم حقًّا. يا بني، إن أباكم مِيلَ بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، وأن تفتقروا ويدخل الجنة، فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار، قوموا عصمكم الله.

وبالسند المذكور إلىٰ أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا سهل بن محمود، حدثنا عمر بن حفص المُعَيطي، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: قلت: كم

---

(١) حلية الأولياء ٥/ ٣٣٣ - ٣٣٤.

ترك لكم عمر من المال؟ فتبسَّم وقال: حدثني مولىٰ لنا كان يلي نفقتَه قال: قال لي عمر حين احتضر: كم عندك من المال؟ قال: قلت: أربعة عشر دينارًا. قال: فقال: تحتملوني بها من منزل إلىٰ منزل. فقلت: كم ترك لكم من الغلة؟ قال: ترك لنا غلة ستمائة دينار [كل سنة، ثلاثمائة دينار] ورثناها عنه، وثلاثمائة دينار ورثناها عن أخينا عبد الملك، وتركَنا اثنىٰ عشر ذكرًا وست نسوة، اقتسمنا ماله علىٰ خمس عشرة.

(**ورُوي أن محمد بن كعب القُرَظي**) التابعي المدني الثقة (**أصاب مالاً كثيرًا، فقيل له: لو ادَّخرتَه لولدك من بعدك. قال: لا، ولكني أدَّخره لنفسي عند ربي، وأدَّخر ربي لولدي**)[١] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**ويُروَىٰ أن رجلاً قال لأبي عبد رب**) الدمشقي[٢] الزاهد، ويقال: أبو عبد ربه، ويقال: أبو عبد ربِّ العزة. مولىٰ ابن غَيْلان الثقفي، ويقال: مولىٰ بني عُذْرة. وقيل: اسمه عبد الجبار، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: قسطنطين. روىٰ عن معاوية، وعنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. روىٰ له ابن ماجه[٣] (**يا أخي، لا تذهب بشرٍّ وتترك أولادك بخير. فأخرج أبو عبد رب من ماله مائة ألف درهم**) رواه أبو نعيم في الحلية[٤] من طريق سعيد بن عبد العزيز بلفظ: خرج من عشرة آلاف دينار، أو من مائة ألف.

(**وقال يحيىٰ بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالىٰ: (**مصيبتان لم يسمع الأوَّلون**

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٥/ ١٤٥.

(٢) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٦ - ٣٨.

(٣) حديثٌ واحدًا برقم ٤١٩٩.

(٤) حلية الأولياء ٥/ ١٦٠. ورواه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ ٢/ ٤١٢ عن أبي عبد رب قال: لقيني رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، لا تذهب بشر وتترك أهلك بخير. قال سعيد: فأراه قد خرج من مائة ألف وعشرين ألف، حتىٰ ربما قال لنا: إنا لثمانية ما لنا شيء إلا عشرة. يعني عيلا. وفي رواية أخرىٰ له ٢/ ٤١٧: إنا ثمانية من العيال ما لنا إلا ما يخرج من بيت المال.

والآخِرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته. قيل: وما هما؟ قال: يؤخَذ منه كله، ويُسئل عنه كله)[١] نقله صاحب القوت.

وكان عون بن عبد الله المسعودي أوصىٰ بضيعة له أن تُباع بعد موته ويُتصدَّق بها، فقيل له: تدَع عيالك؟ فقال: أقدِّم هذا لنفسي وأدَّخر الله لعيالي. وجاءته مرة خمسون ألفًا، فقيل له: لو اعتقدتها لولدك. قال: أعتقدها لنفسي، وأعتقد الله لولدي[٢].

---

(١) رواه الخطيب في الزهد والرقائق ص ٦١.

(٢) رواهما أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٤٢.

بيان مدح المال، والجمع بينه وبين الذم

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ (**أن الله تعالىٰ قد سمَّىٰ المال خيرًا في مواضع من كتابه العزيز**) وبيانه: أن[1] الخير لغةً ضد الشر، وهو ما يرغب فيه الكلُّ كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشيء النافع. وقيل: الخير ضربان: خير مطلق، وهو ما يكون مرغوبًا فيه بكل حال وعند كل أحد، كما وصف ﷺ به الجنةَ فقال: «لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشرٍّ بعده الجنة». وخير وشر مقيَّدان، وهو أن يكون خيرًا لواحد شرًّا لآخر، كالمال الذي ربما يكون خيرًا لزيد وشرًّا لعمرو. ولذلك وصفه الله تعالىٰ بالأمرين (**فقال**) في موضع: (﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ **الآية**) وتمام الآية: ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] وقال في موضع آخر: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦] فقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي مالًا، وقال بعض العلماء: لا يقال للمال خير حتىٰ يكون كثيرًا ومن مكان طيب، كما رُوي أن عليًّا رضي الله عنه دخل علىٰ مولًىٰ له، فقال: ألا أوصي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وليس لك مال كثير. وعلىٰ هذا أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۞﴾ [العاديات: ٨] أي لحب المال [الكثير] وقال بعض العلماء: إنما سُمِّي المال خيرًا تنبيهًا علىٰ معنىٰ لطيف وهو أن المال الذي تحسُن الوصيةُ به ما كان مجموعًا من وجه محمود، وعلىٰ ذلك أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] وقوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣] قيل: عنىٰ به مالاً من جهتهم، وقيل: إن علمتم أن عتقهم يعود عليكم وعليهم بنفع، أي ثواب.

---

(١) المفردات للراغب ص ١٦٠. وبصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي ٢/ ٥٧٢ ط المجلس الأعلىٰ.

وكذلك[١] قوله تعالىٰ: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ ﴾ [فصلت: ٤٩] أي لا يفتُر من طلب المال وما يُصلِح دنياه.

فهذه المواضع التي أُطلِق فيها الخير وأريدَ به المال، وقد بيَّنت ذلك في شرحي علىٰ القاموس[٢].

(**وقال ﷺ: نِعم المال الصالح للرجل الصالح**) قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] والطبراني في الكبير والأوسط[٥] من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ «نعمَّا»، وقال: للمرء.

(**وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهذا ثناء علىٰ المال**) ضمنًا (**إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به.**

وقال تعالىٰ) في قصة موسىٰ والخضر عليهما السلام: (﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾) من ذهب وفضة (﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾) [الكهف: ٨٢] أي مرحومين من ربك. قال البيضاوي[٦]: ويجوز أن يكون علة أو مصدرًا لـ «أراد»، فإن إرادة الخير رحمة، وقيل: متعلِّق بمحذوف تقديره: فعلتُ ما فعلت رحمةً من ربك.

(**وقال تعالىٰ ممتنًّا علىٰ عباده**) في[٧] حكاية عن بعض أنبيائه فيما خاطب به أمَّته: (﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم

---

(١) شرح السنة للبغوي ١٤/ ٢٨٣.

(٢) تاج العروس ١١/ ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) المغني ٢/ ٨٩٢.

(٤) مسند أحمد ٢٩/ ٢٩٩، ٣٣٧.

(٥) المعجم الأوسط ٣/ ٢٩٢، ٩/ ٢٣.

(٦) أنوار التنزيل ٣/ ٢٩١.

(٧) الذريعة للراغب ص ٢٧٤.

بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢] وفيه بيان لعِظَم موقع المال عند مَن لا يتجاوز المحسوسات.

(**وقال ﷺ: كاد الفقر أن يكون كفرًا**) رواه أبو مسلم الليثي في سننه والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وقد تقدَّم الكلام عليه في كتاب ذم الغضب (**وهو ثناء علىٰ المال. ولا تقف علىٰ وجه الجمع بين المدح والذم إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله حتىٰ ينكشف لك أنه خير من وجه وشر من وجوه، وأنه محمود من حيث هو خير، ومذموم من حيث هو شر، فإنه ليس بخير محض**) أي مطلقًا (**ولا هو شر محض**) مطلقًا (**بل هو سبب للأمرين جميعًا، وما هذا وصفُه فيُمدح لا محالة تارةً ويُذَم أخرىٰ، ولكن البصير المميِّز**) يعرف أنه (**يدرك أن المحمود منه غير المذموم، وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم**) وهي[1] كثيرة غير محصاة علىٰ التفصيل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨] ولكنها بالإجمال علىٰ خمسة أنواع وهي: أخروية ونفسية وبدنية وخارجية وتوفيقية (**والقدر المقنع فيه هو أن مقصد الأكياس**) أي العقلاء (**وأرباب البصائر**) أي المعارف الذوقية (**سعادة الآخرة**) وهي أعلىٰ أنواع النعم الخمسة (**التي هي النعيم الدائم**) بلا زوال (**والمُلك المقيم**) بلا انتقال، وإياها قُصد بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ﴾ الآية [هود: ١٠٨] وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصِّرف، وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغِنىٰ بلا فقر (**والقصد إلىٰ هذا دأب الكرام والأكياس؛ إذ قيل لرسول الله ﷺ: مَن أكرم الناس وأكيسهم**)؟ أي مَن أفضلهم كرامةً وأكثرهم كياسة (**فقال: أكثرهم للموت ذِكرًا، وأشدهم له استعدادًا**) قال العراقي[2]: رواه ابن ماجه[3] من حديث ابن عمر بلفظ «أيُّ المؤمنين

---

(١) السابق ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) المغني ٢/ ٨٩٢.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٤٦.

أكيس»؟ ورواه ابن أبي الدنيا في الموت[(١)] بلفظ المصنف، وإسناده جيد.

(وهذه السعادة لا تُنال إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي: الفضائل النفسية كالعلم وحُسن الخُلق، والفضائل البدنية كالصحة والسلامة، والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الأسباب) يعني أن سعادة[(٢)] الآخرة منوطة بتحصيل هذه الفضائل الثلاثة والسعي فيها واستعمالها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ الآية [الإسراء: ١٩] وأصول الفضائل النفسية أربعة: العقل وكماله العلم، والعفَّة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الإنصاف. وهي المعبَّر عنها بالدين. ويكمُل ذلك بالفضائل البدنية، وهي أربعة أشياء: الصحة والقوة والجمال وطول العمر، وبالفضائل المطيفة بالإنسان وهي الخارجة عن البدن، وهي أربعة أشياء: المال والأهل والعز وكرم العشيرة. ولا سبيل إلىٰ تحصيل ذلك إلا بتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك بأربعة أشياء: هدايته ورشده وتسديده وتأييده. فجميع ذلك خمسة أنواع هي عشرون من ضرب خمسة في أربعة، ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا فيما هو نفسيٌّ فقط، والسعادة الحقيقية هي الخيرات الأخروية، وما عداها فتسميته بذلك إما لكونه معاونًا في بلوغ ذلك أو نافعًا فيه، فكل ما أعان علىٰ خير [وسعادة فهو خير و] سعادة، وهذه الأشياء التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الأخروية متفاوتة الأحوال، فمنها ما هو نافع في جميع الأحوال وعلىٰ كل وجه، ومنها ما هو نافع في حال دون حال وعلىٰ وجه دون وجه، وربما يكون ضرُّه أكبر من نفعه، فحق الإنسان أن يعرفها بحقائقها حتىٰ لا يقع عليه الخطأ في اختياره الوضيع علىٰ الرفيع وتقديمه الخسيس علىٰ النفيس. فإن قيل: ما الخير والسعادة والفضيلة والنافع؟ وهل بين هذه الأربعة فرقٌ؟ قيل: أما الخير المطلق فهو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لأجله، وهو الذي يتشوَّفه كل عاقل،

---

(١) ذكر الموت ص ٧٧.

(٢) الذريعة ص ١٠٦ - ١١٢.

وأما السعادة المطلقة فحُسن الحياة في الآخرة، وهي الأربع التي تقدَّم ذِكرُها، وقد يقال لِما يُتوصل به إلىٰ هذه السعادات الأربع: سعادة، وهي الستة عشر المتقدمة، ويضادُّها الشقاوة. وأما الفضيلة فاسم لِما يحصِّل به الإنسان مزية علىٰ الغير، وهو اسم لِما يُتوصل به إلىٰ السعادة، ويضادها الرذيلة. وأما النافع فهو ما يعين علىٰ بلوغ الفضيلة والسعادة والخير، وهو ضربان: ضروري، وهو ما لا يمكن الوصول إلىٰ المطلوب إلا به كالعلم والعمل الصالح للمكلَّفين في البلوغ إلىٰ النعيم الدائم، وغير ضروري وهو الذي قد يسد غيرُه مَسَدَّه، كالسكنجبين في كونه نافعًا في قمع الصفراء، فإن ذلك قد يسد غيرُه مَسدَّه، وكل نافع قد يسمَّىٰ فضيلة وسعادة وخيرًا لكونه مبلِّغًا إلىٰ ذلك.

وقول المصنف: وهذه السعادة لا تُنال ... الخ، يشير به إلىٰ أن بعض الفضائل محتاج إلىٰ بعض، إما حاجة ضرورية بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصحَّ وجود الآخَر، أو حاجة نافعة بحيث لو لم يوجد لاختلَّ حال الآخَر، وذلك أن السعادة الحقيقية الأخروية لا سبيل إلىٰ الوصول إليها إلا باكتساب الفضائل النفسية، ولا سبيل إلىٰ تحصيل هذه إلا بصحة البدن وقوَّته، ولأنه لا غنىٰ لكمال الفضائل النفسية والبدنية عن الفضائل الخارجة، فإنه وإن أمكن أن يُتصوَّر حصولها لمَن لا مال له ولا أهل ولا عشيرة فإنها لا تكمُل إلا بها **(وأعلاها)** أي تلك الفضائل **(النفسية، ثم البدنية، ثم الخارجة)** المطيفة بالإنسان **(فالخارجة أخسُّها، والمال من جملة الخارجات)** فصاحبه يتمكَّن من الفضائل [فـ]إذا فقده [(١)] بلوغها، والفقير في تحرِّي المكارم كساعٍ إلىٰ الهيجاء بغير سلاح أو كبازٍ متصيِّد بلا جناح، ولله در مَن قال[(٢)]:

فـلا مجـد في الدنيـا لمَـن قـلَّ مالـه ... ولا مـال في الدنيـا لمـن قـلَّ مجـدُه

---

(١) كلمة لم أستطع تبينها.

(٢) هو المتنبي، والبيت في ديوانه ص ٤٥٤.

ومن جِملة الخارجات: الأهل، فنِعم العون علىٰ بلوغ السعادة، قال الشاعر[١]:

ألـم تـرَ أن جمـع القـوم يُخشـىٰ وأن حريـم واحدهـم مبـاح

والعز، فبه يتأبَّىٰ عن تحمُّل الذل، ومَن لا عز له لا يمكنه أن يذود عن حريمه. وكرم العشيرة، فإنه مخيلة لكرم الفرع، وقال الشاعر:

إن السـريَّ إذا سـرَىٰ فبنفسـه وابن السريِّ إذا سرىٰ أسراهما[٢]

وإذا علمتَ ذلك فألقِ سمعَك إلىٰ أن[٣] المال إذا اعتُبر لكونه أحد أسباب [قوام] الحياة الدنيوية فهو عظيم الخطر؛ لأنك متىٰ توهَّمته مرتفعًا يعسُر علىٰ الناس تزجيةُ[٤] معاشهم، وقد تقدم أن الناس يحتاج بعضهم إلىٰ بعض، ولا يمكنهم التعايش ما لم يتظاهروا. وإذا اعتُبر بسائر القنيات فهو صغير الخطر؛ إذ هو أخسُّ القنيات، فالقنيات ثلاثة: نفسية وبدنية وخارجة، والخارجة أدونها **(وأدناها)** أي الخارجات الناضُّ المتعامَل به وهو **(الدراهم والدنانير، فإنهما خادمان ولا خادم لهما)** غير مخدومين **(ومرادان لغيرهما، ولا يُرادان لذاتهما)** فإنَّا لو تصوَّرنا ارتفاعَ الضرورات التي بها تُستدفَع لكانت هي والحصباء سواء. وسائر القنيات خادم من وجه، ومخدوم من وجه **(إذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها، وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصيلها صفة في ذاتها، والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء، والمطاعم)** والمشارب

---

(١) هو ناهض بن ثومة الكلابي العامري (توفي نحو ٢٢٠ هـ). الأغاني للأصفهاني ١٣/ ١٢٨. محاضرات الأدباء للراغب ١/ ٢٧١.

(٢) البيت في الصحاح للجوهري ٦/ ٢٣٧٥ بلا نسبة، والشطر الأول فيه هكذا:

وترىٰ السري من الرجال بنفسه

(٣) الذريعة ص ١٠٧، ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٤) مدافعة معاشهم. التاج ٣٨/ ٢١١.

(والملابس تخدم البدن) والمآكل والملابس يخدمهما المالُ، فالمال من حقه أن يكون خادمًا لغيره من القنيات، وأن لا يكون شيء من القنيات خادمًا له، وإن كان كثير من الناس لجهلهم يجعلون جاههم وأبدانهم ونفوسهم خدمًا لمالهم وعبيدًا **(وقد سبق أن المقصود من المطاعم إبقاء)** مسكة **(البدن، ومن المَناكح)** صورة **(إبقاء النسل، ومن البدن تكميل)** هيئة **(النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخُلق)** وإن كان جماله وسمته وحُسن حاله مرغوبًا فيها، إلا أن المقصود هو ما ذكره المصنف **(ومَن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه، وأنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير)**[1] ولذلك جُعل من الخيرات المتوسطة **(ومَن عرف فائدة الشيء وغايته)** التي ينتهي إليها **(ومقصده)** منه **(واستعمله لتلك الغاية ملتفتًا إليها)** جاعلاً تلك نُصب عينيه **(غير ناسٍ لها فقد أحسنَ)** في صنيعه **(وانتفع)** بعمله **(وكان ما حصل له الغرض)** الذي هو بصدده **(محمودًا في حقه. فإذًا المال آلة)** لتحصيل الفضائل **(ووسيلة إلىٰ مقصود صحيح، ويصلُح أن يُتخَذ)** أيضًا **(آلة ووسيلة إلىٰ مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادَّة)** أي المانعة **(عن سعادة الآخرة)** أي عن تحصيلها **(وتسد سبيل العلم والعمل. فهو إذًا محمود مذموم، محمود بالإضافة إلىٰ المقصد المحمود، ومذموم بالإضافة إلىٰ المقصد المذموم)** وبه اتضح وجه كونه من الخيرات المتوسطة **(فمَن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه)** هو ومن تلزمه مؤنته **(فقد أخذ حتفه)** أي هلاكه **(وهو لا يشعر)** بهلاكه **(كما ورد به الخبر)** الذي تقدم قريبًا، وأوله: «دعوا الدنيا لأهلها»، وتقدم تخريجه والكلام عليه **(ولمَّا كانت الطباع مائلة إلىٰ اتِّباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهِّلاً لها)** لتلك الشهوات **(وآلة إليها عظُم الخطرُ فيما يزيد علىٰ قدر الكفاية)** والحاجة **(فاستعاذ الأنبياء)** عليهم السلام **(من شرِّه، حتىٰ قال نبيُّنا ﷺ: اللهم اجعلْ قوت آل محمد**

---

(١) في ط المنهاج: هو خير. وفي م الإمام: خر. وكلاهما أصوب.

كفافًا) القوت[١]: ما يُسَد به الرمق، سُمِّي به لحصول القوة به. والكفاف: ما لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة. والمراد بآل محمد: زوجاته ومَن في نفقته، أو مؤمنو بني هاشم، أو أتقياء أمته. والحمل علىٰ الأعمِّ أتمُّ.

قال العراقي[٢]: متفق عليه[٣] من حديث أبي هريرة. انتهىٰ.

قلت: الذي في المتفق عليه: «اللهم ارزق آل محمد قوتًا». وعند مسلم وحده: «اللهم ارزق آل محمد كفافًا». وعنده أيضًا وكذلك أحمد[٤] والترمذي[٥] وابن ماجه[٦]: «اللهم اجعلْ رزق آل محمد في الدنيا قوتًا». وفي لفظ: كفافًا[٧]. والمعنىٰ: اجعلْ رزقهم بُلغة تسد رمقَهم وتمسك قوَّتهم بحيث لا ترهقهم الفاقةُ ولا تذلُّهم المسألة ولا يكون فيهم فضول يصل إلىٰ ترفُّه وتبسُّط؛ ليَسلموا من آفات الغِنىٰ والفقر.

(فلم يطلب) لهم **(من الدنيا إلا ما يتمحَّض خيرُه.**

وقال) ﷺ أيضًا: **(اللهم أحيني مسكينًا، وأمِتني مسكينًا، واحشرني في زُمرة المساكين)** يوم القيامة. رواه الترمذي في الزهد من جامعه والبيهقي في الشعب من طريق ثابت بن محمد حدثنا الحارث بن النعمان عن أنس رفعه باللفظ المذكور، وفيه زيادة: فقالت عائشة: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا». ورواه ابن ماجه إلىٰ قوله «زُمرة المساكين» من طريق عطاء بن

---

(١) فيض القدير ٢/ ١٠٠ – ١٠١.

(٢) المغني ٢/ ٨٩٣.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٨٤. صحيح مسلم ١/ ٤٦٥، ٢/ ١٣٥٧.

(٤) مسند أحمد ١٢/ ٩٦، ١٥/ ٤٦٨، ١٦/ ١٧٢.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ١٧٦.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧٦ – ٥٧٧.

(٧) مسلم ٨/ ٢١٧، النسائي في الكبرىٰ ١٠/ ٣٩١، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٥٤.

أبي رباح عن أبي سعيد قال: أحِبُّوا المساكين، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه ... وذكره. ورواه الطبراني في الدعاء بدون قول أبي سعيد، وبلفظ «وتوفَّني». وفي لفظ عنده: «اللهم توفَّني إليك فقيرًا، ولا توفَّني غنيًّا، واحشرني [إليك] في زُمرة المساكين يوم القيامة». وأخرجه الحاكم وصحَّحه بزيادة: «وإن أشقىٰ الأشقياء مَن اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة». وقد تقدم الكلام عليه[1].

(واستعاذ إبراهيم ﷺ فقال) الله تعالىٰ في كتابه حكايةً عنه: (﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ ﴾) [إبراهيم: ٣٥] اعلم[2] أن الناض الذي هو العين والورق حجر جعله الله تعالىٰ سببًا للتعامل به كما تقدَّم ذِكره، وخادم كما تقدم ذِكره، فقبيح بالحر المترشِّح لنيل الفضائل والاقتداء بالباري جلَّ ثناؤه والوصول إلىٰ الغِنىٰ الأكبر أن يتهافت [علىٰ المال ويتناول] أكثر مما يحتاج إليه ويجعل نفسه أقل رقيق له وأخسه، فرِقُّ ذوي الأطماع رقٌّ مخلَّد ويكون معتكفًا فيه علىٰ حجر يعبده، علىٰ ما قال: ﴿ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] (و) إنما **(عنىٰ)** إبراهيم عليه السلام **(به)** أي بقوله المذكور في سؤاله من ربِّه أن يجنِّبه وبنيه عبادة [الأصنام] **(هذين الحجرين: الذهب والفضة)** والمراد بهما الأعراض الدنيوية الصارفة عن الله **(إذ رتبة النبوة أجَلُّ من أن يُخشىٰ عليها أن يعتقد)** هو وبنوه **(الإلهية)** واستحقاق العبادة **(في شيء من هذه الحجارة؛ إذ قد كُفي قبل النبوة عبادتها مع الصغر، وإنما معنىٰ عبادته: حبه والاغترار به والركون إليه)** وقد قال في موضع آخر إشارة إلىٰ ما يعمُّ هذا المعنىٰ وغيره: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ ﴾ [مريم: ٤٢].

(قال نبيُّنا ﷺ) في ذم من يجعل جاهه وبدنه ونفسه خادمًا للمال وعبدًا: **(تعسَ**

---

(١) في كتاب آداب الصحبة.

(٢) الذريعة ص ٢٧٤.

عبدُ الدينار، تعس عبد الدرهم) قال في المصباح[١]: تَعَسَ تَعْسًا، من باب نفع: أَكَبَّ على وجهه وعثر، وقيل: هلك، وقيل: لزمه الشرُّ. وهو تاعِس. وتَعِسَ من باب تَعِب لغةٌ، فهو تَعِسٌ مثل تَعِبَ. وفي الدعاء: تَعْسًا له وتَعِس وانتكَسَ، فالتَّعَس أن يخرَّ لوجهه، والنكس أن لا يستقلَّ بعد سقطته حتىٰ يسقط ثانيةً، وهي أشد من الأولىٰ **(تعس ولا انتعش)** يقال[٢]: انتعش العاثرُ: نهض من عثرته، ونعشه اللهُ وأنعشه: أقامه **(وإذا شِيكَ)** أي أصاب رجلَه الشوكُ **(فلا انتقش)** أي لا أخرج اللهُ منه ذلك، يقال[٣]: نقشتُ الشوكةَ نقشًا وانتقشتها: إذا استخرجتها بالمِنقاش.

قال العراقي[٤]: رواه البخاري[٥] من حديث أبي هريرة وأبو يعلىٰ، ولم يقل: ولا انتقش، وإنما علَّق آخره بلفظ: تعس وانتكس. ووصل ذلك ابن ماجه[٦] والحاكم. انتهىٰ.

قلت: رواه البخاري من طريق أبي بكر بن عيَّاش عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا. وفي لفظ للعسكري من طريق الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا «لُعن»[٧] بدل «تعس». وسياق حديث ابن ماجه بعد قوله «الدرهم»: «وعبد الحُلَّة وعبد الخميصة، إن أُعطيَ رضي، وإن لم يعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شِيكَ فلا انتقش، طوبىٰ لعبد آخِذ بعِنان فرسه ...»[٨] الحديث.

---

(١) المصباح المنير ص ٧٥.

(٢) السابق ص ٦١٣.

(٣) السابق ص ٦٢١.

(٤) المغني ٢/ ٨٩٣.

(٥) صحيح البخاري ٢/ ٣٢٨.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧٤.

(٧) وكذا رواه الترمذي في سننه ٤/ ١٨٥ مختصرا.

(٨) هذا اللفظ ليس لفظ ابن ماجه، وإنما هو لفظ البخاري، ولكن بدون قوله (عبد الحلة).

وعزاه السيوطي في الجامع الكبير[١] للبخاري أيضًا. وتقدَّم للمصنِّف في كتاب النكاح: «تعس عبد الزوجة» تبعًا لصاحب القوت، وقد ذكر العراقي هناك أنه لم يجد له أصلاً.

(فبيَّن أن محبهما عبدٌ لهما، ومَن عبد حجرًا فهو عابد صنم، بل كل مَن كان عبدًا لغير الله فهو عابد صنم، أي مَن قطعه ذلك عن الله تعالىٰ وعن أداء حقه فهو كعابد صنم) أي إن الغير يكون في حقه بمنزلة الصنم الذي يعبده المشركون، وأخبث حالاً منه الذي يتقرَّب إلىٰ الأعراض بما يتقرَّب به إلىٰ الله تعالىٰ كأسمائه تعالىٰ وآيات كتابه إذا اتُّخِذت ذريعة لتحصيل الدنيا، وكونه أخبث حالاً من المشركين لأن المشركين ادَّعوا أنهم يعبدون الحجارة لتقرِّبهم إلىٰ الله زُلفىٰ، وهؤلاء يلازمون الأسماء والدعوات لتقرِّبهم إلىٰ الدنيا زلفىٰ، ولا يخفَىٰ قبحُه **(وهو شرك، إلا أن الشرك شركانِ: شرك خفيٌّ لا يوجب الخلودَ في النار، وقلَّما ينفكُّ عنه المؤمنون، فإنه أخفَىٰ من دبيب النمل)** في الليلة الظلماء علىٰ الصخرة الصمَّاء، كما ورد في الخبر: «الشرك في أمَّتي أخفَىٰ من دبيب النمل علىٰ الصفا». رواه الحكيم[٢] من حديث ابن عباس. ورواه البزار[٣] من حديث عائشة بسند ضعيف. وروىٰ هنَّاد بن السري[٤] والحكيم[٥] وأبو يعلىٰ[٦] وابن المنذر وابن السني في عمل يوم وليلة[٧] من حديث أبي بكر بسند حسن: «الشرك فيكم أخفَىٰ من دبيب النمل، وسأدلُّك

---

(١) كنز العمال ٣/ ٢٠٢.

(٢) نوادر الأصول ص ١١٩٤.

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار ٤/ ٢١٧.

(٤) الزهد ٢/ ٤٣٤.

(٥) نوادر الأصول ص ١١٩٤.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٦٠ - ٦٢.

(٧) عمل اليوم والليلة ص ١٨١.

علىٰ شيء إذا فعلتَه أذهبَ عنك صغارَ الشرك وكباره ...» الحديث[1] (وشرك جليٌّ يوجب الخلودَ في النار) وهو عدم الإيمان بالله ورسله (نعوذ بالله من ذلك).

(١) وتمامه: «تقول ثلاث مرات: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم».

بيان تفصيل آفات المال وفوائده

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن المال مثل حية فيها سم وترياق) فسمُّها في فمها، وترياقها في لحمها (ففوائده ترياقه) النافع (وغوائله سمومه) المهلكة (فمَن عرف فوائده وغوائله أمكنه أن يحترز من سمِّه[1] ويستدرَّ من خيره) ويدَّعي ذلك، فالحكيم[2] بتناوله له يجري مجرَىٰ راقٍ حاذق تناول حية قد عرف نفعها وضرها وأمنَ شرها وسمها، فيتحرَّىٰ بتناوله الوجه الذي ينتفع هو به وينفع غيرَه، فهو مباح له تناوُله. وغير الحكيم إذا تناوله فهو كجاهل استحسن الحية واستلان مسها فظن أنها مستصلحة لأن يتقلَّد بها فجعلها سخابًا في عنقه فلدغته وقتلته، وكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية أن يقتدي بالراقي في تناول الحية والتصرف فيها، كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدي بالحكيم في تناول أعراض الدنيا. وكما أنه مُحال أن يسلك الأعمىٰ طريقًا وعرًا يسلكه البصير من غير قائد؛ إذ هو غير آمن أن يقع في وهدة، فكذلك مُحال أن يسلك الجاهل مستبدًّا برأيه في تناول أعراض الدنيا طريقًا يسلكه الحكيم العالِم؛ إذ هو غير آمن أن يقع في هاوية. وكما أن الغانية لا يجوز أن يدخل عليها ويخلو بها من الرجال إلا مَن كان مجبوبًا يؤمَن عليها، كذلك الدنيا لا يجوز أن يتمكَّن منها إلا المقطوع عنها بالعفَّة والزهد لئلاَّ تغرَّه، وذلك كأمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: يا حمراء، يا بيضاء، احمرِّي وابيضِّي، وغُرِّي غيري. ومَن تصوَّر ذلك علمَ أن الله تعالىٰ قد أباح الدنيا كلَّها لأوليائه علمًا أنهم لا يتناولونها إلا علىٰ ما يجب وكما يجب، وإذا تناولوها وضعوها كما يجب وحيثما يجب، وعلىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ

(١) في غير الزبيدي: شره. وفي ط المنهاج وم الإمام: فوائدها.

(٢) الذريعة ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقال تعالىٰ: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فافهمْ ذلك (أما الفوائد فهي تنقسم إلىٰ دنيوية ودينية، أما الدنيوية فلا حاجة إلىٰ ذِكرها، فإنَّ معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق، ولولا ذلك لم يتهالكوا علىٰ طلبها. وأما الدينية فينحصر جميعُها في ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن ينفقه علىٰ نفسه) وذلك (إما في عبادة) الله تعالىٰ كُلِّف بها (أو في الاستعانة علىٰ عبادة. أما في العبادة فهو كالاستعانة به علىٰ الحج) إلىٰ بيت الله الحرام (والجهاد) مع الكفار (فإنه لا يُتوصَّل إليهما إلا بالمال) فمَن لا مال له كيف يحج أو كيف يجاهد؟ (وهما من أمَّهات القُربات، والفقير محروم من فضلهما) ومن هنا قول الشاعر:

المـرء يرفعـه الغِنـىٰ والفقـر مَنقصـة وذل[1]

وفي الخبر: «نِعم العون علىٰ تقوىٰ المالُ» (وأما فيما يقوِّيه علىٰ العبادة فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة) التي لا يستغني عنها الإنسان (فإنَّ هذه الحاجات إذا لم تتيسَّر كان القلب منصرفًا إلىٰ تدبيرها فلا يتفرَّغ للدين، وما لا يُتوصَّل إلىٰ العبادة إلا به فهو عبادة، فأخذُ الكفاية من الدنيا لأجل الاستعانة علىٰ الدين من الفوائد الدينية، ولا يدخل في هذا التنعُّمُ) والتلذُّذ (والزيادة علىٰ الحاجة، فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط) وليس للآخرة فيها حظٌّ.

(النوع الثاني: ما يصرفه إلىٰ الناس، وهو أربعة أقسام: الصدقة، والمروءة، ووقاية العِرض، وأجرة الاستخدام. أما الصدقة فلا يخفَىٰ ثوابُها، وإنها لتطفئ غضب الرب) كما ورد ذلك في الخبر، وفيها انفكاك من النار، وتمنع ميتة السوء، وتزيد في العمر، وتقي مصارعَ السوء، وتمنع سبعين نوعًا من أنواع البلاء أهونها الجُذام والبَرص. وكل ذلك في الأخبار (وقد ذكرنا فضائلها فيما تقدم) من كتاب

(١) لم أقف علىٰ قائل هذا البيت.

الزكاة (**وأما المروءة**) وقد اختُلف في اشتقاقها هل هي من مرئ أو من المرء. وعلىٰ أيِّ حال (**فنعني بها**) هنا جملة الأخلاق المستحسَنة التي منها: (**صرف المال إلىٰ الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة**) للأخ في مضايقه (**وما يجري مجراه، فإنَّ هذا لا يسمَّىٰ صدقة، بل الصدقة ما يسلَّم إلىٰ محتاج**) وهذا يصرفه إلىٰ غير محتاج (**إلا أن هذا من الفوائد الدينية؛ إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء، وبه يكتسب صفةَ السخاء ويلتحق بزُمرة الأسخياء**) والأجواد (**فلا يتَّصف بالجود إلا من يصطنع المعروف**) مع أشراف الناس ووجوههم (**ويسلك سبيلَ الفتوَّة والمروءة**) ومن هنا قيل[١] لمعاوية رحمه الله تعالىٰ: ما المروءة؟ فقال: إطعام الطعام وضرب الهام. وقيل لآخَر: ما المروءة؟ فقال: جُمَّاعها في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآية [النحل: ٩٠] وأما الفتوة فهي الإيثار بالدنيا علىٰ نفسه (**وهذا أيضًا مما يعظُم الثوابُ فيه، فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها**) مما تقدَّم ذِكرُ بعضها في آداب الكسب وفي آداب الأكل وفي آداب الصحبة. إلا أن مَن جاد بماله لأجل الناس كان موصوفًا بالسخاء، ولكن ذلك لنفسه ولأجل هواه، فهو موصوف بظاهر المروءة وبمعنىٰ الفتوة، ولا أجر له في الآخرة؛ لأنه عملَ لأجل نفسه لا لأجل ربه، وحصل في الدنيا شكرُه وذِكره تعويضًا له عن حرث الآخرة؛ لأن هذا حرث الدنيا، فلم يكن في الآخرة أضعافًا كثيرة (**وأما وقاية العِرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم، وهو أيضًا مع تنجُّز فائدته في العاجل من الحظوظ الدينية**) أيضًا (**قال رسول الله ﷺ: ما وقىٰ به المرءُ عِرضه كُتب له صدقة**) رواه أبو يعلىٰ[٢] من حديث جابر، وقد تقدم[٣]، ورواه الطيالسي[٤] [بلفظ]: «ما

---

(١) الذريعة ص ١١٧.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٣٦.

(٣) في كتاب آداب الصحبة.

(٤) مسند الطيالسي ٣/ ٢٨٢.

وقىٰ به المؤمنُ عِرضه فهو له صدقة». ورواه العسكري في الأمثال والقُضاعي في مسند الشهاب[١] من طريق عبد الحميد بن الحسن الهلالىٰ عن محمد بن المنكدر عن جابر بلفظ: «ما وقىٰ به المؤمنُ عِرضه فهو له صدقة». زاد القضاعي: «وما أنفق الرجل علىٰ أهله ونفسه كُتب له به صدقة». فقلت لمحمد بن المنكدر: وما معنىٰ «ما وقىٰ به المرء عِرضه»؟ فقال: أن يعطي الشاعرَ أو ذا اللسان المتَّقَىٰ (**وكيف لا**) يكون ذلك (**وفيه منعُ المغتاب عن معصية الغِيبة، واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام علىٰ مجاوزة حدود الشريعة.**

وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة، ولو) فُرض أنه (**تولاَّها بنفسه ضاعت أوقاته**) فيها (**وتعذَّر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر**) في جلائل عظمة الله تعالىٰ (**والذكر الذي هو أعلىٰ مقامات السالكين**) وبهما يتوصَّلون إلىٰ معرفة الله تعالىٰ (**ومَن لا مال له فيفتقر إلىٰ أن يتولَّىٰ بنفسه خدمةَ نفسه من شراء الطعام**) من السوق (**وطبخه**) وطحنه وعجنه (**وكنس البيت**) وغير ذلك من اللوازم (**حتىٰ نسخ الكتابِ الذي يحتاج إليه**) في أمور دينه، فإنه من اللوازم الضرورية (**وكل ما يُتصوَّر أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضُك فأنت متعوب**)[٢] خاسر الحظ (**إذا اشتغلتَ به؛ إذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يُتصوَّر أن يقوم به غيرك، فتضييع الوقت في غيره خسرانٌ**) وانتقاص حظ.

(**النوع الثالث: ما لا يصرفه إلىٰ إنسان معيَّن، ولكن يحصل به خير عامٌّ**) للمسلمين (**كبناء المساجد**) أي إحداثها في محلاَّت قوم يحتاجون إليها، أو تعميرها ورم ما تشعَّث منها وتجديد مرافقها (**والقناطر**) في طريق العامة في المواضع المحتاج إليها (**والرباطات**) لأبناء السبيل وإدرار الرزق عليها (**ودور المرضىٰ**) وتقييد مَن يخدمهم وينظر في مصالحهم وربط ما يُصرَف إلىٰ أدويتهم

---

(١) مسند الشهاب ١/ ٨٩ - ٩٠.

(٢) في ط المنهاج ٦/ ١٣١، م الإمام: مغبون.

(ونصب الحِباب) جمع حُب، أي مخازن المياه **(في الطرق)** المسلوكة خصوصًا في طريق الحرمين؛ لعموم النفع بذلك **(وغير ذلك من الأوقاف المرصَدة للخيرات، وهي من الخيرات المؤبَّدة، الدارة بعد الموت، المستجلِبة بركة أدعية الصالحين إلىٰ أوقات متمادية)** أي متطاولة **(وناهيك بها خيرًا)** عظيمًا.

(فهذه جملة فوائد المال في الدين سوىٰ ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال) فأيُّ السؤال مطلقًا ذلٌّ، ولو: أين الطريق؟ **(و)** من الخلاص من **(حقارة الفقر)** فإن الفقير حقير دائمًا، بمعنىٰ أنه تستحقره النفوس والعيون، كما قال الشاعر:

والمرء يرفعه الغِنىٰ والفقر مَنقصة وذل

(والوصول إلىٰ العز والمجد بين الخلق) كما قال المتنبي:

فلا مجد في الدنيا لمَن قلَّ ماله ولا مال في الدنيا لمَن قلَّ مجده

(وكثرة الإخوان والأعوان والأصدقاء، والوقار) عند الناس **(والكرامة في القلوب، فكل ذلك مما يقتضيه المالُ من الحظوظ)** العاجلة **(الدنيوية.**

وأما الآفات فدينية ودنيوية، أما الدينية فثلاثة:

الأولىٰ: أن يجرَّ إلىٰ المعاصي، فإن الشهوات متقاضية)[١] والنفس جموح **(والعجز قد يحول بين المرء والمعصية)** كما قيل: **(ومن العصمة أن لا تقدر)** وفي لفظ: أن لا تجد **(ومهما كان الإنسان آيسًا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيتُه)** إليها؛ ليأسه منها **(فإن استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته)** وتحركت شهوتُه **(والمال نوع من)** تمام **(القدرة يحرك داعيةَ المعاصي وارتكاب الفجور، فإن اقتحم ما اشتهاه)** وركب هوىٰ نفسه **(هلك، وإن صبر وقع في شدة)** وساء خُلقُه **(إذ الصبر**

---

(١) أي: يتبع بعضها بعضًا لأ، الشهوة تدعو اختها.

مع القدرة أشد) من الصبر مع العجز (وفتنة السَّرَّاء أعظم من فتنة الضَّرَّاء) ولذا ورد: «إني أخشىٰ عليكم فتنة السَّرَّاء»[١].

(الثانية: أن يجرَّ إلىٰ التنعُّم في المباحات، وهذا أول الدرجات، فمتىٰ يقدر صاحب المال علىٰ أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن) من صوف أو قطن (ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في مُلكه) كما تقدم في الكتاب الذي قبله (فأحسنُ أحواله أن يتنعَّم بالدنيا وتمرن عليها[٢] نفسُه) أي تتعوَّد (فيصير التنعُّم مألوفًا عنده ومحبوبًا لا يصبر عنه، ويجره البعض منه إلىٰ البعض، فإذا اشتد أنسُه به ربما لا يقدر علىٰ التوصُّل إليه بالكسب الحلال) لضيقه (فيقتحم) أي يدخل (الشُّبهات) ويرتكبها (ويخوض في المراءاة) مع الناس (والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة) من هذا الجنس (لينتظم له أمرُ دنياه ويتيسَّر له تنعُّمه، فإنَّ مَن كثر مالُه كثرت حاجته إلىٰ الناس، ومن احتاج إلىٰ الناس فلا بد وأن ينافقهم) بأن يُظهِر لهم خلاف ما يبطنه (ويعصي الله في طلب رضاهم) لأجل مصلحة المال (فإن سَلِمَ الإنسان من الآفة الأولىٰ وهي مباشرة المحظورات فلا يَسلم من هذه) الآفة (أصلاً، ومن الحاجة إلىٰ الخلق تثور العداوة والصداقة، وينبني عليها الحقد والحسد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلبَ واللسان، ولا يخلو عن التعدِّي أيضًا إلىٰ سائر الجوارح، وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلىٰ حفظه وإصلاحه) وتنميته والوقوف بإزائه.

(الثالثة، وهي التي لا ينفكُّ عنها أحد: وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالىٰ، وكل ما شغل العبدَ عن الله فهو خسران) ونقص حظ في حقه (ولذلك قال عيسىٰ عليه السلام: في المال ثلاث آفات: أن يأخذه من غير حِلِّه) وهي الأولىٰ (فقيل: إن

---

(١) مسند أبي يعلي ٢/ ١١٥، وشعب الإيمان ١٢/ ٥٢١ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) وفي الزبيدي: عليه. والمثبت من ط الشعب وم الإمام.

أخذه من حِلِّه؟ فقال: يضعه في غير حقه) وهي الثانية **(فقيل: إن وضعه في حقه؟ فقال: يشغله إصلاحه عن الله تعالىٰ)** وهي الثالثة.

(وهذا هو الداء العضال) الذي أعيت عنه الأطباءُ **(فإن أصل العبادات ومخها وسرها)** أي خلاصتها **(ذِكر الله تعالىٰ والتفكُّر في جلاله)** وعظمته وكبريائه **(وذلك يستدعي قلبًا فارغًا)** عن الشواغل الحسية والمعنوية والمشوِّشات الخارجة والداخلة **(وصاحب)** المال بأنواعه لا يكاد يفارقه الشغل الظاهر والباطن، فإنه إما ضيعة يستغلها، وإما تجارة في أصناف الأمتعة، أو غير ذلك، فصاحب **(الضيعة)** له شواغل كثيرة، فإنه **(يمسي ويصبح متفكِّرًا في خصومة الفلاح)** الذي يتقيد بزراعة الأرض **(ومحاسبته)** علىٰ ما تخرجه الأرض من أصناف الحبوب **(و)** هذا إن لم يكن له شركاء في حصَّته، فإن كانوا فلا يَسلم أن يشتغل **(في خصومة الشركاء ومنازعتهم)** في المحاسبة، وإلا فمع جيرانه ينازعهم **(في)** قسمة **(الماء)** الذي يسقي به أرضه **(و)** في **(الحدود)** وكم من دماء تُراق في غير حق عند قسم الماء وتعيين الحدود **(و)** إن سلم من هذه الآفات فلا يكاد يَسلم من **(خصومة أعوان السلطان في)** مطالبة **(الخَراج)** فإنهم يطالبونه بأكثر مما هو لهم، فتقع الخصومة **(و)** إن سلم منها لا يسلم من **(خصومة الأُجَراء علىٰ التقصير في العمارة)** للضيعة والقيام بأودها **(و)** وهو مع ذلك لم يزل في **(خصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم)** ولذلك قال ﷺ: «لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا» رواه ابن مسعود، وقد تقدم قريبًا. هذا حال صاحب الضيعة **(و)** أما **(صاحب التجارة)** فإنه **(يكون متفكِّرًا في خيانة شريكه وانفراده بالربح)** دونه **(وتقصيره في العمل وتضييعه للمال)** فمتىٰ يفرغ قلبُه ويصفو فكرُه في ذكر الله ومعرفته **(وكذلك صاحب المواشي)** المتخَذة للتجارة، فإنه كذلك في شغل شاغل **(وهكذا سائر أصناف الأموال)** علىٰ تبايُنها **(وأبعدُها عن كثرة الشغلِ النقدُ)** من العين والورق **(المكنوز تحت الأرض)** أو في الصناديق **(ولا يزال الفكر متردِّدًا فيما يصرف إليه)** فتارة يقول: يشتري به عقارًا أو ضيعة أو متاعًا،

وتارة يقول: يشتري به رقيقًا وملابس (و) يتردَّد أيضًا (في كيفية حفظه، وفي الخوف ممَّن يعثر) أي يطَّلع (عليه) فيشير به للظَّلَمة (وفي دفع أطماع الناس عنه. وأودية أفكار أهل الدنيا لا نهاية لها) ولا مَطمع في الخلاص منها (والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك. فهذه جُلُّ الآفات الدنيوية، سوىٰ ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف) علىٰ أنفسهم من جور الظَّلَمة (والحزن والغم والهم، والتعب في دفع الحُسَّاد) عنهم (وتجشُّم المصاعب) أي تحمُّل المَشاق (في حفظ الأموال وكسبها. فإذًا ترياق المال أخذُ القوت منه) فقط (وصرفُ الباقي إلىٰ الخيرات) من الصدقات ومواساة الإخوان (وما عداه سموم وآفات) مهلكات.

بيان ذم الحرص والطمع، ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس

(اعلمْ) أرشدك الله تعالىٰ (أن الفقر محمود، كما أوردناه في كتاب الفقر[١]، ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعًا) بالقليل (منقطع الطمع عن الخلق، غير ملتفت إلىٰ ما في أيديهم، ولا حريصًا علىٰ اكتساب المال) من حيث اتفق و(كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يَقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن، ويقتصر) من كلٍّ منها (علىٰ أقلِّه قدرًا وأخسِّه نوعًا) ففي المطعم يقتصر علىٰ خبز الشعير أو خبز الذرة فإنهما أرخص سعرًا من الحنطة، وفي الإدام يقتصر علىٰ الجبن أو الأَقِط أو الفجل أو الكرَّاث أو علىٰ الزيت ونحوها، وفي الملبس علىٰ قميص من كرباس غليظ أو علىٰ جُبَّة من الجبات التي تُعمل من صوف الغنم فإنها أقل كلفة وأرخص سعرًا وأمتع في المكث (و) يَقنع أيضًا (بردِّ أمله إلىٰ يومه) إن أمكنه (أو إلىٰ شهره) وإليه انتهت الرخصة[٢] (ولا يشغل قلبه بما بعد شهر) فإنه يُعَدُّ في طول الأمل (فإن تشوَّق إلىٰ الكثير أو طول الأمل فاته عزُّ القناعة، وتدنَّس لا محالة بالطمع وذلِّ الحرص، وجرَّه الحرصُ والطمع إلىٰ مساوئ الأخلاق) ومَذامِّها (وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات) فيخرج عن حد الإنسانية (وقد جُبل الآدمي علىٰ الحرص والطمع وقلة القناعة) إلا مَن وفَّقه الله تعالىٰ وعصمه (قال رسول الله ﷺ: لو كان لابن آدم واديان من ذهب) وفي[٣] رواية: لو أن لابن آدم واديًا مالاً.

---

(١) كما سيأتي في ربع المنجيات.

(٢) ذهب الإمام الغزالي في كتابه «أيها الولد» إلىٰ ألا تجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة. انظر «أيها الولد»، ص١٤٨، ط. البشائر الإسلامية.

(٣) فيض القدير للمناوي ٥/ ٣٢٧. شرح مشكاة المصابيح للطيبي ١٠/ ٣٣٢٢ - ٣٣٢٣.

وفي أخرىٰ: من مال. بدل: من ذهب. وفي أخرىٰ: من ذهب وفضة (**لابتغىٰ**) أي طلب (**إليهما ثالثًا**) عدَّاه بـ «إلىٰ» لتضمُّن الابتغاء معنىٰ الضم، يعني: لضم إليهما ثالثًا (**ولا يملأ جوف ابن آدم**) وفي أخرىٰ: نفس ابن آدم. وفي أخرىٰ: ولا يسد، بدل: ولا يملأ. وفي أخرىٰ: ولا يملأ عين ابن آدم. وفي أخرىٰ: بطن، بدل: عين. وليس المراد عضوًا بعينه، والغرض من العبارات كلِّها واحد (**إلا التراب**) أي لا يزال حريصًا علىٰ الدنيا حتىٰ يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره. والمراد بابن آدم الجنس باعتبار طبعه، وإلا فكثير منهم يَقنع بما أُعطيَ ولا يطلب زيادة، ولكن ذلك عارض له من الهداية إلىٰ التوبة، كما يومئ إليه قولُه: (**ويتوب الله علىٰ مَن تاب**) أي يقبل التوبة من الحرص المذموم ومن غيره، أو «تاب» بمعنىٰ وفَّق [يقال: تاب الله عليه] أي وفَّقه، يعني: جُبل الآدمي علىٰ حب الحرص إلا مَن وفَّقه الله تعالىٰ وعصمه، فوضع «يتوب» موضع «إلا مَن عصمه الله» إشعارًا بأن هذه الجِبِلَّة مذمومة جارية مجرىٰ الذنب، وأن إزالتها ممكنة بالتوفيق. وفي ذكر «ابن آدم» دون «الإنسان» إيماء إلىٰ أنه خُلق من تراب طبعُه القبض واليبس، وإزالته ممكنة بأن يمطر الله عليه من غمام توفيقه.

وهذا اللفظ أخرجه الطبراني في الكبير(١) من حديث أبيٍّ كعب، إلا أنه قال: «لو كان للإنسان واديان من المال»، وفيه: «ثم يتوب» والباقي سواء. ورواه الطيالسي(٢) وأحمد(٣) والدارمي(٤) والشيخان(٥) والترمذي(٦) – وقال: حسن صحيح غريب –

---

(١) المعجم الكبير ١/ ٢٠١.

(٢) مسند الطيالسي ٣/ ٤٨٢.

(٣) مسند أحمد ١٩/ ٢٥٩، ٢٠/ ١٣٧، ١٩٤، ٣٠٥، ٢١/ ١٣٣، ١٤٩، ١٧٩، ٢١٠، ٣٥٣.

(٤) سنن الدارمي ٢/ ٤١٠.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ١٨٠. صحيح مسلم ١/ ٤٦٣.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ١٦١.

وابن حبان[١] من حديث أنس. ورواه البخاري في التاريخ[٢] والبزار[٣] والروياني[٤] وأبو عوانة والضياء من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رفعه. ورواه أحمد[٥] والشيخان[٦] من حديث ابن عباس. ورواه البخاري في الصحيح[٧] من حديث عبد الله بن الزبير. ورواه الطبراني في الكبير[٨] والضياء[٩] من حديث سعد بن أبي وقاص. ورواه ابن ماجه[١٠] من حديث أبي هريرة. ولفظهم جميعًا: «لو كان لابن آدم وادٍ من مال لابتغىٰ إليه ثانيًا، ولو كان له واديان لابتغىٰ لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله علىٰ مَن تاب». ورواه أحمد[١١] وأبو يعلىٰ[١٢] [والبزار[١٣]] وأبو عوانة وابن حبان[١٤] والضياء من حديث جابر بلفظ: «لو كان لابن آدم وادٍ من نخل لتمنَّىٰ مثله، ثم تمنىٰ مثله .. حتىٰ يتمنىٰ أودية، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب». قال الهيثمي[١٥]: رجال أبي يعلىٰ والبزار رجال

---

(١) صحيح ابن حبان ٨/ ٢٩.
(٢) التاريخ الكبير ٤/ ٣٢٥ مقتصرا علىٰ قوله (لو أُعْطِي ابن آدم واديًا).
(٣) مسند البزار ١٠/ ٣١١.
(٤) مسند الروياني ١/ ٨١.
(٥) مسند أحمد ٥/ ٤٥١.
(٦) صحيح البخاري ٤/ ١٧٩. صحيح مسلم ١/ ٤٦٣.
(٧) صحيح البخاري ٤/ ١٨٠.
(٨) بل في المعجم الأوسط ٤/ ٨.
(٩) الأحاديث المختارة ٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩.
(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٣١.
(١١) مسند أحمد ٢٣/ ٣١.
(١٢) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٤١٤، ٤/ ١٩٨.
(١٣) كشف الأستار عن زوائد البزار ٤/ ٢٤٥.
(١٤) صحيح ابن حبان ٨/ ٢٧ - ٢٨.
(١٥) مجمع الزوائد ١٠/ ٤٢٤.

الصحيح. وقال ابن حبان: تفرَّد الأعمش بقوله: من نخل. وروىٰ ابن عساكر[١] من حديث أبي هريرة: «لو أن للإنسان واديين من مال لابتغىٰ واديًا ثالثًا، ولا يملأ نفس ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله علىٰ مَن تاب».

(**وعن أبي واقد**) الحارث[٢] بن مالك (**الليثي**) المدني، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مات سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وثمانين علىٰ الصحيح، روىٰ له الجماعة، وعنه أبو مُرَّة مولىٰ عقيل بن أبي طالب (**قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوحيَ إليه أتيناه يعلِّمنا مما أوحيَ إليه، فجئته ذات يوم، فقال: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: إنَّا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو أن لابن آدم واديًا من ذهب لأحَب أن يكون إليه الثاني، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله علىٰ مَن تاب**) قال العراقي[٣]: رواه أحمد[٤] والبيهقي في الشعب[٥] بسند صحيح. انتهىٰ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الكبير[٦] والضياء. وروىٰ الطبراني فيه[٧] من حديث أبي أمامة: «لو أن لابن آدم واديين لتمنىٰ واديًا ثالثًا، وما جُعل المال إلا لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولا يُشبع ابنَ آدم إلا التراب، ويتوب الله علىٰ مَن تاب». ورواه[٨] الحسن بن سفيان وأبو نعيم في الحلية[٩] بلفظ: كنا نأتي النبيَّ ﷺ،

---

(١) تاريخ دمشق ٧٣/ ٦٨.
(٢) تهذيب الكمال ٣٤/ ٣٨٦ - ٣٨٧. تقريب التهذيب ص ١٢٢٠.
(٣) المغني ٢/ ٨٩٤.
(٤) مسند أحمد ٣٦/ ٢٣٧.
(٥) شعب الإيمان ١٢/ ٤٩٦.
(٦) المعجم الكبير ٣/ ٢٧٩ - ٢٨٠.
(٧) السابق ٨/ ٢٩٥.
(٨) يعني حديث أبي واقد الليثي.
(٩) بل في معرفة الصحابة ٢/ ٧٥٩ - ٧٦١.

فإذا نزل عليه شيء من القرآن أخبرنا به، فقال لنا ذات يوم: «قال الله تعالىٰ: إنَّا أنزلنا المال ...» الحديث.

(**وقال أبو موسىٰ الأشعري**) رضي الله تعالىٰ عنه: (**نزلت سورةٌ نحو براءة ثم رُفعت، وحُفظ منها: إن الله يؤيِّد هذا الدين بأقوام لا خَلاق لهم، ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنىٰ وديًا ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله علىٰ مَن تاب**) قال العراقي[1]: رواه مسلم[2] مع اختلاف دون قوله «إن الله يؤيِّد هذا الدين»، ورواه بهذه الزيادة الطبرانيُّ، وفيه علي بن زيد، متكلَّم فيه. انتهىٰ.

قلت: الجملة الأولىٰ من الحديث قد رواها النسائي[3] وابن حبان[4] والطبراني في الأوسط[5] والضياء[6] من حديث أنس. ورواه أحمد[7] والطبراني في الكبير من حديث أبي بكرة. ورواه البزار من حديث كعب بن مالك.

(**وقال ﷺ: منهومان لا يشبعان: منهوم العلم، ومنهوم المال**) النَّهْمة[8]: شدة الحرص علىٰ الشيء، ومنه النَّهَم من الجوع؛ كما في النهاية[9]. قال الطيبي[10]: إن ذُهب في الحديث إلىٰ الأصل كان «لا يشبعان» استعارة؛ لعدم انتهاء حرصهما، وإن ذُهب إلىٰ الفرع يكون تشبيهًا، جعل أفراد المنهوم ثلاثة، أحدها المعروف وهو

---

(١) المغني ٢/ ٨٩٤.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٦٣.

(٣) السنن الكبرىٰ ٨/ ١٤٧.

(٤) صحيح ابن حبان ١٠/ ٣٧٦.

(٥) المعجم الأوسط ٢/ ٢٦٩، ٣/ ١٤٢.

(٦) الأحاديث المختارة ٥/ ٢٣١، ٦/ ٢٣٤.

(٧) مسند أحمد ٣٤/ ١٠٥.

(٨) فيض القدير ٦/ ٢٤٥.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥/ ١٣٨، وفيه: «النهمة: بلوغ الهمة في الشيء».

(١٠) الكاشف عن حقائق السنن ٢/ ٧٠٨ - ٧٠٩.

المنهوم من الجوع، والآخَرينِ من العلم والدنيا، وجعلهما أبلغ من المتعارَف، ولعمري إنه كذلك، وإن كان المحمود منهما هو العلم، ومن ثَم أمر الله تعالىٰ رسوله ﷺ بقوله: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤] ويعضده قولُ ابن مسعود عقبه: ولا يستويان، أما صاحب الدنيا فيتمادىٰ في الطغيان، وأما صاحب العلم فيزداد من رضا الرحمن[١]. وقال الراغب[٢]: النهم بالعلم استعارة وهو أن يحمل علىٰ نفسه ما تقصر قُواها عنه فيَنْبَتَّ، والمُنْبَتُّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقىٰ. وقال الماوردي[٣]: في الحديث تنبيه علىٰ أن العلم يقتضي ما بقي منه، ويستدعي ما تأخر عنه، وليس للراغب فيه قناعة ببعضه.

قال العراقي[٤]: رواه الطبراني[٥] من حديث ابن مسعود بسند ضعيف. انتهىٰ.

قلت: لفظ الطبراني: «منهومان لا يشبع طالبهما: طالب علم، وطالب الدنيا». ولفظه[٦] من حديث ابن عباس: «منهومان لا يقضي واحد منهما نهمته: منهوم في طلب العلم لا يقضي نهمته، ومنهوم في طلب الدنيا لا يقضي نهمته». وهكذا رواه أيضًا أبو خيثمة في كتاب العلم[٧]. وقد رواه ابن عدي[٨] والقضاعي[٩] من حديث حميد عن أنس بلفظ: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا». قال ابن

---

(١) رواه الدارمي في سننه ١/ ١٠٨، وابن الأعرابي في معجمه ص ٥١٩، والبيهقي في المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ ٢/ ٢٦.

(٢) الذريعة ص ٢١٩.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٨٦.

(٤) المغني ٢/ ٨٩٤.

(٥) المعجم الكبير ١٠/ ٢٢٣.

(٦) السابق ١١/ ٧٧.

(٧) العلم ص ٥٦ – ٥٧.

(٨) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٢٩٨.

(٩) لم يروه من حديث أنس، بل رواه ١/ ٢١٣ من حديث ابن مسعود.

عدي: فيه محمد بن [أحمد بن] يزيد، كان يسرق الحديث فيحدِّث بأشياء منكرة. ومن ثَم قال ابن الجوزي في العلل[١]: حديث لا يصح. وقد رواه كذلك البزار[٢] من حديث ابن عباس، وفيه ليث بن أبي سليم، ضعيف. ورواه الحاكم[٣] من طريق قتادة عن أنس بلفظ: «منهومان لا يشبعان: منهوم في علم لا يشبع، ومنهوم في دنيا لا يشبع». وقد رواه كذلك ابن عدي عن الحسن مرسلا[٤].

(وقال ﷺ: **يهرم ابن آدم**) أي[٥] يكبر (**وتشبُّ**) وفي رواية: تبقىٰ (**معه**) خصلتان (**اثنتان**) استعارة، يعني تستحكم الخصلتان في قلب الشيخ كاستحكام قوة الشاب في شبابه (**الأمل وحب المال**) وفي نسخة: وحب الدنيا. والرواية: الحرص وطول الأمل. وفي أخرىٰ: الحرص والأمل. وفي أخرىٰ: الحرص علىٰ المال والحرص علىٰ العمر. وفي أخرىٰ: حب الدنيا وطول الأمل. وكأنَّ المصنف راعىٰ ذلك فتأدَّب وقال: (**أو كما قال**) ﷺ. وإنما لم تكبر[٦] هاتان الخصلتان لأن المرء جُبل علىٰ حب الشهوات، وإنما تُنال هي بالمال والعمر، والنفْس معدن الشهوات، وأمانيها لا تنقطع، فهي أبدًا فقيرة؛ لتراكُم الشهوات عليها، قد برح بها خوفُ القوت وضُيِّق عليها، فهي مفتونة بذلك، وخلصت فتنتُها إلىٰ القلب فأصمَّته عن الله وأعمته.

---

(١) العلل المتناهية ١/ ٩٥.

(٢) مسند البزار ١١/ ١٤٨.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٥٩.

(٤) قال ابن عدي عقيب حديث أنس: «هذا حديث الهسنجاني، سرقه منه محمد بن أحمد بن يزيد، وصحف فيه الهسنجاني فصيَّر الحسن أنس، فإذا صحفه كيف يقع إليه وقد حدثنا الهسنجاني به، حدثناه ابن ذريح حدثنا عبد الأعلىٰ حدثنا حماد عن حميد عن الحسن عن النبي ﷺ نحوه».

(٥) فيض القدير ٦/ ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٦) في الفيض: تذهب.

قال العراقي[١]: متفق عليه[٢] من حديث أنس.

قلت: وكذا رواه أحمد[٣] وابن ماجه[٤] والنسائي[٥]، ولفظهم جميعًا: «يهرم ابن آدم وتبقىٰ معه اثنتان: الحرص والأمل». وأخرجه الشيخان تعليقًا. وفي رواية ابن ماجه: وطول الأمل. ورواه الطيالسي[٦] ومسلم والترمذي[٧] وابن ماجه وابن حبان[٨] بلفظ: «وتشبُّ منه اثنتان: الحرص علىٰ المال، والحرص علىٰ العمر». وقد رواه [الطبراني[٩]] بهذا اللفظ من حديث سمرة. وفي لفظ للبخاري[١٠]: «لا يزال قلب الكبير شابًّا في اثنتين: في حب المال وطول الأمل».

(ولما كانت هذه جِبلَّة للآدمي مضلَّة وغريزة مهلكة أثنىٰ الله تعالىٰ ورسوله) ﷺ **(علىٰ القناعة، فقال ﷺ: طوبَىٰ لمَن هُديَ إلىٰ الإسلام وكان عيشه كفافًا وقنع به)** قال العراقي[١١]: رواه الترمذي[١٢] وصحَّحه والنسائي في الكبير[١٣] من حديث فضالة بن عبيد. ولمسلم[١٤] من حديث عبد الله بن عمرو: «قد أفلح مَن أسلم

---

(١) المغني ٢/ ٨٩٤.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٧٧. صحيح مسلم ١/ ٤٦٢ - ٤٦٣.

(٣) مسند أحمد ١٩/ ١٨٩، ٢٣٦، ٢٠/ ١٤٠، ٣٠٦، ٢١/ ٢٥٩، ٣٦٩.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٢٩.

(٥) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٧٨.

(٦) مسند الطيالسي ٣/ ٤٩٧.

(٧) سنن الترمذي ٤/ ١٦٣، ٢٤٤.

(٨) صحيح ابن حبان ٨/ ٢٥.

(٩) المعجم الكبير ٧/ ٢٥٨.

(١٠) صحيح البخاري ٤/ ١٧٦ من حديث أبي هريرة، وفيه (الدنيا) بدل (المال).

(١١) المغني ٢/ ٨٩٤.

(١٢) سنن الترمذي ٤/ ١٧٠.

(١٣) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٨٦.

(١٤) صحيح مسلم ١/ ٤٦٥.

ورُزق كفافًا وقنَّعه الله بما آتاه».

قلت: حديث فضالة بن عبيد أخرجه أيضًا ابن المبارك[١] والطبراني في الكبير[٢] والحاكم[٣] وابن حبان[٤].

وروى البيهقي[٥] من حديث أبي الحويرث والديلمي[٦] من حديث عبد الله ابن الحارث: «طوبى لمَن رزقه الله الكفاف ثم صبر عليه».

وحديث عبد الله بن عمرو أخرجه أيضًا أحمد[٧] والترمذي[٨] وابن ماجه[٩]. ورواه أبو نعيم في الحلية[١٠] والبيهقي في الشعب[١١] بلفظ: «قد أفلح مَن أسلم وكان رزقه كفافًا وصبر على ذلك».

(وقال ﷺ: ما من أحد غني ولا فقير إلا ودَّ يوم القيامة أنه كان أوتيَ قوتًا في الدنيا) قال العراقي[١٢]: رواه ابن ماجه[١٣] من رواية نفيع بن الحارث عن أنس،

---

(١) الزهد والرقائق ص ١٨٧.

(٢) المعجم الكبير ١٨/ ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين ١/ ٨٢، ٤/ ٢٢٦.

(٤) صحيح ابن حبان ٢/ ٤٨٠.

(٥) شعب الإيمان ١٢/ ١٩٩.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٤٥ عن عبد الله بن حنظلة.

(٧) مسند أحمد ١١/ ١٣٤، ١٨١.

(٨) سنن الترمذي ٤/ ١٦٩.

(٩) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧٦.

(١٠) حلية الأولياء ٦/ ١٢٩.

(١١) شعب الإيمان ١٢/ ١٩٨.

(١٢) المغني ٢/ ٨٩٥.

(١٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧٧.

ونفيع ضعيف[١].

قلت: ورواه أيضًا أحمد[٢] وعبد بن حميد[٣] وأبو نعيم في الحلية[٤] بلفظ: «ما من أحد يوم القيامة غنيٍّ ولا فقير إلا ودَّ أنَّما كان أوتي من الدنيا قوتًا». ورواه ابن الجوزي في الموضوعات[٥] فأفرط.

وروىٰ أبو نعيم في الحلية[٦] من طريق أبي وائل عن ابن مسعود قال: ما أحد من الناس يوم القيامة إلا يتمنَّىٰ أنه كان يأكل في الدنيا قوتًا.

(وقال ﷺ: ليس الغِنىٰ) بالكسر[٧] مقصورًا، أي الحقيقي النافع المفيد[٨] **(عن كثرة العرض)** محرَّكة كما في المشارق[٩]، وبفتح وسكون كما في المقاييس[١٠] لابن فارس، والمراد به متاع الدنيا، قيل: وكأنه أراد بالعرض مقابل الجوهر، وهو عند أهل السنة ما لا يبقىٰ زمانين، فشبَّه به متاع الدنيا في سرعة زواله وعدم بقائه [زمانين] يعني: ليس الغنىٰ المحمود ما حصل عن كثرة المتاع؛ لأن كثيرًا ممَّن

---

(١) بل متروك، قال ابن الجوزي في العلل ٢/ ٩١٩: نفيع قد كذبه قتادة، وقال يحيىٰ: ليس بشيء. وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث، وقال ابن حبان: يروىٰ عن الثقات الموضوعات توهمًا، لا يجوز الاحتجاج به. وقال ابن عدي: كان من الغلاة يناول الصحابه.

(٢) مسند أحمد ١٩/ ٢٠٥، ٢٠/ ١٣٢.

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٢٤٩.

(٤) حلية الأولياء ١٠/ ٦٩.

(٥) الموضوعات ٣/ ١٣١.

(٦) حلية الأولياء ١/ ١٣٧.

(٧) فيض القدير ٥/ ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٨) في الفيض: المعتبر.

(٩) مشارق الأنوار للقاضي عياض ٢/ ٧٣.

(١٠) مقاييس اللغة ٤/ ٢٧٦، ونصه: «العَرَض: طمع الدنيا، قليلا كان أو كثيرا، وسمي به لأنه يُعرِض، أي يريك عُرْضه. فأما قوله ﷺ: ليس الغنىٰ عن كثرة العرض. فإنما سمعناه بسكون الراء، وهو كل ما كان من المال غير نقد، فأما العَرَض بفتح الراء فما يصيبه الإنسان من حظه من الدنيا».

وسَّع الله عليه لا ينتفع بما أوتي، بل هو متجرِّد في الازدياد، ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه، فالحريص فقير دائمًا (إنما الغنىٰ) المحمود المعتبَر عند أهل الكمال (غنىٰ النفس) أي استغناؤها بما قُسم لها وقناعتها ورضاها به[١]. وفي رواية: ولكن الغنىٰ. وفي أخرىٰ: غنىٰ القلب، بدل: غنىٰ النفس.

قال العراقي[٢]: متفق عليه[٣] من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٤] وهناد بن السري[٥] والترمذي[٦] وابن ماجه[٧]، ورجال أحمد رجال الصحيح.

ورواه أيضًا أبو يعلىٰ[٨] والطبراني في الأوسط[٩] والضياء[١٠] من حديث أنس.

وروىٰ الديلمي[١١] بلا سند من حديث أنس: «الغنىٰ غنىٰ النفس، والفقر فقر النفس».

وروىٰ العسكري في الأمثال[١٢] من طريق معاوية بن صالح عن عبد الرحمن

---

(١) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠/ ١٦٥.

(٢) المغني ٢/ ٨٩٥.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٨٢. صحيح مسلم ١/ ٤٦٤.

(٤) مسند أحمد ١٢/ ٢٦٧، ٥١٦، ١٣/ ٥٠٨، ١٥/ ٢٦، ٤٠٦، ٤٤٧، ١٦/ ٥٦٢، ٥٦٦.

(٥) الزهد ١/ ٣٣٩.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ١٨٣.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧٥.

(٨) مسند أبي يعلىٰ ٥/ ٤٠٤.

(٩) المعجم الأوسط ٧/ ٢٠٣.

(١٠) الأحاديث المختارة ٦/ ١٠٠ - ١٠١، ٧/ ١١٠.

(١١) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ١١٥.

(١٢) ورواه أيضا ابن حبان في صحيحه ٢/ ٤٦١، والنسائي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٨٢، والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٧٢.

ابن جُبَير عن أبيه عن أبي ذر في حديث أوله: «يا أبا ذر، أترىٰ أن كثرة المال هو الغنىٰ؟ إنما الغنىٰ غنىٰ القلب، والفقر فقر القلب».

(ونهىٰ) ﷺ (عن شدة الحرص) في الدنيا (و) عن **(المبالغة في الطلب)** لأعراضها الزائلة (فقال: **ألا أيها الناس، أجمِلوا في الطلب، فإنه ليس لعبد إلا ما كُتب له، ولن يذهب عبدٌ من الدنيا حتىٰ يأتيه ما كُتب له من الدنيا وهي راغمة**) رواه الحاكم[1] من حديث جابر بنحوه وصحَّحه، وقد تقدَّم في آداب الكسب والمعاش.

وروىٰ ابن ماجه[2] والحاكم[3] والطبراني والبيهقي[4] من حديث أبي حميد الساعدي: «أجمِلوا في طلب الدنيا، فإنَّ كُلاًّ ميسَّر لِما كُتب له [منها]».

وعند ابن عساكر[5] من حديث عمر: «أجمِلوا في طلب الدنيا، فإن الله قد تكفَّل بأرزاقكم».

(ورُوي أن موسىٰ عليه السلام سأل ربه تعالىٰ فقال): أيْ رب **(أيُّ عبادك أغنىٰ؟ قال: أقنعُهم بما أعطيتُه. قال: فأيُّهم أعدَلُ؟ قال: مَن أنصف من نفسه)**[6] نقله صاحب القوت.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: إن روح القُدس نفث في رُوعي أن نفسًا لن تموت حتىٰ تستكمل رزقها، فاتَّقوا الله وأجمِلوا في الطلب)** ولا يحملنَّكم استبطاءُ الرزق علىٰ أن تطلبوا شيئًا من فضل الله بمعصية الله، فإنه لن يُنال

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥، ولفظه: «لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبد ليموت حتىٰ يبلغ آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب، أخذ الحلال وترك الحرام».

(٢) سنن ابن ماجه ٣/ ٥١٢.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥.

(٤) السنن الكبرىٰ ٥/ ٤٣٤.

(٥) تاريخ دمشق ٢٠/ ١٠٣.

(٦) رواه هناد في الزهد ١/ ٢٧٧ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦١/ ١٣٩ عن أبي عمرو الشيباني.

ما عند الله إلا بطاعته. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والعسكري في الأمثال والحاكم بهذا اللفظ إلىٰ قوله «إلا بطاعته»، وليس عندهم «فاتقوا الله»، وإنما فيه: «فأجمِلوا»، وقالوا: حتىٰ تستوفي، بدل: تستكمل. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة، وفيه: «حتىٰ تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فأجمِلوا في الطلب ...» والباقي سواء. وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش، وكذا الكلام في النفث في الرُّوع.

(**وقال أبو هريرة**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**قال لي رسول الله** ﷺ: **يا أبا هريرة، إذا اشتدَّ بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء، وعلىٰ الدنيا الدمار**) أغفله العراقي، وقد تقدم ذِكره في كتاب رياضة النفس[1]. وهو في الكامل لابن عدي في ترجمة ماضي ابن محمد أبي مسعود الغافقي بلفظ: «يا أبا هريرة، إذا اشتد كَلَبُ الجوع فعليك برغيف وجرٍّ من ماء القَراح وقلْ علىٰ الدنيا وأهلها مني الدمار». ورواه البيهقي أيضًا كذلك.

(**وقال أبو هريرة**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله** ﷺ: **كنْ ورِعًا تكن أعبد الناسِ، وكن قنِعًا تكن أشكَر الناسِ، وأحِبَّ لأخيك ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا**) وأحسِنْ مجاورة مَن جاورك تكن مسلمًا، وأقِلَّ الضحكَ، فإن كثرة الضحك تميت القلبَ». رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[2] والبيهقي في الشعب[3] من رواية واثلة عن أبي هريرة. ورواه الخرائطي[4] أيضًا من حديث أبي الدرداء بلفظ: «يا أبا الدرداء، أحسِنْ جوار مَن جاورك تكن مؤمنًا، وأحِبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، وارْضَ بقسمة الله لك تكن من أغنىٰ الناس». وسنده ضعيف، وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة.

---

(١) بل في كتاب كسر الشهوتين.

(٢) مكارم الأخلاق ص ٩٣.

(٣) شعب الإيمان ٧/ ٥٠٠.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٩٦.

(ونهىٰ ﷺ عن الطمع، فيما رواه أبو أيوب الأنصاري) رضي الله عنه (أن أعرابيًّا أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، عِظْني وأوجِزْ. فقال: إذا صليتَ فصلِّ صلاةَ مودِّع، ولا تحدِّثنَّ بحديث تعتذر منه غدًا، واجمع اليأس مما في أيدي الناس) رواه ابن ماجه في الزهد من سننه[1] من طريق عثمان بن جُبَير مولىٰ أبي أيوب عنه، ولفظه: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علِّمْني وأوجِزْ. قال: «إذا قمتَ في صلاتك فصلِّ صلاةَ مودِّع، ولا تَكلمْ بكلام تعتذر منه، واجمع اليأس عمَّا في أيدي الناس». ورواه ابن عساكر في التاريخ[2] هكذا، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[3] مقتصرًا علىٰ الجملتين [الأوليين]. وفي[4] الأمثال للعسكري من طريق القعنبي، حدثنا محمد بن أبي حميد، حدثني إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن جده أن رجلاً قال: يا رسول الله، أوصِني وأوجِزْ. فقال: «عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنىٰ، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصلِّ صلاتَك وأنت مودِّع، وإياك وما يُعتذَر منه». وأخرجه أبو نعيم في المعرفة[5] من حديث ابن أبي فُدَيك عن حماد بن أبي حميد - وهو لقب محمد - به، وقال: أن رجلاً من الأنصار. ورواه الحاكم في الرقاق من صحيحه[6] من حديث أبي عامر العقدي حدثنا محمد بن أبي حميد به مثله بدون تعيين كونه من الأنصار، وقال: إنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتُعُقِّب بأن ابن أبي حميد مُجمَع علىٰ ضعفه. ويُروَىٰ نحوه عن جابر مرفوعًا، أخرجه الطبراني في الأوسط[7] بلفظ: «إياكم

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٩٤.

(٢) تاريخ دمشق ١١/ ٢٨٢.

(٣) مكارم الأخلاق ص ١٦٣.

(٤) من هنا إلىٰ آخر الكلام عن الحديث منقول عن المقاصد الحسنة للسخاوي ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٥) معرفة الصحابة ٣/ ١٢٨٥.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٧١.

(٧) المعجم الأوسط ٧/ ٣٧٠.

والطمع فإنه هو الفقر [الحاضر]، وإياكم وما يُعتذَر منه». وعن ابن عمر، أخرجه القضاعي في مسنده[١] من طريق ابن منيع، حدثنا الحسن بن راشد بن عبد ربه، حدثني أبي، عن نافع، عن ابن عمر قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، حدِّثْني حديثًا واجعله موجزًا لعلِّي أعيه. فقال ﷺ: «صلِّ صلاة مودِّع كأنك لا تصلي بعدها، وآيسْ مما في أيدي الناس تعش غنيًّا، وإياك وما يُعتذَر منه». وكذا هو في السادس من فوائد المخلص[٢]: حدثنا عبد الله - هو البغوي ابن بنت أحمد بن منيع - حدثنا ابن راشد به. وأخرجه العسكري عن ابن منيع أيضًا به. ورواه الطبراني في الأوسط[٣] عن البغوي، حدثنا الحسن بن علي الواسطي، حدثنا أبي عليُّ بن راشد، أخبرني أبي راشدُ بن عبد الله، عن نافع، سمعت ابن عمر ... وذكر نحوه بلفظ: «صلِّ صلاة مودِّع، فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك». ورواه الدارقطني في الأفراد[٤]، وسمَّىٰ ابن راشد الحسن كالجمهور، وقال: إنه غريب من حديث نافع عن ابن عمر، تفرَّد به راشد عنه، ولم يروِه عنه غير ابنه الحسن. وعن سعد بن عمارة، أخرجه الطبراني في الكبير[٥] من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيره[٦] عن سعد بن عمارة أخي بني سعد بن بكر - وكانت له صحبة - أن رجلاً قال له: عِظْني في نفسي يرحمك الله. قال: «إذا أنت قمت إلىٰ الصلاة فأسبغ الوضوء، فإنه لا صلاة لمَن لا وضوء له، ولا إيمان لمَن لا صلاة له، ثم إذا صليت فصلِّ صلاة مودِّع، واترك طلب كثير من الحاجات فإنه فقر حاضر، واجمع اليأس مما هو في أيدي الناس فإنه هو الغِنىٰ، وانظر إلىٰ ما يُعتذَر

---

(١) مسند الشهاب ٢/ ٩٤.

(٢) المخلصيات ٢/ ٩٩، ٤/ ١٠٢.

(٣) المعجم الأوسط ٤/ ٣٥٨.

(٤) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٥٦٧.

(٥) المعجم الكبير ٦/ ٤٤.

(٦) المقصود بالغير هو يحيىٰ بن سعيد بن قيس الأنصاري.

منه من القول والفعل فاجتنبْه». وهو موقوف، وكذا أخرجه البخاري في التاريخ[١] من طريقين إلىٰ ابن إسحاق، قال في إحداهما: أنه سعد، وفي الأخرىٰ: أنه سعيد، ورجَّح أنه سعد. وأخرجه أحمد في كتاب الإيمان والطبراني، ورجاله ثقات.

وقد تقدم ذلك في كتاب أسرار الصلاة مختصرًا.

(**وقال عوف**[٢] **بن مالك**) بن أبي عوف (**الأشجعي**) الغَطَفاني، أبو حماد، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، من مسلمة الفتح[٣]، وتحول إلىٰ الشام في خلافة أبي بكر فنزل حِمص، وبقي إلىٰ أول خلافة عبد الملك بن مروان، ومات سنة ثلاث وسبعين[٤]. روىٰ له الجماعة (**كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟ قلنا: أوَ ليس قد بايعناك يا رسول الله؟ ثم قال: ألا تبايعون رسول الله. فبسطنا أيدينا فبايعناه، فقال قائل منا: قد بايعناك، فعلىٰ ماذا نبايعك؟ قال: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وتصلُّوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا - وأسَرَّ كلمةً خفية - ولا تسألوا الناس شيئًا. قال: فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطُه فلا يسأل أحدًا أن يناوله إياه**) قال العراقي[٥]: رواه مسلم[٦] من حديثه، ولم يقل: فقال قائل. ولا قال: وتسمعوا. وقال: سوط أحدهم. وهي عند أبي داود[٧] وابن ماجه[٨] كما ذكرها المصنف.

---

(١) التاريخ الكبير ٤/ ٤٤ - ٤٥.

(٢) تهذيب الكمال ٢٢/ ٤٤٣ - ٤٤٤.

(٣) بل أسلم قبل فتح مكة، وشهد غزوة خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح.

(٤) ذكر ذلك الواقدي فيما نقله عنه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٥/ ١٦٩، ٩/ ٤٠٤.

(٥) المغني ٢/ ٨٩٦.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٤٦٠.

(٧) سنن أبي داود ٢/ ٣٦٤.

(٨) سنن ابن ماجه ٤/ ٣٨١.

قلت: وعزاه السيوطي في الجامع الكبير إلىٰ مسلم والنسائي[(١)] والطبراني في الكبير[(٢)] وابن حبان[(٣)]، ولفظهم: «ألا تبايعوني علىٰ أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تقيموا الصلوات الخمس وتؤتوا الزكاة، وتسمعوا وتطيعوا، ولا تسألوا الناسَ شيئًا».

(الآثـار:

قال عمر رضي الله عنه: **إن الطمع فقر، وإن اليأس غنًىٰ، وإنه مَن يئس ممَّا عند الناس استغنىٰ عنهم)** رواه هشام بن عروة عن أبيه: قال عمر: اعلموا ... فساقه[(٤)].

(وقيل لبعض الحكماء: ما الغِنىٰ؟ قال: قلة تمنِّيك، ورضاك بما يكفيك.

ولذلك قيل:

العيش ساعات تمر وخطوب أيام تكر
اقنعْ بعيشك ترضه واترك هواك تعش حر
فلرُب حتف ساقه ذهبٌ وياقوت ودر[(٥)]

وفي نسخة: أوقات

وكان محمد بن واسع) البصري رحمه الله تعالىٰ **(يبلُّ الخبز اليابس بالماء**

---

(١) سنن النسائي ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) المعجم الكبير ١٨/ ٣٩.

(٣) صحيح ابن حبان ٨/ ١٨٠.

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٠٧، وابن المقرئ في معجمه ص ١٠١. وبنحوه رواه أحمد في الزهد ص ٩٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٥٠.

(٥) الأبيات لأبي العتاهية، وهي في ديوانه ص ١٧٣ ولكن باختلاف، هكذا:

من عاش عاين ما يسو ء من الأمور وما يسر
ولرب حتف فوقه ذهب وياقوت ودر
فاقنع بعيشك يا فتىٰ واملك هواك وأنت حر

ويأكله ويقول: مَن قنع بهذا لم يحتجْ إلىٰ أحد) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالىٰ: **(خير دنياكم ما لم تُبتَلوا به، وخير ما ابتُليتم به ما خرج من أيديكم)** أخرجه أبو نعيم في الحلية[1].

(وقال ابن مسعود) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **(ما من يوم إلا وملَك ينادي: يا ابن آدم، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك)** كذا في القوت.

(وقال سُمَيط بن عجلان) يُروَىٰ بالسين المهملة والمعجمة **(إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر، فلِمَ يدخلك النارَ)**؟ كذا في القوت.

(وقيل لحكيم: ما مالك؟ قال: التجمُّل في الظاهر) وهو أن يتجمَّل في ملبسه وهيئته **(والقصد في الباطن)** أي يقتصد في أموره الباطنة فلا يفرط ولا يفرِّط **(واليأس مما في أيدي الناس)** فلا ينتظر وصول شيء منها.

وأخرج أبو نعيم في الحلية[2] من طريق سفيان قال: قيل لأبي حازم: ما مالك؟ قال: ثقتي بالله، وإياسي مما في أيدي الناس.

(ويُروَىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ **قال: يا ابن آدم، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها علىٰ غيرك فأنا إليك محسن)** نقله صاحب القوت.

(وقال ابن مسعود) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **(إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبًا يسيرًا)** أي قليلاً، أو سهلاً **(ولا يأتي الرجلَ فيقول: إنك)** كذا **(وإنك)** كذا، يثني عليه **(فيقطع ظهره، فإنما يأتيه ما قُسم له، أو ما رُزق)**[3] شكٌّ من الراوي. وهو معنىٰ الخبر

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢١ بلفظ: «خير الدنيا لكم ما لم تبتلوا به منها، فإذا ابتليتم بها فخيرها لكم ما خرج من أيديكم منها».

(٢) السابق ٣/ ٢٣٢.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٣٣، وابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٥٤٥، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٨٥، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٩٨ - ١٩٩.

السابق: «فأجمِلوا في الطلب».

(وكتب بعض بني أمية إلىٰ أبي حازم) سلمة بن دينار الأعرج المدني رحمه الله تعالىٰ (يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه، فكتب إليه: قد رفعتُ حوائجي إلىٰ مولاي، فما أعطاني منها قبلت، وما أمسك عني قنعت) رواه أبو نعيم في الحلية[1] عن أبي بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا يحيىٰ بن عبد الملك، حدثنا زمعة بن صالح قال: كتب بعض بني أمية إلىٰ أبي حازم ... فساقه، وفيه: فكتب إليه: أما بعد، جاءني كتابك تعزم عليَّ إلا رفعتُ إليك حوائجي، وهيهات! رفعت حوائجي إلىٰ ربي تعالىٰ ... والباقي سواء. ثم ساقه من طريق آخر وفيه التصريح بأن المراد ببعض بني أمية سليمان، يعني ابن عبد الملك، وفيه: هيهات! رفعت حاجتي إلىٰ مَن لا تُختزَن الحوائج دونه، فما أعطاني منها قنعت، وما أمسك عني منها رضيت.

(وقيل لبعض الحكماء: أيُّ شيء أسَرُّ للعاقل، وأيُّما شيء أعوَنُ علىٰ دفع الحزن؟ قال: أسَرُّها إليه ما قدَّم من صالح العمل، وأعونُها له علىٰ دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء) نقله صاحب القوت.

(وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غمًّا الحسود، وأهنأهم عيشًا القنوع، وأصبرهم علىٰ الأذىٰ الحريص إذا طمع، وأخفضهم) أي ألينهم (عيشًا أرفضهم) أي أترَكهم (للدنيا، وأعظمهم ندامةً العالِم المفرِّط) أي الذي فرَّط في علمه فلم يعمل به، فيرىٰ الذي عمل به قد نال مرتبة وهو مُنِعها، فتكثر ندامتُه حيث لا ينفع الندم.

(وقد قيل في ذلك:

أرفِهْ ببال امرئ يمسي علىٰ ثقة ... أن الذي خلق الأرزاق يرزقه)

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٣٧.

وفي نسخة: ببال فتىٰ أمسىٰ. وأرفه من الرفاهية وهي سعة العيش

(فالعِرض منه مصون لا يدنِّسه ... والوجه منه جديد ليس يخلقه)

وإخلاق الوجه: إبلاؤه، وهو كناية عن ذلِّ السؤال الناشئ عن الحرص

(إن القناعة مَن يحلل بساحتها ... لم يلقَ في دهره شيئًا يؤرِّقه)[(١)]

أي يحزنه ويؤلمه.

(وقيل أيضًا:

حتىٰ متىٰ أنا في حِل وترحال ... وطول سعي وإدبار وإقبال

ونازح الدار لا أنفك مغتربًا ... عن الأحبَّة لا يدرون ما حالي

بمشرق الأرض طَورًا ثم مغربها ... لا يخطر الموت من حرصي علىٰ بالي

ولو قنعتُ أتاني الرزق في دعة ... إن القنوع الغِنىٰ لا كثرة المال)[(٢)]

ومعناه ما مر في الخبر: أن الغنىٰ غنىٰ النفس، وأنه ليس بكثرة المال. وفي خبر آخر: القناعة كنز لا يفنَىٰ[(٣)]. أي فهو الغنىٰ الأكبر.

---

(١) البيت الأول والثاني لأبي عبد الرحمن العطوي البصري (توفي نحو ٢٥٠ هـ). انظر الأغاني ٢٣/ ١١٦.

(٢) روىٰ الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٣١١ عن معلىٰ بن أيوب قال: وقف المأمون في بعض أسفاره وهو قافل إلىٰ طرسوس في قدمته التي مات فيها، فوقف علىٰ شرف عالٍ، ثم أنشأ يقول: حتىٰ متىٰ ... فذكر الأبيات. وهي في الطيوريات ٤/ ١٣٠٧ منسوبة أيضا إلىٰ المأمون. وفي تاريخ دمشق ٧٣/ ٣٢٠ عن إسماعيل بن فروخ قال: أنشدنا الرشيد لنفسه وقد صعب عليه الصعود في عقبة همذان: حتىٰ متىٰ ... الخ الأبيات. ونسبها ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب ٤/ ١٧٩٩ لأبي العتاهية، ولم أقف عليها في ديوانه. ونسبها ابن عبد ربه في العقد الفريد ٣/ ١٦٠ لكلثوم بن عمرو العتابي.

(٣) البيهقي في الزهد (١١٤) وقال ضعيف.

وروىٰ[١] العسكري في الأمثال من طريق ابن عائشة قال: قال أعرابي: يسار النفس أفضل من يسار المال، ورُب شبعان من النعم غرثان من الكرم[٢].

وأنشد ابن دريد[٣] لسالم بن وابصة:

غنىٰ النفس ما يغنيك من سدِّ حاجة   فإن زاد شيئًا عاد ذاك الغنىٰ فقرا

وأنشد يعقوب بن إسحاق الكِندي لنفسه:

أناف الذنابي علىٰ الأرؤس   فغمِّض جفونَك أو نكِّسِ
وضائِلْ سوادك واقبض يديك   قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فابْغِ العلوَّ   وبالوحدة اليوم فاستأنس
فإن الغنىٰ في قلوب الرجال   وإن التعزُّز للأنفُس
وكائن ترىٰ من أخي عسرة   غني وذي ثروة مفلس
ومن قائم شخصُه ميت   علىٰ أنه بعدُ لم يُرمَسِ[٤]

(**وقال عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **ألا أخبركم بما أستحلُّ من مال الله** عَزَّوَجَلَّ**؟ حُلَّتان لشتائي وقيظي**) كما قال الشاعر:

مَن يكُ ذا بتٍّ فهذا بتِّي   مقيِّظ مصيِّف مشتِّي[٥]

(**وما يسعني من الظهر**) أي الراحلة أركبها (**لحجي وعمرتي، وقوتي بعد**

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٢٩٧.

(٢) ورواه البيهقي في الزهد الكبير ص ٢٤٨.

(٣) رواه عنه القالي في الأمالي ٢/ ٢٢٤.

(٤) الأبيات في: تاريخ دمشق ٣٦/ ٣١٨، والوافي بالوفيات ٢٨/ ٧٩، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء ١/ ٢٠٩ (ط - معهد العلوم العربية والإسلامية بألمانيا).

(٥) نسبه ياقوت في معجم الأدباء ٣/ ١٣١٢ لرؤبة بن العجاج. وهو في ملحقات ديوانه ص ١٩١.

ذلك كقوت رجل من قريش، لست بأرفعهم ولا بأوضعهم، ووالله ما أدري أيحل ذلك لي أم لا(١).

كأنه شكَّ في أن هذا القدر هل هو زيادة علىٰ الكفاية التي تجب القناعة بها) وهذا معروف في زهد عمر والتقلُّل من الدنيا.

وقد روىٰ سيف بن عمر(٢) عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: جمع عمر الناس عند فتح القادسية ودمشق فقال: إني كنت امرءًا تاجرًا يغني اللهُ عيالي بتجارتي، وقد شُغلت بأمركم، فما ترون فيما يحل لي من هذا المال؟ فأكثر القومُ، وعليٌّ ساكت، فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: ما أصلحك وأصلح عيالَك بالمعروف، ليس إلا. فقال [القوم]: القول ما قال علي.

(وعاتب أعرابي أخاه علىٰ الحرص فقال: يا أخي، أنت طالب ومطلوب، يطلبك مَن لا تفوته، وتطلب أنت ما قد كُفيته، وكأنَّ ما غاب عنك قد كُشف لك، وما أنت فيه قد نُقلتَ عنه، كأنك يا أخي لم ترَ حريصًا محرومًا وزاهدًا مرزوقًا(٣).

وقيل في ذلك:

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٧٠. ورواه بنحوه البيهقي في السنن الكبرىٰ ٦/ ٥٧٥، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ١٠٤ - ١٠٥، وأبو عبيد في الأموال ١/ ٣٨٣.

(٢) ومن طريقه رواه الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٦١٦، وابن الجوزي في المنتظم ٤/ ١٩٧. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء - سيرة الخلفاء الراشدين ص ١١١، وابن الأثير في الكامل ٢/ ٣٣٣، والنويري في نهاية الأرب ١٩/ ٢١٤.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٧٧ عن الأصمعي. ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ١٤٣ عن شيخه أبي عمر الأزدي قال: نظر رجل من العرب إلىٰ أخيه وحرصه علىٰ الدنيا فقال: أي أخي، أنت طالب ... فذكره. وروىٰ أبو نعيم في حلية الأولياء / ١٣ والخطيب في الزهد والرقائق ص ٦٢ والبيهقي في الزهد الكبير ص ٨٥ عن إبراهيم بن بشار قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: أمر اليوم أعمل في الطين. فقال: يا ابن بشار، إنك طالب ... الخ. وعندهم: ولا ذا فاقة مرزوقا.

أراك يزيدك الإثراء حرصًا على الدنيا كأنك لا تموت

فهل لك غاية إن صرتَ يومًا إليها قلتَ حسبي قد رضيت[1]

وقال) عامر بن شُراحيل (الشعبي) رحمه الله تعالىٰ: (حُكي أن رجلاً) فيما مضىٰ من الزمان (صاد قُنْبرة) بضم[2] القاف وسكون النون: ضرب من العصافير، لغة في قُبَّرة كسكرة، وكأنَّ النون بدل من أحد حرفَي التضعيف، ويُضم الثالث ويفتح [للتخفيف] والجمع: قَنابِر (فقالت) بلسان حالها للصائد: (ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك. قالت: واللهِ ما أشفي من قَرَم) محرَّكة: شدة الشهوة للأكل[3] (ولا أُشبع من جوع، ولكن أعلِّمك ثلاث خصال هنَّ خير لك من أكلي، أما واحدة فأعلِّمك وأنا في يدك، وأما الثانية فإذا صرتُ علىٰ الشجرة، وأما الثالثة فإذا صرت علىٰ الجبل. قال: هاتي الأولىٰ. قالت: لا تَلهفَنَّ علىٰ ما فات) أي لا تتحسَّر علىٰ الفائت، فإن الحسرة علىٰ الفوات عبثٌ (فخلاَّها) من يده فطارت (فلما صارت علىٰ الشجرة قال: هاتي الثانية. قالت: لا تصدِّقنَّ بما لا يكون أنه يكون. ثم طارت فصارت علىٰ الجبل، فقالت: يا شقي، لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي) بتشديد اللام، وقد تخفَّف (دُرَّتين، في كل واحدة عشرون مِثقالاً) أي زِنة كل درَّة كذلك (قال) الراوي: (فعضَّ) الصائد (علىٰ شفتيه وتلهَّف) علىٰ تخليتها من يده (وقال: هاتي الثالثة. قالت: أنت قد نسيت الثنتين فكيف أخبرك بالثالثة؟ ألم أقل لك لا تلهَّفنَّ علىٰ ما فاتك ولا تصدِّقن بما لا يكون أنه يكون؟ أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي دُرَّتان في كل واحدة عشرون مثقالا؟! ثم طارت فذهبت) أخرجه أبو نعيم في الحلية[4] عن أبيه، حدثنا

---

(١) البيتان لمحمود الوراق، وهما في ديوانه ص ٨٩.

(٢) المصباح المنير ص ٤٨٧.

(٣) في تاج العروس ٣٣/ ٢٥١ - ٢٥٢: «القَرَم: شدة شهوة الإنسان إلىٰ اللحم. قال ابن سيده: وكثر حتىٰ قيل في الشوق إلىٰ الحبيب».

(٤) حلية الأولياء ٤/ ٣١٦.

إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عبد الله الرازي، عن مَسلمة بن علقمة، عن داود، عن الشعبي ... فذكره سواء.

(وهذا مثال لفرط طمع الآدمي، فإنه يعميه عن درك الحق حتىٰ يقدِّر) في نفسه **(ما لا يكون)** من المتخيَّلات **(أنه يكون.**

وقال ابن السَّمَّاك) وهو محمد بن صبيح البغدادي الواعظ رحمه الله تعالىٰ: **(إن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك، فأخرِج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك)**[1] نقله صاحب القوت.

(وقال أبو محمد) يحيىٰ[2] بن المبارك بن المغيرة العدوي مولىٰ عدي بن عبد مَناة **(اليزيدي)** منسوب إلىٰ يزيد بن منصور الحِمْيرس خال المهدي؛ لأنه أدَّب أولاده فنُسب إليه، وأدَّب المأمونَ. روىٰ عن أبي عمرو بن العلاء وابن جريج، وقرأ لأبي عمرو. وهو صدوق، عالِم باللغة والنحو، وله تصانيف حسنة، مات سنة ٢٠٢، وأولاده محمد وعبيد الله وإسماعيل وإسحاق[3] شعراء. وممَّن روىٰ عن أبي محمد اليزيدي: أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله بن [إسماعيل بن إبراهيم بن] جارود الرَّقِّي[4] **(دخلت علىٰ الرشيد)** هارون بن المهدي **(فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب، فلما رآني تبسَّم، فقلت: فائدة، أصلح الله أمير المؤمنين. قال: نعم، وجدتُ هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما، وقد أضفت إليهما ثالثًا. وأنشدني:**

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٢٥، والخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٣٥٠، وابن حبان في روضة العقلاء ص ١٤٣.

(٢) الأنساب للسمعاني ٥/ ٦٩١ - ٦٩٢. لباب الأنساب لابن الأثير ٣/ ٤١١ - ٤١٢. معرفة القراء الكبار للذهبي ص ١٥١ - ١٥٢ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٣) في الأنساب: إبراهيم، بدل: إسحاق. وهو يكنىٰ أبا إسحاق.

(٤) المعروف بالسوسي.

إذا سُدَّ بابٌ عنك من دون حاجة فدَعْه لأخرىٰ ينفتح لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها
ولا تكُ مِبذالاً لعِرضك واجتنِبْ ركوب المعاصي يجتنبك عقابُها)[١]

أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء.

(وقال عبد الله بن سلام) رضي الله عنه (لكعب) الأحبار رحمه الله تعالىٰ: (ما يُذهِب العلومَ من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقلوها؟ قال: الطمع وشَرَهُ النفس وطلب الحوائج. فقال رجل للفضيل: فسِّرْ لي قولَ كعب. قال: يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه، وأما الشره فشَرَه النفس في هذا وفي هذا حتىٰ لا تحب أن يفوتها شيء، وتكون لك إلىٰ هذا حاجة وإلىٰ هذا حاجة، فإذا قضاها لك خزم أنفَك) أي جعل فيها شِبه الخِزام في أنف الناقة (وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعتَ له، فمن حبِّك للدنيا سلَّمت عليه إذا مررت به، وعُدْته إذا مرض، ولم تسلِّم عليه لله عز وجل، ولم تَعُدْه لله، فلو لم تكن لك إليه حاجة كان خيرًا لك. ثم قال) الفضيل للسائل: (هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان)[٢] أخرجه ابن أبي الدنيا.

(وقال بعض الحكماء: من عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قُوَىٰ خِلقته من الحرص علىٰ الجمع أكثر مما قد استعمله مع قِصر مدة التمتُّع وتوقُّع الزوال) أخرجه ابن أبي الدنيا.

(وقال عبد الواحد بن زيد) البصري رحمه الله تعالىٰ: (مررت براهب) في

---

(١) رواه الخرائطي في اعتلال القلوب ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) رواه القاضي عياض في كتاب الإلماع إلىٰ معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص ٢٣١ (ط - دار التراث بالقاهرة) بسنده إلىٰ الفضيل، وفيه أن السائل للفضيل هو أبو يزيد الفيض بن إسحاق الرقي.

صومعة **(فقلت له: من أين تأكل؟ فقال: من بيدر**[١] **اللطيف الخبير)** جلَّ جلاله **(الذي خلق الرحىٰ هو يأتيها بالطحين. وأومأ بيده إلىٰ رحىٰ أضراسه)**[٢] أخرجه ابن أبي الدنيا.

---

(١) مكان اجتماع الطعام. التاج ١٠/ ١٤٣.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الزهد والرقائق ص ٩٥ - ٩٧ ضمن أثر طويل. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ١٣٢ عن محمد بن المبارك الصوري قال: قلت لراهب ... فذكره. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦/ ١١ - ١٦ عن السليط بن سبيع العامري قال: كنت تاجرا ... فذكر أثرا طويلا جدا وحوارا دار بينه وبين أحد الرهبان في بلاد الصين، وفيه: «قلت: يا راهب، فمن أين تأكل؟ قال: من زرع لم أتولَّ بذاره من بيدر اللطيف الخبير. ثم قال: يا فتىٰ، إن الذي خلق الرحىٰ هو يأتيها بالطحين. ثم أشار بيده إلىٰ رحىٰ ضرسه».

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي تُكتسَب به صفة القناعة

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن هذا الدواء مركَّب من ثلاثة أركان) هي أساسه: (الصبر والعلم والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور:

الأول وهو العمل) وذلك (الاقتصاد في المعيشة) أي الاعتدال فيها (والرفق في الإنفاق، فمَن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد علىٰ نفسه أبواب الخرج) أي ما يصرف في اللوازم الضرورية (ما أمكنه، ويردَّ نفسَه إلىٰ ما لا بد له منه، فمَن كثر خرجُه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعةُ، بل إن كان وحده فينبغي أن يَقنع بثوب واحد خشن) من قطن أو صوف (ويَقنع بأيِّ طعام كان، ويقلِّل من الإدام ما أمكنه، ويوطِّن نفسه عليه) تدريجيًّا (وإن كان له عيال فيردّ كلَّ واحد إلىٰ هذا القدر، فإنَّ هذا القدر يتيسَّر بأدنىٰ جهد، ويمكن معه الإجمال في الطلب) المأمور به في الخبر (فالاقتصاد في المعيشة هو الأصل في القناعة) ففي الخبر عن ابن عمر مرفوعًا: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة». رواه البيهقي والعسكري وابن السني والديلمي. وعند الطبراني وابن لال من حديث أنس: «الاقتصاد نصف العيش»[1] (ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخُرق فيه) وهو سوء العمل (قال ﷺ: إن الله يحب الرفق في الأمر كلِّه) أخرجه الشيخان من حديث عائشة، وقد تقدم في كتاب ذم الغضب.

(وقال ﷺ: ما عالَ) أي ما افتقر (من اقتصد) أي في معيشته، أي مَن أنفق قصدًا ولم يجاوزه إلىٰ الإسراف.

---

(١) أما حديث ابن عمر فتقدم في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما حديث أنس فسيأتي قريبا.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] والطبراني[٣] من حديث ابن مسعود، و[رواه[٤]] من حديث ابن عباس بلفظ «مقتصد»، وكلاهما ضعيف. انتهىٰ.

قلت: روياه[٥] من طريق إبراهيم الهَجَري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود، وكذلك رواه القضاعي[٦]، وهو عند العسكري[٧] من طريق سكين بن عبد العزيز عن الهجري بلفظ: «لا يعيل أحد علىٰ قصد، ولا يبقىٰ علىٰ سرف كثير». وروياه أيضًا من طريق أبي روق عن الضحَّاك عن ابن عباس بلفظ: «ما عال مقتصد». إلا أن الطبراني زاد «قط». وقد ورد في الاقتصاد أخبار كثيرة، منها ما تقدَّم عن ابن عمر وأنس. ومن ذلك ما رواه العسكري من حديث أبي بلال الأشعري، حدثنا عبد الله بن حكيم المدني، عن شبيب بن بشر، عن أنس رفعه: «السؤال نصف العلم، والرفق نصف المعيشة، وما عال امرؤٌ في اقتصاد»[٨]. وروىٰ الحاكم ومن طريقه الديلمي من حديث عمر بن صبح، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أبي أمامة رفعه: «السؤال نصف العلم، والرفق نصف المعيشة، وما عالَ مَن اقتصد». وروىٰ العسكري[٩] من طريق عثمان بن عمر بن خالد بن الزبير عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رفعه: «التودُّد نصف الدين، وما عالَ امرؤٌ قط

(١) المغني ٢/ ٨٩٦.
(٢) مسند أحمد ٧/ ٣٠٢.
(٣) المعجم الكبير ١٠/ ١٣٣.
(٤) يعني الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٢٣.
(٥) المقاصد الحسنة ص ٧٠ - ٧١.
(٦) مسند الشهاب ٢/ ٥.
(٧) وكذلك أبو الشيخ في أمثال الحديث ص ٧٤.
(٨) ورواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص ١٠٢ عن أبي النضر منصور بن صغير عن عبد الله بن حكيم، ولكن بلفظ: وما عال من اقتصد.
(٩) وكذلك البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤١٥.

عن اقتصاد ...» الحديث. وروى الطبراني في الصغير[١] والقضاعي[٢] من طريق عبد القدوس بن حبيب عن الحسن عن أنس رفعه: «ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، ولا عالَ مَن اقتصد». وقد عقد البيهقي في الشعب[٣] للاقتصاد في النفقة بابًا.

(**وقال ﷺ: ثلاث**) خصال (**منجيات**) من[٤] عذاب الله تعالىٰ: (**خشية الله**) أي خوفه (**في السر والعلانية**) قدَّم السر لأن تقوىٰ الله فيه أعلىٰ درجةً من العلن؛ لِما يخاف فيها من شوب رؤية الناس، وهذه درجة المراقبة، وخشيته فيها تمنع من ارتكاب كل منهيٍّ عنه، وتحثُّه علىٰ فعل كل مأمور (**والقصد في الغنىٰ والفقر**) وفي لفظ بتقديم الفقر علىٰ الغنىٰ، والمراد التوسُّط فيهما في الإنفاق ونحوه (**والعدل في**) حالتَي (**الرضا والغضب**) فلا يحمله الغضب علىٰ الجور ولا الرضا علىٰ الوقوع في محذور لأجل رضا المخلوق.

قال العراقي[٥]: رواه البزار[٦] والطبراني[٧] وأبو نعيم في الحلية[٨] والبيهقي في الشعب[٩] من حديث أنس بسند ضعيف. انتهىٰ.

قلت: هو في الأوسط للطبراني، وفيه زيادة: «وثلاث مهلكات: هوًىٰ متَّبَع، وشُح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه». وكذلك رواه أبو الشيخ في التوبيخ[١٠]. وروىٰ

---

(١) المعجم الصغير ٢/ ١٧٥.

(٢) مسند الشهاب ٢/ ٧.

(٣) شعب الإيمان ٨/ ٤٨٨ - ٥٢٠.

(٤) فيض القدير ٣/ ٣٠٦ - ٣٠٨، التيسير شرح الجامع الصغير ١/ ٤٧٠، كلاهما للمناوي.

(٥) المغني ٢/ ٨٩٦ - ٨٩٧.

(٦) مسند البزار ١٣/ ١١٤.

(٧) المعجم الأوسط ٥/ ٣٢٨.

(٨) حلية الأولياء ٢/ ٣٤٣، ٦/ ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٩) شعب الإيمان ٢/ ٢٠٤.

(١٠) بل في طبقات المحدثين بأصفهان ٢/ ٦٠.

العسكري في الأمثال وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المراغي في «ثواب الأعمال»[١] من حديث ابن عباس: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث درجات، وثلاث كفَّارات ...» فذكر الحديث، وفيه: قيل: وما المنجيات؟ قال: «تقوىٰ الله في السر والعلانية، والاقتصاد في الفقر والغنىٰ، والعدل في الرضا والغضب ...» الحديث. وقد رواه أيضًا الخطيب في التاريخ هكذا. ورواه الطبراني في الأوسط[٢] وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر، قال العلائي: سنده ضعيف. وعدَّه في الميزان[٣] من المناكير. قال الهيثمي[٤]: فيه ابن لهيعة ومَن لا يُعرَف.

(ورُوي أن رجلاً أبصر أبا الدرداء) رضي الله عنه **(يلتقط حبًّا من الأرض وهو يقول: إن من فقهك رفقُك في معيشتك)** رواه ابن عدي في الكامل[٥] والبيهقي في الشعب[٦] من حديثه مرفوعًا بلفظ: «من فقهك رفقُك في معيشتك». ورواه أحمد[٧] والطبراني في الكبير[٨] بلفظ: «من فقه الرجل رفقُه في معيشته». ورواه أبو نعيم في الحلية[٩] من قوله ولم يرفعه، قال: حدثنا إبراهيم بن عبيد الله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الفرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء قال: من فقه الرجل رفقُه في معيشته.

(١) وكذلك الرافعي في التدوين ٣/ ٤٠٥ - ٤٠٦.

(٢) المعجم الأوسط ٦/ ٤٧.

(٣) لم يذكر الذهبي في الميزان حديث ابن عمر، وإنما أورد حديث أنس في موضعين: الأول ١/ ٦١١ في ترجمة حميد بن الحكم، ونقل عن ابن حبان قوله: منكر الحديث جدا. الثاني ٣/ ٣٤٩ في ترجمة الفضل بن بكر العبدي، وقال: «لا يعرف، وحديثه منكر».

(٤) مجمع الزوائد ١/ ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٥) الكامل في الضعفاء ٢/ ٤٧٢.

(٦) شعب الإيمان ٨/ ٥٠٠ - ٥٠١.

(٧) مسند أحمد ٣٦/ ٢٦.

(٨) ورواه أيضا في مسند الشاميين ٢/ ٣٥٣.

(٩) حلية الأولياء ١/ ٢١١.

(وقال ابن عباس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(قال النبي ﷺ: الاقتصاد)** أي[١] في الأمور بين طرفَي الإفراط والتفريط **(وحُسن السَّمْت والهَدْي الصالح)** أي أخذ المنهج ولزوم المَحَجَّة **(جزء من بضع وعشرين جزءًا من النبوة)** أي هذه الخصال من شمائل أهل النبوة وجزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدُوا بهم فيها وتابِعوهم عليها. فليس معناه أن النبوة تتجزَّأ، ولا أن مَن جمع هذه الخلال صار فيه جزء من النبوة؛ لأنها غير مكتسَبة، أو المراد أن هذه الخلال مما جاءت به النبوة ودعا إليها الأنبياء، أو أن مَن جمعها ألبسه الله لباس التقوىٰ الذي ألبسه الأنبياء، فكأنها جزء منها.

قال العراقي[٢]: رواه أبو داود[٣] من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير، وقال: السمت الصالح. وقال: من خمسة وعشرين. ورواه الترمذي[٤] وحسَّنه من حديث عبد الله بن سرجس، وقال: التؤدة، بدل: الهدي الصالح. وقال: من أربعة. انتهىٰ.

قلت: حديث عبد الله بن سرجس المُزَني أخرجه الترمذي في البر بلفظ: «السمت الحسن والتُّؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة». قال الصدر المناوي: رجاله موثَّقون. ورواه عبد بن حميد[٥] وابن أبي عاصم[٦] والطبراني في الكبير[٧] والخطيب[٨] والضياء[٩] بلفظ: «التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءًا من النبوَّة».

---

(١) فيض القدير للمناوي ٤/ ١٤٥. معالم السنن للخطابي ٤/ ١٠٦ - ١٠٧. شرح مشكاة المصابيح للطيبي ١٠/ ٣٢٢٤ - ٣٢٢٥. النهاية لابن الأثير ١/ ٢٦٥.

(٢) المغني ٢/ ٨٩٧.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٦٦.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٥٤٠.

(٥) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٤١١.

(٦) الآحاد والمثاني ٢/ ٣٣٦.

(٧) وكذلك في المعجم الأوسط ١/ ٣٠٣.

(٨) تاريخ بغداد ٤/ ١١١.

(٩) الأحاديث المختارة ٩/ ٤٠٤ - ٤٠٥.

(وفي الخبر: التدبير نصف العيش) أي[١] النظر في عواقب الإنفاق؛ إذ به يُحترَز عن الإسراف والتقتير.

قال العراقي[٢]: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس[٣]، وفيه خلاَّد بن عيسىٰ، جهَّله العقيلي[٤]، ووثَّقه ابن معين[٥]. انتهىٰ.

قلت: ورواه أيضًا العسكري والطبراني وابن لال من طريق خلاَّد بن عيسىٰ عن ثابت عن أنس ولكن بلفظ: «الاقتصاد نصف العيش، وحسن الخُلق نصف الدين». ورواه القُضاعي في مسند الشهاب[٦] من حديث علي بلفظ المصنِّف لكن بزيادة: «والتؤدة نصف العقل، والهم نصف الهَرَم، وقلة العيال أحد اليسارين». قال العامري شارحه: حسن غريب. وتُعُقِّب بأن فيه ابن لهيعة، وفيه أيضًا إسحاق بن إبراهيم الشامي، أورده الذهبي في الضعفاء وقال: له مناكير[٧]. وقد رُويت هذه الزيادة في سياق الديلمي أيضًا، إلا أنه قال: والتودُّد، بدل: التؤدة. ورواه

---

(١) فيض القدير ٣/ ٢٨٠.

(٢) المغني ٢/ ٨٩٧.

(٣) حديث أنس في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٢٢ بلفظ: «الاقتصاد نصف العيش، وحسن الخلق نصف الدين».

(٤) الضعفاء الكبير ٢/ ٣٦٦، وفيه: «مجهول بالنقل، حديثه غير محفوظ».

(٥) تاريخ ابن معين برواية الدوري ٣/ ٣٥٨. وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٣٦٧: خلاد بن مسلم، ونقل عن ابن معين أنه قال: ليس به بأس. وكذا هو في تاريخ ابن معين برواية عثمان بن سعيد الدارمي ص ١٠٥.

(٦) مسند الشهاب ١/ ٥٤ - ٥٥.

(٧) الذي في ديوان الضعفاء للذهبي ص ٢٦: «إسحاق بن إبراهيم أبو النضر الفراديسي، ثقة وله مناكير، روىٰ له البخاري وأبو داود والنسائي». وقد استظهر الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٤/ ٩٣ أن الشامي المشار إليه هو الفراديسي الذي ذكره الذهبي. قلت: بل هما اثنان، فمن خلال سند القضاعي يظهر أن الشامي متأخر عن الفراديسي، بل متأخر عن البخاري.

البيهقي[١] بنحوه من قول ميمون بن مهران. ولابن حبان في صحيحه[٢] من حديث طويل عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: «يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حَسَب كحُسن الخلق». وقال بعضهم: لولا أن النبي ﷺ قال «التدبير نصف العيش» لقلت: بل هو العيش كله. وهذا لا يعارض قولَ الصوفية: أرِحْ نفسك من التدبير، فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك[٣]. ما ذاك إلا لأن الكلام هنا في تدبير صحبه تفويضٌ، وكلامهم فيما لا يصحبه. وعلىٰ هذا يُحمَل جميع ما أورده العارف ابن عطاء الله قُدِّس سره في كتابه الذي سمَّاه «التنوير في إسقاط التدبير».

(**وقال ﷺ: مَن اقتصد**) في أموره كلِّها (**أغناه الله تعالىٰ، ومَن بذَّر**) أي أسرف وتجاوز عن الحدود (**أفقره الله، ومَن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أحبه الله**) قال العراقي[٤]: رواه البزار[٥] من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله «ومَن ذكر الله أحبه الله». وشيخه فيه عمران بن هارون البصري، قال الذهبي[٦]: شيخ لا يُعرَف حاله، أتىٰ بخبر منكر. أي هذا الحديث. ولأحمد وأبي يعلىٰ في حديث لأبي سعيد: «ومَن أكثر من ذكر الله أحبه الله»[٧]. وسيأتي في ذم الكبر. انتهىٰ.

قلت: لفظ البزار في مسنده: عن طلحة قال: كنا نمشي مع رسول الله ﷺ

---

(١) شعب الإيمان ٦/ ٣٧٧، ٨/ ٥٠٣ بلفظ: «التودد إلىٰ الناس نصف العقل، وحسن المسألة نصف الفقه، ورفقك في معيشتك يلقي نصف المؤنة».

(٢) صحيح ابن حبان ٢/ ٧٩.

(٣) هذه إحدىٰ الحكم المنسوبة إلىٰ ابن عطاء الله السكندري. الحكم العطائية بشرح ابن عباد الرندي ص ٤٦، ٩٧.

(٤) المغني ٢/ ٨٩٧.

(٥) مسند البزار ٣/ ١٦١.

(٦) ميزان الاعتدال ٣/ ٢٤٤.

(٧) لم أقف عليه عندهما بهذا اللفظ، وإنما رواه أحمد ١٨/ ١٩٥، ٢١٢ وأبو يعلىٰ ٢/ ٥٢١ عنه بلفظ: «أكثروا ذكر الله حتىٰ يقولوا مجنون».

بمكة وهو صائم، فأجهده الصوم، فحلبنا له ناقة لنا في قعب وصببنا عليه عسلاً نكرمه به عند فطره، فلما غابت الشمس ناولناه القعب، فلما ذاقه قال بيده كأنه يقول: ما هذا؟ قلنا: لبنًا وعسلاً أردنا أن نكرمك به. أحسبه قال: أكرمك الله بما أكرمتني، أو دعوة هذا معناها، ثم قال: «مَن اقتصد أغناه الله، ومَن بذَّر أفقره الله، ومَن تواضع رفعه الله، ومن تجبَّر قصمه الله». قال الهيثمي[١]: وفيه ممَّن أعرفه اثنان. وأما عمران بن هارون البصري، فوجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: قال البزار: كان [شيخًا] مستورًا. ا.هـ. ولم يذكره الذهبي في المغني، وقال في ذيله ما نصه: عمران بن هارون المقدسي الصوفي، عن ابن لهيعة والليث، قال ابن يونس: في حديثه لِينٌ، وقال أبو زُرعة[٢]: صدوق[٣]. انتهىٰ. فلا أدري أهو الذي عناه الذهبي أو غيره. والله أعلم. وأما حديث «مَن أكثر ذِكر الله أحبه الله» فقد رواه ابن شاهين[٤] من حديث عائشة.

(وقال ﷺ: إذا أردت أمرًا فعليك بالتؤدة حتىٰ يجعل الله لك فرجًا ومَخرجًا) قال العراقي[٥]: رواه ابن المبارك في البر والصلة، وقد تقدَّم[٦]. انتهىٰ.

قلت: رواه عن أبي جعفر عبد الله بن المسور الهاشمي المدائني مرسلاً، والذي تقدَّم لفظه: «إذا أردتَ أمرًا فتدبَّرْ عاقبته، فإن كان خيرًا فامْضِه، وإن كان شرًّا فانتِه». وهكذا رواه في كتاب الزهد. وأما لفظ المصنف فأخرجه البخاري

---

(١) مجمع الزوائد ١٠/ ٤٤٣ - ٤٤٤.

(٢) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٣٠٧: «عمران بن هارون أبو موسىٰ الرملي .. سألت أبا زرعة عنه فقال: صدوق».

(٣) عبارة الذهبي في المغني ٢/ ٦٠: «عمران بن هارون المقدسي، عن ابن لهيعة، صدقه أبو زرعة، ولينه ابن يونس».

(٤) الترغيب في فضائل الأعمال ص ٥٧.

(٥) المغني ٢/ ٨٩٧ - ٨٩٨.

(٦) في كتاب ذم الغضب، وكذا حديث الرجل البلوي بعده.

في الأدب المفرد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب والبغوي والخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي وابن عساكر من حديث رجل من بَلْي، ولفظهم جميعًا: «حتىٰ يريك الله منه المَخرجَ».

(والتؤدة في الإنفاق من أهم الأمور) وقد روىٰ أبو داود[1] والحاكم[2] والبيهقي[3] من حديث سعد بن أبي وقاص: «التؤدة في كل شيء خيرٌ إلا في عمل الآخرة».

(الثاني: أنه إذا تيسَّر له في الحال ما يكفيه) مما يصرفه علىٰ نفسه وعياله من قوت أو دراهم (فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب) كثير القلق (لأجل المستقبل، ويعينه علىٰ ذلك قِصرُ الأمل والتحقُّقُ بأن الرزق الذي قُدِّر له) من الأزل (لا بد وأن يأتيه) من حيث كان (وإن لم يشتدَّ حرصه) وطلبُه (فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق، بل ينبغي أن يكون واثقًا بوعد الله تعالىٰ) الذي لا يُخلَف (إذ قال) في كتابه العزيز: (﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ أي قد ضمن أن يرزقها فيتحقَّق أن الرزق مضمون، وأن وعد الله لا يتخلَّف (وذلك لأن الشيطان يَعِده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول) من جملة ما يَعِدُه: (إن لم تحرص علىٰ الجمع والادِّخار فربما تمرض، وربما تعجز) عن الكسب والسعي (وتحتاج إلىٰ احتمال الذل في السؤال) وهو أمر شديد لا تحتمله (فلا يزال طول العمر يتعبه) الشيطانُ (في الطلب) والسعي (خوفًا من التعب، ويضحك عليه في احتماله التعب نقدًا) حاضرًا (مع الغفلة عن الله) وعن وعده (لتوهُّم تعب في ثاني الحال) نسيئةً (وربما لا يكون، وفي مثله قيل) قائله المتنبي[4]:

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٩.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٢٢.

(٣) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٢٧.

(٤) البيت في ديوانه ص ١٨٩.

(ومَن ينفق الساعات في جمع ماله مخافةَ فقر فالذي فعل الفقرُ)

أي إنفاق نفيس عمره في إتعاب النفس على مضمون خشية أن يفتقر هو عين الفقر الحاضر.

(وقد دخل) حبة وسواء **(ابنا خالد)** من بني عامر بن صعصعة، وقيل: خُزاعة، نزلا الكوفة[١] **(علىٰ رسول الله ﷺ، فقال لهما: لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما)** أي ما تحركت **(فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالىٰ)** رواه أحمد[٢] وهنَّاد[٣] وابن ماجه[٤] وابن حبان[٥] والبغوي[٦] والباوَرْدي وابن قانع[٧] والبيهقي[٨] والطبراني[٩] والضياء من حديث حبة وسواء، إلا أنهم قالوا: «ثم يعطيه الله تعالىٰ ويرزقه». قال البغوي: وما لسواء غيره. وقد تقدم.

(ومر رسول الله ﷺ بابن مسعود) عبد الله رضي الله عنه **(وهو حزين، فقال له: لا يكثُر همُّك)** وفي لفظ: لا تُكثِر همَّك **(ما يُقدَّر يكن، وما تُرزَق يأتِك)** قال العراقي[١٠]: رواه أبو نعيم[١١] من حديث خالد بن رافع، وقد اختُلف في صحبته. ورواه الأصبهاني في

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٠٠. الاستيعاب ١/ ١٩٢، ٤١٤.

(٢) مسند أحمد ٢٥/ ١٨٦ - ١٨٧.

(٣) الزهد ٢/ ٤٠٧.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٩١.

(٥) صحيح ابن حبان ٨/ ٣٤.

(٦) معجم الصحابة ٣/ ٢٨٠.

(٧) معجم الصحابة ١/ ٣٢٤ مختصرا.

(٨) شعب الإيمان ٢/ ٤٨٦.

(٩) المعجم الكبير ٤/ ٧ - ٨.

(١٠) المغني ٢/ ٨٩٨.

(١١) معرفة الصحابة ٢/ ٩٤٤.

الترغيب والترهيب[١] من رواية مالك بن عمرو المعافري مرسلاً. انتهىٰ.

قلت: وقد رواه أيضًا ابن ماجه في القدر والديلمي وابن النجار من حديث ابن مسعود[٢]. ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد والخرائطي وابن أبي الدنيا وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر[٣] من حديث مالك بن عبادة الغافقي. ورواه البغوي[٤] وابن قانع[٥] وابن أبي الدنيا[٦] وأبو نعيم والبيهقي[٧] وابن عساكر من حديث خالد بن رافع، وقال البغوي: ولا أعلم له غيره، ولا أدري له صحبة أم لا. ورواه ابن يونس في «تاريخ مَن دخل مصر من الصحابة» من طريق عياش ابن عباس عن أبي موسىٰ الغافقي - واسمه مالك بن عبد الله - أن النبي ﷺ نظر إلىٰ ابن مسعود فقال: «لا يكثُر همُّك، ما يُقدَّر يكن، وما تُرزَق يأتك».

وقال الحافظ في الإصابة[٨]: خالد بن رافع، ذكره البخاري[٩] فقال: يروي عن النبي ﷺ، وعنه مالك بن عبد الله. وقد ذكره ابن حبان[١٠] [في التابعين] فقال: يروي المراسيل. وأخرج حديثه ابن منده[١١] من طريق سعيد بن أبي مريم عن

(١) الترغيب والترهيب ٢/ ٢٠٠.

(٢) لم أقف عليه عند ابن ماجه من رواية ابن القطان التي بين أيدينا ولعله أراد أن يقول البيهقي فقال ابن ماجه، فهو في القضاء والقدر للبيهقي صـ٢٠٩ ط العبيكان. والله أعلم. ورواه البيهقي في الآداب ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٣٥٦.

(٤) معجم الصحابة ٢/ ٢٣٨.

(٥) معجم الصحابة ٣/ ٤٣.

(٦) الفرج بعد الشدة ص ٢٢.

(٧) شعب الإيمان ٢/ ٤٠٩.

(٨) الإصابة ٣/ ٥٥.

(٩) التاريخ الكبير ٣/ ١٤٨.

(١٠) الثقات ٤/ ٢٠١.

(١١) معرفة الصحابة ص ٤٧٠ - ٤٧١.

نافع بن يزيد المصري عن عيَّاش بن [عباس عن] عبد الله بن مالك المعافري أن جعفر بن عبد الله بن الحكم حدَّثه عن خالد بن رافع أن رسول الله ﷺ قال لابن مسعود ... فذكره. قال سعيد: وحدثنا يحيىٰ بن أيوب وابن لهيعة عن عيَّاش عن مالك بن عبد الله. قال ابن منده: وقال غيره: عن عياش عن جعفر عن مالك مثله. ورواه البغوي من رواية سعيد عن نافع وذكر الاختلاف في صحبة خالد. وأخرجه ابن أبي عاصم[1] من طريق سعيد بن أبي أيوب عن عياش بن عباس عن مالك بن عبد الله المعافري أن النبي ﷺ قال لابن مسعود ... فذكره، ولم يذكر خالد بن رافع. والاضطراب فيه من عياش بن عباس، فإنه ضعيف.

وقال[2] في ترجمة مالك بن عبد الله المعافري: قال ابن يونس[3]: ذُكر فيمَن شهد فتح مصر، وله رواية عن أبي ذر، روىٰ عنه أبو قبيل. وقال أبو عمر[4]: روىٰ عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يكثُر همُّك، ما يُقدَّر يكن، وما تُرزَق يأتِك». قال الحافظ: وهذا الحديث أخرجه ابن أبي خيثمة[5] وابن أبي عاصم في الوحدان والبغوي[6]، كلهم من طريق أبي مطيع معاوية بن يحيىٰ عن سعيد بن أبي أيوب عن عياش بن عباس الغسَّاني عن جعفر بن عبد الله بن الحكم عن مالك بن عبد الله المعافري أن النبي ﷺ قال لابن مسعود ... فذكره. هذا سياق الحسن بن سفيان، وسقط جعفر من رواية الآخرين. وقال البغوي: لم يروِه غير أبي مطيع، وهو متروك[7] الحديث. وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق أخرىٰ عن الغسَّاني فقال: عن

---

(١) الآحاد والمثاني ٥/ ٢٨٠.

(٢) الإصابة ٩/ ٥٦ – ٥٧.

(٣) تاريخ مصر ص ٤٢٥.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٢٠١.

(٥) تاريخ ابن أبي خيثمة – السفر الثاني ص ٥٣٩.

(٦) معجم الصحابة ٥/ ٢٤١.

(٧) في معجم الصحابة: ضعيف.

مالك بن عبادة الغافقي.

(وقال ﷺ: **ألا أيها الناس، أجمِلوا في الطلب، فإنه ليس لعبد إلا ما كُتب له، ولن يذهب عبدٌ من الدنيا حتىٰ يأتيه ما كُتب له من الدنيا وهي راغمة**) تقدَّم قبل هذا بثلاثة عشر حديثًا، وأنه رواه الحاكم من حديث جابر بنحوه، وتقدم أيضًا أنه في كتاب الكسب والمعاش.

(**ولا ينفكُّ الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالىٰ في تقدير أرزاق العباد، وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب، بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر**) من حيث يحتسب (**قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝﴾**) ممَّا هو فيه (**﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾**) [الطلاق: ٢ - ٣] أي يرزقه فرجًا وخلاصًا من المَضارِّ من حيث لا يخطر بباله (**فإذا انسدَّ عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله.**

وقال ﷺ: أبىٰ اللهُ أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب) أي[(١)] من جهة لا تخطر بباله ولا تتخالج في آماله. والمراد بالمؤمن: الكامل، كما تؤذن به إضافته إليه، وهو مَن انقطع إلىٰ الله ومحَّض قصدَه للالتجاء إليه، بدليل خبر الطبراني[(٢)]: «من انقطع إلىٰ الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومَن انقطع إلىٰ الدنيا وكله الله إليها». والرزق إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أهنأ، فالمؤمن الكامل يشهد الرزق بيد الرازق يخرج من مشيئة الغيب[(٣)] فيجريه بالأسباب، فإذا شهد ذلك كان قلبه مراقبًا لِما يصنع مولاه، وعينه ناظرة لمختاره له، معرضة عن النظر للأسباب، فالساقط عن قلبه محسبة الرزق من أين وكيف

---

(١) فيض القدير ١/ ٧١ - ٧٢، التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ١٤، للمناوي. وهو مأخوذ عن نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٤٨٤ - ٤٨٥ بتصرف.

(٢) المعجم الأوسط ٣/ ٣٤٦ من حديث عمران بن حصين.

(٣) في الفيض: خزائن الغيب. وما هنا موافق لما في النوادر.

ومتىٰ بحيث لا يتَّهم ربَّه في قضائه يؤتَىٰ رزقه صفوًا عفوًا، والمتعلِّق بالأسباب قلبه جوَّال، فإن لم يدركه لطفٌ فهو كالهمج في المزابل يطير من مزبلة إلىٰ مزبلة حتىٰ يجمع أوساخ الدنيا ثم يتركها وراء ظهره ويلقَىٰ اللهَ بإيمان سقيم [دنس] وينادَىٰ عليه [يوم القيامة]: هذا جزاء مَن أعرض عن الله واتَّهم مولاه فلم يرضَ بضمانه.

قال العراقي[1]: رواه ابن حبان في الضعفاء[2] من حديث علي بإسناد واهٍ. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات[3]. انتهىٰ.

قلت: ورواه[4] الديلمي من طريق عمر بن راشد عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رفعه بهذا، إلا أنه قال: «من حيث لا يعلم». وابن راشد ضعيف جدا. ورواه القضاعي في مسنده[5] من طريقه فقال: حدثنا مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: اجتمع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرَّاح، فتماروا في شيء، فقال لهم علي: انطلِقوا بنا إلىٰ رسول الله ﷺ. فلما وقفوا عليه قالوا: يا رسول الله، جئنا نسألك عن شيء. فقال: «إن شئتم فاسألوا، وإن شئتم خبَّرتكم بما جئتم له». فقال لهم: «جئتم تسألوني عن الرزق من أين يأتي وكيف يأتي، أبىٰ اللهُ ...» وذكره[6]. وهو أيضًا ضعيف. قال السخاوي: لكن معناه صحيح، ففي التنزيل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ الآية. وأما لفظ ابن حبان في الضعفاء فهو ما أخرجه العسكري في الأمثال والبيهقي في الشعب[7] من طريق عثمان بن عمر بن خالد بن الزبير عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي مرفوعًا:

---

(١) المغني ٢/ ٨٩٨.

(٢) المجروحون من المحدثين ١/ ١٦١.

(٣) الموضوعات ٢/ ١٥٢ - ١٥٣.

(٤) المقاصد الحسنة ص ١٤ - ١٥.

(٥) مسند الشهاب ١/ ٣٤٢.

(٦) أخرجه ابن الأعرابي ٢/ ٥٢٠ ومنن طريقه الشهاب القضاعي، والحديث منكر.

(٧) شعب الإيمان ٢/ ٤١٥.

«إنما تكون الصنيعة إلىٰ ذي دين أو حَسَب، وجهاد الضعفاء الحج، وجهاد المرأة حسن التبعُّل لزوجها، والتودُّد نصف الإيمان، وما عالَ امرؤٌ علىٰ اقتصاد، واستنزِلوا الرزقَ بالصدقة، وأبىٰ الله إلا أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث لا يحتسبون». وهذا السياق هو الذي عناه ابن الجوزي وحكم عليه بالوضع، وقد نوزع فيه، والصحيح ما قاله البيهقي، فإنه ذكر بعد أن أخرجه في الشعب: هذا حديث لا أحفظه علىٰ هذا الوجه إلا بهذا الإسناد، وهو ضعيف بمرة، وإن صحَّ فمعناه: أبىٰ الله أن يجعل جميع أرزاقهم [من حيث لا يحتسبون، وهو كذلك، فإن الله يرزق عباده] من حيث يحتسبون، كالتاجر يرزقه الله من تجارته، والحارث من حراثته، وغير ذلك، وقد يرزقهم من حيث لا يحتسبون، كالرجل يصيب معدنًا أو رِكازًا، أو يموت له قريب فيرثه، أو يعطَىٰ من غير إشراف نفسٍ ولا سؤال، ونحن لم نقُل إن الله تعالىٰ لا يرزق أحدًا إلا بجهد وسعي[1]، وإنما قلنا إنه قد بيَّن لخلقه وعباده طرقًا جعلها أسبابًا لهم إلىٰ ما يريدون، فالأَولىٰ بهم أن يسلكوها متوكِّلين علىٰ الله في بلوغ ما يؤمِّلونه دون أن يُعرِضوا عنها ويجرِّدوا التوكل عنها، وليس في شيء من هذه الأحاديث ما يفسد قولَنا.

(وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالىٰ: **(اتقِ الله، فما رأيت تقيًّا محتاجًا)** أخرجه صاحب الحلية. وكأنه استنبط ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ﴾ الآية، أي فلا يُتصوَّر الاحتياج مع التقوىٰ **(أي لا يترك)** الله **(التقيَّ فاقدًا لضرورته، بل يلقي الله في قلوب المسلمين)** بل وفي قلوب الكفار **(أن يوصلوا إليه رزقه)** من غير إشراف نفس منه ولا مسألة، ويشهد له خبرُ الطبراني السابق: «مَن انقطع إلىٰ الله كفاه كل مؤنة ورزقَه من حيث لا يحتسب».

(وقال المفضَّل) بن[2] محمد بن يعلىٰ بن عامر بن سالم **(الضَّبِّي)** الكوفي،

---

(١) في الشعب: «ونحن لم نقل إن الله تعالىٰ لم يوصل أحدا إلىٰ خير إلا بجهد وسعي».

(٢) الأنساب للسمعاني ٤/ ١٢.

علاَّمة، راوية للأدب، ثقة، روىٰ عن سِماك وأبي إسحاق السبيعي **(قلت لأعرابي: من أين معاشك؟ قال: نرد الحاج. قلت: فإذا صدروا)** فمن أين؟ **(فبكىٰ وقال: لو لم نعشْ إلا من حيث ندري لم نعش**[1]**)**.

وقال أبو حازم) سلمة بن دينار المدني التابعي: **(قد وجدتُ الدنيا شيئين: شيئًا منهما هو لي، فلن أعجله قبل أجله ولو طلبتُه بقوة السموات والأرض. وشيئًا منهما هو لغيري، فذلك لم أنلْه فيما مضىٰ فلا أرجوه فيما بقي، يُمنع الذي لغيري مني كما يُمنع الذي لي من غيري، ففي أيِّ هذين أفني عمري)**؟ قال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبو معمر، حدثنا سفيان قال: قال أبو حازم: وجدت الدنيا شيئين: فشيئًا هو لي، وشيئًا لغيري؛ فأما ما كان لغيري فلو طلبتُه بحيلة السموات والأرض لم أدركه فيُمنع رزق غيري مني كما يُمنع رزقي من غيري.

حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا هاشم ابن القاسم، حدثنا الأشجعي، حدثنا داود بن أبي الوازع المدني، عن أبي حازم أنه كان يقول: نظرت في الرزق فوجدته شيئين: شيئًا هو لي له أجل ينتهي إليه فلن أعجله ولو طلبتُه بقوة السموات والأرض، وشيئًا لغيري فلم أصبْه فيما مضىٰ فأطلبه فيما بقي، فشيء يُمنع من غيري كما شيء غيري يُمنع مني، ففي أيِّ هذين أفني عمري؟

(فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وإنذاره بالفقر.

الثالث: أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء) عن الناس **(وما في الطمع والحرص من الذل)** لهم **(فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبتُه إلىٰ القناعة)** واختارها

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٤٨.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٣٧.

(لأنه في الحرص لا يخلو من تعب، وفي الطمع لا يخلو من ذل) لأن الحريص دائمًا تعبان، والطمَّاع دائمًا ذليل **(وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات)** الفانية **(والفضول)** الزائلة **(وهذا ألم لا يطَّلع عليه أحد)** من الناس **(إلا الله، وفيه ثواب الآخرة، وذلك ممَّا يضاف إليه نظر الناس، وفيه الوبال والمأثم، ثم يفوته عزُّ النفس والقدرة علىٰ متابعة الحق، فإنَّ مَن كثر طمعُه وحرصه كثرت حاجته إلىٰ الناس، فلا تمكنه دعوتُهم إلىٰ الحق، وتلزمه المداهنةُ)** في القول والفعل **(وذلك يُهلِك دينَه، ومَن لا يؤثِر عزَّ النفس علىٰ شهوة البطن فهو ركيك العقل)** أي ضعيفه **(ناقص الإيمان)** منحوس الحظ **(قال ﷺ: عزُّ المؤمن استغناؤه عن الناس)** قال العراقي[١]: رواه الطبراني في الأوسط[٢] والحاكم[٣] وصحَّح إسناده وأبو الشيخ في كتاب الثواب وأبو نعيم في الحلية[٤] من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي ﷺ في أثناء حديث، وفيه زافر بن سليمان عن محمد بن عيينة، وكلاهما مختلَف فيه، وجعله القضاعي في مسند الشهاب[٥] من قول النبي ﷺ. انتهىٰ.

قلت: رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن حميد، والقضاعي من طريق عبد الصمد بن موسىٰ القَطَّان وابن حميد أيضًا، والشيرازي في الألقاب من طريق إسماعيل بن توبة، ثلاثتهم عن زافر بن سليمان، عن محمد بن عيينة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل إلىٰ النبيَّ ﷺ. ولفظ الحلية: أتاني جبريل فقال: يا محمد، عِشْ ما شئت فإنك ميت، واعملْ ما شئت فإنك مجزيٌّ به، وأحبِبْ من شئت فإنك مفارقه، واعلمْ أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزُّه استغناؤه عن الناس. وزافر بن سليمان من رجال الترمذي وابن

---

(١) المغني ٢/ ٨٩٨ - ٨٩٩.

(٢) المعجم الأوسط ٤/ ٣٠٦.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٩.

(٤) حلية الأولياء ٣/ ٢٥٣.

(٥) مسند الشهاب ١/ ١٢١ مختصرا. ورواه في موضع آخر ١/ ٤٣٥ كالجماعة.

ماجه، وثَّقه جماعة، وقال ابن عدي[١]: لا يتابَع علىٰ حديثه. وشيخه محمد بن عيينة أخو سفيان، قال أبو حاتم[٢]: لا يُحتجُّ به، له مناكير. وقد صحَّح الحاكم إسناده لا سيَّما وفي الباب عن أبي هريرة وابن عباس، أما حديث أبي هريرة فرواه العقيلي[٣] والخطيب وابن عساكر[٤] بسند ضعيف بلفظ: «شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزُّه استغناؤه عمَّا في أيدي الناس». وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٥] فأخطأ. وأما حديث ابن عباس فرواه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل[٦] له من طريق هشيم عن جويبر عن الضحَّاك عنه موقوفًا، ولفظه: «شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزُّه استغناؤه عما في أيدي الناس». وجعله القضاعي في مسند الشهاب في حديث سهل من قول النبي ﷺ.

(ففي القناعة الحريةُ) وهي الخلوص من الرق **(والعز، ولذلك قيل: استغنِ عمَّن شئت فأنت نظيره)** أي مثله **(واحتجْ إلىٰ من شئت فأنت أسيره، وأحسِنْ إلىٰ من شئت فأنت أميره)** وهو من قول بعض الحكماء، ومنهم مَن نسبه إلىٰ علي رضي الله عنه[٧]. وقد

---

(١) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٠٨٩، ونصه: «أحاديثه مقلوبة الإسناد، مقلوبة المتن، وعامة ما يرويه لا يتابع عليه، ويكتب حديثه مع ضعفه».

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ٤٢.

(٣) الضعفاء الكبير ٢/ ٣٨٧.

(٤) تاريخ دمشق ١٢/ ٩٢، ٢٣/ ٨١.

(٥) الموضوعات ٢/ ١٠٧.

(٦) مختصر قيام الليل ص ٦٣، وفيه: (شرف الرجل)، و: (غناه استغناؤه).

(٧) كالثعالبي في الإعجاز والإيجاز ص ٢٧، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢٠/ ٣٩٢، والزمخشري في ربيع الأبرار ٣/ ١٨٦، وابن حمدون في تذكرته ١/ ٢٤٤. وروىٰ الخطيب في الزهد والرقائق ص ٦٤ عن أبي محمد الأنصاري قال: قرأت علىٰ حجر بدمشق: كلم من شئت فأنت نظيره، واستغن عمن شئت فأنت أميره، واخضع لمن شئت فأنت أسيره. وفي المجالسة وجواهر العلم للدينوري ٦/ ٢٨٣ عن ابن عائشة قال: قال بعض الحكماء: ارغب إلىٰ من شئت فإنك أسيره، واستغن عمن شئت فإنك نظيره، وأعز من شئت فإنك أميره.

روىٰ البزار[١] والطبراني في الكبير[٢] والعسكري في الأمثال والقضاعي في المسند[٣] من طريق الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه: «استغنُوا عن الناس ولو بشَوْص السواك». ورجاله ثقات[٤]. والأحاديث في القناعة والتعفُّف عن الناس مفردة بالتأليف، ومن أقربها لهذا المعنىٰ حديث «لأنْ يأخذ أحدكم حبلاً فيأتي بحزمة حطب علىٰ ظهره فيبيعها فيكفَّ بها نفسه خيرٌ له من أن يسأل الناسَ أعطوه أو منعوه».

(الرابع: أن يكثُر تأمُّله في تنعُّم اليهود والنصارىٰ وأراذل الناس والحمقىٰ من الأكراد و) الأجلاف من **(الأعراب)** والسوادية **(ومَن لا دين لهم ولا عقل)** **فينظر في تبسُّطاتهم من المَلاذِّ (ثم ينظر إلىٰ أحوال الأنبياء)** عليهم السلام وسِيَرهم وشمائلهم **(والأولياء)** والصالحين **(وإلىٰ سَمْت الخلفاء الراشدين)** من الأئمة الأربعة وعمر بن عبد العزيز **(وسائر الصحابة والتابعين)** ومَن علىٰ قدمهم من السلف الخالفين **(ويستمع أحاديثهم)** وأقوالهم **(ويطالع أحوالهم)** من الكتب المؤلَّفة فيها، كحلية أبي نعيم، والقوت لأبي طالب، والرسالة لأبي القاسم، وطبقات النُّسَّاك[٥]، وغيرها **(ويخيِّر عقلَه بين أن يكون علىٰ مشابهة أراذل الخلق أو علىٰ الاقتداء بمن هو أعزُّ أصناف الخلق عند الله حتىٰ يهون عليه بذلك الصبرُ علىٰ الضنك والقناعةُ باليسير، فإنه إن تنعَّم في البطن)** أي في المأكولات **(فالحمار أكثر أكلاً منه، وإن تنعَّم في الوقاع)** أي الجماع **(فالخنزير أعلىٰ رتبةً منه)** فإنه موصوف بكثرته، لا يفتر عنه، وكذا الدُّب يُضرَب به المثل في كثرة الوقاع، وكذا العصافير فإنها كثيرة السفاد **(وإن تزيَّن في الملبس)** الحسن **(و)** ركوب **(الخيل)** المسوَّمة

---

(١) مسند البزار ١١/ ١٠٧، ٢٨٦.

(٢) المعجم الكبير ١١/ ٤٤٤.

(٣) مسند الشهاب ١/ ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٤) قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٥٣.

(٥) طبقات النساك، لأبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري المعروف بابن الأعرابي (ت ٣٤٠ هـ). كشف الظنون ٢/ ١١٠٨. الأعلام للزركلي ١/ ٢٠٨.

(ففي اليهود مَن هو أعلىٰ رتبةً منه) وكذا في النصارىٰ، بل وسائر أنواع الكفار في غالب الديار، ويتخذون فره الخيل للركوب (وإن قنع بالقليل ورضي به) في كل ما ذُكر (لم يساهمه) أي لم يشاركه (في رتبته إلا الأنبياء والأولياء) فليتأمَّل الإنسان في هذا القدر حتىٰ يعرف قدر القناعة.

(الخامس: أن يفهم ما في جمع المال من الخطر) والإشراف علىٰ الهلاك (كما ذكرناه في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع) إما بالحرق أو بالغرق أو بغير ذلك من الأسباب (وما في خلوِّ اليد من الأمن) الحاضر (والفراغ) للخاطر (ويتأمَّل ما ذكرناه في آفات المال، مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلىٰ خمسمائة عام، فإنه إذا لم يَقنع بما يكفيه التحق بزُمرة الأغنياء وأُخرِج من جريدة الفقراء) فقد روىٰ أحمد والترمذي - وقال: حسن صحيح - وابن ماجه من حديث أبي هريرة: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام». وروىٰ الحكيم في النوادر من حديث سعيد بن عامر ابن حذيم: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة، حتىٰ إن الرجل [من الأغنياء] لَيدخلُ في غمارهم فيؤخذ بيده فيُستخرَج»[١] (ويتم ذلك بأن ينظر أبدًا إلىٰ مَن هو دونه في الدنيا لا إلىٰ مَن فوقه) فيها (فإن الشيطان أبدًا يصرف نظره في الدنيا إلىٰ مَن فوقه فيقول: لِمَ تفتُر) أي لِمَ تكسل (عن الطلبِ وأربابُ الأموال يتنعَّمون في المطاعم والملابس) والمراكب (ويصرف نظره في الدين إلىٰ مَن دونه فيقول: ولِمَ تضيِّق علىٰ نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك) وأفضل منك (وهو لا يخاف الله) ولا يتقيَّد (والناس كلهم مشغولون بالتنعُّم) والتلذُّذ (فلِمَ تريد أن تتميَّز عنهم) في حياتك (قال أبو ذر) رضي الله عنه: (أوصاني خليلي ﷺ أن أنظر إلىٰ مَن هو دوني لا إلىٰ من هو فوقي) رواه أحمد[٢] وابن حبان[٣] في

(١) تقدم هذان الحديثان في كتاب الزكاة.

(٢) مسند أحمد ٣٥/ ٣٢٧، ٤٠٧.

(٣) صحيح ابن حبان ٢/ ١٩٤.

أثناء حديث، وقد تقدم[١] **(أي في الدنيا.**

وقال **أبو هريرة)** رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ: إذا نظر أحدكم)** أي تأمل بعينه **(إلىٰ مَن فضَّله الله عليه في المال والخَلْق)** بفتح[٢] الخاء وسكون اللام: الصورة، قال الحافظ[٣]: ووُجد في بعض النسخ المعتمَدة ضبطه بضمَّتين[٤] **(فلينظر إلىٰ مَن هو أسفل منه ممَّن فُضِّل عليه)** لأنه إذا نظر إلىٰ مَن فوقه استصغر ما عنده وحرص علىٰ المزيد، فيداويه بالنظر إلىٰ مَن دونه ليرضىٰ فيشكر ويقل حرصه؛ إذ[٥] الإنسان حسود بطبعه، فإذا قاده طبعُه للنظر إلىٰ الأعلىٰ حملته الغيرة[٦] علىٰ الكفران والسخط، فإذا رد نفسه إلىٰ النظر إلىٰ الدون حمله حبُّ النعمة علىٰ الرضا والشكر.

رواه أحمد[٧] والشيخان[٨] وأبو يعلىٰ[٩] بلفظ: «إذا نظر أحدكم إلىٰ مَن فُضِّل عليه في المال والخلق فلينظر إلىٰ من هو أسفل منه». وفي رواية: «إلىٰ مَن تحته». ورواه هناد[١٠] والبيهقي في الشعب[١١]، وقالا: والجسم، بدل: والخَلق، وفيه: «فلينظر إلىٰ مَن هو دونه في المال والجسم».

---

(١) الذي تقدم من هذا الحديث في كتاب آداب الصحبة هو الأمر بصلة الرحم وقول الحق، دون المتن الذي هنا.

(٢) فيض القدير ١/ ٤٤٧ - ٤٤٨.

(٣) فتح الباري ١١/ ٣٣٠.

(٤) في الفيض والفتح: «ورأيت في نسخة معتمدة من الغرائب للدارقطني بضم الخاء واللام».

(٥) من هنا إلىٰ قوله (والشكر) مقتبس من كلام البيضاوي في أنوار التنزيل ١/ ٧٥.

(٦) في الفيض: حملته نفسه.

(٧) مسند أحمد ١٢/ ٢٧١، ٤١٨ - ٤١٩، ١٣/ ٤٩١، ١٧٦.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ١٨٩. صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٣.

(٩) مسند أبي يعلىٰ ١١/ ١٣٥.

(١٠) الزهد ٢/ ٤١٨.

(١١) شعب الإيمان ٦/ ٣١٧.

(فبهذه الأمور يقدر علىٰ اكتساب خُلق القناعة، وعماد الأمرِ الصبرُ) علىٰ مُر العيش **(وقِصر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتُّع دهورًا طويلة)** وفي بعض النسخ: دهرًا طويلاً **(فيكون كالمريض الذي يصبر علىٰ مرارة الدواء)** وكراهة مذاقه **(لشدة طمعه في انتظار الشفاء)** من أمراضه الشديدة.

بيان فضيلة السخاء

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ (أن المال إذا كان مفقودًا فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص، وإن كان موجودًا فينبغي أن يكون حاله الإيثار) للغير (والسخاء) أي بذلُه (واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل) وبينهما فرقٌ، وقد تقدَّم ذِكرُه (فإن السخاء) خُلقٌ شريف (من) جملة (أخلاق الأنبياء) عليهم السلام (وهو أصل من أصول النجاة، وعنه عبَّر النبي ﷺ حيث قال: السخاء شجرة من شجر الجنة) وفي[1] رواية: من أشجار الجنة. وفي رواية: شجرة في الجنة (أغصانها متدلِّية إلىٰ الأرض) وفي رواية: متدلِّيات في الدنيا (فمَن أخذ منها غصنًا) وفي رواية: فمَن أخذ غصنًا منها (قاده ذلك الغصنُ إلىٰ الجنة) أي إن السخاء يدل علىٰ كرم النفس وتصديق الإيمان بالاعتماد في الخلق علىٰ مَن ضمن الرزق، فمَن أخذ بهذا الأصل وعقد طويَّته عليه فقد استمسك بالعروة الوثقَىٰ الجاذبة له إلىٰ ديار الأبرار.

ولهذا الحديث بقية يأتي ذِكرُها قريبًا.

قال العراقي[2]: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة، وابن عدي والدارقطني في «المستجاد» من حديث أبي هريرة، وسيأتي بعده، وأبو نعيم من حديث جابر، وكلها ضعيفة. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديثهم ومن حديث الحسين وأبي سعيد.

وسيأتي الكلام علىٰ هذا الحديث بعد ستة أحاديث.

---

(١) فيض القدير ٤/ ١٣٨.

(٢) المغني ٢/ ٨٩٩.

(وقال جابر) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالىٰ: إن هذا دين ارتضيته لنفسي، ولن يصلحه إلا السخاء وحُسن الخلق، فأكرِموه بهما ما استطعتم. وفي رواية: ما صحبتموه)** قال[1] العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد دون قوله «وحسن الخُلق» بسند ضعيف، ومن طريقه ابنُ الجوزي في الموضوعات[2]، وذكره بهذه الزيادة ابن عدي[3] من رواية بقية عن يوسف بن السفر عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة، ويوسف ضعيف [جدًّا].

قلت: ورُوي عن أنس نحوه، ولفظه مرفوعًا: «يا أيها الناس، إن الله قد اختار لكم الإسلام دينًا، فأحسِنوا صحبة الإسلام بالسخاء وحسن الخلق ...» الحديث. رواه ابن عساكر[4]، وسيأتي ذِكره بعد خمسة أحاديث.

(وعن عائشة رضي الله عنها **قالت: قال رسول الله ﷺ: ما جبل اللهُ تعالىٰ أولياءه إلا علىٰ السخاء وحُسن الخُلق)** أغفله العراقي، وقد رواه ابن عساكر في التاريخ من رواية عروة مرسلاً[5]، ورواه أيضًا الديلمي[6] عنه عن عائشة بدون قوله «وحسن الخُلق». وعند الحكيم الترمذي[7]: «ما جبل الله وليًّا قط إلا علىٰ السخاء، ولَجاهلٌ

(١) كلام العراقي المذكور هنا هو عن حديث عائشة بعده الذي قال الشارح إن العراقي أغفله، وقال عن حديث جابر ٢/ ٩٠٠: رواه الدارقطني في المستجاد، وقد تقدم. قلت: حديث جابر سبق ذكره في أول كتاب رياضة النفس، ولكن بلفظ: «إن الله استخلص هذا الدين لنفسه، ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق، ألا فزينوا دينكم بهما». وقد عزاه العراقي هناك إلىٰ الدارقطني في المستجاد والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدري، وقد أشرت هناك إلىٰ أن الخرائطي رواه من حديث جابر وليس من حديث أبي سعيد.

(٢) الموضوعات ٢/ ١٧٩.

(٣) الكامل في الضعفاء ١/ ١٩١.

(٤) تاريخ دمشق ٥٠/ ٢٨٩.

(٥) بل رواه ٥٤/ ٤٧٢ - ٤٧٣ من حديث عائشة موصولا، ثم رواه عن عروة مرسلا.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٧٣. وأورده في موضع آخر ٤/ ٦٩ وفيه قوله (وحسن الخلق).

(٧) نوادر الأصول ص ٢٩١.

سخيٌّ أحب إلىٰ الله من عابد بخيل». وسند الديلمي ضعيف. وهو عند الدارقطني في «المستجاد» وأبي الشيخ وابن عدي بدون «وحسن الخلق»[١].

(وعن جابر) رضي الله عنه **(قال: قيل: يا رسول الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: الصبر والسماحة)** قال العراقي[٢]: رواه أبو يعلىٰ[٣] وابن حبان في الضعفاء[٤] بلفظ: سُئل عن الإيمان. وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر، ضعَّفه الجمهور. ورواه أحمد[٥] من حديث عمرو بن عَبَسة بلفظ: ما الإيمان؟ فقال: «الصبر والسماحة». وفيه شهر بن حوشب. ورواه البيهقي في الزهد[٦] بلفظ: أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «الصبر والسماحة وحسن الخُلق» وإسناده صحيح.

قلت: ورواه البخاري في التاريخ[٧] من حديث عبيد بن عمير عن أبيه بلفظ: «أفضل الإيمان الصبر والسماحة». هكذا رواه عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده، وفيه مقال. ورواه الزهري عن عبد الله عن أبيه مرسلاً، وهو أقوىٰ.

ورواه كذلك الديلمي من حديث معقل بن يسار[٨].

وروىٰ الطبراني في الكبير من حديث عمرو بن عبسة: «أفضل الإيمان حسن خلق»[٩]. ومن[١٠] حديث أسامة بن شريك بلفظ: «أفضل الأعمال حسن الخُلق».

---

(١) بل قوله (وحسن الخلق) عند ابن عدي في كامله.

(٢) المغني ٢/ ٩٠٠.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٣/ ٣٨٠.

(٤) المجروحون من المحدثين ٢/ ٤٨٩.

(٥) مسند أحمد ٣٢/ ١٧٧.

(٦) الزهد الكبير ص ٢٧٤.

(٧) التاريخ الكبير ٥/ ٢٥.

(٨) كنز العمال ١/ ٣٨، ٣/ ٢٧١.

(٩) هذا جزء من حديثه الذي مر آنفا عند أحمد بلفظ: «الإيمان الصبر والسماحة».

(١٠) المعجم الكبير ١/ ١٨٠ - ١٨١.

(**وقال عبد الله بن عمرو**) بن العاص رضي الله عنهما: (**قال رسول الله ﷺ: خُلقان يحبهما الله تعالىٰ، وخلقان يبغضهما الله تعالىٰ؛ فأما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء، وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل، وإذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله علىٰ قضاء حوائج الناس**) أي ألهمه القيام بحقها والوفاء بما استُعمل عليه. قال العراقي[١]: رواه الديلمي[٢] دون قوله في آخره: «وإذا أراد الله بعبد خيرًا»، وقال فيه: الشجاعة، بدل: حسن الخلق. وفيه محمد بن يونس الكديمي، كذَّبه أبو داود وموسىٰ بن هارون وغيرهما، ووثَّقه الخُطَبي[٣]. وروىٰ الأصبهاني جميع الحديث موقوفًا علىٰ عبد الله بن عمرو[٤]. وروىٰ الديلمي[٥] أيضًا من حديث أنس: «إذا أراد الله بعبد خيرًا صيَّر حوائجَ الناس إليه». وفيه يحيىٰ بن شبيب، ضعَّفه ابن حبان[٦].

قلت: هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية ومن طريقه الديلمي بدون الجملة الأخيرة. وروىٰ البيهقي في الشعب[٧] جميع الحديث مرفوعًا من حديث ابن عمرو.

(**وروىٰ المِقدام بن شُرَيح**) بن[٨] هانئ بن يزيد الحارثي المذحجي الكوفي، ثقة، روىٰ له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة (**عن أبيه**) أبي[٩] المقدام

---

(١) المغني ٢/ ٩٠١.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٩٩.

(٣) ذكر ذلك الخطيب في ترجمته المطولة من تاريخ بغداد ٤/ ٦٨٨ - ٧٠٢.

(٤) بل رواه في موضعين من الترغيب والترهيب ٢/ ٦٣، ٢٦٥ مرفوعا إلىٰ رسول الله ﷺ.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٤٣.

(٦) المجروحون من المحدثين ٢/ ٤٨١، ونصه: «يحيىٰ بن شبيب اليمامي، حدث بالبصرة، يروي عن الثوري ما لم يحدث به قط، لا يجوز الاحتجاج به».

(٧) شعب الإيمان ١٠/ ١١٦، ١٣/ ٢٨٧.

(٨) تقريب التهذيب ص ٩٦٩.

(٩) السابق ص ٤٣٥.

شريح الكوفي، مخضرم، ثقة، قُتل مع ابن أبي بكرة بسِجستان، روىٰ له مَن ذُكر في ابنه (عن جده) أبي[1] شريح هانئ بن يزيد، صحابي، نزل الكوفة، روىٰ له البخاري في الأدب وأبو داود والنسائي (**قال: قلت: يا رسول الله، دلَّني علىٰ عمل يدخلني الجنة. قال: إن من موجِبات المغفرة**) أي ممَّا يوجب غفرانَ الذنوب الذي هو سبب لدخول الجنة (**بذل الطعام**) أي إطعامه (**وإفشاء السلام، وحسن الكلام**) قال العراقي[2]: رواه الطبراني[3] بلفظ «بذل السلام وحسن الكلام»، وفي رواية له «يوجب الجنةَ: إطعام الطعام وإفشاء السلام». وفي رواية له «عليك بحسن الكلام وبذل الطعام».

قلت: وبلفظ الطبراني رواه أيضًا الخرائطي في مكارم الأخلاق[4]. وروىٰ البيهقي[5] من حديث جابر: «إن من موجِبات المغفرة إطعام المسلم السغبان». ورواه الحاكم[6] بدون «إن». وروىٰ البخاري في الأدب المفرد[7] والطبراني في الكبير والحاكم[8] والبيهقي[9] من حديث هانئ بن يزيد بلفظ «عليك بحسن الكلام وبذل الطعام». ورواه ابن حبان[10] بلفظ «عليك بحسن الكلام وبذل السلام».

(**وقال أبو هريرة**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله ﷺ: السخاء شجرة في الجنة، فمَن كان سخيًّا أخذ بغصن منها، فلم يتركه ذلك الغصن حتىٰ يدخله الجنةَ. والشح شجرة**

---

(١) السابق ص ١٠١٨.

(٢) المغني ٢/ ٩٠١.

(٣) المعجم الكبير ٢٢/ ١٨٠.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٦٣ باللفظ الذي ذكره الغزالي.

(٥) شعب الإيمان ٥/ ٦٠.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦١٦.

(٧) الأدب المفرد ص ٢٤٢.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧.

(٩) شعب الإيمان ٧/ ٢٢، ١١/ ٢٩٩.

(١٠) صحيح ابن حبان ٢/ ٢٤٤.

في النار، فمَن كان شحيحًا أخذ بغصن من أغصانها، فلم يتركه ذلك الغصنُ حتىٰ يدخله النارَ) قال العراقي[١]: رواه الدارقطني في المستجاد، وفيه عبد العزيز بن عمران الزهري، ضعيف جدًّا.

قلت: وكذلك رواه الخطيب في التاريخ[٢]، ورواه ابن عدي[٣] والبيهقي[٤] وضعَّفه باللفظ الذي ذكره المصنِّف في أول الباب، وتمامه: «والبخل شجرة من شجر النار أغصانها متدلِّيات في الدنيا، فمَن أخذ بغصن من أغصانها قاده ذلك الغصنُ إلىٰ النار». روياه عن محمد بن منير المطيري، عن عمر بن شبة، عن أبي غسَّان محمد بن يحيىٰ، عن عبد العزيز بن عمران، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن الأعرج، عن أبي هريرة.

وقد رُوي بهذا السياق - أي الأخير - من حديث الحسين بن علي، وجابر، وأبي سعيد، وعلي، وعائشة، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس:

أما حديث الحسين بن علي، فرواه الدارقطني في الأفراد وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات والبيهقي[٥] والخطيب في كتاب البخلاء[٦] من طريق جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين عن أبيه عن جده.

وأما حديث جابر فرواه أبو نعيم في الحلية[٧] عن الحسن بن أبي طالب، عن عبيد الله بن محمد الخَلاَّل، عن أحمد بن الخطَّاب بن مهران التستري، عن

---

(١) المغني ٢/ ٩٠١.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٦٤.

(٣) الكامل في الضعفاء ١/ ٢٣٦.

(٤) شعب الإيمان ١٣/ ٣٠٩. ولم يضعفه.

(٥) السابق ١٣/ ٣٠٨.

(٦) البخلاء ص ٤٨.

(٧) حلية الأولياء ٧/ ٩٢. والسند المذكور هو سند الخطيب في تاريخ بغداد ٥/ ٢٢٤ - ٢٢٥، أما أبو نعيم فرواه عن أحمد بن السندي عن أحمد بن الخطاب التستري.

عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي، عن عاصم بن عبد الله، عن عبد العزيز بن خالد، عن الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر. ورواه أيضًا الخطيب في التاريخ من هذا الطريق. وقال أبو نعيم: تفرَّد به عبد العزيز بن خالد، وعنه عاصم بن عبد الله.

وأما حديث أبي سعيد فقد رواه الخطيب في تاريخه[١] في ترجمة أبي جعفر الطيالسي عنه.

وأما حديث علي فقد رواه الدارقطني في الأفراد والبيهقي في الشعب والخطيب في التاريخ[٢] عنه.

وأما حديث عائشة فقد رواه ابن حبان في الضعفاء[٣].

وأما حديث معاوية فقد رواه الديلمي في مسند الفردوس[٤].

وأما حديث أنس فقد رواه ابن عساكر في التاريخ[٥] لكن مع اختلاف لفظ، قال أنس: أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ أن صعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه وقال: «يا أيها الناس، إن الله قد اختار لكم الإسلام دينًا، فأحسِنوا صحبة الإسلام بالسخاء وحسن الخلق، ألا إن السخاء شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا، فمَن كان منكم سخيًّا لا يزال متعلِّقًا بغصن من أغصانها حتىٰ يورده الله الجنة. ألا إن اللؤم شجرة في النار وأغصانها في الدنيا، فمَن كان منكم لئيمًا لا يزال متعلقًا بغصن

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٤٩٣.

(٢) لم أقف عليه في الشعب من حديث علي، وأما الخطيب فلم يروه في تاريخ بغداد، وإنما في كتاب البخلاء ص ٤٧.

(٣) المجروحون من المحدثين ١/ ٢٩٨.

(٤) كنز العمال ٦/ ٣٣٧. ولفظ الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣٤١: «السخاء شجرة في الجنة، عثمان بن عفان غصن من أغصانها، واللؤم شجرة في النار، أبو جهل بن هشام غصن من أغصانها».

(٥) تاريخ دمشق ٥٠/ ٢٨٩.

من أغصانها حتىٰ يورده الله النار».

وطرق هذه الأحاديث كلها ضعاف، وتقدم أن ابن الجوزي أورده في الموضوعات[1] من هذه الطرق كلِّها وتُعُقِّب.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ: يقول الله تعالىٰ: اطلبوا الفضل)** أي الزيادة من الإحسان والتوسعة عليكم **(من الرحماء من عبادي)** أي الرقيقة قلوبهم، السهلة عريكتهم **(تعيشوا في أكنافهم)** جمع كَنَف، محرَّكة، وهو الجانب **(فإني جعلت فيهم رحمتي)** أي جعلتهم مظاهر لرحمتي **(ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم)** أي الفظَّة الغليظة **(فإني جعلت فيهم سخطي)** قال العراقي[2]: رواه ابن حبان في الضعفاء[3] والخرائطي في مكارم الأخلاق[4] والطبراني في الأوسط[5]، وفيه محمد بن مروان السُّدِّي الصغير، ضعيف. ورواه العقيلي في الضعفاء[6] فجعله: عبد الرحمن السدي، وقال: إنه مجهول، وتابع محمدَ بن مروان السدي عليه عبدُ الملك بن الخطاب، وقد غمزه ابن القَطَّان[7]، وتابعهما عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار، قال فيه أبو حاتم[8]: لا بأس بحديثه. وتكلم فيه الجوزجاني والأزدي. ورواه الحاكم[9] من حديث علي وقال: إنه صحيح الإسناد. وليس كما قال.

---

(١) الموضوعات ٢/ ١٨٢ - ١٨٥.

(٢) المغني ٢/ ٩٠٢.

(٣) المجروحون من المحدثين ٢/ ٢٩٩.

(٤) مكارم الأخلاق ص ١٨٩.

(٥) المعجم الأوسط ٥/ ٧٦.

(٦) الضعفاء الكبير ٢/ ٧٦٤ - ٧٦٥.

(٧) بيان الوهم والإيهام ٣/ ٢٢٢، ونصه: «عبد الملك بن الخطاب بن عبيد الله بن أبي بكرة لا يُعرف بأكثر من رواية محمد بن عبد العزيز الرملي وعبد الله بن المفضل العلاف عنه، وحاله مجهولة».

(٨) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٥٤.

(٩) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٤٦٥.

قلت: أخرجه الخرائطي عن محمد بن أيوب [ابن] الضريس، أخبرنا جندل ابن والق، عن أبي مالك الواسطي، عن عبد الرحمن السدي، عن داود بن أبي هند [عن أبي نضرة] عن أبي سعيد الخدري[١] ... فساقه، وفيه: فإن فيهم رحمتي، بدل: فإني جعلت. وفيه: فإنهم ينتظرون سخطي، بدل: فإني جعلت فيهم سخطي. ومدار هذا الحديث علىٰ داود بن أبي هند، وقد رواه عنه جماعة منهم محمد بن مروان السدي ومن طريقه أخرجه الطبراني في الأوسط وابن حبان في الضعفاء، ومنهم عبد الرحمن السدي ومن طريقه أخرجه العقيلي في الضعفاء والخرائطي في مكارم الأخلاق، كما سقناه. وفي الميزان[٢]: عبد الرحمن السدي، عن داود بن أبي هند، لا يتابَع[٣]، وأتىٰ بخبر باطل. ثم ساق هذا [الحديث]. ولفظ العقيلي في الضعفاء: عبد الرحمن السدي، مجهول، لا يتابَع، ولا يُعرَف حديثه من وجه يصح. ومنهم عبد الملك بن الخطاب وعبد الغفار بن الحسن ابن دينار.

وأما حديث علي فسياقه عند الحاكم: «اطلبوا المعروف من رحماء أمّتي تعيشوا في أكنافهم، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإن اللعنة تنزل عليهم. يا علي، إن الله خلق المعروف وخلق له أهلاً، فحبَّبه إليهم، وحبَّب إليهم فعاله، ووجَّه إليهم طُلاَّبه كما وجَّه الماءَ في الأرض الجدبة لتحيا به ويحيا به أهلُها، إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة». وهذا هو الذي صحَّح الحاكم إسناده، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٤] وقال الذهبي فيما تعقَّب به علىٰ الحاكم

(١) هذا ليس إسناد الخرائطي وإنما هو إسناد العقيلي في الضعفاء، أما الخرائطي فرواه عن عبد الرحمن ابن معاوية العتبي عن موسىٰ بن محمد عن محمد بن مروان السدي وعبد الملك بن الخطاب قالا: حدثنا داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٠١ - ٦٠٢.

(٣) في الميزان: لا يُعرف.

(٤) أورد ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١٥٨ حديث أبي سعيد، ولم يذكر حديث علي.

بأن: فيه الأصبغ بن نباتة واهٍ جدًّا[1]، وحبان بن علي ضعَّفوه. ا.هـ. ولا يخفىٰ أن هذا القدر لا يجعل الحديث موضوعًا، وإنما هو ضعيف، وشتَّان بين الضعيف والموضوع.

ولأبي سعيد الخدري حديث آخر لفظه: «اطلبوا الحوائج إلىٰ ذوي الرحمة من أمَّتي تُرزَقوا وتنجحوا، فإن الله تعالىٰ يقول: رحمتي في ذوي الرحمة من عبادي، ولا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم فلا تُرزَقوا ولا تنجحوا، فإن الله يقول: إن سخطي فيهم»[2]. هكذا رواه الحاكم في التاريخ والعقيلي في الضعفاء وضعَّفه والطبراني في الأوسط. وأظن أن هذا السياق هو الذي تقدَّمت الإشارة إليه في كلام الحافظ العراقي وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

ومعنىٰ[3] هذه الأخبار هو: إنكم إذا احتجتم إلىٰ فضل غيركم من مال أو جاء أو معونة فاطلبوه عند رحماء هذه الأمة وهم أهل الدين والشرف وطهارة العنصر، فإنَّ من توفَّر حظُّه من ذلك عظُمت شفقتُه فرحم السائل وبذل [له فضل] ما عنده طلبًا للثواب من غير منٍّ ولا أذىً ولا مطل، بل في ستر وعفاف وإغضاء، فيعيش في ظلِّه مع سلامة الدين والعِرض، ولا يسترقُّه [ببِرِّه].

تنبيه: قال شيخ الإسلام ابن تيمية[4]: المراد بالقاسية قلوبهم في الأخبار السابقة طائفة اليهود، بقرينة تصريحهم بأن المراد هم في آية: ﴿ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحديد: ١٦] وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي، وقد وصف الله اليهود بها في غير موضع، منها: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ

---

(١) بل كذبوه وتركوه وانظر: الضعفاء للعقيلي ١/ ١٢٩، والضعفاء للنسائي صـ٥٨. وحبان قال فيه ابن حبان: فاحش الخطاب يجب التوقف في أمره. المجروحين ١/ ٢٦١.

(٢) رواه بهذا اللفظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٣/ ٥.

(٣) فيض القدير ١/ ٥٤٣ - ٥٤٤.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ص ٢٥٩ - ٢٦١ (ط - مكتبة الرشد).

قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ﴾ [البقرة: ٧٤] ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ﴾ [المائدة: ١٣] ثم قال: وإن قومًا ممَّن قد يُنسَب إلىٰ علم ودين قد أخذوا من هذه الصفات بنصيب، نعوذ بالله ممَّا يكرهه الله ورسوله.

(وعن ابن عباس) رضي الله عنهما (قال: قال رسول الله ﷺ: **تجافُوا**) وفي[1] رواية: تجاوزوا (**عن ذنب السخي**) أي الكريم. وفي رواية: تجاوزوا للسخي عن ذنبه (**فإن الله آخِذ بيده**) أي معين له ومخلِّص له (**كلما عثر**) أي سقط في مهلكة، والمَعاثِر هي المهالك التي يعثر فيها، وذلك لأنه لمَّا سخىٰ بالأشياء اعتمادًا علىٰ ربه وتوكُّلاً عليه شمله بعين عنايته، فكلما عثر في مهلكة أنقذه منها.

قال العراقي[2]: رواه الطبراني في الأوسط[3] والخرائطي في مكارم الأخلاق[4]، وقال الخرائطي: أقيلوا السخي زلَّته. وفيه ليث بن أبي سليم، مختلَف فيه. ورواه الطبراني فيه[5] وأبو نعيم[6] من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات[7] من طريق الدارقطني.

قلت: أما حديث ابن عباس فأخرجه أبو نعيم في الحلية[8] والبيهقي في الشعب[9] والخطيب في التاريخ[10] بلفظ المصنف. وهو عند الخرائطي بلفظ:

---

(١) فيض القدير ٣/ ٢٢٨.

(٢) المغني ٢/ ٩٠٢.

(٣) المعجم الأوسط ٦/ ٣٣.

(٤) مكارم الأخلاق ص ١٩٠.

(٥) المعجم الأوسط ٢/ ٤٦.

(٦) حلية الأولياء ٥/ ٥٩.

(٧) الموضوعات ٢/ ١٨٥.

(٨) حلية الأولياء ١٠/ ٤.

(٩) شعب الإيمان ١٣/ ٣٠٥.

(١٠) تاريخ بغداد ٩/ ٢٨٨.

«أقيلوا السخي زلَّته، فإن الله آخِذٌ بيده كلما عثر». ورواه الخطيب[1] أيضًا من حديثه بلفظ: «تجاوزوا عن ذنب السخي وزلَّة العالِم وسطوة السلطان العادل، فإن الله آخذٌ بيدهم كلما عثر عاثرٌ منهم».

وقد رُوي نحوه من حديث أبي هريرة، ولفظه: «تجافُوا عن زلَّة السخي، فإنه إذا عثر أخذ الرحمن بيده». رواه ابن عساكر[2].

وأما حديث ابن مسعود فلفظه: «تجاوزوا عن ذنب السخي، فإن الله آخِذٌ بيده كلما عثر». وهكذا رواه الدارقطني في الأفراد والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والبيهقي[3] وضعَّفه. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. ولفظ الطبراني في الأوسط: «فإن الله يأخذ بيده عند عثراته». قال الدارقطني في الأفراد: حدثنا محمد بن مخلد، حدثنا إبراهيم بن حماد الأزدي، عن عبد الرحيم بن حماد البصري، عن الأعمش، عن [إبراهيم أو] أبي وائل، عن ابن مسعود ... فساقه. تفرَّد به عبد الرحيم، وقد قال العقيلي[4]: إنه حدَّث عن الأعمش بما ليس من حديثه. وأخرجه ابن الجوزي من هذا الطريق وحكم عليه بالوضع لذلك. وتعقَّبه السيوطي[5] بأن عبد الرحيم لم ينفرد به، فقد رواه الطبراني في الكبير[6] عن أحمد بن عبيد الله بن جرير بن جَبَلة، عن أبيه، عن بِشر بن عبيد الله الدارسي، عن محمد بن حميد العتكي، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود. وقد رواه أبو نعيم والبيهقي من هذه الطريق، وقال البيهقي عقبه: هذا إسناد مجهول ضعيف.

---

(١) السابق ١٦/ ١٤٩.

(٢) تاريخ دمشق ٥٥/ ١١٩.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ٢٩٠، ولفظه: «لا يذهب السخاء على الله، السخي قريب من الله، فإذا لقيه يوم القيامة أخذ بيده فأقاله من عثرته».

(٤) الضعفاء الكبير ٣/ ٨٣٥، ونصه: «له عن الأعمش مناكير وما لا أصل له من حديث الأعمش».

(٥) اللآلئ المصنوعة ٢/ ٩٥.

(٦) لم يروه في الكبير، وإنما في الأوسط، كما مر قريبا.

(وقال ابن مسعود) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: الرزق إلىٰ مُطعِم الطعام أسرع من السكين إلىٰ ذروة البعير، وإن الله تعالىٰ لَيباهي بمُطعِم الطعام الملائكةَ)** قال العراقي[١]: لم أجده من حديث ابن مسعود، ورواه ابن ماجه[٢] من حديث أنس ومن حديث ابن عباس بلفظ: «الخير أسرع إلىٰ البيت الذي يُغشَىٰ – وفي حديث ابن عباس: يؤكل فيه – من الشفرة إلىٰ سنام البعير». ولأبي الشيخ في كتاب الثواب[٣] من حديث جابر: «الرزق إلىٰ أهل البيت الذي فيه السخاء ...» الحديث، وكلها ضعيفة.

قلت: لفظ أبي الشيخ: «الرزق إلىٰ أهل البيت الذي فيه السخاء أسرع من الشفرة إلىٰ سَنام البعير».

وقد رُوي نحوه من حديث أبي سعيد الخدري، ولفظه: «الرزق إلىٰ بيت فيه السخاء ...» والباقي سواء. رواه ابن عساكر في التاريخ[٤].

أما حديث ابن عباس عند ابن ماجه فلفظه: «الخير أسرع إلىٰ البيت الذي يؤكل فيه من الشفرة إلىٰ سنام البعير».

وأما حديث أنس عنده فلفظه: «الخير أسرع إلىٰ البيت الذي يُغشَىٰ من الشفرة إلىٰ سنام البعير». وقد وقع له ثلاثيًّا. وهكذا رواه ابن زنجويه والبيهقي[٥]، ورواه البيهقي أيضًا عن شيخ يقال له أبو سعيد عن أبيه.

وقد ورد من حديث الحسن مرسلاً، ولفظه: «الخير أسرع إلىٰ البيت

---

(١) المغني ٢/ ٩٠٣.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٦ – ٦٧.

(٣) وكذلك الرافعي في التدوين ٤/ ١٢٠، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم ص ١٧١، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ١/ ٢٧٠.

(٤) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣ – ٢٤.

(٥) شعب الإيمان ١٢/ ١٤٠ – ١٤١.

الذي يُطعَم فيه الطعام من الشفرة إلىٰ سنام البعير». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان[١].

(**وقال ﷺ: إن الله جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها**) قال العراقي[٢]: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٣] من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز، وهذا مرسَل. وللطبراني في الكبير[٤] والأوسط[٥] والحاكم[٦] والبيهقي[٧] من حديث سهل بن سعد: «إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأمور». وفي الكبير والبيهقي «معالي الأخلاق ...» الحديث، وإسناده صحيح. وتقدَّم آخرُ الحديث في أخلاق النبوة.

قلت: لفظ الخرائطي هو سياق المصنف، لكنه زاد: «وإن من إكرام الله إكرام ذي الشيبة في الإسلام، والحامل للقرآن غير الجافي عنه ولا الغالي، والإمام المقسط»[٨]. وقد رواه هناد بن السري في الزهد[٩] أيضًا هكذا. وقد روىٰ الخرائطي هذا المرسَل أيضًا بلفظ آخر، قال: «إن الله كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق - وفي لفظ: الأمور - ويكره سفسافها»[١٠]. وقد رواه كذلك

---

(١) الإخوان ص ٢٣٥.

(٢) المغني ٢/ ٩٠٣.

(٣) مكارم الأخلاق ص ١٩٠.

(٤) المعجم الكبير ٦/ ١٨١.

(٥) المعجم الأوسط ٣/ ٢١٠.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٠٢.

(٧) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٢٢.

(٨) هذه الزيادة ليست عند الخرائطي.

(٩) الزهد ٢/ ٤٢٣.

(١٠) لم يروه الخرائطي بهذا اللفظ، وإنما بلفظ: «إن الله جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها - أو قال: يبغض».

عبد الرزاق في المصنَّف[١] والبخاري في التاريخ[٢] والحاكم[٣] والبيهقي[٤]، كلهم عن طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعي. وقد رُوي بهذا اللفظ من حديث سهل بن سعد، وكذلك رواه الطبراني في الكبير وابن قانع[٥] والحاكم وأبو نعيم في الحلية[٦] والبيهقي.

وقد رُوي أيضًا من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: «إن الله كريم يحب الكرماء، وجواد يحب الجَوَدة، يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها». رواه ابن عساكر[٧] وابن النجار والضياء.

وروىٰ الطبراني في الكبير[٨] وابن عدي[٩] والباوَرْدي من حديث فاطمة بنت الحسين عن أبيها رفعه: «إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها». ويُروَىٰ من حديث [سهل] بن سعد: «إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها». رواه ابن حبان في روضة العقلاء[١٠] والخرائطي في مكارم الأخلاق[١١].

(وقال أنس) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(إن رسول الله ﷺ لم يُسئل علىٰ الإسلام شيئًا إلا أعطاه، فأتاه رجل فسأله، فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، فرجع إلىٰ قومه فقال: يا قوم، أسلِموا، فإن محمدًا يعطي عطاء مَن لا يخشىٰ الفاقة)** رواه مسلم،

---

(١) مصنف عبد الرزاق ١١/ ١٤٣.
(٢) التاريخ الكبير ٤/ ٣٤٧ مقتصرا علىٰ قوله (إن الله كريم يحب الكرم).
(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٠٢.
(٤) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٢٢.
(٥) معجم الصحابة ١/ ٢٦٩.
(٦) حلية الأولياء ٣/ ٢٥٥، ٨/ ١٣٣.
(٧) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٨٩.
(٨) المعجم الكبير ٣/ ١٤٢.
(٩) الكامل في الضعفاء ٣/ ٨٧٩.
(١٠) روضة العقلاء ص ١٦.
(١١) مكارم الأخلاق ص ٢٧.

وقد تقدم في كتاب أخلاق النبوة.

(وقال ابن عمر) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: إن لله عبادًا يخصُّهم بالنِّعم لمنافع العباد)** أي[١] لأجل منافعهم **(فمَن بخل بتلك المنافع علىٰ العباد)** بأن لم يعطوا منها لمَن يستحق **(نقلها الله تعالىٰ عنه وحوَّلها إلىٰ غيره)** لأن الله تعالىٰ لا يغيِّر ما بقوم حتىٰ يغيِّروا ما بأنفسهم، فالعاقل الحازم مَن يستديم النعمة عليه ويداوم علىٰ الشكر والإفضال منها علىٰ عباده.

قال العراقي[٢]: رواه الطبراني في الكبير[٣] والأوسط[٤] وأبو نعيم[٥]، وفيه محمد ابن حسان السَّمْتي، فيه لِين، ووثَّقه ابن معين، يرويه عن أبي عثمان عبد الله بن زيد الحِمصي، ضعَّفه الأزدي. انتهىٰ.

قلت: سياق المصنف لتمام في فوائده[٦]، إلا أنه قال: اختصَّهم، بدل: يخصُّهم. وفيه: «نقل الله تلك النعم عنهم وحوَّلها إلىٰ غيرهم». ولفظ الطبراني في الكبير وكذا لفظ أبي نعيم: «إن لله عَزَّ وَجَلَّ أقوامًا يختصُّهم بالنعم لمنافع العباد ويقرُّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحوَّلها إلىٰ غيرهم». وهكذا رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج[٧] وأحمد والحاكم والبيهقي في الشعب[٨] والخطيب[٩] وابن النجار، فالطبراني والبيهقي روياه من طريق الأوزاعي عن عبدة بن أبي لُبابة

---

(١) فيض القدير ٢/ ٤٧٨.

(٢) المغني ٢/ ٩٠٣.

(٣) المعجم الكبير ١٣/ ٢٠٧.

(٤) المعجم الأوسط ٥/ ٢٢٨.

(٥) حلية الأولياء ٦/ ١١٥، ١٠/ ٢١٥.

(٦) فوائد تمام ٤/ ٦٥.

(٧) قضاء الحوائج ص ١٥.

(٨) شعب الإيمان ١٠/ ١١٨.

(٩) تاريخ بغداد ١١/ ١٢٩.

عن ابن عمر، وقيل بإدخال نافع بين عبدة وابن عمر.

(وعن الهلالي) منسوب إلىٰ بني هلال، قال ابن حبيب[١]: في هوازن هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، نُسب إليه خلقٌ **(قال: أُتي رسول الله ﷺ بأسارىٰ من بني العنبر)** وهم قبيلة من بني تميم، وهم بنو العنبر ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم[٢]، ومنهم كانت سجاح ابنة أوس بن جوير بن أسامة بن العنبر[٣] التي تنبَّأت، وهي مشهورة **(فأمر بقتلهم، وأفرد منهم رجلاً)** أي فلم يقتله **(فقال علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: يا رسول الله، الرب واحد، والدين واحد، والذنب واحد، فما بال هذا من بينهم؟ فقال النبي ﷺ: نزل عليَّ جبريل فقال: اقتل هؤلاء واترك هذا، فإن الله تعالىٰ شكر له سخاءً فيه)** قال العراقي[٤]: لم أجد له أصلاً، والهلالي لا يُعرَف اسمه، فإن كان هو عبد الحميد بن الحسن الهلالي فإنه يروي عن ابن المنكدر، فانظرْه.

(وقال النبي ﷺ: إن لكل شيء ثمرة، وثمرة المعروف تعجيل السراح) قال العراقي[٥]: لم أقف له علىٰ أصل.

قلت: ولكن المعنىٰ صحيح، ومنه قولهم: إما نعم صريحة وإلا مريحة.

(وعن نافع) مولىٰ ابن عمر **(عن ابن عمر)** رضي الله عنهما **(قال: قال رسول الله ﷺ: طعام الجواد دواء)** لكونه يطعم الضيف مع سماحة نفس وطِيب خاطر وانشراح

---

(١) مختلف القبائل ومؤتلفها لمحمد بن حبيب البصري ص ٤٧ (ط - دار الكتب الإسلامية) حتىٰ قوله (صعصعة). وانظر: الأنساب للسمعاني ٥/ ٦٥٧. لباب الأنساب لابن الأثير ٣/ ٣٩٦.

(٢) انظر: معجم قبائل العرب ٢/ ٨٤٥.

(٣) كذا سماها ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٢٢٦. وفي تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣/ ٢٦٩: سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان. وهذا ما أخذ به الزركلي في الأعلام ٣/ ٧٨.

(٤) المغني ٢/ ٩٠٤.

(٥) السابق ٢/ ٩٠٤.

صدر (**وطعام البخيل داء**) لأنه يطعم مع تفجُّع وضِيق نفس.

قال العراقي[١]: رواه ابن عدي والدارقطني في «غرائب مالك» وأبو علي الصدفي في عواليه وقال: رجاله ثقات أئمة. قال ابن القَطَّان[٢]: وإنهم لَمشاهيرٌ ثقات، إلا مقدام بن داود فإن أهل مصر تكلموا فيه. انتهىٰ.

قلت: هو في الكامل لابن عدي من طريق أحمد بن محمد بن شعيب السِّجزي، عن محمد بن معمر البحراني، عن روح بن عبادة، عن الثوري، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر به مرفوعًا، ورواه الخطيب في المؤتلف والمختلف وفي ذم البخلاء[٣] وأبو القاسم الخرقي في فوائده بلفظ: «طعام السخي دواء - أو قال: شفاء - وطعام الشحيح داء». ولفظ بعضهم: طعام الكريم. وكذلك رواه الحاكم في التاريخ، ومن طريقه الديلمي في مسنده[٤] بلفظ: «طعام السخي دواء، وطعام الشحيح داء». قال السخاوي[٥]: قال شيخنا[٦]: هو حديث منكر. وقال الذهبي[٧]: كذب. وقال ابن عدي: إنه باطل عن مالك، فيه مجاهيل وضعفاء ولا يثبُت. انتهىٰ. ورواه ابن لال في «مكارم الأخلاق» والديلمي[٨] من حديث عائشة بمثل لفظ الحاكم.

---

(١) السابق ٢/ ٩٠٤.

(٢) بيان الوهم والإيهام ٢/ ٣٣١ - ٣٣٢.

(٣) البخلاء ص ٥١.

(٤) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٥٦ بلفظ: «طعام الجواد دواء، وطعام البخيل داء».

(٥) المقاصد الحسنة ص ٢٧٢.

(٦) يعني ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ١/ ٦١٢.

(٧) ميزان الاعتدال ١/ ١٤٠.

(٨) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٥٥.

(**وقال ﷺ: مَن عظُمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه**) أي[١] ثقلهم، فمَن أنعم الله عليه بنعمة تهافتت عليه عوامُّ الخلق (**فمَن لم يحتمل تلك المؤنةَ**) فقد (**عرَّض تلك النعمةَ للزوال**) لأن النعمة إذا لم تُشكَر زالت، ولذا قال حكيم: النعم وحشيَّة، فقيِّدوها بالشكر. ومن ثَم قال الفضيل بن عياض: أما علمتم أن حاجة الناس إليكم نعمة من الله عليكم، فاحذروا أن تملُّوا وتضجروا من حوائج الناس فتصير النعم نقمًا[٢]. أخرجه أبو نعيم في الحلية. وقال محمد ابن الحنفية: أيها الناس، اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملُّوها فتتحوَّل نقمًا، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذخرًا وأورث شكرًا وأوجب أجرًا ولو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه حسنًا جميلاً يسرُّ الناظرين. أخرجه البيهقي[٣].

والحديث، قال العراقي[٤]: رواه ابن عدي[٥] وابن حبان[٦] في الضعفاء من حديث معاذ بلفظ: «ما عظُمت نعمة الله علىٰ عبد إلا ...» فذكره، وفيه أحمد بن معدان، قال أبو حاتم[٧]: مجهول، والحديث باطل. ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٨] من حديث عمر بإسناد منقطع، وفيه حلبس بن محمد أحد المتروكين.

---

(١) فيض القدير ٥/ ٤٥٦.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٠/ ١٢٠، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ٤٣١. ورواه قوام السنة في الترغيب والترهيب ٢/ ٧٤ عن الفيض بن إسحاق قال: كنت عند الفضيل بن عياض إذ جاء رجل فسأله حاجة فألح في السؤال عليه، فقلت: لا تؤذي الشيخ. فقال لي الفضيل: اسكت يا فيض، أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم، فاحذروا أن تملوا النعم فتتحول، ألا تحمد ربك أن جعلك موضعا تُسئل ولم يجعلك موضعا تَسأل.

(٣) شعب الإيمان ١٠/ ١٣٦، وزاد في آخره: ويفوق العالمين.

(٤) المغني ٢/ ٩٠٤.

(٥) الكامل في الضعفاء ١/ ١٧٨.

(٦) المجروحون من المحدثين ١/ ١٥٥، ٢/ ٢٩٢.

(٧) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/ ٧٥.

(٨) مكارم الأخلاق ص ٤٨.

ورواه العقيلي[١] من حديث ابن عباس. قال ابن عدي: يُروَىٰ من وجوه كلها غير محفوظة. انتهىٰ.

قلت: رُوي هذا من حديث معاذ وعمر وعائشة وأبي هريرة وابن عباس:

أما حديث معاذ فرواه البهيقي في الشعب[٢] وأبو يعلىٰ والعسكري من طريق ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل به مرفوعًا. ورواه البيهقي أيضًا بإثبات مالك بن يخامر بين خالد ومعاذ، ورواه أيضًا أبو سعد السَّمَّان في مشيخته وأبو إسحاق المستملي في معجمه والخطيب[٣] وابن النجار، وراويه عن ثور بن يزيد عندهم جميعًا أحمد بن مَعْدان العَبْدي، وهو مجهول. وقال البيهقي بعد أن أخرجه: هذا حديث لا أعلم أنَّا كتبناه إلا بإسناده، وهو كلام مشهور عن الفضيل. انتهىٰ.

وأما حديث عمر فرواه أيضًا الشيرازي في الألقاب موقوفًا، ولفظهم جميعًا: ما عظمت نعمة الله علىٰ عبد إلا وعظمت مؤنة الناس عليه، فمَن لم يحتمل مؤنةَ الناس فقد عرَّض تلك النعمة للزوال.

وأما حديث عائشة فرواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج[٤] والطبراني، قال المنذري[٥]: ضعيف. ولفظه: «ما عظمت نعمةُ الله علىٰ عبدٍ إلا اشتدَّت عليه مؤنة الناس، فمَن لم يحتمل تلك المؤنة للناس فقد عرَّض تلك النعمة للزوال».

وأما حديث ابن عباس فرواه العقيلي في الضعفاء وضعَّفه، ورواه أبو نعيم في

---

(١) الضعفاء الكبير ٢/ ٧٥٠.

(٢) شعب الإيمان ١٠/ ١١٩.

(٣) تاريخ بغداد ٦/ ٤٠٧.

(٤) قضاء الحوائج ص ٤٧.

(٥) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ص ٩٨٦ ولم يحكم عليه.

الحلية[١]، ولفظه: «ما من عبد أنعم الله عليه فأسبغها [عليه] ثم جعل إليه شيئًا من حوائج الناس فتبرَّم فقد عرَّض تلك النعمة للزوال».

وأما حديث أبي هريرة فلفظه: «ما من عبدٍ أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه إلا جعل شيئًا من حوائج الناس إليه، فإن تبرَّم بهم فقد عرَّض تلك النعمةَ للزوال». رواه البيهقي[٢] من طريق الأوزاعي عن ابن جريج عن عطاء عنه.

فهذه الأخبار وإن كانت طرقها غير محفوظة ولكن بعضها يؤكِّد بعضًا، وأمثلُها إسناد أبي هريرة.

(**وقال عيسىٰ** عليه السلام: **استكثِروا من شيء لا تأكله النار. قيل: وما هو؟ قال: المعروف**)[٣] نقله صاحب القوت، والمعنىٰ: لا تأكل النار صاحبه.

(**وقالت عائشة** رضي الله عنها: **قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم: **الجنة دار الأسخياء**) لأن[٤] السخاء خُلُق الله الأعظم، كما ورد في الخبر، وهو يحب مَن يتخلَّق بشيء من أخلاقه، فلذلك صلحوا لجواره في داره.

قال العراقي[٥]: رواه ابن عدي[٦] والدارقطني في «المستجاد» والخرائطي[٧]. قال الدارقطني: لا يصح. ومن طريقه[٨] رواه ابن الجوزي في الموضوعات[٩].

---

(١) بل في تاريخ أصفهان ١/ ١٧٥.

(٢) شعب الإيمان ١٠/ ١١٧.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٣٧١ من كلام ابن شهاب الزهري.

(٤) فيض القدير ٣/ ٣٦٢.

(٥) المغني ٢/ ٩٠٥.

(٦) الكامل في الضعفاء ١/ ١٩٠.

(٧) مكارم الأخلاق ص ١٩٧.

(٨) أي من طريق ابن عدي.

(٩) الموضوعات ٢/ ١٨٥.

وقال الذهبي[١]: حديث منكر، ما آفته سوى جحدر. قلت: رواه الدارقطني فيه من طريق آخر، وفيه محمد بن الوليد الموقري، وهو ضعيف أيضًا[٢]. انتهى.

قلت: هو في الكامل لابن عدي عن زيد بن عبد العزيز عن جحدر عن بقية عن الأوزاعي [عن الزهري عن عروة] عن عائشة، ثم قال: جحدر يسرق الحديث ويروي المناكير. وكذلك رواه أبو الشيخ في الثواب والقضاعي في المسند[٣].

وقد رُوي أيضًا من حديث أنس لكن بزيادة: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة بخيل، ولا عاقٌّ لوالديه، ولا منَّان بما أعطى». رواه كذلك ابن عدي[٤] وأبو الشيخ والخطيب في ذم البخلاء[٥] والديلمي في المسند.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: إن السخي قريب من الله**) أي[٦] من رحمته وثوابه، فليس المراد قرب المسافة، تعالى الله عنه (**قريب من الناس**) أي من محبَّتهم، فالمراد قرب المودَّة (**قريب من الجنة**) لسعيه فيما يدنيه منها وسلوكه طريقها، فالمراد هنا قرب المسافة (**بعيد من النار**) والقرب من الجنة والبعد من النار جائز باعتبار قرب المسافة؛ لأنهما مخلوقتان، والقرب والبعد إنما هو برفع الحجاب وعدم رفعه، فإذا قلَّت الحُجُب قلَّت المسافة (**وإن البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس**) أما بُعده عن الله فلكون البخل ممَّا أبغضه الله تعالى، فهو بعيد عن رحمته تعالى وثوابه. وأما بُعده عن الناس فلكونهم يمقتونه فيبعدوه عنه ويبعد عنهم (**بعيد من الجنة**) لأنه لم يسلك طريقها (**قريب من النار**) لكونها حُفَّت بالشهوات

(١) ميزان الاعتدال ٢/ ٥٥٥.

(٢) في المغني: وهو ضعيف جدا.

(٣) مسند الشهاب ١/ ١٠٢.

(٤) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٣٥٠، ولفظه: «الجنة مأوى الأسخياء» ثلاث مرات، وليس فيه الزيادة المذكورة.

(٥) البخلاء ص ٦٧.

(٦) شرح الحديث بعضه عن فيض القدير ٤/ ١٣٨ - ١٣٩، وبعضه من كلام الشارح.

وحُجبت بها، والبخل بالمال شهوة نفسية هي طريقه الموصلة إلىٰ النار (**وجاهل سخيٌّ أحب إلىٰ الله من عابد بخيل**) لأن الجاهل السخي سريع الانقياد إلىٰ ما يؤمَر به من نحو تعلُّم وإلىٰ ما يُنهَىٰ عنه، بخلاف العابد البخيل. قال ابن العربي[١]: وهذا مشكل يباعد الحديث عن الصحة مباعدة كثيرة، وعلىٰ حاله فيحتمل أن [يكون] معناه: أن الجهل قسمان: جهل بما لا بد من معرفته في عمله واعتقاده، وجهل بما يعود نفعه علىٰ الناس من العلم. فأما [القدر] المختص به فعابد بخيل خير منه، وأما الخارج عنه فجاهل سخيٌّ خير منه؛ لأن الجهل والعلم يعودان إلىٰ الاعتقاد، والسخاء والبخل إلىٰ العمل، وعقوبة ذنب الاعتقاد أشد من ذنب العمل. انتهىٰ (**وأدوأ الداء البخل**) أي أعظمه داءً.

قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] وقال: غريب. ولم يذكر فيه «أدوأ الداء البخل»، وقد رواه بهذه الزيادة الدارقطنيُّ فيه. انتهىٰ.

قلت: سياق المصنِّف رواه ابن جرير في تهذيبه[٤] بتلك الزيادة من حديث أبي هريرة بدون «إن» في الجملتين، وقال: ولَجاهلٌ. وقال: أكبر الداء البخل. وأما الذي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة بدون «إن» في الموضعين وبزيادة اللام في «جاهل» وبدون تلك الزيادة فقد رواه من طريق سعيد بن محمد الورَّاق عن يحيىٰ بن سعيد الأنصاري عن الأعرج عن أبي هريرة، وقال: إنه غريب، وإنما يُروَىٰ هذا عن يحيىٰ بن سعيد عن عائشة مرسلاً. انتهىٰ. وكذلك رواه العقيلي في

---

(١) عارضة الأحوذي ٨/ ١٤٠.

(٢) المغني ٢/ ٩٠٥.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥١٠.

(٤) تهذيب الآثار - مسند عمر ص ١٠٠.

الضعفاء[١] والدارقطني في الأفراد وابن عدي[٢] والبيهقي[٣] والخرائطي في مكارم الأخلاق[٤] والخطيب في كتاب البخلاء[٥]، كلهم من حديث أبي هريرة.

وقد رُوي أيضًا من حديث جابر وعائشة وأنس:

أما حديث جابر فرواه البيهقي في الشعب[٦].

وأما حديث عائشة فرواه أبو بكر بن أبي داود، عن جعفر بن محمد بن المرزبان، عن خالد بن يحيىٰ، عن غريب بن عبد الواحد، عن يحيىٰ بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة. فزاد فيه سعيدًا، لكنه غريب لا يُعرَف، ورواه الدارقطني والطبراني في الأوسط[٧] والبيهقي[٨] والخطيب[٩] من طريق سعيد بن محمد الورَّاق أيضًا عن يحيىٰ بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن عائشة. وعند بعضهم: عن الورَّاق عن يحيىٰ عن عروة عن عائشة. والورَّاق، قال الذهبي: ضعيف[١٠]. وقال البيهقي: تفرَّد به الورَّاق، وهو ضعيف. ورواه القشيري في الرسالة[١١] من طريق سعيد بن مسلمة عن يحيىٰ بن سعيد عن محمد ابن إبراهيم، ولكن بدون الجملة الأخيرة، وفيه: «والجاهل السخي أحب إلىٰ الله من العابد البخيل».

---

(١) الضعفاء الكبير ٢/ ٤٨١.

(٢) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٢٣٩.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ٢٩٣.

(٤) مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ حتىٰ قوله (بعيد من النار) ولم يذكر ما بعده.

(٥) البخلاء ص ٦٢.

(٦) شعب الإيمان ١٣/ ٢٩٢.

(٧) المعجم الأوسط ٣/ ٢٧.

(٨) شعب الإيمان ١٣/ ٢٩٢ - ٢٩٤.

(٩) البخلاء ص ٦٢ - ٦٥.

(١٠) في المغني للذهبي ١/ ٣٨٢: ضعفوه بمرة.

(١١) الرسالة القشيرية ص ٤١٨.

وأما حديث أنس فرواه الطبراني، وفي سنده محمد بن تميم، وهو وضَّاع. وقال الدارقطني بعد أن أورد هذا الحديث: له طرق، ولا يثبُت منها شيءٌ. فتعلَّق ابن الجوزي بهذه الزيادة فأورد الحديث في الموضوعات[١]، وقد رد عليه الحافظ ابن حجر بأنه: لا يلزم من هذه العبارة أن يكون موضوعًا، فالثابت يشمل الصحيح، والضعيف دونه، وهذا ضعيف، فالحكم عليه بالوضع ليس بجيد. نقله السخاوي في المقاصد[٢] والشمس الداودي وغيرهما.

(**وقال النبي ﷺ: اصنع المعروف إلىٰ مَن هو أهله وإلىٰ مَن ليس بأهله، فإن أصبت أهلَه فقد أصبت أهله، وإن لم تُصِب أهله فأنت أهله**) قال العراقي[٣]: رواه الدارقطني في «المستجاد» من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلاً، وتقدَّم في آداب الصحبة.

قلت: ورواه ابن النجار من حديث علي، ورواه ابن لال والخطيب في «رواة مالك» من حديث ابن عمر.

(**وقال ﷺ: إن بدلاء أمَّتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين**) قال العراقي[٤]: رواه الدارقطني في «المستجاد» وأبو بكر ابن لال في «مكارم الأخلاق» من حديث أنس، وفيه محمد بن عبد العزيز بن المبارك الدينوري، أورد ابن عدي[٥] له مناكير، وفي

---

(١) الموضوعات ٢/ ١٨٠ - ١٨١. ولفظه: «لما خلق الله الإيمان قال: إلهي قوني. فقواه بحسن الخلق، ثم خلق الكفر، فقال الكفر: إلهي قوني. فقواه بالبخل، ثم خلق الجنة، ثم استوىٰ علىٰ العرش، ثم قال: ملائكتي. فقالوا: ربنا لبيك وسعديك. قال: السخي قريب من جنتي، قريب من ملائكتي، بعيد من النار. والبخيل بعيد مني، بعيد من جنتي، بعيد من ملائكتي، قريب من النار».

(٢) المقاصد الحسنة ص ٢٣٩.

(٣) المغني ٢/ ٩٠٥.

(٤) السابق ٢/ ٩٠٥ - ٩٠٦.

(٥) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٢٩١ - ٢٢٩١. وفيه هذا الحديث.

الميزان[١] أنه: ضعيف منكر الحديث. ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[٢] من حديث أبي سعيد نحوه، وفيه صالح المُرِّي، متكلَّم فيه. انتهىٰ.

قلت: وكذلك رواه الخَلاَّل في كرامات الأولياء[٣]، وهو من حديث الحسن عن أنس. وقد رواه الحكيم في النوادر[٤] وابن أبي الدنيا في كتاب السخاء[٥] والبيهقي[٦] من طريقه من مرسَل الحسن، ولفظه: «إن بدلاء أمَّتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفُس والرحمة لجميع المسلمين».

(**وقال أبو سعيد الخدري**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله** ﷺ: **إن الله** عَزَّ وَجَلَّ **جعل للمعروف**) وهو[٧] اسم جامع لِما عُرف من الطاعة ونُدب من الإحسان (**وجوهًا**) أي جماعات، فكنَّىٰ بالوجه عن الذات (**من خلقه**) أي الآدميين، بقرينة قوله: (**وحبَّب إليهم المعروف**) أي جبلَهم عليه (**وحبَّب إليهم فِعاله**) أي لأجل القيام به ونشره في العالَم أن يفعلوه مع غيرهم (**ووجَّهَ طلابَ المعروف إليهم**) أي إلىٰ قصدهم وسؤالهم لهم في فعله معهم (**ويسَّر**) أي سهَّل (**عليهم إعطاءهم**) إياه. وفي رواية: إعطاءه. أي هيَّأ لهم أسبابه (**كما يسَّر الغيثَ إلىٰ الأرض الجدبة**) أي الممحلة (**فيحييها**) به فتُخرِج نباتها بإذن ربها (**ويُحيي به أهلَها**) أي بما تُخرِج من النبات، هم ومواشيهم. وفي رواية: ليحييها ويحيي بها أهلَها.

---

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٦٢٩.

(٢) بل الطبراني في مكارم الأخلاق ص ٣٣٧.

(٣) كرامات الأولياء لأبي محمد الخلال ص ٢٣ (ط - دار المشاريع ببيروت).

(٤) نوادر الأصول ص ٢١٠، ٨٤٢.

(٥) ورواه أيضا في كتاب الأولياء ص ٢٨.

(٦) شعب الإيمان ١٣/ ٣١٧، ولكن من غير طريق ابن أبي الدنيا.

(٧) فيض القدير ٢/ ٢٢٢.

قال العراقي[(١)]: رواه الدارقطني في المستجاد من رواية أبي هارون العبدي عنه، وأبو هارون ضعيف. ورواه الحاكم[(٢)] من حديث علي وصحَّحه. انتهىٰ.

قلت: ولحديث أبي سعيد بقية وهي: «وإن الله تعالىٰ جعل للمعروف أعداء من خلقه، بغَّض إليهم المعروف وبغَّضَ إليهم فِعالَه، وحظر عليهم إعطاءه كما يحظر الغيثَ عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلَها، وما يعفو أكثرُ». وهكذا رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج[(٣)]، وهو من طريق عثمان بن سماك عن أبي هارون العبدي عن أبىٰ سعيد. وقد رواه أيضًا أبو الشيخ وأبو نعيم[(٤)] والديلمي[(٥)] [من حديث أبيٍّ] باللفظ المذكور.

(وقال رسول الله ﷺ: كل معروف) أي[(٦)] ما عُرف فيه رضا الله عنه، أو ما عُرف من جملة الخيرات، أو ما شهد عيانه بموافقته وقبول موقعه بين الأنفس فلا يلحقها منه تنكر[(٧)] **(صدقة)** أي بمنزلة الصدقة، وثوابه كثوابها. رواه أحمد[(٨)] والبخاري[(٩)] وابن حبان[(١٠)] والدارقطني[(١١)] والحاكم[(١٢)] من حديث جابر. ورواه

---

(١) المغني ٢/ ٩٠٦.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٦٥، وهو جزء من الحديث الذي مر آنفا بلفظ: «اطلبوا المعروف من رحماء أمتي ...» الخ.

(٣) قضاء الحوائج ص ١١ - ١٤.

(٤) تاريخ أصفهان ٢/ ٢٨١ - ٢٨٢.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٥/ ٤١١.

(٦) فيض القدير ٥/ ٣٢.

(٧) التعريف الأخير عزاه المناوي إلىٰ الحرالي، وذكره البقاعي في نظم الدرر ٣/ ٢٧ ولم يعزه إليه.

(٨) مسند أحمد ٢٣/ ٥٧، ١٦١.

(٩) صحيح البخاري ٤/ ٩٥.

(١٠) صحيح ابن حبان ٨/ ١٧٢.

(١١) سنن الدارقطني ٣/ ٤٢٨.

(١٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٣.

الطبراني في الكبير[١] من حديث بلال. ورواه أحمد[٢] ومسلم[٣] وأبو داود[٤] وأبو عوانة وابن حبان[٥] من حديث حذيفة. ورواه ابن حبان[٦] من حديث ابن مسعود. ورواه ابن أبي الدنيا[٧] من حديث ابن عباس. ورواه الطبراني في الكبير[٨] من حديث عدي بن ثابت عن أبيه عن جده. ورواه أحمد والطبراني في الصغير[٩] من حديث نُبَيط بن شريط. ورواه الطبراني في الكبير[١٠] من حديث عبد الله بن يزيد. وقد رُويت في هذا الحديث زيادات، فمنها ما ذكره المصنف: **(وكل ما أنفق الرجل علىٰ نفسه وأهله كُتب له صدقة)** لأنه ينكفُّ بذلك عن السؤال، ويكف مَن ينفق عليه **(وما وقىٰ به الرجلُ عِرضه فهو له صدقة)** وهو ما يعطيه الشاعرَ أو من يخاف شرَّه ولسانه، وإنما كان صدقة لأن صيانة العِرض من جملة الخيرات لِما أنه يحرم علىٰ الغير كالدم والمال **(وما أنفق الرجل من نفقة فعلىٰ الله خلفُها)** قال العراقي[١١]: رواه ابن عدي[١٢] والدارقطني في المستجاد والخرائطي[١٣] والبيهقي

---

(١) المعجم الكبير ١/ ٣٦٦.
(٢) مسند أحمد ٣٨/ ٢٨٨، ٣٨٩، ٣٩٥، ٤٣٣.
(٣) صحيح مسلم ١/ ٤٤٧.
(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٣٢.
(٥) صحيح ابن حبان ٨/ ١٧٢.
(٦) لم أقف عليه في صحيح ابن حبان، وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١١٠، ٢٣٢، والقضاعي في مسند الشهاب ١/ ٨٧.
(٧) قضاء الحوائج ص ٢٢.
(٨) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٨٧.
(٩) المعجم الصغير ١/ ٦٠. ولم أقف علىٰ الحديث في مسند أحمد.
(١٠) ورواه أيضا في مكارم الأخلاق ص ٣٥٤.
(١١) المغني ٢/ ٩٠٦.
(١٢) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٥٩.
(١٣) مكارم الأخلاق ص ٤٦.

في الشعب[١] من حديث جابر، وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالي، وثَّقه ابن معين، وضعَّفه الجمهور. والجملة الأولىٰ منه عند البخاري من حديث جابر، وعند مسلم من حديث حذيفة. انتهىٰ.

قلت: رواه بتمامه عبد بن حميد[٢] وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج[٣] والحاكم من طريق عبد الحميد بن الحسن عن محمد بن المنكدر عن جابر، وقال الحاكم: صحيح. وتعقَّبه الذهبيُّ بقوله: إن عبد الحميد ضعَّفوه. وقال في الميزان[٤]: إنه غريب جدًّا. ولفظ حديث جابر بعد الجملة الأولىٰ: «وما أنفق المسلم من نفقة علىٰ نفسه وأهله كُتب له بها صدقة، وما وقَىٰ به المرء المسلم عِرضه كُتب له به صدقة، وكل نفقة أنفقها المسلم فعلىٰ الله خلفها، والله ضامن، إلا نفقة في بنيان أو معصية». وتقدَّم أن القضاعي[٥] روىٰ من هذه الطريق: «ما وقَىٰ به المرء عِرضه فهو له صدقة، وما أنفق الرجل علىٰ أهله ونفسه كُتب له به صدقة». وفيه: قال عبد الحميد الهلالي: فقلت لمحمد بن المنكدر: ما معنىٰ: ما وقىٰ به عِرضه ... الخ. وقد تقدم، وتقدم أيضًا أن عبد الحميد لم ينفرد به، بل رواه القضاعي أيضًا من طريق مسور بن الصلت المدني. وبهذا يُجاب عن تعقُّب الذهبي علىٰ الحاكم. ومن جملة الزيادات في حديث جابر: «يصنعه أحدكم إلىٰ غني أو فقير». رواه أبو يعلىٰ[٦]. وفي حديث جابر: «وإن من المعروف أن تلقَىٰ أخاك ووجهُك إليه منبسط، وأن تصبَّ من دلوك في إناء جارك». رواه أحمد وعبد بن

(١) شعب الإيمان ٥/ ١٤٨ - ١٤٩. ورواه أيضا في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٤٠٩.

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ١٦٦.

(٣) قضاء الحوائج ص ١٩.

(٤) ميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٠.

(٥) مسند الشهاب ١/ ٨٩ - ٩٠.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٦٦.

حميد والترمذي[١] - وقال: حسن صحيح - والدارقطني والحاكم. ومن الزيادات في حديث بلال: «والمعروف يقي سبعين نوعًا من البلاء، ويقي ميتة السوء ...» الحديث. رواه هكذا ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج[٢] والخرائطي[٣] وابن النجار. ومن الزيادة في حديث ابن مسعود: «غنيًّا كان أو فقيرًا». رواه الطبراني في الكبير. ومن الزيادات في حديث ابن عباس ما أشار إليه المصنف بقوله:

(وقال ﷺ: كل معروف صدقة، والدالُّ علىٰ الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان) أي المتحيِّر في أمره، الحزين، المسكين، الذي لا يجد له مغيثًا ولا ناصرًا.

قال العراقي[٤]: رواه الدارقطني في المستجاد من رواية الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، والحجاج ضعيف، وقد جاء مفرَّقًا، فالجملة الأولىٰ تقدمت قبله، والجملة الثانية تقدمت في كتاب العلم من حديث أنس وغيره، والجملة الثالثة رواها أبو يعلىٰ[٥] من حديث أنس، وفيها زياد النميري، ضعيف. وروىٰ ابن عدي[٦] الجملتين الأخيرتين في ترجمة سليمان الشاذكوني من حديث بريدة. انتهىٰ.

---

(١) سنن الترمذي ٣/ ٥١٥ - ٥١٦.

(٢) قضاء الحوائج ص ١١.

(٣) حديث بلال في مكارم الأخلاق للخرائطي ص ٤٧ - ٤٨ بلفظ: «كل معروف صدقة، والمعروف والمنكر منصوبان للناس يوم القيامة، فالمعروف لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلىٰ الجنة، والمنكر لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلىٰ النار».

(٤) المغني ٢/ ٩٠٦ - ٩٠٧.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ٢٧٥.

(٦) الكامل في الضعفاء ٣/ ١١٤٥.

قلت: وروىٰ البيهقي هذه الجمل الثلاثة معًا في الشعب[(١)] من حديث ابن عباس، وفيه طلحة بن عمرو، قال الذهبي[(٢)]: قال أحمد: متروك الحديث[(٣)].

(وقال ﷺ: **كل معروف فعلتَه إلىٰ غني أو فقير صدقةٌ**) قال العراقي[(٤)]: رواه الدارقطني في المستجاد من حديث أبي سعيد وجابر، والطبراني[(٥)] والخرائطي[(٦)] كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود، وابن منيع من حديث ابن عمر بإسنادين ضعيفين.

قلت: حديث جابر رواه أيضًا الخطيب في الجامع[(٧)] وابن عساكر في التاريخ[(٨)] بلفظ «صنعتَه» بدل «فعلته»، وفيه: صدقة. وحديث ابن مسعود رواه أيضًا ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج[(٩)]، وحديث ابن عمر رواه ابن أبي الدنيا أيضًا في الكتاب المذكور[(١٠)].

(ورُوي) في الإسرائيليات (**أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ** عليه السلام: **لا تقتل السامري فإنه سخيٌّ**[(١١)]) وهو رجل من اليهود، وقصته مذكورة في القرآن، وطائفة

---

(١) شعب الإيمان ١٠/ ١١٥.

(٢) ديوان الضعفاء ص ٢٠١.

(٣) في العلل ومعرفة الرجال ١/ ٤١١ والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٤٧٨: «لا شيء، متروك الحديث».

(٤) المغني ٢/ ٩٠٧.

(٥) مكارم الأخلاق ص ٣٥٤.

(٦) مكارم الأخلاق ص ٤٦.

(٧) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٦٠٨.

(٨) تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٦٥.

(٩) قضاء الحوائج ص ٢٠.

(١٠) السابق ص ٢١ - ٢٢.

(١١) انظر: التفسير البسيط للواحدي ١٤/ ٥٠٩. الكشف والبيان للثعلبي ٦/ ٢٥٨. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤/ ١٢٩، وأورده الخركوشي في تهذيب الأسرار ص٢٧٨ وعنه الغزالي ينقل.

من اليهود ينتسبون إليه. وذكر المسعودي[١] أنهم ينكرون نبوَّة داود ومَن بعده من الأنبياء، ويقولون: لا نبي بعد موسىٰ، وجعلوا رؤساءهم من ولد هارون بن عمران، ويقولون: لا مِساس، ويزعمون أن نابلس هي بيت المقدس وهي مدينة يعقوب عليه السلام.

(وقال جابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: **(بعث رسول الله ﷺ بعثًا)** أي سريَّة، ولَّىٰ **(عليهم قيس بن سعد بن عُبادة)** بن[٢] دُلَيم بن حارثة بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، صحابي ابن صحابي، رضي الله عنه، مات سنة ستين أو بعدها، روىٰ له الجماعة **(فجُهِدوا)** بالضم مبنيًّا للمفعول، أي أصابهم الجهدُ **(فنحر لهم قيس تسع ركائب)** جمع رَكُوبة، بالفتح، وهي الناقة تُركَب **(فحدَّثوا رسولَ الله ﷺ بذلك)** لمَّا قَدِموا **(فقال ﷺ: إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت)** يشير به إلىٰ بيت سعد بن عُبادة، فإنهم مشهورون بالجود والإطعام من آبائهم. قال العراقي[٣]: رواه الدارقطني في المستجاد من رواية أبي حمزة الحِميري عن جابر، ولا يُعرَف اسمه ولا حاله.

قلت: ورواه أيضًا أبو بكر الشافعي في الغيلانيات[٤] وابن عساكر[٥] بسياق المصنف عن جابر بن عبد الله، ورواه ابن عساكر أيضًا عن جابر بن سمرة. وقول المصنف يحتمل أن يكون جابرًا الأنصاري وأن يكون جابر بن سمرة.

(الآثـــار:

---

(١) مروج الذهب ١/ ٤٧ – ٤٨.
(٢) تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠ – ٤٧. تقريب التهذيب ص ٨٠٤.
(٣) المغني ٢/ ٩٠٧.
(٤) الغيلانيات ص ٣٥٣.
(٥) تاريخ دمشق ٤٩/ ٤١٠ – ٤١١.

قال علي كرَّم الله وجهه: إذا أقبلت الدنيا إليك) فإن وفرَ مالُك وجاهُك (فأنفِقْ منها) لمَن يستحق (فإنها لا تفنىٰ) بإنفاقك مع الإقبال (وإذا أدبرت عنك) وولَّت (فأنفِقْ منها) أيضًا (فإنها لا تبقىٰ)[1] فالإنفاق منها محمود علىٰ كل حال (وأنشد:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرفُ
وإن تولَّت فأحرىٰ أن تجود بها فالحمد منها إذا ما أدبرتْ خلفُ[2]

وسأل معاوية) بن أبي سفيان (الحسنَ بن علي) ﵄ (عن المروءة والنجدة والكرم) ما حدُّها؟ (فقال) الحسن: (أما المروءة فحفظُ الرجل دينه) عمَّا لا يليق به (وحرزه نفسه) عن الذهول والدناءة (وحسن قيامه) أي التعهُّد (بضيفه، وحسن المسارعة والإقدام في الكراهية) أي فيما تكرهه النفس. وهذه الأوصاف هي المعبَّر عنها بالإنسانية (وأما النجدة فالذَّب) أي الدفع والمنع (عن الجار) بأن لا يوطئ جاره بما يكره (والصبر في المواطن) أي مواطن الشدة (وأما الكرم فالتبرُّع بالمعروف قبل السؤال) أي يبتدئ به قبل أن يُسئل (والإطعام في المَحْل) أي وقت الجدب وقلة المطر (والرأفة بالسائل) أي الشفقة والرحمة بحاله (مع بذل النائل)[3] أي العطاء.

---

(١) هذا الأثر نسبه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٢٢٩ وابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ٢٠١ لبزرجمهر الحكيم الفارسي. ونسبه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ١٩٨ ليحيىٰ بن خالد البرمكي.

(٢) البيتان في ديوان الإمام علي ص ١٣٤.

(٣) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٤٨٣ بلفظ: «قال معاوية للحسن بن علي: ما المروءة يا أبا محمد؟ قال: فقه الرجل في دينه، وإصلاح معيشته، وحسن مخالقته. قال: فما النجدة؟ قال: الذب عن الجار، والإقدام علىٰ الكريهة، والصبر علىٰ النائبة. قال: فما الجود؟ قال: التبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المحل». ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٣/ ٢٥٧ - ٢٥٨ من عدة طرق بألفاظ متقاربة، وفي إحدىٰ رواياته: «أما المروءة فحفظ الرجل دينه، وإحراز نفسه من الدنس، وقيامه بضيفه، وأداء الحقوق، وإفشاء السلام».

(ورفع رجل إلىٰ) أبي عبد الله (الحسن بن علي) ﷺ (رقعة) يسأله فيها حاجةً (فقال: حاجتك مقضيَّة) وذلك قبل أن يقرأها (فقيل له: يا ابن رسول الله، لو نظرتَ في رقعته ثم رددت الجواب علىٰ قدْر ذلك. قال: يسألني الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلِّ مقامه) أي وقوفه (بين يدي حتىٰ أقرأ رقعته.

وقال) محمد بن صبيح (ابن السَّمَّاك) البغدادي الواعظ: (عجبتُ لمَن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه)[١] أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وسُئل بعض الأعراب: مَن سيدكم؟ فقال: مَن احتمل شتمنا) فلم يردَّ عليه بمثله (وأعطىٰ سائلنا) بماله ومعروفه (وأغضىٰ) أي سامح (عن جاهلنا)[٢] فلم يؤاخذه بجهله.

(وقال علي بن الحسين) زين العابدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَن وُصف ببذل ماله لطلاَّبه لم يكن سخيًّا، وإنما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالىٰ في أهل طاعته، ولا تنازعه نفسُه إلىٰ حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تامًّا) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقيل للحسن البصري) رحمه الله تعالىٰ: (ما السخاء؟ قال: أن تجود بمالك في الله عَزَّوَجَلَّ. قيل: فما الحزم؟ قال: أن تمنع مالك فيه) أي في الله عَزَّوَجَلَّ (قيل: فما الإسراف؟ قال: الإنفاق لحب الرياسة) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال جعفر الصادق) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا مال أعوَد من العقل) أي أكثر عائدةً منه

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٣٢٨.

(٢) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ١/ ١٤٨: «جرير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي. هاجر إلىٰ رسول الله ﷺ فورد عليه منصرفه من تبوك فأسلم ... وهو الذي قال له معاوية: من سيدكم = = اليوم؟ فقال: من أعطىٰ سائلنا، وأغضىٰ عن جاهلنا، واغتفر زلتنا. فقال له معاوية: أحسنت يا جرير». وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الحلم ص ٤٠: «حدثني هارون بن أبي يحيىٰ، عن شيخ من طيئ قال: قال معاوية: يا معشر طيئ، من سيدكم؟ قال خريم بن أوس: من احتمل شتمنا، وأعطىٰ سائلنا، وحلم عن جاهلنا، واغتفر فضل ضربنا إياه بعصيِّنا».

(ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا مظاهرة) وهي المعاونة **(كالمشاورة)** مع أهل الدين والرأي المتين **(ألا وإن الله ﷻ يقول: إني جواد كريم، لا يجاورني لئيم)** أي في دار كرامتي **(واللؤم من الكفر، وأهل الكفر في النار. والجود والكرم من الإيمان، وأهل الإيمان في الجنة)** وهو معنىٰ الخبر السابق: «السخاء شجرة من أشجار الجنة، واللؤم شجرة من أشجار النار».

(وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه: **(رُب فاجر في دينه)** أي ليس بدَيِّن **(أخرق في معيشته)** أي لا يدري في أمور معيشته ولا يُحسِن الصنعةَ **(يدخل الجنة بسماحته)** [1] أي بذله لماله.

(ورأىٰ الأحنف بن قيس رجلاً في يده درهم) يقلِّبه **(فقال: لمَن هذا الدرهم؟ قال: لي. فقال: أما إنه ليس لك حتىٰ يخرج من يدك[2].**

وفي معناه قيل:

أنت للمال إذا أمسكتَه ... فإذا أنفقتَه فالمال لك[3])

أي إذا أحرزته عندك فأنت بإزائه كالحارس له والخائف عليه، فإذا أخرجته من يدك صار لك حيث قضىٰ حاجتَك وسَلِمت من وباله واسترحت من حراسته.

(وسُمِّي واصل بن عطاء: الغَزَّال) وهي نسبة إلىٰ مَن يبيع الغَزْل، ولم يكن كذلك ولكنه لُقِّب به **(لأنه كان يجلس إلىٰ الغزَّالين)** أي عندهم في سوقهم **(فإذا رأىٰ امرأة ضعيفة)** الحال أتت تشتري الغزل وهي فقيرة **(أعطاها شيئًا)** من المال

---

(١) أورده عن حذيفة الخركوشي في تهذيب الأسرار صـ٢٧٨، وعنه الغزالي، وذكره مرفوعًا بلا إسناد الكلاباذي في معاني الأخبار صـ٢٩٣.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤٣، وفيه: «ليس هو لك حتىٰ تخرجه في أجر أو اكتساب شكر».

(٣) البيت لأبي نواس، وهو في ديوانه ١/ ٧٣.

مواساةً لها، فلكثرة ملازمته لهم لُقِّب بالغزَّال. وواصل[١] هذا هو الذي كان يختلف إلىٰ الحسن البصري، فلما اختلفوا وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر، وقالت الجماعة: بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر، فخرج واصل عن [قول] الفريقين وقال: فاسق هذه الأمَّة لا مؤمن ولا كافر [وفسقُه] منزلة بين المنزلتين. فطرده الحسن، فاعتزله، وجلس إليه عمرو بن عبيد بن باب مولىٰ بلعدوية البصري من بني تميم، فقيل لهما ولأتباعهما: المعتزلة. وكان عمرو ورعًا مجتهدًا، إلا أنه يكذب في الحديث وهمًا لا عمدًا[٢].

(وقال الأصمعي) عبد الملك بن سعيد بن قريب[٣] **(كتب الحسن بن علي إلىٰ)** أخيه **(الحسين بن علي ﷺ يعتب عليه في إعطاء الشعراء)** الأموال الجمَّة **(فكتب إليه: خير المال ما وُقي به العِرض)**[٤] أي حفظُه عن الامتهان، وهو معنىٰ الخبر السابق: «ما وقَىٰ به المؤمن عِرضه فهو له صدقة». رواه عبد الحميد بن الحسن عن ابن المنكدر عن جابر رفعه. قال عبد الحميد: سألت ابن المنكدر عن معناه فقال: ما يعطيه الشعراءَ. وقد تقدم نحوه.

(وقيل لسفيان بن عيينة) رحمه الله تعالىٰ: **(ما السخاء؟ فقال: السخاء البِر بالإخوان)** أي مواصلتهم بالإحسان **(والجود بالمال)** أي إعطاؤه وبذلُه لهم **(قال: وورث أبي)** وهو عيينة بن ميمون الهلالي **(خمسين ألف درهم، فبعث بها صررًا إلىٰ إخوانه وقال: قد كنت أسأل الله تعالىٰ لإخواني الجنة في صلاتي، أفأبخل عليهم**

---

(١) الأنساب للسمعاني ٥/ ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢) ذكر ذلك ابن حبان في المجروحين من المحدثين ٢/ ٣٥.

(٣) هذا خطأ، والصواب: أبو سعيد عبد الملك بن قريب.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال ص ٥٨ والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٢٢ - ٢٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤/ ١٨١ - ١٨٢ من طريق الأصمعي عن عبد الله بن عون قال: كتب ... فذكره.

بالدنيا) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالىٰ: **(بذلُ المجهود)** أي الطاقة **(في بذل الموجود)** من المال **(منتهَىٰ الجود.**

وقيل لبعض الحكماء: مَن أحب الناس إليك؟ قال: مَن كثرت أياديه) أي نِعمه ومعروفه وإحسانه **(عندي. قيل: فإن لم يكن؟ قال: مَن كثرت أياديَّ)** أي نعمي **(عنده.**

وقال عبد العزيز بن مروان) ابن الحكم الأموي والد عمر بن عبد العزيز وأخو عبد الملك: **(إذا الرجل أمكنني من نفسه حتىٰ أضع معروفي عنده)** أي قَبِلَه مني **(فيده عندي مثل يدي عنده)**[1] أي سواء.

(وقال المهدي) محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس **(لشبيب ابن شيبة)** بن[2] عبد الله التميمي المِنْقَري البصري، كنيته أبو معمر، أحد البلغاء، أخباري، صدوق، ولفصاحته قيل له: الخطيب، ولم يخطب قط. روىٰ عن الحسن البصري، وروىٰ له الترمذي، وقد ضعَّفه يحيىٰ بن معين[3]. مات في حدود السبعين **(كيف رأيتَ الناس في داري؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الرجل منهم يدخل راجيًا ويخرج راضيًا)**[4] وهذا الجواب مع اختصاره في غاية البلاغة، مع ما بين «يدخل» و«يخرج» من حسن المقابلة، والجناس بين «راضيًا» و«راجيًا»، ولزوم ما لا يلزم.

---

(١) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ١/ ١٩٢، وفيه: «أعظم من يدي عنده».

(٢) تهذيب الكمال ١٢/ ٣٦٢ - ٣٦٧. تقريب التهذيب ص ٤٣٠.

(٣) وضعفه أيضا أبو زرعة وأبو حاتم وأبو داود والنسائي والدارقطني والبرقاني.

(٤) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٧٩. وذكره أبو جعفر النحاس في صناعة الكُتاب ص ٢٠٥، والحصري في زهر الآداب ٣/ ٨٧١. وفي العقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ١٢٧ ونهاية الأرب للنويري ٧/ ١١ أن السؤال كان عند باب الرشيد. وفي موضع آخر من العقد ٢/ ١٥ وكذا في البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٣٥٢ وعيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ١٦٥: «فقال له قائل» ولم يسمه.

وفي «صفوة التواريخ»: وكان المهدي يقعد للمظالم، فقال لبعض أصحابه: كيف رأيتَ الناس؟ فقال: رأيت الخارج راضيًا، والداخل راجيًا.

(وتمثَّل متمثِّل عند عبد الله بن جعفر) بن أبي طالب، وهو أحد أجواد قريش، وسيأتي ذِكره في حكايات الأسخياء (فقال:

إن الصنيعة لا تكون صنيعة ... حتىٰ يُصاب بها طريق المصنعِ

فإذا اصطنعتَ صنيعة فاعملْ بها ... لله أو لذوي القرابة أو دَعِ)[1]

وهو معنىٰ قول الأثر السابق عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الصنيعة لا تكون إلا لذي حسب ودين، وقد رُوي ذلك أيضًا من قول محمد بن علي بن الحسين، كما في الحلية[2] **(فقال عبد الله بن جعفر: إن هذين البيتين لَيبخِّلان الناسَ)** أي يعلِّمانهم بخلاً **(ولكن أمطِر المعروفَ مطرًا)** أي عُمَّ بمعروفك علىٰ الكل **(فإن أصاب الكرامَ كانوا له أهلاً، وإن أصاب اللئام كنت أنت له أهلاً)**[3] وهو معنىٰ الخبر السابق: «اصنع المعروف مع مَن هو أهله ومَن ليس بأهله، فأن أصاب الأهلَ فهو له أهلٌ، وإن لم يُصِب الأهلَ فأنت له أهلٌ». ومن هنا قول العامة: اعمل المعروف وارمِه في البحر، إن لم يعرفه السمك يعرفه ربُّ السمك[4]. فكأنَّ عبد الله بن جعفر إنما ردَّ علىٰ المتمثِّل قولَه في المصراع الأخير، حيث خصَّص فيه القرابة، ثم قال «أو دَعْ»

---

(١) نسبهما المرزباني في معجم الشعراء ص ٥٢٩ لهذيل بن عبد الله بن سالم الأشجعي الكوفي. ونسبهما الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ٢١٩ لحسان بن ثابت، ولم أجدهما في ديوانه.

(٢) الذي في حلية الأولياء ٣/ ١٩٤ - ١٩٥ أنه من قول ابنه جعفر بن محمد.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف ص ٥٣ (ط - دار ابن حزم). وبنحوه رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٩٤.

(٤) ذكره أحمد تيمور باشا في الأمثال العامية ص ٣١ - ٣٢ بلفظ: «اعمل الطيب وارميه في البحر»، وقال: «هو مبالغة في الحث علىٰ عمل الخير ولو كان ضائعا عند من صُنع معه. وبعضهم يرويه: اعمل الطيب وارميه في بحر جاري، إن ضاع عند العبد مايضعش عند الباري».

أي اتركْ، وإلا فالاختيار أن الصنيعة تكون في ذوي حسب ودين، وهذا لا يُنكَر.
والله أعلم.

حكايات الأسخياء (١)

رُوي (**عن محمد بن المنكدر**) بن عبد الله بن الهُذير التيمي المدني، ابن خال عائشة، ثقة فاضل. تقدَّم ذِكرُه (**عن أم دُرَّة، وكانت تخدم عائشة** ﷺ) وهي مولاة لها، هكذا ضبطه غير واحد بضم الدال المهملة، وضبطه الحافظ في التبصير(٢) بفتح الذال المعجمة، وهي مقبولة، روىٰ لها أبو داود في السنن (**قالت: إن معاوية أو ابن الزبير**) وفي بعض النسخ الاقتصار علىٰ أحدهما بغير شك، ولفظ القوت: أن ابن الزبير. ولم يشكَّ. وهو عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (**بعث إليها بمال في غِرارتين**) قالت: أراه (**ثمانين ومائة ألف درهم**) في كل غرارة تسعون ألفًا (**فدعتْ بطبق**) وهي يومئذٍ صائمة (**فجعلت تقسمه بين الناس**) فأمست وما عندها من ذلك درهم (**فلمَّا أمست قالت: يا جارية، هلمِّي بفطوري**) ولفظ القوت: هلمِّي فِطري (**فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم درة: ما استطعتِ**) ولفظ القوت: أما استطعتِ (**فيما قسمتِ اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟ قالت**): لا تعنِّفيني (**لو كنتِ ذكَّرتيني لفعلت**)(٣) هكذا نقله صاحب القوت قال: وروىٰ هشام بن عروة عن أبيه أن معاوية بعث إلىٰ عائشة مرةً بمائة ألف. قال: فواللهِ ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتىٰ فرَّقتْها، فقالت مولاة لها: لو اشتريتِ لنا من هذه الدراهم بدرهم لحمًا. فقالت: لو قلتِ لي قبل أن أفرِّقها لفعلتُ(٤). وقال تميم بن [سلمة عن] عروة بن

---

(١) هذه الحكايات نقلها الغزالي عن كتاب المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي التنوخي ص ١٠ – ١٢٣ (ط – دار الكتب العلمية)، والرسالة القشيرية ص ٤١٨ – ٤٢٥.

(٢) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٢/ ٥٦٠.

(٣) الخركوشي في تهذيب الأسرار صـ٢٧٢.

(٤) تقدم هذا الأثر في بيان ذم المال وكراهة حبه.

الزبير: لقد رأيت عائشة تتصدَّق بسبعين ألفًا وإنها لَترقع جانب درعها[١]. وروىٰ حجاج عن عطاء قال: بعث معاوية إلىٰ عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قُوِّمَ بمائة ألف، فقسمته بين أزواج النبي ﷺ[٢].

(وعن أبان بن عثمان) بن[٣] عفَّان الأموي المدني، كنيته أبو سعيد، ويقال: أبو عبد الله. ثقة، مات سنة خمس ومائة. روىٰ له البخاري في كتاب الأدب المفرد ومسلم والأربعة (قال: أراد رجل أن يضارَّ عبيدَ الله بن عباس) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (فأتىٰ وجوهَ قريش) أي أكابرهم (فقال: يقول لكم عبيد الله: تغدُّوا عندي اليوم. فأتوه حتىٰ ملأوا عليه الدارَ) أي لكثرتهم (فقال: ما هذا؟ فأُخبِر الخبر، فأمر عبيد الله بشراء فاكهة) من السوق يلهيهم بها (وأمر قومًا فطبخوا وخبزوا، وقُدِّمت الفاكهة إليهم، فلم يفرغوا منها حتىٰ وُضعت الموائد، فأكلوا حتىٰ صدروا شباعًا. فقال عبيد الله لوكلائه: أموجود لنا هذا كل يوم؟ قالوا: نعم. قال: فليتغدَّ عندنا هؤلاء كل يوم) نقله القشيري في الرسالة.

(وقال مصعب بن الزبير: حج معاوية، فلما انصرف مر بالمدينة، فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن: لا تلقَه ولا تسلِّم عليه. فلما خرج معاوية قال الحسن: إن علينا دَينًا، فلا بد لنا من إتيانه. فركب في أثره، ولحقه، فسلَّم عليه، وأخبره بدينه، فمرُّوا عليه ببُخْتي عليه ثمانون ألف دينار، وقد أعيا وتخلَّف عن الإبل، وقوم يسوقونه، فقال معاوية: ما هذا؟ فذُكر له، فقال: اصرفوه بما عليه إلىٰ أبي محمد.

---

(١) رواه أحمد في الزهد ص ١٣٦، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٢٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٤٧، وأبو داود في الزهد ص ٢٨٣.

(٢) رواه هناد في الزهد ١/ ٣٣٧.

(٣) تقريب التهذيب ص ١٠٣.

(وعن واقد بن محمد الواقدي قال: حدثنا أبي) أبو [1] عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، المعروف بالواقدي نسبة إلىٰ جده الأعلىٰ، وهو من موالي بني أسلم، تولَّىٰ قضاء بغداد من قِبَل الرشيد، وولاَّه المأمون قضاء عسكر المهدي، وكان يكرم جانبه، ومات بها. روىٰ عن ابن أبي ذئب ومعمر والأوزاعي ومالك والثوري، وعنه أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن سعد كاتِبه وآخَرون. قال ابن معين: لا يُكتَب حديثه، هو ليس بشيء. وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث، ترك الناس حديثه إلا للاعتبار[2]. وقال ابن الأثير: صنَّف في المغازي وغيرها، وولي قضاء شرقي بغداد، ووُلد سنة ١٣٠، ومات في ذي الحجة سنة ٢٠٧. زاد ابن التَّرَّاب: لثنتي عشرة [ليلة] خلت من ذي الحجة ببغداد **(أنه رفع رقعة إلىٰ المأمون)** عبد الله بن هارون العباسي وهو يومئذٍ خليفة **(يذكر فيها كثرة الدَّين)** بسبب ضائقة لحقته **(وقلة صبره عليه)** وعيَّن مقدارَه في قصته **(فوقَّع المأمون علىٰ ظهر رقعته)** بخطه: **(إنك رجل اجتمع فيك خصلتان: سخاء وحياء، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك)** بتبذير ما ملكتَ **(وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه)** وفي رواية: والحياء حملك علىٰ أن ذكرت لنا بعض دَينك **(وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم)** وهو ضِعف ما سأل، وكان دَينه خمسين ألف درهم **(فإن كنت قد أصبتَ فازدد في بسط يدك، وإن لم أكن قد أصبتُ فجنايتك علىٰ نفسك)** وفي رواية: فإن كنا قصَّرنا عن بلوغ حاجتك فبجنايتك علىٰ نفسك، وإن كنا بلغنا بُغيتك فزِدْ في بسطة يدك، فإن خزائن الله مفتوحة، ويده بالخير مبسوطة **(وأنت حدَّثتني وأنت)** وفي رواية: حين كنت **(علىٰ قضاء الرشيد)** أي لأن الرشيد كان

---

(١) تهذيب الكمال للمزي ٢٦/ ١٨٠ - ١٩٣. الأنساب للسمعاني ٥/ ٥٦٦ - ٥٦٧. لباب الأنساب لابن الأثير ٣/ ٣٥٠. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ٢٠ - ٢٢. معجم الأدباء لياقوت ٦/ ٢٥٩٦ - ٢٥٩٨.

(٢) في الجرح والتعديل: «سألت أبا زرعة عن الواقدي، فقال: ضعيف. قلت: يُكتب حديثه؟ قال: ما يعجبني إلا علىٰ الاعتبار، ترك الناس حديثه».

ولاَّه قضاء شرقي بغداد **(عن محمد بن إسحاق)** بن[1] يسار، أبي بكر المُطَّلبي مولاهم المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلِّس، مات سنة خمسين ومائة، روىٰ له البخاري في التاريخ ومسلم والأربعة. وله ترجمة واسعة في تاريخ الخطيب[2]، وهو أول التراجم في الكتاب **(عن الزهري عن أنس)** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(أن النبي ﷺ قال للزبير بن العوَّام)** بن خويلد بن أسد بن عبد العزَّىٰ بن قصيٍّ بن كلاب، أبو عبد الله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(يا زبير، اعلمْ أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش، يبعث الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ كل عبد بقدر نفقته، فمَن كثَّر كثَّر له، ومن قلَّل قلَّلَ له)** أي[3] مَن وسَّع علىٰ عياله ونحوهم ممَّن عليه مؤنتهم وجوبًا أو ندبًا أدرَّ الله عليه من الأرزاق بقدر ذلك أو أزيَد، ومَن قتر عليهم قُتر عليه. وشاهده الخبر: «إن الله ينزل المعونة علىٰ قدر المؤنة». والخبر الآخَر: «إن لله ملَكًا ينادي كل صباح: اللهم أعطِ كل منفق خلفًا، وأعطِ كل ممسك تلفًا».

قال العراقي[4]: حديث أنس المذكور رواه الدارقطني في المستجاد، وفي إسناده الواقدي عن محمد بن إسحاق عن الزهري بالعنعنة، ولا يصح.

قلت: يشير إلىٰ أن محمد بن إسحاق يدلِّس، كما سبق، فما كان من رواياته كذلك فليس بمقبول عند أهل النقد. وقد رواه الدارقطني أيضًا في الأفراد بلفظ: «إن مفاتيح الرزق متوجِّهة نحو العرش، فينزل الله تعالىٰ علىٰ الناس أرزاقهم علىٰ قدر نفقاتهم، فمن كثَّر كثَّر له، ومَن قلَّل قلَّل له»[5]. وفيه أيضًا عبد الرحمن ابن حاتم المرادي، قال الذهبي[6]: ضعيف. وقد رواه كذلك ابن النجار. ولفظ المصنف

---

(١) تقريب التهذيب ص ٨٢٥.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٧ - ٣٥.

(٣) فيض القدير ٢/ ٥٢٣.

(٤) المغني ٢/ ٩٠٧ - ٩٠٨.

(٥) كنز العمال ٦/ ٣٥٠.

(٦) ديوان الضعفاء والمتروكين ص ٢٤٠.

رواه التيمي في الترغيب[1]، إلا أنه قال: «إلىٰ عباده علىٰ قدر نفقتهم» والباقي سواء.

وروىٰ ابن عدي في الكامل[2] وأبو نعيم في الحلية[3] كلاهما من طريق علي ابن سعيد بن بشير، عن أحمد بن عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير [عن أبيه، عن عبد الله بن محمد بن يحيىٰ بن عروة بن الزبير] عن هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال لي الزبير ابن العوام: مررت برسول الله ﷺ فجبذ عمامتي بيده، فالتفتُّ إليه، فقال: «يا زبير، إن باب الرزق مفتوح من لدن العرش إلىٰ قرار بطن الأرض، فيرزق الله كل عبد علىٰ قدر همَّته ونُهمته». وقد أورده ابن الجوزي[4] في الموضوعات وقال: عبد الله يروي الموضوعات عن الأثبات. وأقرَّه علىٰ ذلك السيوطيُّ في مختصر الموضوعات[5].

(**وأنت أعلم**) هذا من كلام المأمون يخاطب به الواقديَّ تأدُّبًا، كأنه يقول: وأنت أكثر علمًا مني بذلك (**قال الواقدي**): وكنت أُنسيت الحديث (**فوالله لَمذاكرةُ المأمون إياي الحديث**) المذكور (**أحب إليَّ من الجائزة وهي مائة ألف درهم**) وهذه الحكايات ساقها الخطيب في التاريخ[6] مع اختلاف يسير.

وكان الواقدي إمامًا، واسع العلم والرواية، وممَّن روىٰ عنه بشر الحافي، وناهيك به منقبة له. وذكر ابن الجوزي في كتابه الذي وضعه في أخبار بشر[7]: أن

---

(١) الترغيب والترهيب ٢/ ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٥٠٢.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٧٣ عن عبد الله بن محمد بن جعفر عن خاله عبد الله بن محمود بن الفرج عن أبيه عن أبي عثمان سعيد بن العباس الرازي عن أحمد بن عبد الله بن نافع.

(٤) الموضوعات ٢/ ١٧٩.

(٥) اللآلئ المصنوعة ٢/ ٩١.

(٦) تاريخ بغداد ٤/ ٢٩ - ٣٠.

(٧) ونقله عنه اليافعي في مرآة الجنان ٢/ ٢٩، وابن خلكان في وفيات الأعيان ٤/ ٣٤٩، والصفدي في الوافي بالوفيات ٤/ ١٦٩.

بشرًا أخذ عنه رقية الحمَّىٰ، وهي أن يُكتب علىٰ ثلاث ورقات زيتون نهار السبت علىٰ واحدة: جهنم غرثىٰ. وعلىٰ الثانية: جهنم عطشىٰ. وعلىٰ الثالثة: مقرورة. ثم تُجعل في خرقة وتُشد في عضد المحموم الأيسر. قال: سمعت الواقدي يقول: جرَّبته فوجدته نافعًا.

ومما يناسب إيراده هنا ما رواه المسعودي في مروج الذهب(١) والخطيب في التاريخ(٢) - واللفظ للمسعودي - قال الواقدي: كان لي صديقان، أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة، وحضر العيد، فقالت لي امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر علىٰ البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطَّعوا قلبي رحمةً لهم؛ لأنهم يرون صبيان الجيران وقد تزيَّنوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم، وهم علىٰ هذه الحال من الثياب الرثَّة، فلو احْتَلْتَ في شيء نصرفه في كسوتهم. قال: فكتبت إلىٰ صديقي الهاشمي أسأله التوسعةَ عليَّ، فوجَّه إليَّ كيسًا مختومًا ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قراري حتىٰ كتب إليَّ الصديق الآخَر يشكو مثل ما شكوت إلىٰ صاحبي الهاشمي، فوجَّهتُ إليه الكيس علىٰ حاله، وخرجت إلىٰ المسجد وأقمت فيه ليلتين مستحييًا من امرأتي، فلما دخلت عليها استحسنتْ ما كان مني ولم تعنِّفني عليه، فبينا أنا كذلك إذ وافَىٰ صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: اصدقني عمَّا فعلتَ فيما وجَّهتُ به إليك. فعرَّفتُه الخبر علىٰ وجهه، فقال لي: إنك وجَّهت إليَّ وما أملك علىٰ الأرض إلا ما بعثت به إليك. وكتبت إلىٰ صديقنا أسأله المواساة، فوجَّه كيسي بخاتمي. قال الواقدي: فتواسينا الألف درهم فيما بيننا، ثم إننا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك، ونمىٰ الخبر إلىٰ المأمون، فدعاني، فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منا ألفا دينار، وللمرأة ألف دينار.

---

(١) مروج الذهب ٤/ ٢٩.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ٣٠ - ٣١.

(وسأل رجل الحسن بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه (حاجة، فقال له: يا هذا، حق سؤالك إياي يعظُم لديَّ، ومعرفتي بما يجب لك تكبر عليَّ، ويدي تعجز عن نَيْلك) أي إعطائك (بما أنت أهله، والكثير في ذات الله قليل، وما في مِلكي وفاء لشكرك، فإن قَبِلتَ الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتمال والاهتمام بما أتكلَّفه من واجبك فعلتُ) فانظر إلىٰ حُسن هذا الاعتذار الجامع لفنون المعاني، الآخِذ بأساليب الفصاحة (فقال) الرجل: (يا ابن رسول الله، أقبل) الميسور (وأشكر العطية، وأعذر علىٰ المنع. فدعا الحسن بوكيله، وجعل يحاسبه علىٰ نفقاته حتىٰ استقصاها) أي أنهاها إلىٰ آخرها (فقال: هاتِ الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم. فأحضر خمسين ألفًا. قال: فما فعلتَ بالخمسمائة دينار؟ قال: هي عندي. قال: أحضِرْها. فأحضَرَها، فدفع الدراهم والدنانير إلىٰ الرجل) المذكور (وقال: هاتِ مَن يحملها لك. فأتاه بحمَّالين، فدفع إليه) وفي نسخة: إليهما (الحسن رِداءه لكراء الحمل، فقال له مواليه: واللهِ ما عندنا درهم. فقال: ولكن أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم) فانظره كيف اعتذاره وكيف إحسانه رضي الله عنه. وأورده القشيري في الرسالة مختصرًا فقال: وسأل رجل الحسنَ بن علي شيئًا، فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال: ائتِ بحمَّال يحمله لك. فأتىٰ بحمَّال، فأعطاه طيلسانه وقال: يكون كِراء الحمَّال من قِبَلي.

(و) يُحكَىٰ أنه (اجتمع قرَّاء البصرة) أي فقهاؤها (إلىٰ ابن عباس) رضي الله عنهما (وهو عامل البصرة، فقالوا: لنا جارٌ صَوَّام قَوَّام، يتمنَّىٰ كلُّ واحد منا أن يكون مثله) وفي صلاحه (وقد زوج بُنَيَّة له من ابن أخيه، وهو فقير، وليس عنده ما يجهِّزها به. فقام ابن عباس فأخذ بأيديهم فأدخلهم داره، وفتح صندوقًا فأخرج منه ست بُدور) جمع بَدْرة، بالفتح (فقال: احملوها) إليه يستعين بها (فحملوا، فقال ابن عباس: ما أنصفناه، أعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه، ارجعوا بنا نكن أعوانه علىٰ تجهيزها، فليس للدنيا من القدْر ما يشغل مؤمنًا عن عبادة ربه، وما بنا من التكبُّر ما لا نخدم

أولياء الله تعالىٰ. ففعل وفعلوا.

وحُكي أنه لما أجدب الناسُ بمصر) أي أقحطوا وغلت أسعارُها (وعبد الحميد ابن سعد أميرهم، فقال: واللهِ لأعلمنَّ الشيطانَ أني عدوُّه) أي في مخالفته له في البذل والإطعام (فعالَ) أي كفل (محاويجهم) أي فقراءهم، وصرف إليهم ما يحتاجونه (إلىٰ أن رخصت الأسعار) وارتفع الغلاء عنهم (ثم عُزل عنهم، فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم) مما كان يستقرضه منهم في تلك المصاريف (فرهنهم بها حلي نسائه وقيمته خمسمائة ألف ألف درهم، فلما تعذَّر عليه ارتجاعُها كتب إليهم ببيعها ودفعِ الفاضل منها عن حقوقهم) وهو أربعمائة ألف ألف وتسعة وتسعون ألف ألف (إلىٰ مَن لم تَنَلْه صِلاتُه) أي لم تبلغه حالَ كونه بمصر.

(وكان أبو طاهر ابن كثير شيعيًّا، فقال له رجل: بحق علي بن أبي طالب) رضي الله عنه (لَما وهبتَ لي نخلتك) الكائنة (بموضع كذا) وسمَّاه (فقال: قد فعلتُ، وحقه لأعطينَّك ما يليها) أي يتصل بها من الأرض (وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل.

وكان أبو مرثد أحد الكرماء) المشهورين (فمدحه بعض الشعراء، فقال للشاعر: واللهِ ما عندي ما أعطيك، ولكن قدِّمني إلىٰ القاضي، وادَّعِ عليَّ بعشرة آلاف درهم حتىٰ أقرَّ لك بها، ثم احبسني، فإن أهلي لا يتركوني محبوسًا. ففعل ذلك، فلم يُمس حتىٰ دفع إليه عشرة آلاف درهم، وأُخرِج أبو مرثد من الحبس) نقله القشيري في الرسالة.

(وكان معن بن زائدة) بن [عبد الله بن زائدة بن] مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شُراحيل بن مُرة بن همَّام بن مرة بن ذُهل بن شيبان الشيباني الكريم الجواد المشهور (عاملاً علىٰ العراقينِ بالبصرة) عراق العرب وعراق العجم، والبصرة هي القاعدة (فحضر بابَه شاعرٌ، فأقام مدة وأراد الدخول علىٰ معن فلم يتهيَّأ له، فقال يومًا لبعض خدم معن: إذا دخل الأمير البستان فعرِّفْني. فلما دخل الأمير البستان

أعلمَه، فكتب الشاعر بيتًا علىٰ خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل بستان معن، وكان معن) جالسًا (علىٰ رأس الماء، فلما بصرَ بالخشبة أخذها وقرأها، فإذا عليها مكتوب:

أيا جود معن ناجِ معنًا بحاجتي   فما لي إلىٰ معن سواك شفيع

قال) الراوي: (فقال) معن: (مَن صاحب هذه؟ فدُعي بالرجل، فقال له: كيف قلتَ؟ فقاله) أي أنشد ذلك البيتَ (فأمر له بعشر بدور، فأخذها، ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه، فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأ ما فيها، ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم، فلما أخذها الرجل تفكَّر، وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه، فخرج) من البصرة (فلما كان في اليوم الثالث قرأ ما فيها، ودعا بالرجل، فطُلب فلم يوجد، فقال معن: حق عليَّ أن أعطيه حتىٰ لا يبقىٰ في بيت مالي درهم ولا دينار) نقله القشيري في الرسالة.

(وقال أبو الحسن) علي[1] بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف (المدائني) مولىٰ عبد الرحمن بن سمرة القرشي، صاحب التصانيف المشهورة، عالم بأيام الناس، صدوق، صام ثلاثين سنة متتابعة، بصري الأصل، انتقل إلىٰ المدائن، ثم إلىٰ بغداد، يروي عنه الزبير بن بكَّار وأحمد بن أبي خيثمة، ومات بمكة سنة ٢٢٤ وهو ابن ثلاث وتسعين (خرج الحسن والحسين) ابنا علي بن أبي طالب (وعبد الله بن جعفر) بن أبي طالب، ﵃ (حجَّاجًا، ففاتتهم أثقالُهم فجاعوا وعطشوا، فمروا بعجوز في خِباء لها، فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم. فأناخوا إليها، وليس لها إلا شُوَيهة) تصغير شاة (في كسر الخيمة) أي جانبها (فقالت: احلبوها وامتذقوا لبنها) أي اشربوا (ففعلوا ذلك، ثم قالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا، إلا هذه الشاة، فليذبحها أحدكم حتىٰ أهيِّئ لكم ما تأكلون. فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها، ثم هيَّأت لهم طعامًا، فأكلوا، وأقاموا) هناك (حتىٰ أبردوا) أي دخلوا في

---

(١) لباب الأنساب لابن الأثير ٣/ ١٨٢.

برد العشيِّ (فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه) أي بيت الله الحرام (فإذا رجعنا سالمين) إلىٰ المدينة (فألمِّي بنا) أي انزلي عندنا (فإنَّا صانعون بكِ خيرًا. ثم ارتحلوا، وأقبل زوجها، فأخبرتْه بخبر القوم والشاة، فغضب الرجل وقال: ويلكِ! تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش؟! قال: ثم بعد مدة) من الزمن (ألجأتهما الحاجةُ) والاضطرار (إلىٰ دخول المدينة فدخلاها، وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه، فمرَّت العجوز في بعض سكك المدينة، فإذا الحسن بن علي) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (جالس علىٰ باب داره، فعرف العجوزَ، وهي له مُنكِرة) أي لا تعرفه (فبعث) الحسن (إليها غلامه ودعا العجوز، فقال لها: يا أمة الله، أتعرفينني؟ قالت: لا. قال: أنا ضيفك) الذي نزلت بك (يوم كذا وكذا) وأعطىٰ لها الأمارة (فقالت العجوز: بأبي أنت وأمي، أنت هو؟ قال: نعم. ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شاء الصدقة ألف شاة، وأمر لها معها بألف دينار، وبعث معها غلامه إلىٰ) أخيه (الحسين) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (فقال لها الحسين: بكم وصلكِ أخي؟ قالت: بألف شاة وألف دينار. فأمر لها الحسين أيضًا بمثل ذلك، ثم بعث بها مع غلامه إلىٰ عبد الله بن جعفر) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (فقال لها: بكم وصلكِ الحسن والحسين؟ قالت: بألفي دينار وألفي شاة. فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار، وقال لها: لو بدأتِ بي لأتعبتُهما. فرجعت العجوز إلىٰ زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار) هكذا أخرجه المدائني بأسانيده.

(وخرج عبد الله بن عامر بن كريز) بن[1] ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مَناف القرشي العَبْشمي، أبوه من مسلمة الفتح، وعبد الله وُلد في عهد النبي ﷺ. وهو ابن خال عثمان بن عفان؛ لأن أم عثمان هي أروىٰ بنت كريز، وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، واسم أم عبد الله هذا دجاجة بنت أسماء ابن الصلت السُّلمية. مات النبي ﷺ وعمره دون السنتين. وكان جوادًا، شجاعًا،

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ٢٠٤ - ٢٠٥.

ميمونًا. ولاَّه عثمان البصرة بعد أبي موسىٰ الأشعري سنة تسع وعشرين، وضم إليه فارس بعد عثمان بن أبي العاص، فافتتح خُراسان كلَّها وأطراف فارس وسِجِسْتان وكرمان كلها. وأحرم ابن عامر شكرًا لله تعالىٰ من خراسان[1]، وقدم علىٰ عثمان، فلامه علىٰ تغريره بالنسك، وقدم بأموال عظيمة، ففرَّقها في قريش والأنصار. وقُتل عثمان وهو علىٰ البصرة، ثم ولاَّه معاوية البصرة ثلاث سنين، ثم صرفه عنها، فأقام بالمدينة ومات بها سنه ٥٧. وأخباره في الجود كثيرة، وليست له رواية في الكتب الستة (**من المسجد يريد منزله، وهو وحده**) ليس معه أحد (**فقام إليه غلام من ثقيف فمشىٰ إلىٰ جانبه، فقال له عبد الله: ألك حاجة يا غلام؟ فقال: صلاحك وفلاحك، رأيتك تمشي وحدك فقلت: أقيك بنفسي، وأعوذ بالله إن طار بجنابك مكروه**) وفي بعض النسخ: أقيك بنفسي، وأعوذ بالله إن طار بخبائك مكروه (**فأخذ عبد الله بيده ومشىٰ معه إلىٰ منزله، ثم دعا بألف دينار، فدفعها إلىٰ الغلام وقال: استنفِقْ هذه، فنِعم ما أدَّبك أهلُك**) هكذا أخرجه أبو الحسن المدائني في «أخبار الأسخياء».

(**وحُكي أن قومًا من العرب جاؤوا إلىٰ قبر بعض أسخيائهم**) ممَّن كان مشهورًا بالجود (**للزيارة، فنزلوا عند قبره وباتوا عنده، وقد كانوا جاؤوا من سفر بعيد، فرأىٰ رجل منهم في النوم صاحبَ القبر وهو يقول له: هل لك أن تبادل بعيرك ببُخْتيٍّ**) بالضم: نوع من الإبل، ويُجمع علىٰ البُخت والبَخاتي، قال الشاعر:

* لبن البُخْت في قصاع الخَلَنْج[2] *

(**وقد كان خلَّف السخيُّ الميت بختيًّا معروفًا به، ولهذا الرجل بعير سمين، فقال له في النوم: نعم**) أبادله (**فباعه في النوم بعيره**) الذي يركبه (**ببختيه**) الذي خلَّفه

---

(١) في الإصابة: من نيسابور.

(٢) عجز بيت، صدره:

يلبس الجيش بالجيوش ويسقي

وهو لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ص ١٨١ من قصيدة يمدح بها مصعب بن الزبير. وفي الديوان: عساس، بدل: قصاع.

(فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلىٰ بعيره فنحره في النوم، فانتبه الرجل من نومه فإذا الدم يثج) أي ينبعث (من نحر بعيره، فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه، فطبخوه وقضوا حاجتهم من الأكل، ثم رحلوا وساروا، فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم رَكْبٌ، فقال رجل منهم: مَن فلان ابن فلان منكم)؟ وسمَّاه (باسم ذلك الرجل) واسم أبيه (فقال) الرجل: (أنا. فقال: هل بعتَ من فلان ابن فلان شيئًا؟ وذكر) اسم (الميت صاحب القبر) الذي باتوا عنده (قال: نعم، بعتُ منه بعيري ببختيه في النوم. فقال: خذ، هذا بختيه. ثم قال: هو) أي صاحب القبر (أبي، وقد رأيته في النوم وهو يقول لي: إن كنت ابني فادفع بختيَّ إلىٰ فلان ابن فلان. وسمَّاه) أخرجه أبو الحسن المدائني في «أخبار الأسخياء»[١].

(وقَدِم رجل من قريش من السفر، فمر برجل من الأعراب علىٰ قارعة الطريق) أي وسطها (قد أقعده الدهر وأضرَّ به المرضُ، فقال: يا هذا، أعِنَّا علىٰ) نوائب (الدهر. فقال الرجل لغلامه: ما بقي معك من النفقة فادفعْه إليه. فصبَّ الغلام في حِجر الأعرابي أربعة آلاف درهم، فذهب لينهض) أي يقوم (فلم يقدر من الضعف، فبكىٰ، فقال له الرجل: ما يبكيك؟ لعلَّك استقللت ما أعطيناك. قال: لا، ولكن ذكرتُ ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني)[٢] أخرجه أبو الحسن المدائني.

(واشترىٰ عبد الله بن عامر) بن كريز العبشمي القرشي، تقدَّم ذِكره قريبًا (من خالد بن عُقبة بن أبي معيط) بن[٣] أبي عمرو بن أميَّة بن عبد شمس الأموي، أخو الوليد، كان من مسلمة الفتح، ونزل الرقَّة، وبها ولدُه. وذكره صاحب تاريخها[٤]

---

(١) لم يذكر ابن النديم ١/ ١٠٠ أو ياقوت ٤/ ١٨٥٢ كتابًا له بهذا الإسم، وقد ذكرا للمدائني كتبًا عدة، فلعل الزبيدي وقف علىٰ شيء. أو وهم ونسب للمدائني ما ليس له، والله أعلم.

(٢) هذه القصة رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥/ ٥٢ بسياق آخر عن الزبير بن بكار.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٦٥.

(٤) المذكور في تاريخ الرقة لمحمد بن سعيد القشيري ص ٣٢ - ٣٥ (ط - دار البشائر) هو أخوه الوليد، أما خالد فغير مذكور فيه.

فيمن نزلها من الصحابة، وله أثرٌ في حصار عثمان يوم الدار (داره التي في السوق) بالمدينة (بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل سمع عبد الله بكاء أهل خالد، فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون لدارهم. فقال: يا غلام، ائتهم فأعلِمْهم أن الدار والمال لهم جميعًا)[1] أخرجه أبو الحسن المدائني.

(وقيل: أنفذ هارون الرشيد إلىٰ) أبي عبد الله (مالك بن أنس) الإمام (رحمه الله خمسمائة دينار) هدية (فبلغ ذلك الليثَ بن سعد) أبا الحارث الفهمي المصري الفقيه رحمه الله تعالىٰ (فأنفذ إليه ألف دينار، فغضب هارون) لمَّا بلغه ذلك (وقال: أعطيه خمسمائة وتعطيه ألفًا وأنت من رعيتي. فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي من غلَّتي) التي أستغلُّها من أرضي (كل يوم ألف دينار) أي عبرته (فاستحييت أن أعطي مثله) في جلالة قدره (أقل من دخل يوم) نقله محمد بن صالح الأشج. وقال أيضًا: قَدِم منصور بن عمار علىٰ الليث فوصله بألف دينار، واحترق بيت عبد الله بن لهيعة فوصله بألف دينار. وقال شعيب بن الليث: خرجت مع أبي حاجًّا، فقدم المدينةَ، فبعث إليه مالك بطبق رُطب، فجعل علىٰ الطبق ألف دينار وردَّه إليه. وقال ابن وهب: كان الليث يصل مالكًا بمائة دينار في كل سنة، وكتب مالك إليه: إن عليَّ دَينًا. فبعث إليه بخمسمائة دينار. وعنه قال: كتب مالك إلىٰ الليث: إني أجهِّز ابنتي علىٰ زوجها، فابعث إليَّ بشيء من عُصفر. قال: فبعث إليه الليث بثلاثين حِملاً عَصفرًا فصبغ لابنته وباع منه بخمسمائة دينار، وبقيت عنده فضلة (وحُكي أنه لم تجب عليه الزكاة، مع أن دخله كل يوم ألف دينار) وروىٰ محمد بن رمح قال: كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار، ما أوجب الله عليه زكاة درهم قط. وقال شعيب بن الليث: يستغل أبي في السنة ما بين عشرين ألف دينار إلىٰ خمسة وعشرين ألفًا، تأتي عليه السنة وعليه دَين. وقال أبو سعيد ابن يونس: وكانت

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٣١٤ وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص ١٠٨ عن عبد الله ابن محمد الفروي.

غلَّته من قرية قَرْقَشَنْدة: علىٰ أربعة فراسخ من مصر، وبها كانت ولادته[1] **(ورُوي أن امرأة)** فقيرة **(سألت الليث بن سعد شيئًا من عسل)** في سكرجة **(فأمر لها بزق من عسل، فقيل له: إنها كانت تقنع بدون هذا. فقال: إنها سألت علىٰ قدر حاجتها، ونحن نعطيها علىٰ قدر النعمة علينا)** ليتخلَّق[2] بخُلُق الله تعالىٰ، فإنه يعطي للحسنة إذا همَّ بها العبدُ أجرًا، فإذا عملها أعطاه عشرًا إلىٰ سبعمائة، والله يضاعف لمَن يشاء. وهذا في الرسالة القشيرية **(وكان الليث بن سعد)** سريًّا من الرجال، نبيلاً، سخيًّا **(لا يتكلم كل يوم حتىٰ يتصدَّق علىٰ ثلاثمائة وستين مسكينًا)** وله مناقب جمَّة أوردها الذهبي في تاريخ الإسلام[3]، ومنها: قال الحارث بن مسكين: اشترىٰ قوم من الليث ثمرة فاستغلُّوها، فاستقالوه فأقالهم، وأمر لهم بخمسين دينارًا، فقيل له في ذلك، فقال: إنهم قد كانوا أمَّلوا فيه أملاً، فأحببت أن أعوِّضهم من أملهم بهذا[4]. رحمه الله تعالىٰ ونفعنا به.

(وقال) سليمان بن مِهران **(الأعمش)** الكوفي رحمه الله تعالىٰ: **(اشتكت شاة عندي، فكان خيثمة بن عبد الرحمن)** بن[5] أبي سَبْرة الجُعْفي الكوفي، لأبيه وجده صحبة. قال العِجلي[6]: وكان خيثمة رجلاً صالحًا، وكان سخيًّا، ولم ينجُ من فتنة ابن الأشعث بالكوفة إلا رجلان: إبراهيم النخعي وخيثمة. وقد تقدَّم له ذِكرٌ في آداب الصحبة **(يعودها بالغَداة والعشيِّ ويسألني: هل استوفتْ علفها؟ وكيف صبر**

---

(١) عبارة ابن يونس في تاريخ مصر ص ٤١٩: «ولد بقرقشندة: قرية علىٰ نحو أربعة فراسخ من مصر».
قلت: وقرقشندة أو قلقشندة: إحدىٰ قرىٰ مركز طوخ التابع لمحافظة القليوبية.

(٢) إحكام الدلالة بشرح الرسالة لزكريا الأنصاري ٢/ ٧٢٠.

(٣) تاريخ الإسلام ١١/ ٣٠٢ - ٣١٥.

(٤) ما أورده الشارح من أخبار عن سخاء الليث رواه الخطيب في ترجمته من تاريخ بغداد ١٤/ ٥٢٤ - ٥٣٩.

(٥) تهذيب الكمال ٨/ ٣٧٠ - ٣٧٢.

(٦) معرفة الثقات ١/ ٣٣٨ - ٣٣٩.

الصبيان منذ فقدوا لبنَها)؟ قال الأعمش: (وكان تحتي لَبَدٌ أجلس عليه، فإذا خرج قال: خذ ما تحت اللَّبَد) فآخُذه (حتىٰ وصل إليَّ في علَّة الشاة أكثرُ من ثلاثمائة دينار من بِرِّه) وصِلتِه (حتىٰ تمنَّيت أن الشاة لم تبرأ) مات خيثمة [بعد] سنة ثمانين قبل أبي وائل. روىٰ له الجماعة.

(وقال عبد الملك بن مروان) بن الحكم الأموي (لأسماء بن خارجة) بن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزاري، نزيل الكوفة، ابن أخي عيينة بن حصن، لأبيه وعمه صحبة (بلغني عنك خصال، فحدِّثْني بها. فقال: هي من غيري أحسن منها مني. قال) عبد الملك: (عزمت عليك إلا حدثتني بها. قال: يا أمير المؤمنين، ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط، ولا صنعت طعامًا قط فدعوت إليه قومًا إلا كانوا أَمَنَّ عليَّ مني عليهم، ولا نصب لي رجلٌ وجهه قط يسألني شيئًا فاستكثرت شيئًا أعطيته إياه)[1] أخرجه المدائني.

(ودخل سعيد بن خالد) بن[2] عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي، أبو خالد، ويقال له: أبو عثمان، المدني، سكن دمشق، وكانت داره بناحية سوق القمح، وأمه أم عثمان بنت سعيد بن العاص. ذكره ابن حبان في الثقات[3]. روىٰ له مسلم حديثًا واحدًا[4] (علىٰ سليمان بن عبد الملك) بن مروان (وكان سعيد رجلاً جوادًا) ممدوحا. قال الزبير بن بكَّار[5]: كان من أكثر الناس مالاً، وله ولد كثير، وله يقول الفرزدق[6]:

---

(١) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٥٧ عن البختري بن هلال.

(٢) تهذيب الكمال ١٠/ ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٣) الثقات ٦/ ٣٤٩.

(٤) هو حديث (توضؤوا مما مست النار).

(٥) رواه عنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢١/ ٥٥.

(٦) البيتان في ديوانه ص ١٣٩.

وكل امرئ يُرضىٰ وإن كان كاملاً إذا كان نصفًا من سعيد بن خالد
له من قريش طيبوها وفيضها وإن عض كفَّي أمه كلُّ حاسد

(فإن لم يجد شيئًا كتب لمَن سأله صكًّا علىٰ نفسه) والصَّك[1]: الكتاب الذي تُكتب فيه المعاملات والأقارير، وجمعُه: صُكوك وأَصُكٌّ [وصِكاك] وهو فارسي معرَّب، وكانت الأرزاق تُكتب صِكاكًا فتخرج مكتوبة فتُباع، فنُهي عن شراء الصِّكاك **(حتىٰ يخرج عطاؤه)** من الديوان **(فلما نظر إليه سليمان تمثَّل بهذا البيت فقال:**

إني سمعت مع الصباح مناديًا يا من يعين علىٰ الفتىٰ المعوان

ثم قال: ما حاجتك؟ قال: دَيني. قال: وكم هو؟ قال: ثلاثون ألف دينار. قال: لك دَينك ومثله[2])[3] أخرجه أبو الحسن المدائني.

(وقيل: مرض قيسُ بن سعد بن عُبادة) الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه **(فاستبطأ إخوانَه)** الذين كانوا يأتونه **(فقيل: إنهم يستحيون ممَّا لك عليهم من الدَّين. فقال: أخزىٰ الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة. ثم أمر مناديًا فنادىٰ: مَن كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه في حِل. قال)** الواقدي: **(فكُسرت درجته)** من الازدحام **(بالمشي لكثرة مَن زاره وعاده)** نقله القشيري في الرسالة.

(وعن أبي إسحاق) عمرو بن عبد الله الهَمْداني السَّبِيعي الكوفي، مات سنة ١٢٩ **(قال: صليت)** صلاة **(الفجر في مسجد الأشعث)** بن قيس بن معدي كَرِب الكِندي، الصحابي، أبي محمد، نزل الكوفة، وكان سريًّا سخيًّا، مات سنة أربعين،

---

(١) المصباح المنير ص ٣٤٥.

(٢) في المستجاد: «قال ثلاثون ألف درهم. قال: لك دينك ومثله لك معونة علىٰ مروءتك. فقبض المال وشكره وانصرف».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص ١٣٦ بنحوه عن عوانة بن الحكم.

وله دار ومسجد (**بالكوفة أطلب غريمًا لي، فلما صلَّيت وُضع بين يدي حُلَّة ونعلان، فقلت: لست من أهل هذا المسجد. فقيل: إن الأشعث بن قيس الكندي قَدِم البارحة من مكة فأمر لكل مَن صلىٰ في المسجد بحلة ونعلين**) أخرجه المدائني روايةً عن أبي إسحاق. وهو في الرسالة للقشيري بنحوه[١]، ولم يقل: عن أبي إسحاق.

(**وقال الشيخ أبو سعد**) عبد[٢] الملك بن محمد بن إبراهيم (**الخركوشي النيسابوري رحمه الله**) وخَرْكُوش: سكة بنيسابور، الزاهد الواعظ الفقيه الشافعي، رحل إلىٰ العراق والحجاز ومصر، وجالس العلماءَ، وصنَّف التصانيف المفيدة في علوم الشريعة ودلائل النبوة وسِيَر العُبَّاد. روىٰ عن أبي عمرو ابن نجيد السُّلَمي وأبي سهل بشر بن أحمد الأسفراييني، وعنه الحاكم أبو عبد الله وأبو محمد الخَلاَّل، وتفقَّه علىٰ أبي الحسن الماسرجسي، وجاورَ بمكة عدة سنين، وعاد إلىٰ نيسابور، وبذل النفس والمال للغرباء والفقهاء[٣]، وبنىٰ بيمارستانًا ووقف عليه الوقوف الكثيرة. وتوفي سنة ست وأربعمائة بنيسابور (**سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول: سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول: كان بمصر رجل عُرف بأن يجمع للفقراء شيئًا، فوُلد لبعضهم ولدٌ. قال: فجئت إليه فقلت له: وُلد لي مولود، وليس معي شيء. فقام معي، فدخل علىٰ جماعة، فلم يُفتح بشيء، فجاء إلىٰ قبر رجل وجلس عنده وقال: رحمك الله، كنت تفعل وتصنع**) وذكر من أمور الخير (**وإني دُرْت اليوم علىٰ جماعة كلَّفتهم دفع شيء لمولود، فلم يتفق لي شيء. قال: ثم قام وأخرج دينارًا فكسره نصفين وناولني نصفه وقال: هذا دَين عليك إلىٰ أن يُفتح عليك بشيء. قال: فأخذته وانصرفت، فأصلحت ما اتفق لي به. قال: فرأىٰ**)

---

(١) وفيها بعد قوله «من مكة»: «فأمر بهذا لأهل جماعة مسجده. فقلت: إنما جئت أطلب غريما لي ولست من جماعته. فقالوا: هو لكل من حضر». والقصة في: المعجم الكبير للطبراني ١/ ٢٣٧، وتاريخ دمشق ٩/ ١٤١، وتاريخ واسط لبحشل ص ١٤٤.

(٢) لباب الأنساب لابن الأثير ١/ ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٣) في اللباب: والفقراء.

ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال: سمعتُ جميع ما قلتَ، وليس لنا إذن في الجواب، ولكن احضر منزلي، وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويُخرِجوا قرابة فيها خمسمائة دينار، فاحملْها إلىٰ هذا الرجل. قال: فلما كان من الغد تقدَّم إلىٰ منزل الميت وقص عليهم القصةَ، فقالوا له: اجلس. وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاؤوا بها فوضعوها بين يديه، فقال) المحتسب: **(هذا مالكم، وليس لرؤياي حكم. فقالوا: هو يتسخَّىٰ ميتًا ولا نتسخَّىٰ نحن أحياء، فلما ألحُّوا عليه حمل الدنانير إلىٰ الرجل صاحب المولود وذكر له القصة. قال: فأخذ منها دينارًا وكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخَر وقال: يكفيني هذا، وتصدَّق به علىٰ الفقراء. قال أبو سعد: فلا أدري أيّ هؤلاء أسخىٰ)** الميت، أم أولاده، أم المحتسب، أم صاحب المولود. والذي يظهر أن صاحب المولود أسخىٰ هؤلاء، فإنه جاد وآثر مع شدة احتياجه.

وممَّا يشبه هذه الحكاية ما حكىٰ(١) أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ الكاتب قال: كنت عند الوزير أبي محمد المهلَّبي ذات يوم، فدخل الحاجب فاستأذن للشريف المرتضىٰ الموسوي، فأذن له، فلما دخل قام إليه وأكرمه وأجلسه معه في دسته، وأقبل عليه يحدِّثه، فلما فرغ من حكايته ومهمَّاته قام، فقام إليه وودَّعه وخرج، فلم يكن إلا ساعة حتىٰ دخل الحاجب واستأذن للشريف الرضي أخيه، وكان الوزير قد ابتدأ بكتابة رقعة، فألقاها، وقام كالمندهش حتىٰ استقبله من دهليز الدار، وأخذ بيده، وأعظمَه، وأجلسه معه في دسته، ثم جلس بين يديه متواضعًا، وأقبل عليه بمجامعه، فلما خرج الرضي خرجَ معه يشيِّعه إلىٰ باب الدار، ثم رجع، فلما خفَّ المجلسُ قلت: أيأذن الوزير أعزَّه الله أن أسأل عن شيء؟ قال: نعم، وكأنِّي بك تسأل عن زيادتي في إعظام الرضي علىٰ أخيه المرتضىٰ، والمرتضىٰ

---

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لجمال الدين أحمد بن علي ابن عنبة الحسني ص ١٩٠ (ط - المكتبة الحيدرية).

أسن وأعلم. فقلت: نعم، أيَّد الله الوزيرَ. فقال: اعلمْ أنَّا أمرنا بحفر النهر الفلاني، وللشريف المرتضىٰ علىٰ ذلك النهر ضيعة، فتوجَّه عليه مقدار ستة عشر درهمًا أو نحوه، فكاتبَني بعدَّة رِقاع يسأل في تخفيف ذلك المقدار عنه، وأما أخوه الرضي فبلغني أنه ذات يوم قد وُلد له غلام، فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار، فردَّه وقال: قد علم الوزير أني لا أقبل من أحد شيئًا. فرددته إليه وقلت: إنما أرسلته للقوابل. فردَّه الثانية وقال: قد علم الوزير أنه لا تقبل نساؤنا غريبة. فرددته إليه وقلت: يفرِّقه الشريف علىٰ ملازميه من طلاب العلم. فلما جاء الطبق وحوله طلاب العلم قال: ها هم حضور، فليأخذ كل واحد منهم ما يريد. فقام رجل منهم وأخذ دينارًا فقرض من جانبه قطعة وأمسكها ورد الدينار إلىٰ الطبق، فسأله الشريف عن ذلك، فقال: إني احتجت إلىٰ دهن السراج ليلةً، ولم يكن الخازن حاضرًا، فاقترضت من فلان البقَّال دهنًا للسراج، فأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه [عوض دهنه]. وكان طلبة العلم الملازمون للشريف في دار قد اتخذها لهم سمَّاها: دار العلم، وعيَّن لهم جميع ما يحتاجون إليه، فلما سمع الرضي ذلك أمر في الحال بأن يُتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويُدفع إلىٰ كلٍّ منهم مفتاح؛ ليأخذ ما يحتاج إليه ولا ينتظر خازنًا [يعطيه] وردَّ الطبقَ علىٰ هذه الصورة، فكيف لا أعظِّم مَن هذه حالُه.

(ورُوي أن الشافعي رحمه الله تعالىٰ لمَّا مرض مرض موته بمصر قال) في وصيَّته: **(مُروا فلانًا يغسِّلني)** وعنىٰ به محمدَ بن عبد الله بن عبد الحكم **(فلما توفي بلغه خبر وفاته، فحضر وقال: ائتوني بتذكرته)** أي دفتر حسابه. قال: **(فأُتي بها، فنظر فيها فإذا علىٰ الشافعي)** رحمه الله تعالىٰ **(سبعون ألف درهم دَينًا، فكتبها علىٰ نفسه)** لأربابها **(وقضاها عنه وقال: هذا غسلي إياه. أي أراد به هذا)** أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي **(قال أبو سعد الواعظ الخركوشي)** رحمه الله، المتقدم ذِكره قريبًا **(لمَّا قدمتُ مصر طلبت منزل ذلك الرجل، فدلُّوني عليه، فرأيت جماعة من أحفاده)** أي من ذرِّيته **(وزرتهم، فرأيت فيهم سيما الخير وآثار الفضل، فقلت:**

بلغ أثرُه في الخير إليهم، وظهرت بركته فيهم. مستدلاً بقوله تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢] أي فالصلاح يؤثِّر إلىٰ سابع الولد.

(وقال الشافعي رحمه الله تعالىٰ: لا أزال أحب حمَّاد بن أبي سليمان) الأشعري مولاهم، أبا إسماعيل الكوفي، واسم أبيه مسلم، فقيه، صدوق، وهو شيخ الإمام أبي حنيفة، مات سنة عشرين [ومائة][1] **(لشيء بلغني عنه: أنه كان ذات يوم راكبًا حماره، فحرَّكه فانقطع زره)** أي زر قميصه **(فمر علىٰ خياط، فأراد أن ينزل إليه ليسوِّي زره، فقال الخياط: واللهِ لا نزلتَ. فقام الخياط إليه فسوَّىٰ زره، فأخرج)** حماد **(إليه صرَّة فيها عشرة دنانير فسلَّمها إلىٰ الخياط، واعتذر إليه من قلَّتها)**[2] وهذا من المروءة والسخاء.

وقال الصلت بن بسطام: كان حماد يفطِّر كل ليلة في رمضان خمسين إنسانًا، فإذا كانت ليلة الفطر كساهم ثوبًا ثوبًا[3].

(وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه:

يا لهف نفسي علىٰ مال أفرِّقه ... علىٰ المقلِّين من أهل المروءات

إن اعتذاري إلىٰ مَن جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدىٰ المصيبات)

أوردهما البيهقي في مناقبه[4].

(وعن الربيع بن سليمان) المُرادي، تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(قال:**

---

(١) هذا التعريف بحماد نقله الزبيدي عن تقريب التهذيب لابن حجر ص ٢٦٩، عدا قوله (وهو شيخ الإمام أبي حنيفة).

(٢) رواه البيهقي في مناقب الشافعي ٢/ ٢٣٢.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان ص ٢٢١، وقوام السنة في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٥٥، وأبو نعيم في تاريخ أصفهان ١/ ٢٨٩. زاد ابن أبي الدنيا في آخره: وأعطاهم مائة مائة. وبنحوه رواه ابن عدي في الكامل ٢/ ٦٥٥.

(٤) مناقب الشافعي ٢/ ٨٠. والبيتان في ديوان الشافعي ص ٥٨ (ط - دار الكتاب العربي).

أخذ رجل برِكاب الشافعي رحمه الله تعالىٰ، فقال: يا ربيع، أعطِه أربعة دنانير واعتذِرْ إليه عني) أخرجه البيهقي في مناقبه[١].

(وقال الربيع: سمعت) عبد الله بن الزبير بن عيسىٰ القرشي الأسدي (الحُمَيدي) المكي، تقدمت ترجمتُه في كتاب العلم (يقول: قَدِم الشافعيُّ) رحمه الله تعالىٰ (من صنعاء) اليمن (إلىٰ مكة بعشرة آلاف دينار، فضرب خباءه في موضع خارجًا من مكة فنثرها علىٰ ثوب، ثم أقبل علىٰ كل مَن دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه، حتىٰ صلىٰ الظهر، ونفض الثوبَ وليس عليه شيء) رواه البيهقي في مناقبه[٢]، وتقدم في كتاب العلم.

(وعن أبي ثور) إبراهيم بن خالد الكلبي الفقيه، تقدَّمت ترجمته في كتاب العلم (قال: أراد الشافعي) رحمه الله (الخروج إلىٰ مكة، ومعه مال، وكان قلَّما يمسك شيئًا من سماحته) أي جوده وسخائه (فقلت له: ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة) أي عقارًا (تكون لك ولولدك) من بعدك (قال: فخرج، ثم قدم علينا) مصرَ (فسألته عن ذلك المال، فقال: ما وجدتُ بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها، وقد وُقِف أكثرها) علىٰ وجوه البر (ولكني بنيت بمِنىٰ مضربًا يكون لأصحابنا إذا حجُّوا أن ينزلوا فيه) أخرجه الحاكم والبيهقي[٣] والآبري في مناقبه.

(وأنشد الشافعي) رحمه الله (لنفسه يقول:

أرىٰ نفسي تتوق إلىٰ أمور ... يقصُر دون مبلغهنَّ مالي

فنفسي لا تطاوعني لبخل ... ومالي لا يبلِّغني فِعالي)

---

(١) مناقب الشافعي ٢/ ٢٢٠.

(٢) السابق ٢/ ٢٢٠، وفيه بعد قوله «خارجا من مكة»: «فكان الناس يأتونه، فما برح حتىٰ ذهبت كلها».

(٣) السابق ٢/ ٢٢٤.

أوردهما البيهقي في مناقبه(١).

(**وقال محمد بن عبَّاد المهلَّبي**) من ولد المهلَّب بن أبي صُفرة: (**دخل أبي**) هو أبو(٢) معاوية عباد بن عباد بن حبيب بن المهلَّب بن أبي صُفرة الأزدي العَتَكي البصري. كان رجلاً عاقلاً أديبًا، وثَّقه ابن معين. وقال أبو حاتم: صدوق، لا بأس به. وقال ابن سعد: كان معروفًا بالطب، حسن الهيئة، ولم يكن بالقوي في الحديث. مات ببغداد سنة ١٧٩(٣). روىٰ له الجماعة. وجده حبيب بن المهلب يكني أبا بِسطام، قُتل مع أخيه يزيد سنة اثنتين ومائة مع بقية إخوته وأهل بيته، وكان ذلك بقصر بابل. ووالده المهلَّب أول مَن عقد له اللواءَ أميرُ المؤمنين علي رضي الله عنه بعد وقعة الجمل وهو يومئذٍ ابن ست وعشرين سنة. وأبوه أبو صُفرة أسلم علىٰ يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأقام بالبصرة، وصار كأهلها، وعقبُه بها (**علىٰ المأمون**) العباسي (**فوصله بمائة ألف درهم، فلما قام من عنده تصدَّق بها، فأُخبِر بذلك المأمون، فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، منعُ الموجود سوء ظن بالمعبود. فوصله بمائة ألف أخرىٰ**)(٤).

---

(١) السابق ٢/ ٨١. والبيتان في ديوان الشافعي ص ١٢٤ (ط - دار الكتاب العربي) نقلا عن الإحياء ومناقب البيهقي. وهما غير موجودين في الطبعات الأخرىٰ، والظاهر أنهما ليسا من إنشاء الشافعي، وإنما تمثل بهما، وقد نسبهما ابن قتيبة في عيون الأخبار ١/ ٤٦٣ والمرزوقي في شرح ديوان الحماسة ص ٨٣١ (ط - دار الكتب العلمية) وابن المستوفي في تاريخ أربيل ص ٥٧ (ط- وزارة الثقافة والإعلام العراقية) لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر. ونسبهما الراغب في محاضرات الأدباء ١/ ٥٠٤ للطرماح، وليسا في ديوانه.

(٢) تهذيب الكمال ١٤/ ١٢٨ - ١٣٢. التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٤٠. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٩/ ٢٩١، ٣٢٩. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٨٣. العلل ومعرفة الرجال ١/ ٣٧٩.

(٣) في تهذيب الكمال: «قال ابن سعد: توفي سنة إحدىٰ وثمانين ومائة. وكذا قال ابن جرير الطبري. وقال إبراهيم بن زياد سبلان ومحمد بن المثنىٰ وأبو داود: سنة ثمانين ومائة. وقال البخاري: قال سليمان بن حرب: مات قبل حماد بن زيد بستة أشهر، ومات حماد في رمضان سنة تسع وسبعين ومائة. ثم ذكر قول إبراهيم بن زياد وقال: هذا أشبه عندي مما قال سليمان بن حرب».

(٤) هذه القصة رواها الخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٦٤٧ - ٦٤٨ بسياق آخر، وفيها أن صاحب القصة هو محمد بن عباد وليس أباه.

وقام رجل إلىٰ سعيد بن العاص فسأله، فأمر له بمائة ألف درهم، فبكىٰ، فقال له سعيد: ما يبكيك؟ قال: أبكي علىٰ الأرض أن تأكل مثلك. فأمر له بمائة ألف أخرىٰ[1].

ودخل أبو تمام) حبيب[2] بن أوس بن الحارث بن قيس الشاعر الطائي، كان في حداثته يسقي الماء بجامع مصر، ثم خالط الأدباء، وقال [الشعر] فأجاد، وسار شعره في البلاد، ومدح الخلفاء، وعاشر العلماء، وهو موصوف بالظُّرف وكرم النفس، وولاَّه الحسن بن وهب بريد الموصل [فأقام] نحو سنتين، ومات بها سنة ٢٣١، وكانت ولادته سنة تسعين ومائة **(علىٰ إبراهيم ابن شكلة)** وهو إبراهيم بن المهدي بن المنصور العباسي، نُسب إلىٰ أمه شكلة، وهي أم ولد من مولَّدات المدينة، وُلد سنة ١٦٢، وله مع المأمون أخبار وواقعات، وكان سريًّا ممدَّحًا سخيًّا[3] **(بأبيات امتدحه بها، فوجده عليلاً، فقَبِل منه المدحة، وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال: عسىٰ أن أقوم من مرضي فأكافئه. فأقام شهرين، فأوحشه طول المقام، فكتب إليه يقول:**

إن حرامًا قبول مدحتنا ... وترك ما نرتجي من الصفد

كما الدنانير بالدراهم في البيـ ... ـع حرام إلا يدًا بيد)

والصَّفَد محرَّكة: العطاء. وأشار بقوله «إلا يدًا بيد» إلىٰ الخبر: «الذهب بالذهب ربا إلا ها وها، والورِق بالورِق ربا إلا ها وها»، وقد تقدم في باب الربا من آداب الكسب **(فلما وصل إلىٰ إبراهيم البيتان قال لحاجبه: كم أقام بالباب؟ قال:**

---

(١) هكذا جاءت هذه الحكاية في هذا الموضع، وقد تقدم نحوها قريبا، ولم يذكرها الزبيدي في نسخة الشرح، فكأنها في بعض نسخ الإحياء دون بعض.

(٢) لباب الأنساب ٢/ ٢٧١.

(٣) انظر: الأعلام للزركلي ١/ ٥٩ - ٦٠.

شهرين. قال: أعطِه ثلاثين ألفًا، وجئني بدواة. فكتب إليه) هذه الأبيات[(١)]:

(أعجلتنا فأتاك عاجلُ بِرِّنا ... قلا ولو أمهلتنا لم نقلل

فخذ القليلَ وكن كأنك لم تَسَلْ ... ونكون نحن كأننا لم نفعل[(٢)]

ويُروَىٰ أنه كان لعثمان) بن عفان (علىٰ طلحة) بن عبيد الله (ﷺ خمسون ألف درهم) دَينًا (فخرج عثمان يومًا إلىٰ المسجد، فقال له طلحة: قد تهيَّأ مالُك، فاقبضْه. فقال: هو لك يا أبا محمد معونةً لك علىٰ مروءتك)[(٣)] وكان طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يلقَّب بالفيَّاض لكثرة سخائه، فقد روىٰ أحمد في الزهد[(٤)] من طريق عوف عن الحسن قال: باع طلحة أرضًا له بسبعمائة ألف، فبات ذلك المالُ عنده ليلةً، فبات أرِقًا من مخافة ذلك المال حتىٰ أصبح ففرَّقه.

وفي مسند الحميدي[(٥)] من طريق الشعبي عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة، فما رأيت رجلاً أعطىٰ لجزيل مالٍ من غير مسألة منه.

(وقالت سُعْدَىٰ) بضم السين المهملة، والألف مقصورة (بنت عوف) بن[(٦)] خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرية، زوج طلحة بن عبيد الله، نسبها هكذا رواه

---

(١) الصواب أن يقال: فكتب إليه هذين البيتين. إلا علىٰ رأي من يقول: أقل الجمع اثنان.

(٢) هذه القصة ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد ١/ ٢٠٨ مختصرة، ولكن فيه أن صاحب القصة هو الحسن بن وهب وليس ابن شكلة. غير أن كثيرا من المصادر تذكر أن هذه القصة وقعت بين دعبل الشاعر وعبد الله بن طاهر بن الحسين». كما روىٰ أبو الفرج في الأغاني ٢٠/ ١٠٦ - ١٠٧ عن عمر بن عبد الله أبي حفص النحوي مؤدب آل طاهر.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق ص ١٢٧، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق ٢/ ٢٧٨، والطبري في تاريخه ٤/ ٤٠٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥/ ١٠٣ - ١٠٤. كلهم عن موسىٰ بن طلحة بن عبيد الله.

(٤) الزهد ص ١١٩.

(٥) الأثر ليس في مسند الحميدي، وإنما رواه أبو نعيم من طريقه في حلية الأولياء ١/ ٨٨.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ١٢/ ٣٠١ - ٣٠٢.

ابن منده، وقال أبو عمر في الاستيعاب[1]: سعدىٰ بنت عمرو. قال الحافظ: والأول أولىٰ. روت عن النبي ﷺ وعن زوجها وعن عمر، روىٰ عنها ابنها يحيىٰ وابن ابنها طلحة بن يحيىٰ ومحمد بن عمران الطلحي. وقد خالف ابنُ حبان فذكرها في ثقات التابعين[2]، قال الحافظ: ومَن يسمع من عمر بعد وفاة النبي ﷺ بأيام وهي زوج طلحة فهي صحابية لا محالة (**دخلت علىٰ طلحة، فرأيت منه ثقلاً، فقلت له: ما لك؟ فقال: اجتمع عندي مال، وقد غمَّني. فقلت: وما يغمُّك؟ ادْعُ قومك. فقال: يا غلام، عليَّ بقومي. فقسمه فيهم**) أخرجه أبو نعيم في الحلية[3] فقال: حدثنا الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا علي بن عبد الله المديني. ح. وحدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، قالا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن طلحة بن يحيىٰ بن طلحة، حدثتني جدتي سعدىٰ بنت عوف المرية – وكانت محل إزار طلحة – قالت دخل طلحة عليَّ ذات يوم وهو خائر النفس – وقال قتيبة: دخل عليَّ طلحة ورأيته مغمومًا – فقلت: ما لي أراك كالح الوجه؟ وقلت: ما شأنك؟ أرابَك مني شيء فأعتبك؟ قال: لا، ولنِعم، حليلة المرء المسلم أنتِ. قلت: فما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثر وكربني. قلت: وما عليك؟ اقسمْه. قالت: فقسمه حتىٰ ما بقي منه درهم (**فسألت الخادم: كم كان**)؟ ولفظ الحلية: قال طلحة بن يحيىٰ: فسألت خازن طلحة: كم كان المال؟ (**قال: أربعمائة ألف**) وقال أبو نعيم أيضًا: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان، عن طلحة بن يحيىٰ، عن سعدىٰ بنت عوف قالت: كانت غلَّة طلحة كل يوم ألفًا وافيًا، وكان يسمَّىٰ: طلحة الفيَّاض. وقد رواه سفيان أيضًا عن عمرو – يعني ابن دينار – مثله. ومن طريق الأصمعي، حدثنا نافع بن أبي نعيم، عن

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٥٣١.

(٢) الثقات ٤/ ٣٥١.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٨٨.

محمد ابن عمران، عن سعدىٰ بنت عوف: لقد تصدَّق طلحة يومًا بمائة ألف درهم ثم حبسه عن الرواح إلىٰ المسجد أن جمعت له بين طرفَي ثوبه.

(وجاء أعرابي إلىٰ طلحة) رضي الله عنه **(فسأله وتقرَّب إليه برحم**[١]**، فقال: إن هذه الرحم ما سألني بها قبلك أحدٌ، إن لي أرضًا قد أعطاني بها عثمان)** بن عفان **(ثلاثمائة ألف، فإن شئتَ فاقبضها، وإن شئت بعتُها من عثمان ودفعت إليك الثمن. فقال: الثمن. فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن**[٢]**)**.

وقيل: بكىٰ علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه يومًا، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهانني) نقله القشيري في الرسالة.

(وأتىٰ رجل صديقًا له، فدقَّ عليه الباب، فقال: ما جاء بك؟ قال: عليَّ أربعمائة درهم دَينًا) وفي نسخة: دَين. قال: **(فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه، وعاد يبكي، فقالت امرأته: لِمَ أعطيتَه إذ شقَّ عليك)** إذ ظننت أنه إنما بكىٰ لأجل ذلك **(فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقَّد حاله حتىٰ احتاجَ إلىٰ مفاتحتي)** نقله القشيري في الرسالة.

---

(١) بعده في المستجاد: «فقال له طلحة: وما رحمك؟ قال: تجمع بيننا النسبة التي بيننا وبينك إلىٰ آدم عليه السلام. فقال: إن هذه الرحم ...» الخ.

(٢) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات ص ٣٥١ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٥/ ٩٩ عن علي بن زيد بن جدعان.

بيـان ذم البخــل

وهو إمساك المقتنيات عمَّا لا يحق حبسُها عنه، ويقابله الجودُ[١]. والبخل ثمرة الشُّح، والشح يأمر بالبخل (قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾) [الحشر: ٩، التغابن: ٦١] والشح بخلٌ مع حرص. وهو[٢] ضد الإيثار، فإن المؤثِر علىٰ نفسه تارك لِما هو محتاج إليه، والشحيح حريص علىٰ ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شح عليه وبخل بإخراجه، فالبخل ثمرة الشح، والشح يأمر بالبخل، والبخيل مَن أجاب داعي الشح، والمؤثِر مَن أجاب داعي الجود والسخاء والإحسان.

(وقال) الله (تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾) [آل عمران: ١٨٠].

ثم البخل ضربان: بخل بمقتنيات نفسه، وبخل بمقتنيات غيره، وهو أكثرهما ذمًّا (و) علىٰ ذلك (قال) الله (تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ ﴾ [النساء: ٣٧].

وقال ﷺ: إياكم والشُّح، فإنه أهلك مَن كان قبلكم) من الأمم (**حملهم علىٰ أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم**) قال العراقي[٣]: رواه مسلم[٤] من حديث جابر بلفظ: «واتَّقوا الشح، فإن الشح ...» الحديث. ولأبي داود[٥] والنسائي في

---

(١) إلىٰ هنا ذكره الراغب في المفردات ص ٣٨.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٢٩١ (ط - دار الكتاب العربي).

(٣) المغني ٢/ ٩٠٨.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٩.

(٥) سنن أبي داود ٢/ ٣٨٩.

الكبرىٰ[١] وابن حبان[٢] والحاكم[٣] وصحَّحه من حديث عبد الله بن عمروٍ: «إياكم والشح، فإنما هلك مَن كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا». انتهىٰ.

قلت: ورواه ابن جرير في التهذيب[٤] من حديث ابن عمرو بلفظ: «إياكم والشح، فإنما أهلك مَن كان قبلكم الشحُّ، أمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا».

(**وقال ﷺ: إياكم والشح، فإنه دعا مَن كان قبلكم فسفكوا دماءهم، ودعاهم فاستحلُّوا محارمهم، ودعاهم فقطعوا أرحامهم**)[٥] قال العراقي[٦]: رواه الحاكم[٧] من حديث أبي هريرة بلفظ «حُرماتهم» مكان «أرحامهم»، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم. انتهىٰ.

قلت: ورواه ابن جرير في التهذيب[٨] بلفظين، الأول: «إياكم والشح، فإنه أهلك مَن كان قبلكم من الأمم، دعاهم فسفكوا دماءهم، ودعاهم فقتلوا أولادهم». والثاني: «إياكم والبخل، فإن البخل دعا قومًا فمنعوا زكاتهم، ودعاهم فقطعوا أرحامهم، ودعاهم فسفكوا دماءهم».

(**وقال ﷺ: لا يدخل الجنة**) أي[٩] مع الداخلين في الرعيل الأول من غير

---

(١) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٢٩٥.

(٢) صحيح ابن حبان ١١/ ٥٧٩.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥١، ٥٧٥.

(٤) تهذيب الآثار - مسند عمر ص ١٠٥ - ١٠٧.

(٥) الخرائطي في مساوئ الأخلاق (٣٤٢) وهو لفظ الغزالي.

(٦) المغني ٢/ ٩٠٨.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٢.

(٨) تهذيب الآثار - مسند عمر ص ١٠٥.

(٩) فيض القدير ٦/ ٤٤٨ - ٤٤٩.

عذاب ولا بأس، أو لا يدخلها حتىٰ يعاقَب بما اجترحه (**بخيل**) أي مَن هو البخل صفة لازمة له وتكرَّر منه ذلك (**ولا خب**) بفتح الخاء وبكسرها، وهو الخدَّاع الذي يفسد بين المسلمين بالخِدَع (**ولا خائن، ولا سيِّئ المَلَكة**) أي التدبير في أمور معاشه ومَن ملكت يمينه (**وفي رواية: ولا جبَّار. وفي رواية: ولا منَّان**) قال العراقي[1]: رواه أحمد[2] والترمذي[3] وحسَّنه من حديث أبي بكر، واللفظ لأحمد دون قوله «ولا منَّان»، فهي عند الترمذي. ولابن ماجه[4]: «لا يدخل الجنة سيئ الملكة». انتهىٰ.

قلت: لفظ أحمد فيه زيادة بعد قوله «ولا سيئ الملكة»: «وأول من يَقرع باب الجنة المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين الله، وفيما بينهم وبين مواليهم». وعند أبي داود الطيالسي[5]: «لا يدخل الجنة خبٌّ ولا خائن». ورواه الخطيب في كتاب البخلاء[6] وابن عساكر في التاريخ[7] بلفظ: «لا يدخل الجنة خب، ولا بخيل، ولا لئيم، ولا منَّان، ولا خائن، ولا سيئ الملكة، وإن أول من يقرع باب الجنة المملوك والمملوكة، فاتقوا الله، وأحسِنوا فيما بينكم وبين الله، وفيما بينكم وبين مواليكم». وعند أحمد أيضًا: «لا يدخل الجنة بخيل، ولا خب، ولا منَّان، ولا سيئ الملكة، وأول من يدخل الجنة المملوك إذا أطاع الله وأطاع سيده». وهذا اللفظ قد رواه أيضًا الخرائطي في مساوئ الأخلاق[8] من حديث أنس. ولفظ الترمذي

---

(١) المغني ٢/ ٩٠٨.

(٢) مسند أحمد ١/ ١٩١، ٢٠٩، ٢٣٧. وفيه قوله (ولا منان).

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٤٩٨، ٥١١.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٧١.

(٥) مسند الطيالسي ١/ ١٠ - ١١.

(٦) البخلاء ص ٦٦ حتىٰ قوله (ولا سيئ الملكة).

(٧) تاريخ دمشق ١٤/ ٢٦٥.

(٨) مساوئ الأخلاق ص ١١٥، ٣١٩ بلفظ: «لا يلج حائط القدس المدمن الخمر، ولا العاق والديه، ولا المنان عطاءه».

من حديث أبي بكر: «لا يدخل الجنة خب، ولا بخيل، ولا منان». ورواه كذلك أبو يعلىٰ[١]، وضعَّفه المنذري[٢]. وقد ثبت لفظ «ولا منَّان» في أخبار كثيرة: عن نافع مولىٰ رسول الله ﷺ، كما عند الحسن بن سفيان والطبراني وابن منده وابن عساكر[٣]. وعن ابن عمرو، كما عند النسائي[٤] وابن جرير[٥]. وعن أبي سعيد الخدري، كما عند أحمد[٦] وأبي يعلىٰ[٧] والبيهقي[٨]. وعن أبي زيد الجرمي، كما عند الطبراني[٩]. وعن أبي أمامة، كما عند الطيالسي[١٠]. وعن عبد الله بن عمرو، كما عند ابن جرير والخطيب[١١]. وعن ابن عباس، كما عند الطبراني[١٢] والخرائطي[١٣]. وأما قوله «لا يدخل الجنة سيئ الملكة» فقد رواه الطيالسي[١٤] والترمذي - وقال: حسن غريب - وابن ماجه والدارقطني في الأفراد من حديث أبي بكر. وعند أحمد والترمذي[١٥] من طريق أخرىٰ وحسَّنه والخرائطي[١٦] بزيادة: قال

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٩٥.

(٢) بل حسَّنه. الترغيب والترهيب ص ٧٥٧.

(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٢٨٥.

(٤) سنن النسائي ص ٨٥٠.

(٥) تهذيب الآثار / مسند علي ص ١٨٧ - ١٨٩.

(٦) مسند أحمد ١٧/ ١٧٨، ٣٢٠، ٤٨٦، ١٨/ ٣٠٥.

(٧) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٣٩٤.

(٨) السنن الكبرىٰ ٨/ ٥٠١.

(٩) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٧٢.

(١٠) مسند الطيالسي ٢/ ٤٥٢.

(١١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٠، ١٤/ ١٥٨.

(١٢) المعجم الكبير ١١/ ٩٩، ١٠٠.

(١٣) مساوئ الأخلاق ص ١١٧، ٢٥٤، ٣١٩.

(١٤) هذا اللفظ ليس عند الطيالسي، وإنما عنده اللفظ الذي مر قريبا: «لا يدخل الجنة خب ولا خائن».

(١٥) هذه الزيادة ليست عند الترمذي.

(١٦) مكارم الأخلاق ص ٢١٦.

رجل: يا رسول الله، أليس أخبرتَنا أن هذه الأمة أكثرها[١] مملوكين وأيتامًا؟ قال: «بلىٰ، فأكرِموهم كرامة أولادكم، وأطعِموهم مما تأكلون». ولم أجد رواية «ولا جبار»، إلا أن يكون بمعنىٰ المتكبِّر، فقد روىٰ مسلم[٢] من حديث ابن مسعود: «لا يدخل الجنة مَن كان في قلبه ذرَّة من كبر ...» الحديث. ومعنىٰ هذه الأخبار: لا يدخل الجنة مع هذه الخصلة حتىٰ يطهر منها، إما بتوبة في الدنيا، أو بالعفو، أو بالعذاب بقدْره. قال التوربشتي[٣]: هذا هو السبيل في تأويل أمثال هذه الأحاديث لتوافق أصولَ الدين، وقد هلك بحب التمسك بظواهر أمثال هذه النصوص الجمُّ الغفير من المبتدعة، ومَن عرف وجوه القول وأساليب البيان من كلام العرب هان عليه التخلُّصُ بعون الله تعالىٰ من تلك الشُّبَه.

(**وقال ﷺ: ثلاث**) خصال (**مهلكات: شُح مطاع، وهوىٰ متبَع، وإعجاب المرء بنفسه**) وثلاث منجيات: العدل في الغضب والرضا، وخشية الله في السر والعلانية. رواه أبو الشيخ في التوبيخ والطبراني في الأوسط أيضًا من حديث أنس، ورواه الطبراني في الأوسط أيضًا من حديث ابن عمر بزيادة: «وثلاث كفَّارات وثلاث درجات». وقد تقدم قريبًا، وأيضًا في كتاب العلم.

(**وقال ﷺ: إن الله يبغض ثلاثة: الشيخ الزاني، والبخيل المنَّان**) بعطائه (**والمعيل**) أي ذا العيال (**المختال**) أي المتكبِّر. قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] والنسائي[٦] من حديث أبي ذر دون قوله «البخيل المنَّان»، وقالا فيه: «والغني

---

(١) في مسند أحمد: أكثر الأمم.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٥.

(٣) الميسر في شرح مصابيح السنة ٢/ ٤٤٠.

(٤) المغني ٢/ ٩٠٩.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ٣٥٢.

(٦) سنن النسائي ص ٤٠١.

الظلوم». وقد تقدم[(١)]. وللطبراني في الأوسط[(٢)] من حديث علي: «إن الله لَيبغضُ الغنيَّ الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال». وسنده ضعيف. انتهىٰ.

قلت: حديث أبي ذر رواه أيضًا أحمد[(٣)] وابن حبان[(٤)] والضياء بلفظ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة، يبغض الشيخ الزاني والفقير المختال والمُكثِر البخيل، ويحب ثلاثة ...» الحديث. ورواه الطيالسي[(٥)] والطبراني[(٦)] والحاكم[(٧)] والبيهقي[(٨)] والضياء أيضًا بلفظ: «إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة ...» فساقوا الحديث، وفيه: «والثلاثة الذين يبغضهم الله: البخيل المَنَّان، والمختال الفخور، والتاجر الحَلاَّف».

(**وقال** ﷺ: **مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جُنَّتان**) بضم[(٩)] الجيم وتشديد النون، أي درعان. وفي رواية: جُبَّتان، بالموحدة بدل النون، والجُبَّة: ثوب معروف. ورُجِّحت الأولىٰ بقوله: (**من حديد**) وادَّعىٰ بعضهم أنه تصحيف (**من لدن**) أي عند (**ثُدِيِّهما**) بضم المثلثة وكسر الدال المهملة ومثناة تحتيه مشددة، جمع ثَدْي، وأصله: ثدوي، كفَلْس وفلوس (**إلىٰ تراقيهما**) جمع ترقوة، وهما العظمان المشرفان في أعلىٰ الصدر (**فأما المنفق فلا ينفق شيئًا إلا سَبغت**) أي امتدَّت وعظُمت (**أو وفرتْ**) شك من الراوي (**علىٰ جلده حتىٰ تُخْفِي**) بضم تاء

(١) في كتاب آفات اللسان [الآفة الرابعة عشر: الكذب في القول واليمين].
(٢) المعجم الأوسط ٥/ ٣٣٠.
(٣) مسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨ - ٢٦٩، ٢٨٥ - ٢٨٧، ٤٢١ - ٤٢٢.
(٤) صحيح ابن حبان ٨/ ١٣٧ - ١٣٨.
(٥) مسند الطيالسي ١/ ٣٧٥ - ٣٧٦.
(٦) المعجم الكبير ٢/ ١٥٢ - ١٥٣.
(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ١٠٩.
(٨) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٦٩ - ٢٧٠.
(٩) فيض القدير ٥/ ٥٠٦.

المضارعة وسكون الخاء المعجمة وكسر الفاء. وفي رواية «تجن» بجيم ونون، أي تستر (بَنانَه) أي أصابعه أو أنامله، وصحَّفه بعضُهم فقال: ثيابه، جمع ثوب، يعني أن الإنفاق يستر خطاياه كما يغطي الثوب جميع بدنه. والمراد أن الجواد إذا همَّ بالإنفاق انشرح له صدره وطابت به نفسه فوسَّع فيه **(وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا قلصت)** أي ارتفعت **(ولزمت كل حَلْقة)** بسكون اللام **(مكانَها)** قال الطيبي[1]: قيَّد المشبَّه به بالحديد إعلامًا بأن القبض والشدة[2] جِبِلِّيٌّ للإنسان، وأوقع المنفق موقع السخي فجعله في مقابل البخيل إيذانًا بأن السخاء ما أمر به الشارع وندب إليه، لا ما يتعاناه المسرفون **(حتىٰ أخذت بتراقيه، فهو يوسعها ولا تتسع، فهو يوسعها ولا تتَّسع)** هكذا مرتين في سائر النسخ. ضرب المثل برجل أراد لبس درع يستجن به، فحالت يداه بينها وبين أن تمر علىٰ جميع بدنه فاجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته. والمراد أن البخيل إذا حدَّث نفسَه بالإنفاق شحَّت وضاق صدره وغُلَّت يداه. رواه أحمد[3] والشيخان[4] وابن حبان[5] من حديث أبي هريرة بلفظ: «مثل البخيل والمتصدِّق». وعندهم بعد قوله «بنانه»: «وتعفو أثرَه». وفيه: «إلا لزقت» بدل: لزمت. وفيه: «فهو يوسعها فلا تتسع» مرة واحدة. وزعم بعضهم أن هذه الجملة الأخيرة مدرجة من كلام أبي هريرة، وهو وهمٌ؛ لورود التصريح برفعه.

(وقال ﷺ: خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخُلُق) قال العراقي[6]: رواه الترمذي[7] من حديث أبي سعيد، وقال: غريب. انتهىٰ.

---

(١) شرح مشكاة المصابيح ٥/ ١٥٢٤ - ١٥٢٥.

(٢) كذا هنا وفي الفيض، وفي شرح المشكاة: والشح.

(٣) مسند أحمد ١٢/ ٤٥٤، ١٥/ ٢٤، ١٦/ ٤٤٩.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٤٤٥، ٢/ ٣٣٧، ٣/ ٤١٢، ٤/ ٥٦. صحيح مسلم ١/ ٤٥٣.

(٥) صحيح ابن حبان ٨/ ١٠٧، ١٢٤.

(٦) المغني ٢/ ٩٠٩.

(٧) سنن الترمذي ٣/ ٥١١.

قلت: ورواه أيضًا الطيالسي[١] وعبد بن حميد[٢] والبخاري في الأدب[٣] والبزار وأبو يعلىٰ[٤] وابن جرير في تهذيبه[٥] والبيهقي في الشعب[٦][٧].

(وقال ﷺ) في دعائه: **(اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلىٰ أرذل العمر)** رواه البخاري من حديث سعد، وقد تقدم في الأذكار والدعوات.

(وقال ﷺ: إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. وإياكم والفحش، فإن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحِّش. وإياكم والشح، فإنما أهلك مَن كان قبلكم الشحُّ، أمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا) قال العراقي[٨]: رواه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله «أمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم فظلموا»، قال عوضًا عنهما: «وبالبخل فبخلوا، وبالفجور ففجروا». وكذلك رواه أبو داود مقتصرًا علىٰ ذكر الشح، وتقدم قبله بسبعة أحاديث. ولمسلم من حديث جابر: «اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح ...» فذكره بلفظ آخر فلم يذكر الفحش. انتهىٰ.

قلت: حديث عبد الله بن عمرو قد تقدم قريبًا، ولفظ أبي داود والحاكم: «إياكم والشح، فإنما هلك مَن كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم

---

(١) مسند الطيالسي ٣/ ٦٦٠.

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ١٢٥.

(٣) الأدب المفرد ص ٩٣.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٤٩١.

(٥) تهذيب الآثار - مسند عمر ص ١٠١.

(٦) شعب الإيمان ١٠/ ٣٧٦، ١٣/ ٢٨٢.

(٧) فيه صدقة بن موسىٰ السلمي، ضعفوه لسوء حفظه، وقد ضعف إسناده الحافظ في بلوغ المرام صـ٥٤٧.

(٨) المغني ٢/ ٩٠٩ - ٩١٠.

بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا». وهكذا رواه ابن جرير في التهذيب والبيهقي[١].

وللطبراني[٢] من حديث المسور بن مخرمة: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتَّقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم علىٰ أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم».

ولأحمد[٣] والطبراني والبيهقي[٤] من حديث ابن عمر: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة».

وزاد أحمد[٥] وعبد بن حميد[٦] والبخاري في الأدب[٧] ومسلم وأبو عوانة من حديث جابر: «واتقوا الشح، فإن الشح أهلك مَن كان قبلكم، حملهم علىٰ أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم».

(وقال ﷺ: **شر ما في الرجل**) أي[٨] من مساوئ أخلاقه (**شح هالع**) أي جازع، يعني: شح يحمل علىٰ الحرص علىٰ المال والجزع علىٰ ذهابه. وقيل: هو أن لا يشبع، كلما وجد شيئًا بلعه، ولا قرار له، ولا يتبيَّن في جوفه، ويحرص علىٰ تهيئة شيء آخر. قال

---

(١) السنن الكبرىٰ ٤/ ٣١٤، ١٠/ ٤١١.

(٢) المعجم الكبير ٢٠/ ٢٥ حتىٰ قوله (يوم القيامة) ولم يذكر ما بعده. أما الحديث بتمامه فرواه الطبراني ٢٢/ ٢٠٤ عن الهرماس بن زياد، ولكن فيه (وقطعوا أرحامهم) بدل (واستحلوا محارمهم).

(٣) مسند أحمد ٩/ ٤٧٤، ١٠/ ٨٩، ٣٤٠.

(٤) شعب الإيمان ٩/ ٥٢٩.

(٥) مسند أحمد ٢٢/ ٣٥٢.

(٦) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ١١٤١.

(٧) الأدب المفرد ص ١٤٧، ١٤٨.

(٨) فيض القدير ٤/ ١٦٠.

التوربشتي[١]: والشح بخلٌ مع حرص، فهو أبلغ في المنع من البخل، فالبخل يُستعمَل في الضنة بالمال، والشح في كل ما تمتنع النفس عن الاسترسال فيه من بذل مال أو معروف أو طاعة. قال: والهلع أفحشُ الجزع، والمعنىٰ: أنه يجزع في شحِّه أشد الجزع علىٰ استخراج الحق منه **(وجبن خالع)** أي شديد، كأنَّه يخلع فؤادَه من شدة خوفه من الخلق. قال الطيبي[٢]: والفرق بين وصف الشح بالهلع والجبن بالخلع أن الهلع في الحقيقة لصاحب الشح، فأُسنِد إليه مجازًا، فهما حقيقتان، لكن الإسناد مجازيٌّ، ولا كذلك الخلع؛ إذ ليس مختصًّا بصاحب الجبن حتىٰ يُسنَد إليه مجازًا، بل هو وصفٌ للجبن لكن علىٰ المجاز، حيث أُطلِق وأريدَ به الشدة. وإنما قال «شر ما في الرجل» ولم يقل: شر ما في الإنسان[٣]؛ إما لأن الشح والجبن ممَّا تُحمَد به المرأة ويُذَم به الرجل، أو لأن الخصلتين تقعان موقعًا في الذم من الرجال فوق ما تقعان من النساء.

قال العراقي[٤]: رواه أبو داود[٥] من حديث أبي هريرة بسند جيد. انتهىٰ.

قلت: ورواه كذلك البخاري في التاريخ[٦] والحكيم في النوادر[٧] وابن جرير في التهذيب[٨] والبيهقي في الشعب[٩]. وقال ابن طاهر: إسناده متصل[١٠].

(وقُتل شهيد) أي استشهد رجل **(علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فبكته باكية**

---

(١) الميسر في شرح مصابيح السنة ص ٤٤٠.

(٢) شرح مشكاة المصابيح ٥/ ١٥٣٠.

(٣) في المطبوعة: النساء. والمثبت من الفيض وشرح المشكاة.

(٤) المغني ٢/ ٩١٠.

(٥) سنن أبي داود ٣/ ٢١٧.

(٦) التاريخ الكبير ٦/ ٨.

(٧) نوادر الأصول ص ٩١٠.

(٨) تهذيب الآثار/ مسند عمر ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٩) شعب الإيمان ١٣/ ٢٨٢. وأخرجه أيضا في السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٨٧.

(١٠) هو عند أحمد (٧٩٩٧)، والبذار ١٥/ ٣٠١، وابن حبان في صحيحه ٨/ ٤٢، وكلام ابن طاهر أورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ٤/ ٨٩.

فقالت: واشهيداه! فقال النبي ﷺ: وما يدريكِ أنه شهيد؟ فلعله قد كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه) قال العراقي[١]: رواه أبو يعلىٰ[٢] من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. وللبيهقي [في الشعب[٣]] من حديث أنس أن أمه قالت: لتهنك الشهادةُ. وهو عند الترمذي[٤]، إلا أن فيه رجلاً قال له: أبشِرْ بالجنة. انتهىٰ.

قلت: وسياق المصنف أورده الخطيب في كتاب البخلاء[٥] وكذلك البيهقي في الشعب[٦] من حديث أبي هريرة، ولكن بلفظ: أن رجلاً قُتل شهيدًا فبكته باكية ... والباقي سواء. وتقدم للمصنف في آفات اللسان قصة لكعب بن عجرة تشبهها، وفيها: «وما يدريكِ يا أم كعب؟ لعل كعبًا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه». وقد رواه ابن أبي الدنيا.

(**وقال جبير بن مُطعِم**) بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي: (**بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله**) أي مرجعه (**من حُنَين**): اسم وادٍ بين مكة والطائف (**إذ**[٧] **علقت برسول الله ﷺ الأعرابُ**) وهم جُفاة البوادي (**يسألونه**) متاع الدنيا (**حتىٰ اضطرُّوه إلىٰ سَمُرة**) بفتح السين وضم الميم، وهي شجرة أم غيلان (**فخطفت رِداءه، فوقف رسول الله ﷺ فقال: أعطوني ردائي، فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العِضاه**) وهي أشجار البادية (**نعمًا لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذابًا ولا جبانًا**) أخرجه البخاري، وقد تقدَّم في أخلاق النبوة.

---

(١) المغني ٢/ ٩١٠.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ١١/ ٥٢٤.

(٣) شعب الإيمان ١٣/ ٢٨٦.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ١٤٧.

(٥) البخلاء ص ٤٢.

(٦) شعب الإيمان ٧/ ٦٧.

(٧) ليست في م الإمام، ولا ط المنهاج ٦/ ١٨٧.

(وقال عمر) رضي الله عنه: **(قسم رسولُ الله ﷺ قسمًا)** لجماعة **(فقلت: غير هؤلاء كانوا أحق به منهم. فقال: إنهم يخيِّروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخِّلوني)** أي ينسبونني إلىٰ البخل **(ولست بباخل)** وهو مَن يصدر عنه البخلُ ولو مرة، بخلاف البخيل، كالرحيم والراحم، وفيه نوع مبالغة، كما لا يخفَىٰ. أخرجه مسلم[١].

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(دخل رجلان علىٰ رسول الله ﷺ فسألاه ثمن بعير، فأعطاهما دينارين، فخرجا من عنده، فلقيهما عمرُ بن الخطاب)** رضي الله عنه **(فأثنيا)** علىٰ رسول الله ﷺ **(وقالا معروفًا، وشكرا ما صنع بهما، فدخل عمر)** رضي الله عنه **(علىٰ رسول الله ﷺ فأخبره بما قالا، فقال له رسول الله ﷺ: لكن فلانًا أعطيتُه ما بين عشرة إلىٰ مائة ولم يقل ذلك)** أي المعروف وحُسن الصنيع **(إن أحدكم يسألني فينطلق في مسألته متأبِّطها)** أي آخِذها تحت إبطه **(وهي نار. فقال عمر)** رضي الله عنه: **(فلِمَ تعطِهم ما هو نار؟ فقال: يأبون إلا أن يسألوني، ويأبىٰ الله لي البخل)** قال العراقي[٢]: رواه أحمد[٣] وأبو يعلىٰ[٤] والبزار نحوه، ولم يقل أحمد أنهما سألاه ثمن بعير. ورواه البزار[٥] من رواية أبي سعيد عن عمر، ورجاله ثقات. انتهىٰ.

قلت: ورواه أيضًا الحاكم[٦] والضياء[٧] من حديث أبي سعيد، ورواه الحاكم أيضًا من حديث جابر، وفيه: «فينطلق بمسألته متأبِّطها، وما هي إلا نار». وفيه: قيل: فلِمَ تعطهم؟ قال: يأبون ... الحديث.

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٤٦٥.

(٢) المغني ٢/ ٩١١.

(٣) مسند أحمد ١٧/ ٤٠، ١٩٩.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٤٩٠.

(٥) مسند البزار ١/ ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٠٠.

(٧) أخرجه في الأحاديث المختارة ١/ ٢٠٠ - ٢٠١ من رواية جابر عن عمر، ثم أشار إلىٰ رواية أبي سعيد عن عمر.

(وعن ابن عباس) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **(قال: قال رسول الله ﷺ: الجود من جود الله تعالىٰ، فجودوا)** علىٰ خلق الله **(يَجُد اللهُ لكم)** وهذا معنىٰ قولهم: مَن جادَ جاد اللهُ عليه **(ألا إن الله خلق الجود فجعله في صورة رجل، وجعل أُسَّه راسخًا في أصل شجرة طوبىٰ، وشدَّ أغصانها بأغصان سِدرة المنتهَىٰ، ودلَّىٰ بعضَ أغصانها إلىٰ الدنيا، فمَن تعلَّق بغصن منها أدخله الجنة. ألا إن السخاء من الإيمان، والإيمان في الجنة. وخلق البخل من مقته)** وهو أشد الغضب **(وجعل أُسَّه راسخًا في أصل شجرة الزقُّوم، ودلَّىٰ بعضَ أغصانها إلىٰ الدنيا، فمَن تعلَّق بغصن منها أدخله النارَ. ألا إن البخل من الكفر، والكفر في النار)** قال العراقي[١]: ذكره صاحب الفردوس، ولم يخرجه ولده في مسنده، ولم أقف له علىٰ إسناد. انتهىٰ.

قلت: بل أخرجه الخطيب في كتاب البخلاء[٢] بسند فيه أبو بكر النقَّاش، صاحب مناكير[٣].

وقد تقدَّم قبل خمسة وثلاثين حديثًا حديث أبي هريرة، وهو يشبه حديث ابن عباس.

(وقال ﷺ: السخاء شجرة تنبت في الجنة، فلا يلج الجنة إلا سخي. والبخل شجرة تنبُت في النار، فلا يلج النار إلا بخيل) قال العراقي[٤]: تقدم دون قوله: فلا يلج في الجنة ... الخ. وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس[٥] من حديث علي، ولم يخرجه ولدُه في مسنده. انتهىٰ.

---

(١) المغني ٢/ ٩١١.

(٢) البخلاء ص ٤٨.

(٣) كلام السيوطي في الجامع الكبير ٣/ ٦٢٧، قال الحافظ في اللسان ٢/ ٤١٩: خبر باطل.

(٤) المغني ٢/ ٩١١.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣٤١ بلفظ: «السخاء شجرة في الجنة حسنة المنظر والمختبر، ولن يلج الجنة إلا سخي، والبخل شجرة في النار قبيحة المنظر والمختبر، ولن يلج النار إلا بخيل».

قلت: الذي تقدم آنفًا قبل ستة وثلاثين حديثًا هو من حديث علي وولده الحسين وأبي هريرة وجابر وأبي سعيد وعائشة ومعاوية وأنس، وأما بهذه الزيادة فأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده والخطيب في كتاب البخلاء[١] وابن عساكر في التاريخ[٢] من حديث عبد الله بن جراد.

(وقال أبو هريرة) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (قال رسول الله ﷺ لوفد بني لِحْيان: مَن سيدكم يا بني لحيان) بكسر[٣] اللام: قبيلة من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مُضَر، وقال الهَمْداني: لحيان من بقايا جرهم دخلت في هذيل (قالوا: سيدنا جد بن قيس) بن صخر بن خنساء بن سِنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري (إلا أنه رجل فيه بخل. فقال ﷺ: وأيُّ داء أدوأ من البخل؟ ولكن سيدكم عمرو بن الجَمُوح) بفتح الجيم وتخفيف الميم، ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري (وفي رواية) أخرى (أنهم قالوا: سيدنا جد ابن قيس. فقال: بِمَ تسوِّدونه)؟ أيْ بأيِّ وصف تجعلونه سيدًا فيكم؟ (قالوا: إنه أكثرنا مالاً، وإنَّا على ذلك) أي مع ذلك (لنزنه) أي لنتَّهمه (على البخل) يقال: أزنَّه بكذا أو على كذا: إذا اتَّهمه به (فقال ﷺ: وأيُّ داء أدوأ من البخل، ليس ذلك سيدكم؟ قالوا: فمَن سيدنا يا رسول الله؟ قال: سيدكم بِشر بن البراء) بن معرور ابن صخر بن خنساء بن سنان الأنصاري، ابن عم الجد بن قيس الماضي ذكره. قال العراقي[٤]: حديث أبي هريرة رواه الحاكم[٥] وقال: صحيح على شرط مسلم بلفظ: «يا بني سلمة». وقال: «سيدكم بشر بن البراء». وأما الرواية التي قال فيها: «سيدكم عمرو بن الجموح»

---

(١) البخلاء ص ٤٩.

(٢) تاريخ دمشق ٢٧/ ٢٤١ بلفظ: «في الجنة شجرة تسمى السخاء منها يخرج السخاء، وفي النار شجرة تسمى الشح منها يخرج الشح، ولن يلج الجنة شحيح».

(٣) فتح الباري لابن حجر ٧/ ٤٤٠.

(٤) المغني ٢/ ٩١١ - ٩١٢.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣/ ٢٦٣.

فرواها الطبراني في الصغير[١] من حديث كعب بن مالك بإسناد حسن. انتهىٰ.

قلت: لفظ المصنِّف «مَن سيدكم يا بني لِحيان» غريب، والثابت «يا بني سلمة»، فإن المخاطَب به هم، وقد تقدم أن بني لحيان من هذيل، فلا يطابق الخطاب. وكان الجد بن قيس قد سادَ بني سلمة في الجاهلية، فحوَّل النبي ﷺ تلك السيادةَ إلىٰ عمرو بن الجموح، وكلاهما من بني سلمة. وقد عزاه المصنف لأبي هريرة، وقد[٢] رواه الحاكم في المستدرك، ورواه أبو الشيخ[٣] بإسناد غريب عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ورواه أبو عروبة في الأمثال وابن عدي في الكامل[٤] من طريق سعيد بن محمد الورَّاق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة. ولم ينفرد به سعيد الورَّاق، بل تابعه النضر بن شُمَيل عند الوليد بن أبان في كتاب السخاء وأبو الشيخ في الأمثال، ومحمد بن يعلىٰ عند الحاكم أيضًا. وقد رواه أيضًا جابر ابن عبد الله الأنصاري، أخرجه البخاري في الأدب المفرد[٥] والسَّرَّاج وأبو الشيخ في الأمثال[٦] وأبو نعيم في المعرفة[٧] من طريق حجاج الصَّوَّاف عن أبي الزبير حدثنا جابر قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «مَن سيدكم يا بني سلمة»؟ قالوا: الجد ابن قيس، علىٰ أنَّا نبخِّله. فقال بيده هكذا ومد يده: «وأيُّ داء أدوأ من البخل؟ بل سيدكم عمرو بن الجموح». قال: وكان عمرو يولم علىٰ رسول الله ﷺ إذا تزوج. وأخرج أبو نعيم في المعرفة وفي الحلية[٨] وأبو الشيخ أيضًا والبيهقي في الشعب[٩] من طريق ابن عيينة

---

(١) المعجم الصغير ١/ ١٩٩.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٢٤٧ – ٢٤٨، ٧/ ٩٤ - ٩٦.

(٣) أمثال الحديث ص ٧٦، ٧٨.

(٤) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٢٣٨.

(٥) الأدب المفرد ص ٩٦.

(٦) أمثال الحديث ص ٧٧.

(٧) معرفة الصحابة ٤/ ١٩٨٦.

(٨) حلية الأولياء ٧/ ٣١٧.

(٩) شعب الإيمان ١٣/ ٢٩٦.

عن ابن المنكدر عن جابر نحوه. ورواه الوليد بن أبان في كتاب السخاء من طريق الأشعث بن سعيد عن عمرو بن دينار عن جابر نحوه. ورواه أبو نعيم[١] من طريق حاتم بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن عطاء عن عبد الملك بن جابر بن عتيك عن جابر بن عبد الله نحوه، وقال فيه: «بل سيدكم الأبيض الجعد عمرو بن الجموح». وقد رُوي أيضًا من حديث أنس، أخرجه أبو الشيخ في الأمثال[٢] والحسن بن سفيان في مسنده من طريق رُشَيد عن ثابت عنه مختصرًا. ورواه الوليد بن أبان من طريق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن النبي ﷺ مرسلًا[٣]. وروى أبو خليفة عن ابن عائشة عن بشر بن المفضل عن ابن شُبرمة عن الشعبي نحوه، قال ابن عائشة: فقال بعض الأنصار في ذلك:

وقال رسول الله والقولُ قوله ... لمَن قال منا مَن تسمُّون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التي ... نبخِّله منها وإن كان أسودا
فسوَّد عمروَ بن الجموح لجوده ... وحقَّ لعمرو بالندى أن يسوَّدا
فلو كنت يا جد بن قيس على التي ... على مثلها عمرو لكنت المسوَّدا[٤]

ورواه الغلابي من طريق أخرى عن الشعبي، وفيه الشعر[٥]. ورواه الوليد بن أبان من طريق عبد الله بن أبي ثُمامة عن مشيخة له من الأنصار نحوه، وفيه الشعر. وأما حديث كعب بن مالك الذي عزاه العراقي للطبراني في الصغير فأخرجه

(١) معرفة الصحابة ١/ ٣٨٧، وفيه: «بل سيدكم الأبيض بشر بن البراء».
(٢) أمثال الحديث ص ٧٦، وفيه: «إن السيد لا يكون بخيلا».
(٣) ورواه هناد في الزهد ١/ ٣٣٥ من طريق وكيع بن الجراح عن المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت.
(٤) في كتاب البخلاء للخطيب ص ٥٨ نسبة هذه الأبيات لحسان بن ثابت، مع اختلاف في اللفظ، ولم أقف عليها في ديوانه.
(٥) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٨٩ - ٩٠.

يعقوب بن سفيان في تاريخه وأبو الشيخ في الأمثال(١) والوليد بن أبان في كتاب الجود من طريق صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال: «مَن سيدكم يا بني نضلة»؟ قالوا: جد بن قيس. قال: «بِمَ تسوِّدونه»؟ فقالوا: إنه أكثرنا مالاً، وإنَّا علىٰ ذلك لنزنَّه بالبخل. فقال: «وأيُّ داء أدوأ من البخل؟ ليس ذا سيدكم». قالوا: فمَن سيدنا يا رسول الله؟ قال: «بشر بن البراء بن معرور». تابعه ابن إسحاق عن الزهري وقال في روايته: «بل سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء». وهكذا رواه يونس وإبراهيم بن سعد عن الزهري من رواية الأويسي عنه، وخالفه يعقوب بن إبراهيم بن سعد فرواه عن أبيه مرسلاً، أخرجه ابن أبي عاصم. وكذا أرسله معمر، وهو في مصنَّف عبد الرزاق(٢) وفي مساوئ الأخلاق(٣) للخرائطي. وابن أخي الزهري عن عمِّه، وهو في الأمثال لأبي عروبة. وشعيب عن الزهري في نسخة أبي اليمان. هكذا نقله الحافظ في الإصابة في ترجمة بشر.

قلت: وقد وجدت طريق معمر التي أشار إليها، قال الخرائطي في مكارم الأخلاق(٤): حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن [ابن] كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لبني ساعدة: «مَن سيدكم»؟ قالوا: جد بن قيس. قال: «بِمَ سوَّدتموه»؟ قالوا: إنه أكثرنا مالاً، وإنَّا علىٰ ذلك لنزنَّه بالبخل. فقال النبي ﷺ: «وأيُّ داء أدوأ من البخل»؟ قالوا: فمَن سيدنا؟ قال: «بشر بن البراء بن معرور».

(**وقال علي**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: إن الله يبغض البخيل**) مانع الزكاة،

---

(١) أمثال الحديث ص ٧٩.

(٢) مصنف عبد الرزاق ١١/ ٣٣٧.

(٣) مساوئ الأخلاق ص ١٧٣.

(٤) مكارم الأخلاق ص ١٧٧، ١٩٥.

أو أعم (في حياته، السخيَّ عند موته) لأنه مضطر حينئذٍ لا مختار. قال العراقي[١]: ذكره صاحب الفردوس[٢]، ولم يخرجه ولدُه [في مسنده] ولم أجد له إسنادًا.

قلت: بل أخرجه الخطيب في كتاب البخلاء[٣] بسنده إلىٰ علي رضي الله عنه[٤].

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: السخي الجهول أحب إلىٰ الله من العابد البخيل**) قال العراقي[٥]: رواه الترمذي بلفظ «ولَجاهلٌ سخيٌّ»، وهو بقية حديث «إن السخي قريب من الله»، وتقدم.

قلت: بل لفظ المصنِّف رواه الخطيب في كتاب البخلاء والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة، إلا أن فيه: العالِم، بدل: العابد.

(**وقال أبو هريرة أيضًا**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: لا يجتمع الإيمان والشح في قلب عبد**) قال العراقي[٦]: رواه النسائي[٧]، وفي إسناده اختلاف.

قلت: ورواه كذلك ابن جرير في التهذيب[٨] بزيادة «أبدًا». وفي رواية له أيضًا «في جوف رجل مسلم». ورواه ابن عدي في الكامل[٩] من حديث عبد الغفور ابن عبد العزيز بن سعيد الأنصاري عن أبيه عن جده بلفظ: «لا يجتمع الإيمان والبخل

---

(١) المغني ٢/ ٩١٢.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٦٨.

(٣) البخلاء ص ٥٩ - ٦٠.

(٤) موضوع، ففيه في سند الطيب أحمد بن نصر الذراع، قال الذهبي: وضاع مفتر ما له جزء مشهور، قال الدارقطني: دجال. المغني للذهبي ١/ ١٠٦.

(٥) المغني ٢/ ٩١٢.

(٦) المغني ٢/ ٩١٢.

(٧) سنن النسائي ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٨) تهذيب الآثار / مسند عمر ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٩) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٦٦.

في قلب رجل مؤمن أبدًا».

(وقال) ﷺ (أيضًا: خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخُلق) رواه الترمذي من حديث أبي سعيد، وقد تقدَّم قبل هذا قريبًا، فهو مكرَّر، وقع هكذا في سائر نسخ الكتاب.

(وقال ﷺ: لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جبانًا) قال العراقي[1]: لم أرَه بهذا اللفظ.

قلت: بل رواه هكذا هناد[2] والخطيب في كتاب البخلاء[3] من حديث أبي جعفر معضلاً، ورواه الخطيب من حديث أبي عبد الرحمن السُّلمي موقوفًا[4].

(وقال ﷺ: يقول قائلكم: الشحيح أعذر من الظالم، وأيُّ ظلم أعظم عند الله من الشح؟ حلف الله بعزَّته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل) قال العراقي[5]: لم أجده بتمامه، وللترمذي من حديث أبي بكر: «لا يدخل الجنة بخيل» [وقد تقدم].

قلت: وروى الخطيب في كتاب البخلاء[6] من حديث ابن عمر: «الشحيح لا يدخل الجنة».

(ورُوي أن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت، فإذا رجل متعلِّق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرتَ لي ذنبي. فقال رسول الله ﷺ: وما ذنبك؟ صِفْه لي. قال: هو أعظم من أن أصفه لك. قال: ويحك! ذنبك أعظم أم الأرضون؟

---

(١) المغني ٢/ ٩١٢ - ٩١٣.

(٢) الزهد ١/ ٣٣٦.

(٣) البخلاء ص ٦١.

(٤) هذا كلام صاحب الجامع الكبير ١٢/ ١٩٧.

(٥) المغني ٢/ ٩١٣.

(٦) البخلاء ص ٦٧.

قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله. قال: ويحك! فذنبك أعظم أم الجبال؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله. قال: فذنبك أعظم أم البحار؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله. قال: فذنبك أعظمُ أم السموات؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله. قال: فذنبك أعظم أم العرش؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله. قال: فذنبك أعظم أم الله؟ قال: بل الله أعظم وأعلىٰ. قال: ويحك! فصِفْ لي ذنبك. قال: يا رسول الله، إني رجل ذو ثروة من المال، وإن السائل لَيأتيني ليسألني فكأنَّما يستقبلني بشعلة من نار. فقال ﷺ: إليك عني، لا تحرقني بنارك، فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمتَ بين الركن والمقام ثم صليتَ ألفَي ألف عام ثم بكيتَ حتىٰ تجري من دموعك الأنهارُ وتُسقَىٰ الأشجار ثم متَّ وأنت لئيم لأكبَّك الله في النار. ويحك! أما علمتَ أن البخل كفرٌ، وأن الكفر في النار. ويحك! أما علمت أن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾) [الحشر: ٩، التغابن: ١٦] قال العراقي[١]: الحديث بطوله باطل لا أصل له[٢].

(الآثـار:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لمَّا خلق الله جنة عدن) وهي أوسط الجنَّات (قال لها: تزيَّني. فتزيَّنت، ثم قال لها: أظهِري أنهاركِ. فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم، فتفجَّر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن، ثم قال لها: أظهري سُرُرك وحجالك) جمع حَجَلة، محرَّكة، وهي الكِلَّة (وكراسيك وحُلَلك وحليك وحور عينك. فأظهرت، فنظر إليها فقال: تكلَّمي. فقالت: طوبَىٰ

---

(١) المغني ٢/ ٩١٣.

(٢) هو أخبار مكه للفاكهي ٢/ ٢٧٨، وفيه حماد بن عمرو، قال ابن معين: كان ممن يكذب ويضع الحديث. وقال الجوزجاني: كان يكذب، لم يدع للحليم في نفسه منه هاجسًا. فهو موضوع، وانظر الكامل لابن عدي ٣/ ١٠ ط العلمية، وأحوال الرجال للجوزجاني صـ١٧٩ ط الرسالة، والمجروحين لابن حبان ١/ ٢٥٢.

لمَن دخلني. فقال الله تعالىٰ: وعزَّتي لا أسكنتُكِ بخيلاً)[١] رواه الطبراني في الكبير[٢] عن ابن عباس مرفوعًا بلفظ: «لمَّا خلق الله عز وجل جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت [ولا أذن سمعت] ولا خطر علىٰ قلب بشر، ثم قال لها: تكلَّمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون». ورواه ابن عساكر[٣] وزاد: «ثم قالت: أنا حرام علىٰ كل بخيل ومُراءٍ». ورواه أبو طاهر محمد بن عبد الواحد الطبري المفسِّر في كتاب فضائل التوحيد والرافعي[٤] من حديث أنس: «لمَّا خلق الله جنة عدن – وهي أول ما خلقها اللهُ – قال لها: تكلَّمي. فقالت: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، قد أفلح المؤمنون، قد أفلح مَن دخل فيَّ، وشقيَ مَن دخل النار».

(وقالت أم البنين) ابنة عبد العزيز بن مروان **(أخت عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالىٰ: **(أُف للبخل، لو كان البخل قميصًا ما لبستُه، ولو كان طريقًا ما سلكتُه**[٥]**.**

وقال طلحة بن عبيد الله) التيمي القرشي، أحد العشرة، رضي الله عنه **(إنَّا لَنجدُ بأموالنا ما يجده البخلاء، ولكننا نتصبَّر.**

وقال محمد بن المنكدر) بن عبد الله بن الهُدَير التيمي: **(كان يقال: إذا أراد الله بقوم شرًّا أمَّرَ عليهم شِرارَهم، وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم)**[٦] وقد رُوي نحو ذلك مرفوعًا من حديث مهران وله صحبة، ولفظه: «إذا أراد الله بقوم

---

(١) رواه الخطيب في البخلاء ص ٧٣.

(٢) المعجم الكبير ١١/ ١٨٤.

(٣) تاريخ دمشق ٥٢/ ١٥١.

(٤) التدوين ١/ ٤٤٥.

(٥) رواه الخطيب في البخلاء ص ٨٨، وابن حبان في روضة العقلاء ص ٢٤٢، وعبد الله بن أحمد في زيادات الزهد ص ٢٩٩، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٦/ ١٣٢.

(٦) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٦٥، والخطيب في البخلاء ص ٨٧.

خيرًا ولَّىٰ عليهم حُلَماءهم، وقضىٰ بينهم علماؤهم، وجعل المال في سُمَحائهم. وإذا أراد الله بقوم شرًّا ولَّىٰ عليهم سفهاءهم، وقضىٰ بينهم جُهَّالهم، وجعل المال في بخلائهم». أخرجه الديلمي في مسند الفردوس(١).

(**وقال علي كرَّم الله وجهه في خطبته: إنه سيأتي علىٰ الناس زمانٌ عَضُوض**) أي شديد المراس كالدابّة العضوض التي تُكثِر العضَّ لمَن مسَّها (**يعض الموسرُ علىٰ ما في يديه**) من المال بنواجذه، وهو كناية عن الإمساك الشديد (**ولم يؤمَر بذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾**) [البقرة: ٢٣٧] المراد به ما فضل من المال بعد حاجتكم.

(**وقال عبد الله بن عمرو**) بن العاص في الفرق بين الشح والبخل: (**الشح أشد من البخل؛ لأن الشحيح هو الذي يشح علىٰ ما في يدي غيره حتىٰ يأخذه، ويشح**) علىٰ غيره (**بما في يديه فيحبسه**) عنه (**والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه**) (٢) ممَّا يفضل لديه.

(**وقال الشعبي**) رحمه الله تعالىٰ: (**لا أدري أيهما أبعد غورًا في نار جهنم البخل أو الكذب**) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت(٣) عن إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جرير عن بيان عنه، إلا أنه قال: في النار، بدل: في جهنم.

(**وقيل: ورد علىٰ أَنوشَرْوان**) بفتح الهمزة وضم النون، وشروان كسَحْبان، اسم ملك الفُرس، وكان مشهورًا بالعدل (**حكيمُ الهند وفيلسوف الروم**) وهو واحد الفلاسفة، ومعناه: الحكيم، بالرومية (**فقال**) أنوشروان (**للهندي: تكلمْ. فقال: خير الناس مَن أُلفيَ**) أي وُجد (**سخيًّا، وعند الغضب وقورًا**) أي متحمِّلاً لغضبه (**وفي القول متأنِّيًا**) أي متثبِّتًا (**وفي الرفعة متواضعًا، وعلىٰ كل ذي رحم مشفقًا. وقال**

---

(١) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٤٦ من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٦٥.

(٣) الصمت وآداب اللسان ص ٢٥٧.

للرومي: تكلمْ. فقال: مَن كان بخيلاً ورث عدوُّه مالَه، ومَن قلَّ شكرُه) للنعمة (لم يَنَل النجح) أي الظفر بالمقصود (وأهل الكذب مذمومون، وأهل النميمة يموتون فقراء، ومن لم يرحم) أي مَن مَلَكَه (سلَّط الله عليه مَن لا يرحمه)[١] وشاهدُه في كلام نبيِّنا ﷺ: «مَن لا يَرحم لا يُرحم».

(وقال الضحَّاك في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا ﴾ قال: البخل، أمسك الله تعالىٰ أيديهم عن النفقة في سبيل الله ﴿ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾ [يس: ٨] الهدىٰ) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق[٢].

(وقال كعب الأحبار) رحمه الله تعالىٰ: (ما من صباح إلا وقد وُكِّل به ملَكان يناديان) يقول أحدهما: (اللهم عجِّلْ لممسك تلفًا، و) يقول الثاني: اللهم (عجِّلْ لمنفق خَلفًا)[٣] هكذا رواه صاحب الحلية. وقد رواه الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري وصحَّحه، وتعقَّبه الذهبيُّ، وفيه زيادة: «وملكان يناديان: يا باغي الخير هلمَّ، ويقول الآخَر: يا باغي الشر أقصِرْ»[٤].

(وقال) عبد الملك بن قريب (الأصمعي) رحمه الله تعالىٰ: (سمعت أعرابيًّا قد وصف رجلاً فقال: لقد صغر فلانٌ في عيني) أي ذُلَّ وحُقِّر (لعِظَم الدنيا في عينه،

---

(١) رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق ص ١٦٧، ومن طريقه الخطيب في البخلاء ص ٢٢٣.
(٢) مساوئ الأخلاق ص ١٦٩.
(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٣١٢، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ١٩٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٠/ ٨٠، وهناد في الزهد ص ٣٣٩.
(٤) لفظ حديث أبي سعيد عند الحاكم في مستدركه ٥/ ٢٢ - ٢٣: «ما من صباح إلا وملكان يناديان، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا. وملكان موكلان بالصور ينتظران متىٰ يؤمران فينفخان. وملكان يناديان، يقول أحدهما: ويل للرجال من النساء، ويقول الآخر: ويل للنساء من الرجال». ثم قال: تفرد به خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم. قال الذهبي: خارجة ضعيف. وقد أورده المتقي الهندي في كنز العمال ٦/ ٣٧٤ وفيه الزيادة التي ذكرها الشارح بعد قوله (فينفخان)، فلعل في مطبوع المستدرك سقطا.

وكأنما السائل إذا يراه ملَك الموت إذا أتاه)[١] أي يستثقله ويقشعرُّ منه ويزوَرُّ ويكرهه كما يكره ملك الموت ويزورُّ عنه.

(وقال) الإمام (أبو حنيفة) رحمه الله تعالىٰ: (لا أرىٰ أن أعدِّل بخيلاً؛ لأنه يحمله البخلُ علىٰ الاستقصاء) في معاملاته (فيأخذ فوق حقه) لا محالة (خيفةً من أن يُغبَن، فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة)[٢] فلا يعدَّل.

(وقال علي كرَّم الله وجهه: واللهِ ما استقصىٰ كريمٌ قط حقَّه) لأنه (قال الله تعالىٰ: ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ﴾)[٣] [التحريم: ٣] أخرجه[٤] ابن مردويه في تفسيره. وأخرج البيهقي في الشعب[٥] عن عطاء الخُراساني قال: ما استقصىٰ حكيم قط، ألم تسمع إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: الذي عرَّف أمر مارية والذي أعرض قوله لعائشة: «إن أباك وأباها يليان الناسَ بعدي» مخافةَ أن يفشو.

---

(١) رواه الخطيب في البخلاء ص ٧٦.
وأورده ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤/ ٣٩.

(٢) رواه الخطيب في البخلاء ص ٧٧ عن أبي يوسف القاضي.

(٣) رواه الخطيب في البخلاء ص ٧٨ من طريق وكيع بن الجراح قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا حنيفة يقول وقد ذُكر عنده ذم البخيل وإسقاط شهادته: من أين قلتَ؟ فقال: سمعت عطاء بن رباح يقول: قال علي بن أبي طالب: واللهِ ... فذكره. وقال الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ١/ ٢٨٧ - ٢٨٨: «حدثنا محمد بن عبد الرحمن مولىٰ بني هاشم، نا ابن أبي بزة المكي قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: معنىٰ قول النبي ﷺ: "من نوقش الحساب عذب" قال سفيان: والنقش هو الاستقصاء حتىٰ لا يترك منه شيء. ثم التفت إلينا سفيان فقال: أبشروا؛ فإنه ما استقصىٰ كريم حقه قط، أما سمعت قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ إلىٰ قوله ﷻ: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ فالله تبارك أكرم الأكرمين».

(٤) الدر المنثور ١٤/ ٥٧٩ - ٥٨٠.

(٥) شعب الإيمان ١٠/ ٥٦٥.

(وقال) عمرو[١] بن بحر **(الجاحظ)** البصري، يكنىٰ أبا عثمان، من رؤساء المعتزلة، وله تصانيف [مشهورة] في عدَّة من الفنون، روىٰ عن يزيد بن هارون وأبي يوسف القاضي، وعنه يموت بن المزرع، ومات سنة ٢٥٥ **(ما بقىٰ من اللذَّات إلا ثلاث: ذم البخلاء، وأكل القديد، وحك الجرب)**[٢] وفي كلٍّ منها يجد الإنسان من اللذة ما لا يجد في غيرها.

(وقال بِشر بن الحارث) الحافي رحمه الله تعالىٰ: **(البخيل لا غِيبة له)** لأنه **(قال النبي ﷺ)** لرجل: **(إنك إذًا لَبخيلٌ)** فلو كان غيبة لم يقُل ذلك **(ومُدحت امرأة عند النبي ﷺ فقالوا: صوَّامة قوَّامة)** أي كثيرة الصيام والقيام **(إلا أن فيها بخلاً. قال: فما خيرها إذًا)**[٣] تقدم في آفات اللسان. فهذا أيضًا يدل علىٰ أن ذِكر الرجل بالبخل لا غيبة له.

(وقال بشر) رحمه الله تعالىٰ أيضًا: **(النظر إلىٰ البخيل يقسِّي القلبَ، وبقاء البخلاء كربٌ علىٰ قلوب المؤمنين)**[٤] والقولان أخرجهما الخطيب في كتاب البخلاء.

(وقال يحيىٰ بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالىٰ: **(ما في القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا فجارًا، وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا أبرارًا)** أخرجه أبو نعيم في الحلية[٥].

---

(١) لباب الأنساب لابن الأثير ١/ ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٢) رواه الخطيب في البخلاء ص ٨٠.

(٣) قول بشر رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٣٢٢ - ٣٢٣، والخطيب في البخلاء ص ٨١.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٣٥٠ والخطيب في البخلاء ص ٨١ - ٨٢ بفصل الجملة الأولىٰ عن الثانية.

(٥) حلية الأولياء ١٠/ ٦٦ بلفظ: «تأبىٰ القلوب للأسخياء إلا حبا ولو كانوا فجارا، وللبخلاء إلا بغضا ولو كانوا أبرارا». رواه أبو نعيم من طريق الخطيب البغدادي، وهو في البخلاء له صـ٨٢

(**وقال ابن المعتز**) وهو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله أبي عبد الله محمد بن المتوكِّل علىٰ الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم العباسي، وهو أول مَن ألَّف في البديع، وله ديوان شعر (**أبخلُ الناس بماله أجودهم بعِرضه**)[١] لأن مَن أكرم ماله أهان عِرضه.

(**ولقي يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام إبليسَ في صورته**) الحقيقية (**فقال له: يا إبليس، أخبِرْني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك. فقال أحَب الناس إليَّ المؤمن البخيل، وأبغض الناس إليَّ الفاسق السخي. قال: لِمَ. قال: لأن البخيل قد كفاني بخلُه، والفاسق السخي أتخوَّف أن يطَّلع الله عليه في سخائه فيقبله. ثم ولَّىٰ**) أي أدبر (**وهو يقول: لولا أنك يحيىٰ لَما أخبرتُك**)[٢] وكأنَّه أظهر له النصحَ في الجواب إكرامًا له عليه السلام.

---

(١) رواه الخطيب في البخلاء ص ٨٣. وأورده الثعالبي في التمثيل والمحاضرة ص ٤٤٠، والصفدي في الوافي بالوفيات ١٧/ ٢٤٢.

(٢) رواه الخطيب في البخلاء ص ٨٤ - ٨٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٤/ ٢٠٤.

حكايـات البخــلاء

(قيل: كان بالبصرة رجل موسِر) أي غني (بخيل، فدعاه بعض جيرانه وقدَّم إليه طَباهِجة) وهي أن يقطَّع اللحم ويُشوىٰ في الطِّنجير في أيِّ دهن كان، فإذا طُبخ في الماء ثم قُلي سُمِّي: قلية (ببيض، فأكل منه فأكثَر، وجعل يشرب الماء، فانتفخ بطنه، ونزل به الكرب والموت، فجعل يتلوَّىٰ) يمينًا وشمالاً (فلما أجهده الأمر وُصف حاله لطبيب، فقال: لا بأس عليك، تقيَّأ ما أكلتَ) تبرأ (فقال: ها، أتقيَّأ طَباهِجة ببيض؟! أموت ولا أتقيَّأ طباهجة ببيض)(١) فهذا من بخله، آثرَ الطباهجة علىٰ الصحة.

(وقيل: أقبل أعرابي يطلب رجلاً، وبين يديه تين) وهو الثمر المعروف (فغطىٰ التين بكسائه) من بخله كيلا يراه فيشاركه (فجلس الأعرابي، فقال له الرجل: هل تُحسِن من القرآن شيئًا. قال: نعم. فقرأ) بعد الاستعاذة والبسملة (والزيتون وطور سينين. فقال) الرجل: (وأين التين؟ فقال: هو تحت كسائك(٢).

ودعا بعضهم أخًا له ولم يطعمه شيئًا، فحبسه إلىٰ العصر حتىٰ اشتد جوعُه وأخذه مثل الجنون) فإنه قد يعتري ذلك عند خلو المعدة (فأخذ صاحب البيت العود) ليغنِّي له (وقال له: بحياتي أيَّ صوت تشتهي أن أُسمِعك) بهذا العود؟ (قال: صوت المِقْلىٰ)(٣) أي صوت قلية اللحم.

(ويُحكَىٰ أن محمد بن يحيىٰ بن خالد بن بَرْمَك) البرمكي، جده خالد بن

---

(١) رواه الخطيب في البخلاء ص ٨٩.

(٢) رواه الخطيب في البخلاء ص ٩٤، وابن الجوزي في الأذكياء ص ١٢٨.

(٣) رواه الخطيب في البخلاء ص ٩٤، وابن الجوزي في الأذكياء ص ١٩٤.

برمك كان من عبدة النار فأسلم، وولده أبو علي يحيىٰ بلغ الرتبة العلية في الثروة حتىٰ ولي الوزارةَ للعباسيين، وأخبارهم مشهورة. ومنهم محمد بن جعفر بن يحيىٰ، حدَّث، وهو من مشايخ أبي داود. وأبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسىٰ بن يحيىٰ المعروف بجحظة، صاحب أخبار ونوادر[١] **(كان بخيلاً قبيح البخل)** علىٰ خلاف شيمة أهل بيته، فإنهم كانوا قد اشتهروا بالكرم **(فسُئل نسيب له كان يألفه)** أي يعاشره **(عنه وقال له قائل: صِفْ لي مائدته. فقال: هي فِتْر في فِتر)** والفِتْر[٢] بالكسر: ما بين طرف الإبهام وطرف السبَّابة بالتفريج المعتاد. وصفها بغاية الضِّيق **(وصِحافه)** جمع صَحفة بالفتح، وهي الإناء الذي يؤكَل فيه **(منقورة من حب الخشخاش)** أي في غاية الصغر، وهي مبالغة **(قيل: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون)** وهم ملائكة اليمين والشمال **(قال: فما يأكل معه أحد؟ قال: بلىٰ، الذباب)** وما قدْر ما يأكل منه الذباب؟ **(قال: سوءة له)**! أي قبحًا **(أنت خاص به)** ونسيبه وأليفه **(وثوبك مخرَّق)** أي مقطَّع **(فقال: إني واللهِ ما أقدر علىٰ إبرة أخيطه بها، ولو ملك محمدٌ بيتًا من بغداد إلىٰ النوبة)** وهي من بلاد السودان **(مملوءًا إبرًا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليهم السلام يطلبون منه إبرة)** واحدة **(ويسألونه: أَعِرْنا إياها لنخيط بها قميص يوسف)** عليه السلام **(الذي قُدَّ)** أي شُق **(من قُبُل)** أي من قدَّام **(ما فعل)**[٣] وهذا المنتهَىٰ في البخل، وفيه مبالغات.

(ويقال: كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتىٰ يقرم إليه) أي يشتاق إليه ويشتهيه، والقرم: نزوع النفس إلىٰ اللحم خاصةً **(فإذا قرمَ إليه أرسل غلامه فاشترىٰ له رأسًا)** من رؤوس الغنم المشوية **(فأكله، فقيل له: نراك لا تأكل**

(١) انظر: لباب الأنساب لابن الأثير ١/ ١٤٢. الأعلام للزركلي ١/ ١٠٧، ٢/ ٢٩٥، ٨/ ١٤٤.

(٢) المصباح المنير ص ٤٦١.

(٣) رواه الخطيب في البخلاء ص ٩٥. وذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ٢٩١ فقال: سأل يحيىٰ بن خالد أبا الحارث جميزا عن طعام رجل فقال: أما مائدته ... فذكر نحوه. وكذا هو في العقد الفريد لابن عبد ربه ٧/ ٢٠٢.

إلا الرؤوس) المشوية (في الصيف والشتاء، فلِمَ تختار ذلك؟ فقال: نعم، الرأس أعرف سعره، وآمَنُ خيانةَ الغلام) فيه (ولا يستطيع أن يغبتني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مسَّ) منه (عينًا أو أذنًا أو خدًّا وقفتُ علىٰ ذلك) فهو محدود (و) مع ذلك (آكل منه ألوانًا، آكل عينه لونًا، وأذنيه لونًا، ولسانه لونًا، وغَلْصَمته) وهي رأس الحلقوم[١] (لونًا، ودماغه لونًا، و) مع ذلك (أُكفَىٰ مؤنة الطبخ، فقد اجتمعت لي فيه مرافق)[٢] وهذا بخل فيه نوع تدبير.

(و) يُحكَىٰ أنه (خرج يومًا يريد الخليفة المهدي) العباسي (فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعتَ بالجائزة)؟ أي الصلة والعطية (فقال: إن أُعطيتُ مائة ألف) درهم (أعطيتُكِ درهمًا. فأُعطيَ ستين ألف) درهم (فأعطاها أربعة دوانق) ولم يكمل لها درهمًا.

(و) يُحكَىٰ أيضًا أنه (اشترىٰ مرة لحمًا بدرهم، فدعاه صديق له) إلىٰ منزله (فردَّ اللحم إلىٰ القَصَّاب بنقصان دانق وقال: أكره الإسراف[٣]).

وكان للأعمش) سليمان بن مهران الكوفي الفقيه (جار، وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول: لو دخلتَ فأكلتَ كسرة وملحًا. فيأبىٰ عليه الأعمشُ) ويتعلَّل ويواعد (فعرض عليه ذات يوم، فوافق جوعَ الأعمش، فقال: سِرْ بنا. فدخل منزله، فقرَّب إليه كسرة وملحًا) كما كان يَعِده به (إذ سأل سائل بالباب، فقال له رب المنزل:

---

(١) في تاج العروس ٣٣/ ١٧٨: «الغلصمة: اللحم الذي بين الرأس والعنق. أو هي العجرة التي علىٰ ملتقىٰ اللهاة والمريء. أو هي رأس الحلقوم بشواربه وحرقدته. أو أصل اللسان. أو متصل الحلقوم بالحلق إذا ازدرد الآكل لقمة فزلت عن الحلقوم».

(٢) رواه الخطيب في البخلاء ص ٩٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٩٥، وأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ١٠/ ٦٥.

(٣) هذه الحكاية والتي قبلها رواهما الخطيب في البخلاء ص ٩٩ - ١٠٠ ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٧/ ٢٩٦ بسياق واحد عن أبي العيناء محمد بن القاسم اليمامي.

بورك فيك. فأعاد عليه المسألة، فقال له: بورك فيك. فلما سأل الثالثة قال له: اذهب وإلا واللهِ خرجت إليك بالعصا. قال: فناداه الأعمش وقال: اذهب، ويحك! فلا واللهِ ما رأيتُ أحدًا أصدق مواعيد منه، هو منذ مدة يدعوني علىٰ كسرة وملح، فلا واللهِ ما زادني عليهما)[1] وللبخلاء أخبار كثيرة ونوادر شهيرة، وقد اقتصر المصنف علىٰ هذا القدر وهو الذي أورده الخطيب في كتاب البخلاء بأسانيده.

(١) رواه الخطيب في البخلاء ص ١٠٩.

بيان الإيثار وفضله

(اعلمْ أن السخاء والبخل كل) واحد (منهما ينقسم إلىٰ درجات، فأرفعُ درجات السخاءِ الإيثارُ، وهو أن يجود بالمال) علىٰ الغير (مع الحاجة إليه. وإنما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج إليه) سواء كان (لمحتاج أو لغير محتاج، والبذل مع) وجود (الحاجة أشد) فلذا كان الإيثار أرفع درجاته، وهذا هو حد السخاء في المخلوق، وسيأتي الكلام عليه عند ذكره في الفصل الذي يليه (وكما أن السخاوة قد تنتهي إلىٰ أن يسخو الإنسان علىٰ غيره مع الاحتياج) لِما يسخو به (فالبخل قد ينتهي إلىٰ أن يبخل علىٰ نفسه مع الحاجة) إليه (فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوىٰ) لبخله (ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن) والإمساك للمال محبةً فيه (و) قرينة ذلك أنه (لو وجدها مجانًا) بغير عوض (لأكلها) فدل ذلك علىٰ أن الامتناع منها إنما هو لأجل البخل (فهذا يبخل علىٰ نفسه مع الحاجة، وذلك يؤثر علىٰ نفسه غيرَه مع أنه لا حاجة به إلىٰ ذلك، فانظر ما بين الرجلين) من التفاوت (فإن الأخلاق عطايا) من الملك الخلاَّق جلَّ سبحانه (يضعها الله حيث يشاء، وليس بعد الإيثار درجة في السخاء، وقد أثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ الصحابة) رضوان الله عليهم (به فقال: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾) [الحشر: ٩] أي حاجة وفقر، كما سيأتي قريبًا في سبب نزوله.

(وقال النبي ﷺ: أيُّما رجل) وفي رواية: أيُّما امرئ (اشتهىٰ شهوة فردَّ شهوته وآثر علىٰ نفسه غُفر له) وفي رواية: غفر الله له. قال العراقي[1]: رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو الشيخ في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف، وقد تقدم[2]. انتهىٰ.

---

(١) المغني ٢/ ٩١٣ - ٩١٤.

(٢) في كتاب كسر الشهوتين.

قلت: وكذلك رواه الدارقطني في الأفراد. وقد تقدَّم للمصنف سبب هذا الحديث، وهو ما رواه نافع أن ابن عمر اشتهىٰ سمكة طرية، وكان قد نَقِهَ من مرضه، فالتُمِست بالمدينة فلم توجد حتىٰ وُجدت بعد مدة، فاشتُريت بدرهم ونصف، فشُويتْ وجيء بها علىٰ رغيف، فقام سائل بالباب، فقال ابن عمر للغلام: لفَّها برغيفها وادفعها إليه. فأبي الغلام، فردَّه وأمره بدفعها إليه، ثم جاء بها فوضعها بين يديه وقال: كلْ هنيئًا يا أبا عبد الرحمن، فقد أعطيتُه درهمًا وأخذتها منه. فقال: لفَّها وادفعْها إليه، ولا تأخذ منه الدرهم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيُّما امرئ اشتهىٰ ... وذكر الحديث.

(وقالت عائشة ﵂: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتىٰ فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا، ولكنا كنا نؤثر علىٰ أنفسنا) قال العراقي[١]: رواه البيهقي في الشعب[٢] بلفظ: ولكنه كان يؤثر علىٰ نفسه. وأول الحديث عند مسلم بلفظ: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا من خبز بُر حتىٰ مضىٰ لسبيله. وللشيخين[٣]: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينةَ ثلاث ليالٍ تباعًا حتىٰ قُبض. زاد مسلم: من طعام بُر.

(ونزل برسول الله ﷺ ضيفٌ، فلم يجد عند أهله شيئًا، فدخل عليه رجل من الأنصار) وهو أبو طلحة زيد بن سهل ﵁ **(فذهب بالضيف إلىٰ أهله، فوضع بين يديه الطعام)** الذي هو قوته وقوت صبيانه **(وأمر امرأته)** وهي أم سليم ﵂ **(بإطفاء السراج)** فقامت كأنَّها تُصلِح السراجَ فأطفأته **(وجعل يمد يده إلىٰ الطعام كأنه يأكل)** أي يُظهِر من نفسه الأكلَ **(ولا يأكل)** إيثارًا **(حتىٰ أكل الضيف الطعام)** وبقي هو وعياله مجهودين **(فلما أصبح)** وغدا إلىٰ رسول الله ﷺ، وقد سبقه جبريل ﵇

(١) المغني ٢/ ٩١٤.

(٢) شعب الإيمان ٣/ ٦٢، ٧/ ٤٤١.

(٣) صحيح البخاري ٣/ ٤٣٩، ٤/ ١٨٣. صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٧.

فأخبره بما صنع (قال له رسول الله ﷺ: لقد عجب الله عَزَّوَجَلَّ من صنيعكم الليلة إلىٰ ضيفكم، ونزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾) متفق عليه[1] من حديث أبي هريرة.

(فالسخاء خُلقٌ من أخلاق الله تعالىٰ) وقد روىٰ أبو نعيم[2] والديلمي[3] وأبو الشيخ وابن النجار من حديث ابن عباس: «السخاء خُلقُ الله الأعظم». أي فمَن تخلَّقَ به تخلَّق بصفة من صفاته تعالىٰ (والإيثار أعلىٰ درجات السخاء، وكان ذلك من دأب رسول الله ﷺ) أي من طريقته (حتىٰ سمَّاه الله تعالىٰ عظيمًا فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾) [القلم: ٤] وقد تقدم الكلام علىٰ هذه الآية في كتاب رياضة النفس.

(وقال) أبو محمد (سهل بن عبد الله التستري) رحمه الله تعالىٰ: (قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا رب، أرِني بعض درجات محمد ﷺ وأمَّته. قال: يا موسىٰ، إنك لن تطيق ذلك، ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضَّلتُه بها عليك وعلىٰ جميع خلقي. قال) الراوي: (فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلىٰ منزلة كادت تتلف نفسُه من أنوارها وقُربها من الله عَزَّوَجَلَّ، فقال: يا رب، بماذا بلغتَ به إلىٰ هذه الكرامة؟ قال: بخُلق اختصصتُه به من بينهم وهو الإيثار. يا موسىٰ، لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتًا من عمره إلا استحييت من محاسبته، وبوَّأته من جنَّتي حيث يشاء) نقله صاحب القوت.

(وقيل: خرج عبد الله بن جعفر) بن أبي طالب (إلىٰ ضيعة له) خارج المدينة (فنزل علىٰ نخيل قوم وفيهم غلام أسود) اللون (يعمل فيه) أي يخدم الأرض (إذ أُتيَ الغلام بقوته) وهو ثلاثة أرغفة (فدخل الحائطَ) أي البستان (كلبٌ ودنا

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٤٢، ٣٠٦. صحيح مسلم ٢/ ٩٨٦ - ٩٨٧.

(٢) رواه في تاريخ أصفهان ١/ ١٤٢ من حديث عمار بن ياسر، وليس من حديث أبي هريرة.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٣٤١.

من الغلام، فرمىٰ إليه الغلام بقرص، فأكله، ثم رمىٰ إليه بالثاني والثالث، فأكله، وعبد الله) بن جعفر (ينظر إليه) من بعيد (فقال: يا غلام، كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيتَ. قال: فلِمَ آثرتَ به هذا الكلبَ؟ فقال: ما هي بأرض كلاب، إنه) غريب (جاء من مسافة بعيدة جائعًا، فكرهتُ رده. قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا) جوعًا (فقال عبد الله بن جعفر: أُلام علىٰ السخاء، إن هذا الغلام لأسخىٰ مني. فاشترىٰ الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه)[1] أي الحائط وما فيه.

(وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أُهدي إلىٰ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: إن أخي كان أحوج مني إليه. فبعث به إليه) فلما وصل إليه قال: إن أخي فلانًا كان أحوج مني إليه. فبعث به إليه (فلم يزل يبعث به كلٌّ واحد إلىٰ آخَر حتىٰ تداوله سبعة أبيات ورجع إلىٰ الأول)[2] نقله صاحب القوت.

(وبات علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه علىٰ فراش رسول الله ﷺ) عند مخرجه إلىٰ الغار (فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ جبريل وميكائيل عليهما السلام: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخَر، فأيُّكما يؤثر صاحبَه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياةَ وأحبَّاها، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين نبيِّي محمد ﷺ، فبات علىٰ فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلىٰ الأرض فاحفظاه من عدوِّه) فهبطا (فكان جبريل) عليه السلام (عند رأسه، وميكائيل) عليه السلام (عند رجليه، وجبريل عليه السلام ينادي: بخ بخ! مَن مثلك يا ابن أبي طالب؟ والله تعالىٰ يباهي بك الملائكة. فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾)[3] [البقرة: ٢٠٧]

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٤٢١. المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي ص ١٤.

(٢) تقدم هذا الأثر في كتاب آداب الصحبة.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٢/ ١٢٦، ومن طريقه رواه ابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ٩٨.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] [مختصرًا] من حديث ابن عباس: شرىٰ عليٌّ نفسه ولبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه ... الحديث. وليس فيه ذِكر جبريل وميكائيل، ولم أقف لهذه الزيادة علىٰ أصل، وفيه أبو بَلْج، مختلَف فيه، والحديث منكر. ورواه الحاكم في المستدرك[٣]، وأعلَّه عبد الغني بن سعيد في كتاب «إيضاح الإشكال».

(وعن أبي الحسن الأنطاكي) له ذِكرٌ في الحلية وفي الرسالة **(أنه اجتمع عنده نيِّف وثلاثون نفسًا، وكانوا في قرية بقرب الرىٰ)**: إحدىٰ مدن خراسان **(ولهم أرغفة معدودة لم تُشبع جميعَهم، فكسروا الرغفان وأطفأوا السراج وجلسوا للطعام)** وأوهم كلُّ واحد صاحبَه أنه يأكل **(فلما رُفع فإذا الطعام بحاله ولم يأكل واحد منهم شيئًا إيثارًا لصاحبه علىٰ نفسه.**

ورُوي أن شعبة) بن[٤] الحجاج بن الورد العَتكي، أبا بسطام الواسطي ثم البصري، أمير المؤمنين في الحديث، وكان من العبَّاد الزهَّاد، مات سنة ستين [ومائة] **(جاءه سائل، ولم يكن عنده شيء، فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه)**.

وقال صاحب الرسالة[٥]: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: كان الأستاذ أبو سهل الصعلوكي يتوضأ يومًا في صحن داره، فدخل إليه إنسان فسأله شيئًا [من الدنيا] ولم يحضره شيء. فقال: اصبرْ حتىٰ أفرغ. فصبر، فلما فرغ قال له: خذ القمقمة واخرج [فأخذها وخرج] ثم صبر حتىٰ [علم أنه] بعُدَ، فصاح وقال: دخل إنسان وأخذ القمقمة. فمشوا خلفه فلم يدركوه. وإنما فعل ذلك لأن أهل المنزل كانوا يلومونه علىٰ [كثرة] البذل.

---

(١) المغني ٢/ ٩١٤ - ٩١٥.

(٢) مسند أحمد ٥/ ١٨٠.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ١٥٤.

(٤) تقريب التهذيب ص ٤٣٦.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٤٢٢.

(وقال حذيفة العَدَوي) هكذا في سائر النسخ، ولم أجد له ذكرًا في الصحابة، ولعل الصواب: وقال أبو حذيفة[١] في المبتدأ عن العدوي: قال بعض بني المغيرة: **(انطلقت يوم اليرموك)**: موضع بالشام، وغزوته معروفة **(أطلب ابن عمٍّ لي)** في القتلىٰ **(ومعي شيء من ماء، وأنا أقول: إن كان به رمقٌ سقيته ومسحت به وجهه. فإذا أنا به، فقلت: أسقيك؟ فأشار إليَّ أنْ نعم، فإذا رجل يقول: آه، فأشار ابن عمي إليَّ أن انطلقْ به)** أي بالماء **(إليه. قال: فجئته فإذا هو هشام بن العاص)** أخو[٢] عمرو بن العاص. قال ابن المبارك في الزهد[٣]: عن جرير بن حازم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: مر عمرو بن العاص بنفر من قريش، فذكروا هشامًا فقالوا: أيُّهما أفضل؟ فقال عمرو: شهدت أنا وهشام اليرموك، فقلنا: نسأل الله الشهادة. فلما أصبحنا حُرِمتها ورُزِقها. ولكن ذكر موسىٰ بن عُقبة وغيره أنه استشهد بأجنادين **(فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخَر فقال: آه، فأشار هشام انطلقْ به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلىٰ هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلىٰ ابن عمي فإذا هو قد مات)** وقد ذكر أصحاب المغازي أنه استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وجماعة من بني المغيرة، فأُتوا بماء وهم صرعىٰ، فتدافعوه حتىٰ ماتوا ولم يذوقوا الماء، وأُتي عكرمة بالماء، فنظر إلىٰ

---

(١) بل الصواب: أبو جهم بن حذيفة العدوي، كما رواه عنه ابن المبارك في الزهد ص ١٨٠، ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ١٤٢ - ١٤٣. والغزالي سماه هكذا تبعا لما في كتاب المستجاد للتنوخي ص ٩٩.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ١٠/ ٢٤٦ - ٢٤٨.

(٣) بل في كتاب الجهاد ص ١٢٠ (ط - دار المطبوعات الحديثة) ولفظه: «مر عمرو بن العاص، فطاف بالبيت، فرأىٰ حلقة من قريش جلوسا، فلما رأوه قالوا: أهشام كان أفضل في أنفسكم أو عمرو بن العاص؟ فلما فرغ من طوافه جاء فقام عليهم فقال: إني قد علمت أنكم قد قلتم شيئا حين رأيتموني، فما قلتم؟ قالوا: ذكرناك وهشاما، فقلنا: أيهما أفضل؟ فقال: سأخبركم عن ذلك، إنا شهدنا اليرموك، فبات وبت ندعو الله أن يرزقنا الشهادة في سبيل الله وأسأله إياها، فلما أصبحنا رُزقها وحُرمتها، ففي ذلك تبين لكم فضله عليَّ».

سهيل ينظر إليه، فقال: ابدأ بهذا. ونظر سهيل إلىٰ الحارث ينظر إليه، فقال: ابدأ بهذا. فماتوا كلُّهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد فقال: بنفسي أنتم[١].

(وقال عباس بن دِهْقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها) أي عاريًا خالصًا **(إلا بشر بن الحارث)** الحافي **(فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة، فنزع قميصه فأعطاه إياه واستعار ثوبًا فمات فيه.**

و) حُكي **(عن بعض الصوفية قال: كنا بطرسوس)**: مدينة علىٰ ساحل البحر من طرف الشام، وهي بالإقليم المسمَّىٰ بسين، وكانت تُغزَىٰ من بلاد الروم **(فاجتمعنا جماعة، وخرجنا إلىٰ باب الجهاد، فتبعنا كلبٌ من البلد، فلما بلغنا بابَ الجهاد إذا نحن بدابَّة ميتة، فصعدنا إلىٰ موضع خالٍ وقعدنا، فلما نظر الكلب إلىٰ الميتة رجع إلىٰ البلد، ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبًا، فجاء إلىٰ تلك الميتة وقعد ناحيةً، ووقعت الكلاب في الميتة)** تنهشها **(فما زالت تأكلها، وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتىٰ أكلت الميتة، وبقي ذلك العظم، ورجعت الكلاب إلىٰ البلد، فقام ذلك الكلب وجاء إلىٰ تلك العظام فأكل ممَّا بقي علىٰ العظم قليلاً، ثم انصرف)** فهذا من إيثاره.

(وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الزهد والفقر، فلا نعيده ههنا).

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧٣/ ٦٠، وابن الجوزي في المنتظم ٤/ ١٢٣.

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

(لعلَّك تقول: قد عُرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات، ولكن ما حد البخل؟ وبماذا يصير الإنسان بخيلاً؟ وما من إنسان إلا وهو يرىٰ نفسه سخيًّا، وربما يراه غيره بخيلاً، وقد يصدر فعلٌ من إنسان فيختلف فيه الناس، فيقول قوم: هذا بخلٌ، ويقول آخَرون: ليس هذا من البخل. وما من إنسان إلا ويجد في نفسه حبًّا للمال) ويضطر إليه (ولأجله يحفظ المال) عن البذل (ويمسكه، فإن كان يصير بإمساك المال بخيلاً فإذًا لا ينفكُّ أحدٌ من البخل، وإذا كان الإمساك مطلقًا لا يوجب البخلَ ولا معنىٰ للبخل إلا الإمساك فما البخل الذي يوجب الهلاكَ) ويورث العقوبة والذم؟ (وما حد السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها؟ فنقول: قد قال قائلون: حد البخل) في الشرع: (منعُ الواجب) وعند العرب: منعُ السائل بما يفضل عنده (فكل مَن أدَّىٰ ما وجب عليه فليس ببخيل. وهذا غير كافٍ) في فهم المَرام (فإنَّ مَن يردُّ اللحم مثلاً إلىٰ القَصَّاب والخبز إلىٰ الخبَّاز) بعدما اشتراهما (بنقصان حبة أو نصف حبة) كما فعله مروان بن أبي حفصة في اللحم لَما دعاه صاحبه (فإنه يُعَدُّ بخيلاً بالاتفاق) مع أنه لم يمنع الواجب (وكذلك من يسلِّم إلىٰ عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة زادوها عليه أو ثمرة أكلوها من ماله عُدَّ بخيلاً) مع أنه لم يضايق في القدر الواجب (ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عُدَّ بخيلاً) مع أن إشراكه في الرغيف لم يكن ممَّا يجب حتىٰ يكون إخفاؤه عنه بخلاً (وقال قائلون: البخيل هو الذي يستصعب العطيةَ) أي يعدُّها صعبة علىٰ نفسه. وقال صاحب الرسالة[1]: حقيقة الجود: أن لا يصعب عليه البذلُ (وهو أيضًا قاصر) في فهم المرام (فإنه إن

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٤١٨.

أريدَ به أنه يستصعب كلَّ عطية، فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها، ويستصعب ما فوق ذلك، وإن أريدَ به أنه يستصعب بعضَ العطايا) لا كلها **(فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميعَ ماله أو المال العظيم)** الذي له صورة **(وهذا لا يوجب الحكمَ بالبخل.**

وكذلك تكلَّموا في الجود) واختلفوا فيه **(فقيل: الجود عطاء بلا مَنٍّ وإسعافٌ من غير رؤية)** أي لا يمنُّ في عطائه، ولا يرىٰ في نفسه أنه أسعف **(وقيل: الجود عطاء من غير مسألة)** بل يكون ابتداؤه **(علىٰ رؤية التقليل)** بأن يرىٰ ما أعطاه قليلاً **(وقيل: الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لِما أمكن)** وقيل: الجود هو لِين النفس بالعطاء وسعة القلب للمواساة. وهذا نقله ابن العربي[١] **(وقيل: الجود: عطاء علىٰ رؤية أن المال لله تعالىٰ، والعبد لله تعالىٰ، فيعطي عبد الله مال الله علىٰ غير رؤية الفقر)** وهو قول لبعض الصوفية. وقيل: الجود هو إجابة الخاطر الأول[٢]. وقيل: الجود: إفادة ما ينبغي لا لغرض[٣] **(وقيل: مَن أعطىٰ البعض وأبقىٰ البعض فهو صاحب سخاء، ومَن بذل الأكثر وأبقىٰ لنفسه شيئًا فهو صاحب جود، ومَن قاسَىٰ الضَّرَّاء وآثر غيرَه بالبلغة فهو صاحب إيثار، ومَن لم يبذل شيئًا فهو صاحب بخل)** وهذا القول نقله القشيري في الرسالة[٤] عن شيخه الأستاذ أبي علي الدَّقَّاق. وقال بعضهم: السخاء: إخراج العبد بعض ما يملكه بسهولة [والجود: إخراجه أكثر ما يملكه بسهولة] والإيثار: إخراجه جميع ما يملكه بسهولة مع حاجته إليه[٥]. وهذا القول بمعنىٰ الذي نقله القشيرىٰ.

(وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود، بل نقول: المال

---

(١) عارضة الأحوذي ٨/ ١٣٦.

(٢) ذكره القشيري في الرسالة ص ٤٢٠.

(٣) ذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير ١/ ١٧٢، وفيه (لعوض) بدل (لغرض).

(٤) الرسالة القشيرية ص ٤١٨، وليس فيها الجملة الأخيرة.

(٥) ذكره زكريا الأنصاري في إحكام الدلالة ٢/ ٧١١.

خُلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق، ويمكن إمساكه عن الصرف إلىٰ ما خُلق للصرف إليه، ويمكن بذله بالصرف إلىٰ ما لا يحسُن الصرف إليه، ويمكن التصرُّف فيه بالعدل وهو أن يُحفظ حيث يجب الحفظ، ويُبذَل حيث يجب البذل، فالإمساك حيث يجب البذل بخل، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير، وبينهما وسط وهو[1] **المحمود)** ومنه قول ابن الوردي:

بين تبذير وبخلٍ رتبةٌ وكِلا هذين إن زاد قتل

(**وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه؛ إذ لم يؤمَر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء، وقد قيل له:** ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾) [الإسراء: ٢٩] فهذا إشارة إلىٰ المقام الوسط (**وقد قال تعالىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧] **فالجود وسط بين الإسراف والإقتار، وبين البسط والقبض، وهو أن يقدِّر بذله وإمساكه بقدر الواجب، ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبًا به)** منشرحًا (**غير منازع له فيه، فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو مُتَسَخٍّ**) أي متكلِّف للسخاء (**وليس بسخي**) حقيقةً (**بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يُراد المال له وهو صرفُه إلىٰ ما يجب صرفُه إليه**) وقال الماوردي[2]: حد السخاء: بذلُ ما يحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل إلىٰ مستحقِّه بقدر الطاقة، وتدبير ذلك مستصعَب، ولعل بعض من يحب أن ينتسب إلىٰ الكرم ينكر حد السخاء ويجعل تقدير العطية فيه نوعًا من البخل، وأن الجود بذل الموجود. وهذا تكلُّف يفضي إلىٰ الجهل بحدود الفضائل، ولو كان حد الجود بذل الموجود لَما كان للسرف موضع، ولا للتبذير موقع، وقد ورد الكتاب والسنَّة بذمِّهما، وإذا كان السخاء محدودًا فمَن وقف علىٰ حدِّه سُمِّي كريمًا واستوجب المدحَ، ومَن قصر

---

(١) ناسخ «م» الإمام علىٰ هذه الواو، وبدونها في ط المنهاج.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ١٩٨.

عنه كان بخيلاً واستوجب الذمَّ.

(فإن قلت: فقد صار هذا موقوفًا علىٰ معرفة الواجب، فما الذي يجب بذلُه؟ فأقول: إن الواجب قسمان: واجب بالشرع، وواجب بالمروءة والعادة. والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة، فإن منع واحدًا منهما فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل) أي أشد في صفة البخل (كالذي يمنع أداء الزكاة) فلا يزكِّي (ويمنع عياله وأهله النفقة) فلا ينفق عليهم (أو يؤدِّيها) أي الزكاة (ولكن يشق عليه) ويستصعبه (فإنه بخيل بالطبع، وإنما يتسخَّىٰ بالتكلُّف) من غير انشراح صدر (أو الذي يتيمَّم الخبيثَ من ماله) أي يقصده فمنه ينفق (ولا يطيب قلبُه أن يعطي من أطيب ماله أو من وسطه) وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] (فهذا كله بخل. وأما واجب المروءة فهو تركُ المضايقة والاستقصاء في المحقَّرات) والتدقيق فيها (فإنَّ ذلك مستقبَح) يخالف وصف الكرم، وقد رُوي عن علي ﵁: ما استقصىٰ كريمٌ حقه قط. كما تقدَّم (واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص) أي باختلافها، فقد يكون في حال وفي شخص يُستقبَح أشد الاستقباح دون حال وشخص (فمَن كثر مالُه يُستقبَح منه ما لا يُستقبَح من الفقير) الذي لا مال له (من المضايقة) والاستقصاء في الحساب والمعاملة (ويُستقبَح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما لا يُستقبح مع الأجانب، ويُستقبح من الجار ما لا يُستقبح مع البعيد، ويُستقبَح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح أقل منه في المبايعة والمعاملة) والمحاسبة (فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة أو معاملة وبما به المضايقة من طعام أو ثوب؛ إذ يُستقبح في الأطعمة ما لا يُستقبح في غيرها، ويُستقبح في شراء الكفن) للميت (مثلاً أو شراء الأضحية) لنسكه (أو شراء خبز الصدقة) للفقراء (ما لا يستقبح في غيره من المضايقة، وكذلك بمَن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي) فيسامَح مع الأول دون الأخير (وبمَن منه المضايقة من صبي أو امرأة

أو شيخ أو شاب أو عالِم أو جاهل أو موسر) أي غني (أو فقير) أو صالح أو طالح أو ذي مروءة أو سوقي (فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة، وذلك لا يمكن التنصيصُ علىٰ مقداره) لعدم الوقوف علىٰ حدِّه (ولعل حد البخل هوَ إمساك المال عن غرض، ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال) وإمساكه (فإنَّ صيانة الدين أهم من حفظ المال) لشرف الدين وخساسة المال (فمانع الزكاة و) مانع (النفقة) عمَّن تجب (بخيل، وصيانة المروءة أهم من حفظ المال) والمراد بالمروءة هنا: الإنسانية، وهي الصفة التي بها يصير الإنسان إنسانًا كاملاً (والمضايق في الدقائق) أي في الأمور الدقيقة الحقيرة (مع من لا تحسُن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال، فهو بخيل.

ثم تبقىٰ درجة أخرىٰ وهي أن يكون الرجل ممَّن يؤدي الواجب) المفروض عليه (ويحفظ المروءة، ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه إلىٰ الصدقات وإلىٰ المحتاجين، فقد تقابل غرضُ حفظ المال ليكون له عدَّة علىٰ نوائب الزمان وغرضُ الثواب ليكون رافعًا لدرجاته في الآخرة، فإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس، وليس ببخل عند عوامِّ الخلق) ومن ذلك ما قرأت في كتاب «صفوة التاريخ»: قال الربيع: قال المنصور لعمومته: الناس يبخِّلوني، وما أنا ببخيل، ولكن رأيت الناس عبيد الدينار والدرهم، فأردت أن أحظرها عليهم فأستذلُّهم بذلك. وقد وصل عمومته في وقت واحد بعشرة آلاف ألف درهم، وامتدحه ابن هرمة فاستجاد قصيدته وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم قال له: احتفِظْ بها فإنك أول مَن أخذها مني وآخر من يأخذها. فقال له ابن هرمة: أنا آتيك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة بخاتم صاحب بيت المال. ووصل شبيب بن شيبة بكلام تكلم به بين يديه فأعجبه بعشرين ألف درهم (وذلك لأن نظر العوامِّ مقصور علىٰ حدود الدنيا، فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهمًّا) ويقولون: الدراهم البِيض تنفع للأيام السود (وربما تظهر عند العوام أيضًا سمةُ البخل عليه إن كان في جواره محتاج

فمنعه وقال: قد أدَّيت الزكاة الواجبة) عليَّ (وليس عليَّ غيرها) فلا أعطي ما ليس عليَّ (ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه، فمَن أدَّىٰ واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرَّأ من البخل) وتنصَّل من تبعيَّته (نعم، لا يتَّصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة علىٰ ذلك) من فاضل ماله (لطلب الفضيلة) عند الله (ونيل الدرجات) العالية (فإذا اتَّسعت نفسُه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرعُ ولا تتوجَّه إليه الملامةُ في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسُه من قليل أو كثير، ودرجات ذلك لا تنحصر، وبعض الناس أجود من بعض) وقد صحَّ أن النبي ﷺ كان أجود بالخير من الريح المرسَلة[1] (واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادةُ والمروءة هو الجود ولكن بشرط أن يكون عن طِيب نفس) وانشراح صدر (ولا يكون عن طمع أو رجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء، فإنَّ مَن طمع في الشكر والثناء فهو بيَّاع وليس بجواد، فإنه يشتري المدح بماله، والمدح لذيذ) لذَّة معنوية (وهو مقصود في نفسه) ومنه قول بشار[2]:

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذ طعمَ العطاءِ

(والجود هو بذل الشيء من غير غرض) دنيوي أو أخروي (هذا هو الحقيقة) اللغوية (ولا يُتصوَّر ذلك إلا من الله تعالىٰ) فهو[3] الجواد علىٰ الحقيقة، وأفراد الجود: العفو عند القدرة، والوفاء عند الوعد، والزيادة علىٰ العطاء منتهَىٰ الرجاء، وعدم المبالاة بكم أعطىٰ ولا لمَن أعطىٰ، وعدم الاستقصاء في العتاب عند الجفاء، وإغناؤه عن الوسائل والشفعاء، وعدم إضاعة مَن إليه التجأ[4]. فهذه

(١) البخاري (٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. كذا في مطبوعة الزبيدي ٨/ ٢٠٦، وفي غيره: حظوظ. وهو الصواب إن شاء الله.

(٢) البيت في ديوانه ١/ ١٣٦.

(٣) المقصد الأسنىٰ للغزالي ص ١٢٧.

(٤) زاد في المقصد: «وإن رفعت حاجة إلىٰ غيره لا يرضىٰ».

الأفراد متىٰ اجتمعت فيه فذلك الجواد المطلَق (**فأما الآدمي فاسم «الجود» عليه مجاز**) عن تلك الحقيقة (**إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض**) من أغراضه (**ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمَّىٰ جوادًا، فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلاً أو من ملامة الخَلق أو ما يتوقَّعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود؛ لأنه مضطر إليه بهذه البواعث. وهي أعواض معجَّلة له عليه، فهو معتاض لا جواد**) ومنه قول أبي نواس[1]:

فتىٰ يشتري حُسن الثناء بماله ... ويعلم أن الدائرات تدور

وأحسن منه قول ابن الرومي[2]:

وتاجر البِر لا يزال له ... ربحان في كل متجر تَجَره

أجر وحمد وإنما طلب الأجـ ... ـر ولكن كلاهما اعْتَوَره

(**كما رُوي عن بعض المتعبِّدات أنها وقفت علىٰ**) أبي[3] حبيب (**حَبَّان بن هلال**) الباهلي - ويقال: الكِناني - البصري، قال ابن معين والترمذي والنسائي: ثقة ثبت حجة. مات بالبصرة في شهر رمضان سنة ٢١٦. روىٰ له الجماعة (**وهو جالس مع أصحابه، فقالت: هل فيكم مَن أسأله عن مسألة؟ فقالوا لها: سَلِي عمَّا شئتِ. وأشاروا إلىٰ حبان بن هلال، فقالت: ما السخاء عندكم؟ قالوا: العطاء والبذل والإيثار. قالت: هذا السخاء في الدنيا، فما السخاء في الدين؟ قالوا: أن نعبد الله سخيَّةً بها أنفسنا طيبة غير مكرهة**) وفي بعض النسخ: غير كارهة. وصوَّبه بعضُهم (**قالت: أفتريدون علىٰ ذلك أجرًا؟ قالوا: نعم. قالت: ولِمَ؟ قالوا: لأن الله**

---

(١) البيت في ديوانه ١/ ٢٤٧، ٥/ ٣٦٤.

(٢) البيتان في ديوانه ٢/ ٣٣.

(٣) تهذيب الكمال ٥/ ٣٢٨ - ٣٣٠. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٩/ ٣٠٠.

وعدنا بالحسنة عشر أمثالها. قالت: سبحان الله! فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرًا فبأيِّ شيء تسخَّيتم عليه؟ قالوا لها: فما السخاء عندكِ يرحمك الله. قالت: السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعِّمين، متلذِّذين بطاعته، غير كارهين، لا تريدون علىٰ ذلك أجرًا) ولا عوضًا (حتىٰ يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء. ألا تستحيون من الله أن يطَّلع علىٰ قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئًا بشيء؟ إن هذا في الدنيا لَقبيحٌ) فدلَّ كلامها علىٰ أن السخاء والجود علىٰ الحقيقة ما خلا عن الأغراض والأعواض.

(وقالت بعض المتعبِّدات: أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط؟ قيل) لها: (ففيمَ؟ قالت: السخاء عندي في المُهَج) أي في بذلها في سبيل الله، وهذا هو سخاء الخواص، كما أن الأول سخاء العوام.

(وقال الحارث) بن أسد (المحاسبي) رحمه الله في كتابه الرعاية: (السخاء في الدين أن تسخو نفسُك بتلفها لله عَزَّ وَجَلَّ، ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله عَزَّ وَجَلَّ بسماحة من غير إكراه، لا تريد بذلك ثوابًا عاجلاً ولا آجلاً، وإن كنتَ غير مستغنٍ عن الثواب، ولكن يغلب علىٰ قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار علىٰ الله تعالىٰ حتىٰ يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تُحسِن اختيارَه لنفسك) وهو أيضًا يشير إلىٰ سخاء الخواص. ومنهم من قال: سخاء العوام سخاء النفس ببذل الموجود، وسخاء الخواص سخاء النفس عن كل موجود ومفقود غني بالواحد المعبود[1]. وقال بعض: السخاء أتم وأكمل من الجود، وضد الجود البخل، وضد السخاء الشح، والجود والبخل يتطرَّق إليهما الاكتساب عادةً، بخلاف ذينك فإنهما من ضرورات الغريزة، وكل سخيٍّ جوادٌ، ولا عكس، والجود يتطرَّق إليه الرياء ويمكن تطبُّعه، بخلاف السخاء. كما في العوارف[2].

(١) ذكره المناوي في فيض القدير ٤/ ١٣٨.

(٢) عوارف المعارف ص ١٨١.

وقال الراغب[١]: السخاء: هيئة في الإنسان داعية إلىٰ بذل المقتنيات، حصل معه البذل أم لا، ويقابله الشحُّ، والجود: بذل المقتنَىٰ، ويقابله البخلُ. هذا هو الأصل، وقد يُستعمَل كل منهما محل الآخَر. ومن شرف السخاء والجود أن الله قرن اسمَه بالإيمان، ووصف أهله بالفلاح، والفلاح أجمع اسمٍ لسعادة الدارين، وحق للجود أن يقترن بالإيمان، فلا شيء أخص منه به ولا أشد مجانسةً له، فمن صفة المؤمن انشراح الصدر ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] وهما من صفات الجواد والبخيل؛ لأن الجواد يوصَف بسعة الصدر [للإنفاق] والبخيل بضيقه [للإمساك].

ومن أحسن ما قيل فيه:

تــراه إذا مــا جئتَــه متهلِّــلاً ... كأنَّك تعطيه الذي أنت سائله[٢]

وقال المتنبي[٣]:

تعـوَّد بسـط الكـفِّ حتـىٰ لـو أنـه ... أراد انقباضًـا لـم تطعْـه أناملُـه

ولـو لـم يكـن في كفِّـه غيـر روحـه ... لجـادَ بهـا فليتـقِ اللهَ سـائلُه

---

(١) الذريعة ص ٢٨٦.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمىٰ، وهو في ديوانه ص ٩٢.

(٣) البيتان ليسا للمتنبي، وإنما لأبي تمام الطائي في ديوانه ص ٢٣٢ من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله العباسي. وفيه: (ثناها لقبض) بدل (أراد انقباضا).

بيان علاج البخل

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن البخل سببه حب المال، ولحب المال سببان، أحدهما: حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال، مع طول الأمل) فهما شرطان في تحقُّق الوصول، ومتىٰ تأخَّر أحدهما عن الآخر لم يتمَّ له الوصولُ (فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله؛ إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب. وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد قام الولد مقام طول الأمل، فإنه يقدِّر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك المال لأجلهم) لينتفعوا به بعد موته (ولذلك قال ﷺ: الولد مَبْخَلة) أي[1] يحمل والده علىٰ ترك الإنفاق في الطاعة خوف الفقر (مَجْبَنة) خشية ضيعته (مَجْهَلة) أي يحمله علىٰ الجهل في أمر الدين. وفي نسخة العراقي: مَحْزنة، بدل: مجهلة. وقال[2]: رواه ابن ماجه[3] من حديث يعلىٰ بن مُرَّة دون قوله «مَحزنة»، ورواه بهذه الزيادة أبو يعلىٰ[4] والبزار[5] من حديث أبي سعيد، والحاكم[6] من حديث الأسود بن خلف، وإسناده صحيح. انتهىٰ.

قلت: حديث يعلىٰ بن مرة لفظه: «الولد مبخلة مجبنة، وإن آخر وطأة وَطِئَها اللهُ بوَجٍّ». هكذا رواه أحمد[7] وابن سعد في الطبقات والطبراني في

---

(١) فيض القدير ٦/ ٣٧٨.

(٢) المغني ٢/ ٩١٥.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٥٤.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٣٠٥.

(٥) كشف الأستار عن زوائد البزار ٢/ ٣٧٨.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٣٦٣.

(٧) مسند أحمد ٢٩/ ١٠٤.

الكبير[١]. وحديث أبي سعيد عند أبي يعلىٰ والبزار لفظه: «مجبنة مبخلة محزنة». وفي بعض رواياتهم بزيادة «ثمرة القلب» قبل هذه الألفاظ. وقد روىٰ ابن ماجه من حديث يوسف بن عبد الله بن سلام قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلىٰ النبي ﷺ، فضمَّهما إليه وقال: «الولد مبخلة مجبنة»[٢]. وأما حديث الأسود بن خلف فرواه العسكري في الأمثال والحاكم في الصحيح من طريق معمر عن ابن خثيم عن محمد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث الزهري عن أبيه أن النبي ﷺ أخذ حسنًا فقبَّله، ثم أقبل عليهم فقال: «إن الولد مجبنة مبخلة – وأحسبه قال: مجهلة». وكذلك رواه البغوي[٣] وابن السكن والدارقطني في الأفراد[٤] ولم يقولوا: وأحسبه قال مجهلة. وللعسكري فقط[٥] من طريق أشعث بن قيس قال: مررت علىٰ النبي ﷺ، فقال لي: ما فعلت بنت عمِّك»؟ قلت: نفست بغلام، وواللهِ لَوددتُ أن لي به سبعة فقال: «أما لئن قلتَ هذا إنهم مجبنة مبخلة، وإنهم لَقُرَّة العين وثمرة الفؤاد». ومن حديث عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ خرج وهو يحتضن حسنًا أو حسينًا وهو يقول: «إنكم لتجبِّنون وتجهِّلون، وإنكم لمن ريحان الله»[٦]. وأخرج الطبراني في الكبير[٧] حديث خولة بلفظ: «الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة».

---

(١) المعجم الكبير ٣/ ٢١، ٢٢/ ٢٧٥.

(٢) هذا لفظ حديث يعلىٰ بن مرة، ولم يروه ابن ماجه من حديث يوسف بن عبد الله.

(٣) معجم الصحابة ١/ ١٨١.

(٤) أطراف الغرائب والأفراد لمحمد بن طاهر ١/ ٣٩٩ (ط - دار الكتب العلمية).

(٥) بل رواه أيضا البيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ٤١٠ - ٤١١، ولفظه: «مررت علىٰ النبي ﷺ فرأيت في وجهه وأصحابه الجوع، فقال: ما فعلت ابنة عمك؟ قلت: نفست بغلام، والله يا رسول الله لوددت أن لي به شبعتكم من الطعام. فقال: أما لئن قلت هذا إنهم لمجبنة مبخلة، وإنهم لقرة العين وثمرة الفؤاد».

(٦) رواه الترمذي في سننه ٣/ ٤٧٣، وأحمد في مسنده ٤٥/ ٢٩٣، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٤٠.

(٧) المعجم الكبير ٢٤/ ٢٤١.

(فإذا انضاف إلىٰ ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قويَ البخلُ لا محالة. السبب الثاني: أن يحب عين المال، فمن الناس مَن معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر علىٰ ما جرت به عادته بنفقته) ولو فوق الاقتصاد (ويفضُل) من إنفاقه (آلاف وهو) مع ذلك (شيخ لا ولد له) ولا يُرجَىٰ منه أن يأتي بولد (ومعه أموال كثيرة، ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة) منها (ولا بمداواة نفسه عند المرض، بل صار محبًّا للدنانير، عاشقًا لها، يلتذُّ بوجودها في يده وبقدرته عليها، فيكنزها تحت الأرض) أو في الصناديق (وهو يعلم أنه يموت) لا محالة (فتضيع، أو يأخذها أعداؤه) أو الظَّلَمة من الحكام، أو يسرقها مَن كان مطَّلعًا عليها (ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدَّق منها بحبة واحدة. وهذا مرض للقلب عظيم، عسير العلاج) لأنه قد جُبل طبعُه عليه وتعوَّدَه (لا سيَّما في كبر السن، وهو مرض مزمن لا يُرجَىٰ علاجه، ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصًا فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبَه واشتغل برسوله، فإنَّ الدنانير) والدراهم (رسول مبلِّغ إلىٰ الحاجات) أنشدني بعض الإخوان:

أرسلت في حاجتي رسولي — سمَّيته درهمًا فتمت
لو لم يكن درهمي رسولي — ما نالت النفس ما تمنَّت[١]

وقال بعضهم:

إذا كنتَ في حاجة مرسِلاً — فأرسِلْ رسولاً هو الدرهم[٢]

---

(١) لم أقف علىٰ قائل هذين البيتين.

(٢) لم أقف علىٰ قائل هذا البيت بهذه الرواية، وهو مأخوذ من البيت المشهور:

إذا كنت في حاجة مرسلا — فأرسل لبيبا ولا توصه

وقد جمع بينهما أبو الحسين ابن فارس اللغوي فقال:

إذا كنت في حاجة مرسلا — وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيما ولا توصه — وذاك الحكيم هو الدرهم

مرآة الجنان لليافعي ٢/ ٣٣٣. وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١١٩. معجم الأدباء لياقوت=

(فصارت) الدنانير والدراهم (محبوبة لذلك؛ لأن الموصل إلىٰ اللذيذ لذيذ، ثم قد ينسىٰ الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه، وهو غاية الضلال) ونهاية الخسران (بل مَن رأىٰ بينه وبين الحجر) المرمي في الطريق (فرقًا فهو لجهله إلا من حيث قضاء حاجته به) دون الحجر (والفاضل عن قدْر حاجته والحجرُ بمثابة واحدة) لا فرق بينهما (فهذه أسباب حب المال، وإنما علاج كل علَّة بمضادَّة سببها، فيعالَج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر، ويعالَج طول الأمل بكثرة ذِكر الموت) في قيامه وقعوده وعند منامه (والنظر في موت الأقران) من أشكاله (وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم) وأنه لم ينفعهم، بل كان وبالاً عليهم (ويعالَج التفات القلب إلىٰ الولد بأن الذي خلقه خلق معه رزقه) وأنه مضمون له (وكم من ولد لم يرث من أبيه مالاً وحاله أحسن ممَّن ورث، وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلىٰ شر) من جهة الحساب والعقاب (وأن ولده إن كان تقيًّا صالحًا فالله كافيه) ومتكفِّل بأموره (وإن كان فاسقًا فيستعين بماله علىٰ المعصية، وترجع مظلمته إليه) وقد روىٰ الديلمي في مسند الفردوس[1] من حديث ابن عمر: «الويل كل الويل لمَن ترك عياله بخير وقَدِمَ علىٰ ربِّه بشرٍّ» (ويعالج أيضًا قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء) ممَّا تقدم ذِكرُ بعضها (وما توعَّدَ الله به علىٰ البخل من العذاب[2] العظيم) في الآخرة (ومن الأدوية النافعة: كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره، ويستثقل كلَّ بخيل من أصحابه فيعلم أنه مستثقَل) في الطباع (ومستقذَر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه. ويعالج أيضًا قلبه بأن يتفكَّر في مقاصد المال وأنه لماذا خُلِق، فلا

= الحموي ١/ ٤١٣. الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص ٢٠١. البداية والنهاية لابن كثير ١٥/ ٥٠٩.

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٤٣٩.

(٢) في غير الزبيدي: العقاب. أخرجه الفضائي في مسنده ١/ ٢٠٧، وهو موضوع، قاله الذهبي وانظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٥.

يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه، والباقي يدَّخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذلِه) في مواضع الخير (فهذه أدوية) نافعة (من جهة المعرفة والعلم، فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبتُه في البذل إن كان عاقلاً، فإذا تحرَّكت الشهوة للبذل فينبغي أن يجيب الخاطرَ الأول ولا يتوقَّف) ومن[1] هنا قال بعضهم: الجود هو إجابة الخاطر الأول. أي لأنه لو لم يُجِبْ لخيفَ علىٰ صاحبه تغيُّره فيما عزم عليه (لأن الشيطان يَعِدُه الفقرَ ويخوِّفه ويصدُّه عنه.

يُحكَىٰ أن أبا الحسن) علي بن أحمد بن سهل (البُوشَنْجي) بضم الموحدة وفتح الشين المعجمة وسكون النون. وبوشَنْج: إحدىٰ قرىٰ مَرْو[2]. وأبو الحسن هذا أحد فتيان خراسان، لقي أبا عثمان وابن عطاء والجريري وأبا عمرو الدمشقي، مات سنة ٣٤٨. ترجم له القشيري في الرسالة[3] (كان[4] ذات يوم في الخلاء) يقضي حاجته، فوقع في خاطره أن فقيرًا يعرفه محتاج إلىٰ قميص (فدعا تلميذًا له وقال: انزعْ عني) هذا (القميص وادفعْه إلىٰ فلان) وسمَّاه (فقال: هلاَّ صبرتَ) إلىٰ فراغك من قضاء حاجتك (حتىٰ تخرج؟ قال: كان قد خطر لي بذلُه، ولم آمَن علىٰ نفسي أن تتغيَّر) علىٰ ما وقع لي من التخلُّف عنه بذلك القميص فاستعجلت بالنزع والدفع ليتعذَّر رجوعها. نقله القشيري في الرسالة[5] فقال: سمعت بعض أصحاب أبي الحسن البوشنجي يقول: كان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء ... فذكره.

وذكر صاحب «صفوة التاريخ» أن المهدي حبس موسىٰ بن جعفر الكاظم

(١) إحكام الدلالة لزكريا الأنصاري ٢/ ٧١٥.

(٢) في معجم البلدان لياقوت ١/ ٥٠٨: «بوشنج: بليدة نزهة خصيبة في وادٍ مشجر من نواحي هراة، بينهما عشرة فراسخ».

(٣) الرسالة القشيرية ص ١١٩.

(٤) إحكام الدلالة ٢/ ٧١٥.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٤٢٠.

ببغداد، فبينما هو يصلي ليلةً من الليالي إذ مر في قراءته بهذه الآية: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد: ٢٢] فردَّدها وبكىٰ، وكان أحسن الناس صوتًا، ثم دعا بالربيع فقال: ائتني بموسىٰ. قال الربيع: فشككتُ بين موسىٰ الهادي وبين موسىٰ بن جعفر، وعلمت أنه إنما أراد موسىٰ ابن جعفر؛ لأني سمعته يقرأ ﴿ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ فأتيته علىٰ حاله يقرأ ويبكي، فقال له: يا أبا الحسن، قرأتَ هذه الآية فخطرتَ ببالي، وخفتُ أن أكون قد قطعتُ رحمك، فتؤمنني أن تخرج علىٰ أحد من ولدي؟ قال: ومن أنا حتىٰ تتخوَّفني؟ واللهِ لا فعلتُ ذلك، ولا هو من شأني. قال: يا ربيع، ادفعْ إليه الساعة ثلاثة آلاف دينار، وأشخِصْه من فوره إلىٰ أهله، لا يفسد الشيطان عليَّ قلبي. قال الربيع: فما طلع الفجر حتىٰ دفعت إليه المال وأنهضتُه إلىٰ المدينة.

(**ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلُّفًا، كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقرِّه، حتىٰ إذا سافر وفارق تكلُّفًا وصبر عنه مدةً تسلَّىٰ عنه قلبُه**) وبرد عشقُه (**فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفًا بأن يبذله**) في وجوه الخير (**بل لو رماه في الماء كان أَولىٰ به من إمساكه إياه مع الحب له**) لأنه يقطع علاقته عن قلبه (**ومن لطائف الحِيَل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء، فيبذل**) أولاً (**علىٰ قصد الرياء**) والسمعة لأجل أن يقال إنه سخي (**حتىٰ تسمح نفسه بالبذل طمعًا في حشمة الجود، فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء، ولكن ينعطف بعد ذلك علىٰ الرياء ويزيله بعلاجه، ويكون طلبُ الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما يسلَّىٰ الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها، لا ليخلَّىٰ واللعب**) فإنه ما خُلِق لذلك (**ولكن لينتقل عن الثدي إليه، ثم ينتقل عنه إلىٰ غيره، وكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلَّط بعضها علىٰ بعض كما تسلَّط الشهوة علىٰ الغضب وتُكسَر سَوْرته بها، ويسلَّط الغضب علىٰ الشهوة وتُكسَر رعونتها**) وأَنَفتها (**به. إلا**

أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء، فيبدل الأقوىٰ بالأضعف، فإن كان الجاه محبوبًا عنده كالمال فلا فائدة فيه، فإنه يقطع علة ويزيد في أخرىٰ) هي (مثلها، إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذلُ لأجل الرياء، فبذلك يتبيَّن أن الرياء أغلب عليه، فإن كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل، فإنَّ ذلك يدل علىٰ أن مرض البخل أغلب علىٰ قلبه. ومثال دفعِ هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت يستحيل جميعُ أجزائه دودًا) في قبره (ثم يأكل بعض الديدان بعضًا حتىٰ يقلَّ عددها وتكبر، ثم يأكل بعضها بعضًا حتىٰ ترجع إلىٰ ثنتين قويتين عظيمتين، ثم لا تزالان تتقاتلان) وفي نسخة: تقتتلان (إلىٰ أن تغلب إحداهما الأخرىٰ فتأكلها وتسمن بها، ثم لا تزال تبقىٰ وحدها جائعة إلىٰ أن تموت) إذا لم تجد ما تأكله، كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله (فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها علىٰ بعض حتىٰ يقمعها بذلك فيجعل الأضعف قوتًا للأقوىٰ إلىٰ أن لا تبقىٰ إلا واحدة، ثم تقع العناية بمحوها) وإزالتها (وإذابتها بالمجاهدة) والرياضة (وهو منعُ القوت عنها، ومنعُ القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها، فإنها تقتضي لا محالة أعمالاً، فإذا خولفت خمدت الصفات وماتت) وما لم يمنع قوتها لم ينفع التسليط (مثل البخل، فإنه يقتضي إمساك المال، فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرىٰ ماتت صفة البخل، وصار البذل طبعًا، وسقط التعب فيه. فإذًا علاج البخل بعلم وعمل، فالعلم يرجع إلىٰ معرفة آفة البخل وفائدة الجود، والعمل يرجع إلىٰ الجود والبذل علىٰ سبيل التكلُّف. ولكن قد يقوَىٰ البخلُ) في الإنسان (بحيث يُعمِي) الأبصارَ (ويصمُّ) الأسماعَ (فيمنع تحقُّق المعرفة بآفته، وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسَّر العمل فتبقىٰ العلة مزمنة) أي ملازمة لا تفارق (كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله، فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلىٰ الموت، و) لقد (كان من عادة بعض الشيوخ) من السادة (الصوفية) نفع الله بهم (في معالجة علة البخل في المريدين أن يمنعهم من الاختصاص) والانفراد (بزواياهم) المختصَّة بهم (فكان إذا توهَّم في مريد فرحه

بزاويته) ورآه قد أُعجِب بها (وما فيها نقله إلىٰ زاوية غيره، ونقل زاوية غيره إليه، وأخرجه عن جميع ما ملكه) كسرًا لالتفات قلبه (وإذا رآه يلتفت إلىٰ ثوب جديد يلبسه أو سجَّادة يفرح بها يأمره بتسليمه إلىٰ غيره، ويُلبِسه ثوبًا خلقًا) قد لبسه غيره ثم خلقه (لا يميل إليه قلبه، فبهذا يتجافَىٰ القلب عن متاع الدنيا) ويتسلَّىٰ عنه فلا يمر البخل بباله (فمَن لم يسلك هذا السبيل أنسَ بالدنيا وأحبها) وشتَّت همَّه وباله (فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب، ولذلك إذا سُرق كل واحد من ذلك ألمَّت به مصيبة بقدر حبه له، فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعةً واحدة؛ لأنه كان يحب الكل، وقد سُلب عنه، بل هو في حياته علىٰ خطر المصيبة بالفقر والهلاك) أي مشرف عليها بأحدهما. يُحكَىٰ أنه (حُمل إلىٰ بعض الملوك قدح من فيروزج): حجر معروف، سمائي اللون، فارسي معرَّب (مرصَّع بالجواهر، لم يُرَ له نظير، ففرح الملك به فرحًا شديدًا، فقال لبعض الحكماء) الذي كان (عنده: كيف ترىٰ هذا؟ فقال: أراه مصيبة أو فقرًا. قال: كيف؟ قال: إن انكسر كانت مصيبة لا جبر لها، وإن سُرق صِرتَ فقيرًا إليه) أي محتاجًا له (ولم تجد مثله، وقد كنتَ قبل أن حُمل إليك في أمن من المصيبة والفقر. ثم اتفق) بعد مدة (أن انكسر) القدح المذكور (يومًا وعظمت مصيبةُ الملك عليه) لإلفة قلبه إليه (فقال: صدق الحكيم، ليته لم يُحمَل إلينا.

وهذا شأن جميع أسباب الدنيا) فإنها عند فقدها تورث حسرةً في القلب (فإن الدنيا عدوَّة لأعداء الله؛ إذ تسوقهم إلىٰ النار) فتظهر لهم إذ ذاك عداوتها (وعدوة لأولياء الله؛ إذ تغمُّهم بالصبر عنها) والحبس عن لذَّاتها (وعدوة لله؛ إذ تقطع طريقه علىٰ عباده) السالكين إليه (وعدوة نفسها، فإنها تأكل نفسها، فإن المال لا يُحفظ إلا بالخزائن والحرس) لها (والخزائن والحرس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذلُ الدراهم والدنانير، فالمال يأكل نفسه) بالنظر إلىٰ الوجه المذكور (ويضادُّ ذاتَه حتىٰ يفنَىٰ، ومَن عرف آفة المال لم يأنس به) أصلاً (ولم يأخذ منه إلا قدر حاجته)

الضرورية (ومَن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل؛ لأن ما أمسكه لحاجته فليس ببخل، وما لا يحتاج إليه فلا يُتعِب نفسَه بحفظه فيبذله، بل هو كالماء على شاطئ دجلة؛ إذ لا يبخل به أحدٌ؛ لقناعة الناس منه بقدر الحاجة).

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله

(اعلمْ) وفَّقك الله تعالىٰ (أن المال - كما وصفناه - خير من وجه، وشر من وجه) وهو من الخيرات المتوسطة (ومثاله مثال حية يأخذها الراقي) الذي يعلم رُقيتها (ويستخرج منها التِّرْياق، ويأخذها الغافل) الذي لا عهد له برُقيتها فتعضه (فيقتله سمُّها من حيث لا يدري) ولا يشعر (ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة علىٰ خمس وظائف:

الأولىٰ: أن يعرف مقصود المال، وأنه لماذا خُلِق) وما الحكمة فيه (وأنه لم يحتجْ إليه حتىٰ يكتسب) وفي نسخة: لا يكتسب (ولا يحفظ إلا مقدار الحاجة، ولا يعطيه من همَّته فوق ما يستحقه.

الثانية: أن يراعي جهة دخل المال، فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين) ومَن في حكمهم من نُوَّابهم (ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة، وكالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروءة وما يجري مَجراه.

الثالثة: في المقدار الذي يكتسبه، فلا يستكثر منه ولا يستقلُّ، بل القدر الواجب، ومعياره الحاجة، والحاجة ملبس ومسكن ومطعم) فهذه الثلاثة مما يحتاج إليه الإنسان ضرورةً (ولكل واحد) من هذه الثلاثة (ثلاث درجات: أدنىٰ وأوسط وأعلىٰ، وما دام مائلاً إلىٰ جانب القلة ومتقرِّبًا من حد الضرورة كان مخفًّا ويجاء مع جملة المخفين) الفائزين (وإن جاوز ذلك وقع في) قعر (هاوية لا آخر لعمقها) ولا منتهَىٰ لدركها (وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد) علىٰ ما سيأتي.

(الرابعة: أن يراعي جهة المَخرج، ويقتصد في الإنفاق غير مبذِّر ولا مقتر، كما ذكرناه، فيضع ما اكتسبه من حِلِّه في حقه، ولا يضعه في غير حقه، فإن الإثم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء.

الخامسة: أن يُصلِح نيَّته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به علىٰ العبادة، ويترك ما يترك زهدًا فيه واستحقارًا له، وإذا فعل ذلك لم يضرَّه وجود المال، ولذلك قال علي كرَّم الله وجهه: لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يُرِدْ به وجه الله فليس بزاهد) فالفارق النية (فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة علىٰ عبادة أو علىٰ ما يعين علىٰ العبادة، فإنَّ أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة، وهما معينان علىٰ العبادة) فالأكل يقيم الصلب، وقضاء الحاجة يفرغ الباطنَ من الشواغل (فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك. وكذلك ينبغي أن تكون نيَّتك في كل ما تحفظه من قميص أو إزار أو فِراش أو آنية؛ لأن كل ذلك مما قد يحتاج إليه في الدين، وما فضل عن الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبدٌ من عباد الله فلا يمنعه منه عند حاجته، فمَن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حيَّة المال جوهرَها وترياقها واتَّقىٰ سمَّها، فلا تضرُّه كثرة المال، ولكن لا يتأتَّىٰ ذلك إلا ممَّن رسخ في الدين قدمُه وعظُم فيه علمُه) فهو يتناول المال علىٰ الوجه الذي ينتفع هو به وينتفع غيره، فهو مباح له تناوُله (و) غيره وهو (العامِّي إذا تشبَّهَ بالعالِم) الحكيم (في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة) كعبد الرحمن بن عوف وغيره ﷺ (شابَهَ الصبيَّ) وفي بعض النسخ: الغبي (الذي يرىٰ المعزِّم الحاذق يأخذ الحية ويتصرَّف فيها) وقد عرف نفعها وضرها وأمنَ سمها وشرها (فيُخرِج ترياقَها فيقتدي به ويظن أنه أخذها مستحسنًا صورتها وشكلها ومستلينًا جلدها) ومسها (فيأخذها اقتداءً به) ويظنها مستصلَحة لأنْ يتقلَّد بها فيجعلها سخابًا في عنقه (فتقتله في الحال، إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل، وقتيل المال قد لا يعرف) أنه قتيل (وقد

شُبِّهت الدنيا بالحية) نظرًا إلىٰ هذا المعنىٰ **(فقيل)** في وصفها:

(هـي دنيـا كحيـة تنفـث الـسـ ـم وإن كانـت المجسَّـة لانـت)

وقد تقدَّم هذا المعنىٰ في ذِكر تشبيهات الدنيا. فكما[1] لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية أن يقتدي بالراقي في تناول الحية والتصرُّف فيها كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدي بالحكيم في تناول أعراض الدنيا **(وكما يستحيل أن يتشبَّه الأعمىٰ بالبصير في تخطِّي قلل الجبال وأطراف البحار والطرق)** الوعرة **(المشوكة)** من غير قائد وهو غير آمِن أن يقع في هوَّة **(فمُحال أن يتشبَّه العامِّي بالعالِم الكامل في تناول المال)** مستبدًّا برأيه سالكًا طريقًا يسلكه العالِم الكامل؛ إذ هو غير آمِن أن يقع في هاوية وهو لا يشعر.

(١) الذريعة للراغب ص ٢٨٣.

بيان ذم الغِنى ومدح الفقر

(اعلمْ) هداك الله تعالىٰ (أن الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر علىٰ الفقير الصابر، وقد أوردنا ذلك في كتاب الزهد والفقر) علىٰ ما سيأتي (وكشفنا عن تحقيق الحق فيه، لكنا في هذا الكتاب ندل علىٰ أن الفقر أفضل وأعلىٰ من الغنىٰ علىٰ الجملة من غير التفات إلىٰ تفصيل الأحوال) واختلاف الأقوال (ولنقتصر فيه علىٰ حكاية فصل ذكره) أبو عبد الله (الحارث) بن أسد (المحاسبي رحمه الله تعالىٰ في بعض كتبه) وهو كتاب[1] الزهد (في الرد علىٰ بعض العلماء من الأغنياء حيث احتجَّ بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبَّهَ نفسَه بهم) وشَتَّان ما بين الثُّريا والثرىٰ (والمحاسبي رحمه الله تعالىٰ) ممَّن[2] جمع الله له بين الظاهر والباطن، وروىٰ عن يزيد بن هارون والطبقة، وعنه أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي، وتوفي سنة ٢٤٣. وهو (حبر الأمَّة في علم المعاملة، وله السبق) أي التقدُّم (علىٰ جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات، فكلامه جدير) أي حقيق (بأن يُحكَىٰ علىٰ وجهه) ونصه (وقد قال بعد كلام له في الرد علىٰ علماء السوء) من علماء الدنيا: (بلغنا أن عيسىٰ عليه السلام قال: يا علماء السوء، تصومون وتصلُّون وتتصدَّقون، ولا تفعلون ما تؤمَرون، وتدرسون ما لا تعلمون[3]، فيا سوء ما تحكمون، تتوبون بالقول والأماني، وتعملون بالهوىٰ، وما يغني عنكم أن تنقُّوا) أي تنظِّفوا (جلودَكم وقلوبُكم دنسة) أي وسخة بالمعاصي (بحق أقول لكم: لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقىٰ فيه النُّخالة،

(١) قلت: بل هو في «القصد والرجوع إلىٰ الله» ضمن مجموع الوصايا صـ٧٤-٩٣ ط العلمية.

(٢) لباب الأنساب لابن الأثير ٣/ ١٧١.

(٣) كذا، وفي م الإمام، وط المنهاج: تعلمون. وهو الصواب لا غير.

وكذلك أنتم تُخرِجون الحِكَم من أفواهكم ويبقىٰ الغِل في صدوركم. يا عبيد الدنيا، كيف يدرك الآخرة مَن لا تنقضي من الدنيا شهوتُه ولا تنقطع منها رغبته، بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم) أي من صلاحها في الظاهر وفساد الباطن (**جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم**) فتذكروها كثيرًا لمحبَّتكم إياها، ومَن أحب شيئًا أكثرَ من ذِكره (**والعملَ تحت أقدامكم**) وهو كناية عن الترك والاستخفاف (**بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم، فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة، فأيُّ الناس أخسر منكم لو تعلمون؟ ويلكم! حتىٰ متىٰ تصفون الطريق للمدلجين**) أي السالكين إلىٰ الله تعالىٰ في ظُلَم الليل (**وتقيمون**) أنتم (**في محل المتحيِّرين**) أي الواقفين كالمتحيرين (**كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم**) فتظفروا بها دونهم (**مهلاً مهلاً، ويلكم! ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهرِه وجوفُه وحش مظلم، كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهِكم وأجوافُكم منه وحشة معطَّلة. يا عبيد الدنيا، لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كِرام، توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم علىٰ وجوهكم، ثم تكبُّكم علىٰ مناخركم، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم، ثم تدفعكم من خلفكم حتىٰ تسلمكم إلىٰ الملك الدَّيَّان عراة فُرادَىٰ**) أي منفردين (**فيوقفكم علىٰ سوآتكم**) أي فضيحتكم (**ثم يجزيكم بسوء أعمالكم**) وأخرج أبو نعيم في الحلية[1] من طريق عبد الله بن المبارك، أخبرنا بكَّار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قال الله عَزَّوَجَلَّ فيما يعتب به أحبارَ بني إسرائيل: تتفقَّهون لغير الدين، وتتعلَّمون لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة، تلبسون جلود الضأن، وتُخفون أنفُس الذئاب، وتنقُّون القَذَىٰ من شرابكم، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام، وتثقلون الدينَ علىٰ الناس أمثال الجبال ثم لا تعينونهم برفع الخناصر، تطيلون الصلاة، وتبيِّضون الثياب، تقتنصون بذلك مال اليتيم والأرملة، فبعزَّتي حلفتُ لأضربنَّكم بفتنة يضل

---

(١) حلية الأولياء ٤/ ٣٨ - ٣٩.

فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم.

وأخرج[١] من طريق يزيد بن قوذر: قال كعب: قال موسىٰ عليه السلام: تلبسون ثياب الرهبان وقلوبُكم قلوب الخنازير[٢] والذئاب الضواري.

وأخرج ابن عساكر[٣] عن وهب بن منبه قال: قال عيسىٰ عليه السلام: يا علماء السوء، جلستم علىٰ أبواب الجنة، فلا أنتم تدخلونها ولا تَدَعون المساكين يدخلونها، إن شِرار الناس عند الله عالِم يطلب الدنيا بعلمه.

وفي القوت[٤]: قال عيسىٰ عليه السلام: ويلكم علماءَ السوء، مثلكم مثل قناة حشٍّ ظاهرها جص وباطنها نتن. ويلكم علماء السوء، إنما أنتم مثل قبور مشيدة ظاهرها مشيد وباطنها عظام الموتىٰ. يا علماء الدنيا، إنما أنتم مثل شجرة الدِّفْلَىٰ نَوْرها حسن وطعمها مر - أو قال: سم يقتل - يا علماء الدنيا، مثلكم مثل صخرة في فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلىٰ الزرع فينتفع به، كذلك أنتم قعدتم علىٰ طريق الآخرة لا تسلكون ولا تتركون السالكين.

(ثم قال الحارث) المحاسبي (رحمه الله) تعالىٰ: **(إخواني، فهؤلاء علماء السوء، شياطين الإنس، وفتنة علىٰ الناس)** وهم أضرُّ علىٰ الناس من شياطين الجن **(رغبوا في عَرَض الدنيا ورفعتها)** الظاهرة **(وآثروها علىٰ الآخرة)** ورفعتها الباطنة **(وأذلُّوا الدين للدنيا)** أي لتحصيلها **(فهم في العاجل عار وشَيْن، وفي الآخرة هم الخاسرون، أو يعفو الله الكريم بفضله)** وذكر المصنف هذه العبارة أيضًا في كتاب الفقر والزهد **(وبعد، فإني رأيت الهالك المؤثِر للدنيا)** علىٰ الآخرة **(سروره ممزوج بالتنغيص)** أي التكدير **(فتتفجَّر عنه أنواع الهموم)** وتنبعث عنه أصناف

---

(١) السابق ٥/ ٣٦٥.

(٢) في الحلية: الجبارين.

(٣) تاريخ دمشق ٤٧/ ٤٦٢.

(٤) قوت القلوب ٢/ ٧٣٩.

الغموم (وفنون المعاصي، وإلىٰ التلف والبَوار) أي الهلاك (مصيره) أي مرجعه (فرح الهالكُ[1] برجاء فلم تبقَ له دنياه، ولم يَسلم له دينُه، خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، فيا لها من مصيبة ما أفظعها)! أي أشدها قبحًا (ورَزيَّة ما أجلَّها)! أي أعظمها (ألا فراقِبوا الله إخواني، ولا يغرَّنَّكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين) أي المتمسِّكين (بالحجج الداحضة عند الله، فإنهم يتكالبون علىٰ الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج، ويزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم أموال) واسعة وأملاك (فيتزيَّن المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس علىٰ جمع المال، ولقد دهاهم الشيطانُ وما يشعرون. ويحك أيها المفتون! إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه وأضرابه من الصحابة ممَّن كان له مال، قال الزهري: تصدَّق عبد الرحمن بن عوف علىٰ عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدَّق بأربعين [ألفًا، ثم تصدَّق بأربعين ألفًا، ثم تصدَّق بأربعين] ألف دينار، ثم حمل علىٰ خمسمائة [فرس في سبيل الله، ثم علىٰ ألف وخمسمائة] راحلة في سبيل الله، وكان عامَّة ماله من التجارة[2] (مكيدة من الشيطان ينطق علىٰ لسانك لتهلك؛ لأنك متىٰ زعمتَ أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر) والتفاخر (والشرف والزينة) وأمثال ذلك (فقد اغتبتَ السادة الأخيار) أي ذكرتَهم بسوء (ونسبتَهم إلىٰ أمر عظيم، ومتىٰ زعمت أن جمع المال الحلال أعلىٰ) مقامًا (وأفضل من تركه فقد ازدريت بمحمد ﷺ والمرسَلين) والصِّدِّيقين (ونسبتَهم إلىٰ قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال، ونسبتَهم إلىٰ الجهل) ونسبت نفسك إلىٰ العلم (إذ لم يجمعوا المال كما جمعت) فكأنه لجهلهم في طريق الجمع (ومتىٰ زعمت أن جمع المال الحلال

(١) كذا في الزبيدي ط الشعب، والصواب: فعاد فرح الهالك ترحًا. وانظر: الوصايا صـ٧٦، ط المنهاج ٦/ ٢٢٥.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٧٨ - ١٧٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٩٩، والطبراني في المعجم الكبير ١/ ١٢٩.

أعلىٰ من تركه فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح للأمّة إذ نهاهم عن جمع المال) قال العراقي[١]: روىٰ ابن عدي[٢] من حديث ابن مسعود: «ما أوحىٰ الله إليّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين ...» الحديث. ولأبي نعيم[٣] والخطيب في التاريخ والبيهقي في الزهد[٤] من حديث سويد بن الحارث في أثناء حديث: «لا تجمعوا ما لا تأكلون». وكلاهما ضعيف.

قلت: وروىٰ الحاكم في تاريخه من حديث أبي ذر: «ما أوحىٰ الله إليّ أن أكون تاجرًا، ولا أن أجمع المال مكاثرًا، ولكن أوحىٰ إليّ أنْ سبِّحْ بحمد ربِّك وكنْ من الساجدين، واعبد ربَّك حتىٰ يأتيك اليقين»[٥]. ورواه أبو نعيم في الحلية[٦] عن أبي مسلم الخولاني مرسلاً بلفظ: «ما أوحىٰ الله إليّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين ...» والباقي سواء.

(وقد علم أن جمع المال خير للأمّة فقد غشَّهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال، كذبت) في زعمك **(ورب السماء علىٰ رسول الله ﷺ، فلقد كان للأمّة ناصحًا)** لم يدَّخر عنهم من النصح شيئًا (و) كان **(عليهم مشفقًا، وبهم)** بارًّا رحيمًا **(رؤوفًا. ومتىٰ زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله ﷻ لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال)** ونبَّههم علىٰ عدم الافتتان به **(وقد علم أن جمع المال خير لهم، أو زعمت أن الله لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبتَ في الاستكثار كأنّك أعلم**

---

(١) المغني ٢/ ٩١٥.

(٢) الكامل في الضعفاء ٥/ ١٨٩٧.

(٣) حلية الأولياء ٩/ ٢٧٩.

(٤) الزهد الكبير ص ٣٥٤.

(٥) كنز العمال ٣/ ٢٤٥. وأورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٤/ ٩٥. ورواه ابن عدي في الكامل ٣/ ٩٣٩ بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء.

(٦) حلية الأولياء ٢/ ١٣١.

بموضع الفضل والخير من ربك، تعالىٰ الله عن جهلك أيها المفتون. تدبَّرْ بعقلك ما دهاك به الشيطانُ حين زيَّن لك الاحتجاج بمال الصحابة، ويحك! ما ينفعك الاحتجاجُ بمال عبد الرحمن بن عوف) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(وقد ودَّ ابنُ عوف في القيامة أنه لم يؤتَ في الدنيا إلا قوتًا)** إذ ما من أحد إلا وهو يتمنىٰ كذلك، كما ورد في الخبر، وتقدَّم **(ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**)** سنة اثنتين وثلاثين، وصلىٰ عليه عثمان، وقيل: الزبير، وقيل: ابنه **(قال أناس من أصحاب رسول الله** ﷺ**: إنَّا نخاف علىٰ عبد الرحمن)** أي في الآخرة **(فيما ترك)** قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: صولحت امرأة عبد الرحمن من نصيبها ربع الثُّمن علىٰ ثمانين ألفًا[1]. وقال مجاهد: أصاب كلَّ امرأة من نساء عبد الرحمن ربع الثُّمن ثمانون ألفًا[2] **(فقال كعب)** الأحبار رحمه الله تعالىٰ: **(سبحان الله! وما تخافون علىٰ عبد الرحمن؟ كسب طيبًا)** إذ كانت عامة أمواله من التجارة **(وأنفق طيبًا)** إذ تصدَّق به مرات، كما تقدم **(وترك طيبًا)** ميراثًا لورثته **(فبلغ ذلك)** الكلامُ **(أبا ذر)** الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(فخرج مغضبًا يريد كعبًا، فمر)** في طريقه **(بعظم لِحي بعير)** بكسر اللام[3]، وهو عظم الحنك، وهو الذي عليه الأسنان **(فأخذه بيده، ثم انطلق يطلب كعبًا، فقيل لكعب: إن أبا ذر يطلبك. فخرج هاربًا حتىٰ دخل علىٰ عثمان** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**)** وهو يومئذٍ خليفة **(يستغيث به، وأخبره الخبر، فأقبل أبو ذر)** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(يقتص الأثر)** أي يتَّبعه **(في طلب كعب، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ دار عثمان)** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربًا من أبي ذر، فقال له أبو ذر: هِيه)** بكسر فسكون، كلمة استزادة **(يا ابن اليهودية، تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف؟ لقد خرج**

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ ٦/ ١٠٧.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥/ ٣٠٤.

(٣) ضبطه الزبيدي في تاج العروس ٣٩/ ٤٤٢ بفتح اللام وسكون الحاء، وقال: «اللحي: منبت اللحية من الإنسان وغيره، وهما لحيان، قال الليث: وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من كل ذي لحي».

رسول الله ﷺ يومًا نحو أُحد وأنا معه، فقال: يا أبا ذر. فقلت: لبَّيك يا رسول الله. فقال: الأكثرون هم الأقلُّون يوم القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشِماله وقدَّامه وخلفه، وقليل ما هم. ثم قال: يا أبا ذر. قلت: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي. قال: ما يسرُّني أن لي مثل أُحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين. قلت: أو قنطارين يا رسول الله. قال: بل قيراطين. ثم قال: يا أبا ذر، أنت تريد الأكثر، وأنا أريد الأقل. فرسول الله يريد هذا، وأنت تقول يا ابن اليهودية: لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف؟ كذبتَ وكذب مَن قال. فلم يردَّ عليه خوفًا حتىٰ خرج) قال العراقي[1]: حديث أبي ذر «الأكثرون هم الأقلُّون يوم القيامة» متفق عليه[2]، وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف: كسب طيبًا وترك طيبًا، وإنكار أبي ذر عليه فلم أقف علىٰ هذه الزيادة إلا في قول الحارث بن أسد المحاسبي «بلغني» كما ذكر المصنف، وقد رواها أحمد[3] وأبو يعلىٰ أخصر من هذا، ولفظ كعب: إن كان قضىٰ عنه حقَّ الله فلا بأس به. فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبًا وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أحب أن لو تحوَّل هذا الجبل لي ذهبًا ...» الحديث، وفيه ابن لهيعة. انتهىٰ.

قلت: حديث أبي ذر تقدم الكلام عليه في أول فصل في هذا الكتاب وهو بيان ذم المال، وقد رواه البخاري ومسلم بلفظ: «هم الأخسرون». فقال أبو ذر: مَن هم؟ فقال: «هم الأكثرون مالاً، إلا من قال هكذا وهكذا». وفي رواية لهما: «إن المكثرين هم المقلُّون يوم القيامة إلا مَن أعطاه الله خيرًا فنفح فيه يمينَه وشِماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرًا». وفي رواية: «إن الأكثرين هم المقلُّون». وروىٰ ابن ماجه[4]

---

(١) المغني ٢/ ٩١٥ - ٩١٦.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ١٧١ - ١٧٢، ٤/ ١٤٥، ١٨١، ٢١٧. صحيح مسلم ١/ ٤٤٢ - ٤٤٣.

(٣) مسند أحمد ١/ ٥٠٣. وفيه: «إن كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه».

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧١.

وابن حبان[١] والضياء من حديث أبي ذر: «الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة إلا مَن قال بالمال هكذا وهكذا وكسبه من طيب». وعند الطيالسي[٢] بلفظ «المكثرون». وروى الخطيب[٣] مثله من حديث ابن عباس. وروى هناد في الزهد[٤] وابن ماجه[٥] من حديث أبي هريرة: «الأكثرون هم الأقلُّون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا». وأما حديث أبي ذر «ما أحب أن لو تحوَّل هذا الجبل ...» الخ فرواه البخاري من حديثه بلفظ: «ما أحب أن أُحدًا تحوَّل لي ذهبًا يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث إلا دينارًا أرصده لدَين». وعند أحمد[٦] والدارمي[٧] بلفظ: «ما أحب أن لي أُحدًا ذهبًا أموت يوم أموت وعندي منه دينار أو نصف دينار، إلا أن أرصده لغريم». وعند أحمد وحده من حديث أبي ذر وعثمان معًا: «ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهبًا أنفقه ويُتقبَّل مني أَذَرُ خلفي منه شيئًا»[٨]. ورواه الطيالسي[٩] من حديث أبي ذر بلفظ: «ما يسرُّني أن لي أُحدًا ذهبًا تأتي عليَّ ثالثةٌ وعندي منه دينار إلا دينارًا أرصده لغريم». وروى ابن ماجه[١٠] من حديث أبي هريرة: «ما أحب أن أُحدًا عندي ذهبًا فتأتي عليَّ ثالثة وعندي منه شيء إلا شيء أرصده في قضاء دَين». وقد رواه

---

(١) صحيح ابن حبان ٨/ ١٢٣.

(٢) مسند الطيالسي ١/ ٣٥٨.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ١٩٩، ولفظه: «قال النبي ﷺ: الأكثرون هم الأسفلون. قالوا: يا نبي الله، إنا نراهم من صالحينا وخيارنا. فقال: إلا من قال بالمال هكذا يمينا وشمالا».

(٤) الزهد ١/ ٣٣٣.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧١، وفيه: «الأكثرون هم الأسفلون إلا ...» الخ.

(٦) مسند أحمد ٣٥/ ٢٤٩.

(٧) سنن الدارمي ٢/ ٤٠٦.

(٨) في المسند: «أذر خلفي منه ست أواقٍ». وهذا المتن هو تمام الحديث الذي أشار إليه العراقي وفيه قول كعب: إن قضىٰ عنه ... الخ.

(٩) مسند الطيالسي ١/ ٣٧٢. وفيه: «وعندي منه دينار - أو قال: مثقال - إلا أن أرصده لغريم».

(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٧٢.

هناد(١) ومسلم(٢) والبيهقي(٣) بلفظ «ما يسرُّني».

وأخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل بن أبي بكر الحسيني في آخرين قالوا: أخبرنا عبد الله بن سالم وأحمد بن علي ومحمد قالوا: أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحيىٰ، أخبرنا يوسف بن عبد الله، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ ومستمليه رضوان ابن محمد بن يوسف قالا: أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الغَزِّي، أخبرنا علي ابن إسماعيل المخزومي، أخبرنا أبو الفرج الحَرَّاني، أخبرنا أبو المكارم أحمد ابن محمد ابن اللَّبَّان وأبو الحسن مسعود بن محمد بن أبي منصور قالا: حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسين الحدَّاد، حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ(٤): حدثنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الكريم، حدثنا الحسن بن إسماعيل بن راشد الرملي، حدثنا ضمرة بن ربيعة، حدثنا ابن شوذب، عن مطرف، عن حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت ابن أخي أبي ذر قال: دخلت مع عمي علىٰ عثمان، فقال لعثمان: ائذنْ لي بالرَّبَذة. فقال: نعم، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة تغدو عليك وتروح. قال: لا حاجة لي في ذلك، تكفي أبا ذر صرمته. ثم قال: اعزموا دنياكم ودعونا وربنا - أو: ديننا - وكانوا يقتسمون مال عبد الرحمن بن عوف، وكان عنده كعب، فقال عثمان بن عفان لكعب: ما تقول فيمَن جمع هذا المال فكان يتصدَّق منه ويعطي ابن السبيل ويفعل ويفعل؟ قال: إني لأرجو له خيرًا. فغضب أبو ذر ورفع العصا علىٰ كعب وقال: وما يدريك يا ابن اليهودية؟ ليودَّنَّ صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه.

---

(١) الزهد ص ٣٤٠.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٤٢. وقد رواه البخاري في صحيحه ٢/ ١٧٢، ٤/ ١٨١، ٣٤٩ بنحوه.

(٣) السنن الكبرىٰ ٥/ ٥٧٩.

(٤) حلية الأولياء ١/ ١٦٠.

(وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه **(قَدِمت عليه عيرٌ)** أي قافلة **(من اليمن، فضجَّت المدينة)** أي أهلها **(ضجةً واحدة، فقالت عائشة)** رضي الله عنها: **(ما هذا؟ فقيل: عير قَدِمت لعبد الرحمن بن عوف. قالت: صدق الله ورسوله. فبلغ ذلك عبدَ الرحمن، فسألها، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني رأيت الجنة، فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيًا سعيًا، ولم أرَ أحدًا من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف، رأيته يدخلها معهم حبوًا. فقال عبد الرحمن: إن العير وما عليها في سبيل الله، وإن أَرِقَّاءها أحرار لعلِّي أن أدخلها معهم سعيًا)** قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] مختصرًا في كون عبد الرحمن يدخلها حبوًا دون ذِكر فقراء المهاجرين والمسلمين، وفيه عمارة بن زاذان، مختلَف فيه[٣]. انتهىٰ.

قلت: لفظ أحمد من حديث عائشة: «رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوًا». ورواه أيضًا الطبراني في الكبير[٤] - ومن طريقه أبو نعيم في الحلية[٥] - قال: حدثنا أبو يزيد القراطيسي، حدثنا أسد بن موسىٰ، حدثنا عمارة بن زاذان، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: بينا عائشة في بيتها إذ سمعت صوتًا رُجَّت منه المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عير قَدِمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام. وكانت سبعمائة راحلة، فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوًا». فبلغ ذلك عبدَ الرحمن، فأتاها فسألها عمَّا بلغه، فحدثته، فقال: فأنا أُشهِدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله».

---

(١) المغني ٢/ ٩١٦.

(٢) مسند أحمد ٤١/ ٣٣٧.

(٣) قد ذكر ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات ٢/ ١٣ وقال: «قال أحمد بن حنبل: هذا الحديث كذب منكر، وعمارة يروي أحاديث مناكير».

(٤) المعجم الكبير ١/ ١٢٩.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٩٨.

وعمارة بن زاذان الصيدلاني أبو سلمة البصري صدوق، ضعَّفه الدارقطني[١] وغيره، وقد رویٰ له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(وبلغنا أن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه: **(أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمّتي، وما كدتَ أن تدخلها إلا حبوًا)** قال العراقي[٢]: رواه البزار[٣] من حديث أنس بسند ضعيف والحاكم[٤] من حديث عبد الرحمن: «يا ابن عوف، إنك من الأغنياء، ولن تدخل الجنة إلا زحفًا ...» الحديث، وقال: صحيح الإسناد. قلت: بل ضعيف، فيه خالد بن يزيد بن أبي مالك، ضعَّفه الجمهورُ. انتهىٰ.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية[٥]: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا جعفر بن محمد الفِرْيابي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا خالد ابن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له: «يا ابن عوف، إنك من الأغنياء، ولن تدخل الجنة إلا زحفًا، فأقرِض اللهَ يطلق لك قدميك». قال ابن عوف: وما الذي أُقرِض اللهَ؟ قال: «تتبرأ ممَّا أمسيتَ فيه». قال: من كلِّه أجمع يا رسول الله؟ قال: «نعم». قال: فخرج ابن عوف وهو يهمُّ بذلك، فأتاه جبريل فقال: مُر ابنَ عوف فليُضِف الضيفَ وليطعم المسكينَ وليعطِ السائلَ، فإذا فعل ذلك كانت كفَّارة لِما هو فيه». وخالد[٦] بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك، أبو هاشم الدمشقي، وقد يُنسَب إلىٰ جد أبيه، فقيه، ضعيف، وقد اتَّهمه ابن معين[٧]، رویٰ له ابن ماجه. وقال

(١) الضعفاء والمتروكون للدارقطني ص ١٨٣.

(٢) المغني ٢/ ٩١٦.

(٣) مسند البزار ٣/ ٢١٨ من حديث عبد الرحمن بن عوف، وليس من حديث أنس.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٣٨٢.

(٥) حلية الأولياء ١/ ٩٩.

(٦) تقريب التهذيب ص ٢٩٣.

(٧) في تاريخ ابن معين برواية الدوري ٤/ ٤٢٥: «ليس بشيء». وفي موضع آخر ٤/ ٤٣٠: «ضعيف».

الذهبي في الديوان: قال النسائي[١]: ليس بثقة، ووثّقه غيره[٢]. ففي قول العراقي «ضعَّفه الجمهورُ» نظرٌ[٣].

(ويحك أيها المفتون! فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن) رضي الله عنه **(في فضله وتقواه وصنائعه المعروفة وبذله الأموال في سبيل الله)** فقد روىٰ أبو نعيم في الحلية[٤] عن المسور بن مخرمة قال: باع عبد الرحمن بن عوف أرضًا له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك المالَ في بني زُهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين[٥]. وعن عبد الله بن أبي أوفَىٰ أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: «ما بطَّأ بك عني»؟ فقال: ما زلت بعدك أحاسَب، وإنما ذلك لكثرة مالي. فقال: هذه مائة راحلة جاءتني من مصر، فهي صدقة علىٰ أرامل أهل المدينة.

وأخرج الطبراني من طريق ابن المبارك عن معمر عن الزهري قال: تصدَّق عبد الرحمن بن عوف علىٰ عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدَّق بأربعين ألفًا، ثم تصدَّق بأربعين ألف دينار، ثم حمل علىٰ خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل علىٰ ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله[٦].

---

(١) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ٩٥.

(٢) هذا نصه في المغني ١/ ٣٠٣. واقتصر في ديوان الضعفاء والمتروكين ص ١١٦ علىٰ قول النسائي.

(٣) باقي كلام الذهبي الذي لم يكمله الزبيدي: ولينه غير واحد، ووثقه أحمد بن صالح وأبو زرعة الدمشقي. فقال أبو حاتم الرازي: يروي أحاديث مناكير. كما في الجرح لولده ٣/ ٣٥٩، وقال أحمد ليس بشيء، وقال الدارقطني ضعيف. كما في الضعفاء لابن الجوزي ١/ ٢٢٥ وقال ابن حبان في المجروحين ١/ ٢٨٤: كان صدوقًا في الرواية، لكنه كان يخطيء كثيرًا، وفي حديثه مناكير، لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد عن أبيه. فالجمهور علىٰ تضعيفه كما قال الحبر العراقي.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٩٨ - ٩٩.

(٥) بعده في الحلية: وبعث إلىٰ عائشة معي بمال من ذلك المال، فقالت عائشة: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يحنو عليكم بعدي إلا الصالحون» سقا الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

(٦) تقدم هذا الحديث قريبا.

وأخرج صاحب الحلية[١] عن جعفر بن برقان قال: بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بنت.

(**مع صحبته لرسول الله ﷺ وبشراه بالجنة أيضًا**) وذلك[٢] فيما رواه الترمذي[٣] والنسائي في الكبرىٰ[٤] من حديثه: «أبو بكر في الجنة ...» الحديث، وفيه: «وعبد الرحمن بن عوف في الجنة». وهو عند الأربعة[٥] من حديث سعيد بن زيد. قال البخاري والترمذي: وهو أصح (**يوقَف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال**) وقد رُوي عن الزهري أن عامَّة ماله كان من التجارة (**للتعفُّف ولصنائع المعروف، وأنفق منه قصدًا**) علىٰ طريق العدل (**وأعطىٰ في سبيل الله**)[٦] أي فيضًا (**قد مُنع من السعي إلىٰ الجنة مع الفقراء المهاجرين، وصار يحبو في آثارهم حبوًا**) ويزحف زحفًا (**فما ظنُّك بأمثالنا الغرقَىٰ في فتن الدنيا**) وأخرج أبو نعيم في الحلية[٧] من طريق نوفل بن إياس الهذلي قال: كان عبد الرحمن لنا جليسًا، وكان نِعم الجليس، وأنه انقلب بنا يومًا حتىٰ دخلنا بيته، ودخل واغتسل ثم خرج فجلس معنا، وأُتينا بصحفة فيها خبز ولحم، فلما وُضعت بكىٰ عبد الرحمن، فقلنا له: يا أبا محمد، ما يبكيك؟ فقال: مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا أُخِّرنا لِما هو خير لنا.

وأخرج أحمد في الزهد عن محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سعد بن

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٩٩.

(٢) المغني للعراقي ٢/ ٩١٧.

(٣) سنن الترمذي ٦/ ١٠٠.

(٤) السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٢٨.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٢٠٥. سنن الترمذي ٦/ ١٠١. سنن ابن ماجه ١/ ١٤٤. السنن الكبرىٰ للنسائي ٧/ ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٧.

(٦) نسخًا.

(٧) حلية الأولياء ١/ ٩٩ - ١٠٠.

إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده أنه أُتي بطعام - قال شعبة: أحسبه كان صائمًا - فقال عبد الرحمن: قُتل حمزة فلم نجد ما نكفِّنه فيه وهو خير مني، وقُتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم نجد ما نكفِّنه فيه، وقد أصبنا منها ما أصبنا، إني لأخشىٰ أن تكون قد عُجِّلت لنا طيِّباتنا في الدنيا. قال شعبة: وأظنه قال: ولم يأكل[١].

(**وبعد، فالعجب كل العجب لمفتون تمرَّغ في تخاليط الشبهات والسُّحت وتكالب علىٰ أوساخ الناس وهو يتقلَّب في**) وفي نسخة: وهو يلتفت إلىٰ (**الشهوات والزينة والمباهاة وهو**[٢] **يتقلَّب في فتن الدنيا ثم تحتجُّ بعبد الرحمن**) ابن عوف رضي الله عنه (**وتزعم أنك إن جمعتَ المال فقد جمعه الصحابة**) الكرام (**كأنك أشبهت السلفَ وفِعلهم. ويحك! إن هذا من قياس إبليس ومن فتياه لأوليائه**) وهو قياس فاسد وفتيا باطلة (**وسأصف لك أوصافك**[٣] **وأحوال السلف؛ لتعرف فضائحك وفضل الصحابة، ولعَمْري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفُّف والبذل في سبيل الله، فكسبوا حلالاً، وأكلوا طيبًا، وأنفقوا قصدًا، وقدَّموا فضلاً**) أي ما فضل عن حاجتهم قدَّموه للآخرة بالتصدُّق (**ولم يمنعوا منها حقًّا**) لله تعالىٰ (**ولم يبخلوا بها، ولكنهم جادوا لله تعالىٰ بأكثرها، وجاد بعضُهم بجميعها، وفي الشدة آثروا الله علىٰ أنفسهم كثيرًا، فبالله أكذلك أنت؟ واللهِ إنك لَبعيدُ الشبه بالقوم**) لا وجه للشبه بينك وبينهم فيما صنعوا (**وبعد، فإنَّ أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبِّين، ومن خوف الفقر آمنين، وبالله في أرزاقهم واثقين، وبمقادير الله مسرورين، وفي البلاء راضين، وفي الرخاء شاكرين، وفي الضَّرَّاء صابرين، وفي السَّرَّاء حامدين، وكانوا لله متواضعين، وعن حب العلو والتكاثر ورعين، لم ينالوا من الدنيا إلا**

(١) رواه البخاري في صحيحه ٢/ ٣٩٣، ٣/ ١٠٣.

(٢) كذا في الزبيدي، وليست في ط المنهاج ٦/ ٢٣٠، وهو الصواب.

(٣) في غير الزبيدي: أحوالك. وهو الذي في الوصايا، ص ٨٠.

المباح لهم) فوضعوه في مواضعه **(ورضوا بالبُلغة منها)** أي بالقدر الذي يبلغهم إلىٰ الآخرة **(وزجوا**[١] **الدنيا)** أي ساقوها وأبعدوها عنهم **(وصبروا علىٰ مكارهها، وتجرَّعوا مرارتها، وزهدوا في نعيمها وزهراتها، فبالله أكذلك أنت)**؟ لا تقدر تقول نعم **(ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا: ذنب عُجِّلت عقوبته من الله. وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا: مرحبًا بشعار الصالحين)** وقد رُوي ذلك من حديث أبي الدرداء: قال الله لموسىٰ عليه السلام .. فذكره. ويُروَىٰ أيضًا عن كعب الأحبار، وقد تقدم في ذم الدنيا، وسيأتي أيضًا في كتاب الزهد والفقر **(وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء)** من الدنيا **(أصبح كئيبًا حزينًا)** مغمومًا **(وإذا)** أصبح و**(لم يكن عندهم شيء أصبح فرِحًا مسرورًا، فقيل له: إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا، وإذا كان عندهم شيء فرحوا، وأنت لست كذلك. فقال: إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت؛ إذ كان لي بمحمد ﷺ أسوة)** فإنه كثيرًا ما يصبح وليس عند عياله شيء **(فإذا كان عند عيالي شيء اغتممت؛ إذ لم يكن لي بآل محمد ﷺ أسوة. وبلغنا أنهم كانوا إذا سُلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا)** علىٰ أنفسهم **(وقالوا: ما لنا وللدنيا وما يُراد منها؟ فكأنَّهم علىٰ جناح خوف. وإذا سُلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا: الآن تعاهدنا ربُّنا)** أي نظر إلينا بالرضا. رواه صاحب القوت[٢] عن الحسن قال: كانوا بالبلاء والشدة أشد فرحًا منكم بالرخاء والخصب، لو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم قالوا: ما لهؤلاء من خَلاق، ولو رأوا شِراركم قالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب **(فهذه أحوال السلف ونعتهم، وفيهم من الفضل أكثر ممَّا وصفنا، فبالله أكذلك أنت)**؟ وفيك هذه الأوصاف؟ **(إنك لَبعيدُ الشبه بالقوم، وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضد أحوالهم**[٣]**، وذلك أنك تطغىٰ عند الغنىٰ)** أي تتجاوز عن الحدود

(١) في م الإمام، وفي المنهاج: رفضوا.

(٢) قوت القلوب ٢/ ٧٤١.

(٣) في غير الزبيدي: ضدًا لأحوالهم.

(وتبطر في الرخاء) أي تكفر بالنعمة ولا تشكرها **(وتمرح عند السَّرَّاء، وتغفل عن شكر ذي النعماء، وتقنط عند الضَّرَّاء، وتسخط عند البلاء، ولا ترضىٰ بالقضاء،** نعم، **وتبغض الفقر)** إذا أقبل إليك **(وتأنف من المسكنة، وذلك فخر المرسَلين، وأنت تأنف من فخرهم)** فقد[1] ورد: «الفقر أزيَنُ بالمؤمن من العذار الحسن علىٰ خد الفرس». رواه الطبراني[2] من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، كذلك رواه ابن عدي في الكامل[3]، وسيأتي للمصنف في كتاب الزهد والفقر. فأما ما اشتهر علىٰ الألسنة: «الفقر فخري، وبه أفتخر» فقد قال الحافظ ابن حجر[4]: إنه موضوع لا أصل له **(وأنت تدَّخر المال وتجمعه خوفًا من الفقر، وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه، وكفىٰ به إثمًا، وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذَّاتها، ولقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: شِرار أمَّتي الذين غُذُّوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامُهم)** رواه البزار من حديث أبي هريرة بسند ضعيف بلفظ «إن من شِرار أمَّتي» وقد تقدم في فصل ذم المال من أول هذا الكتاب.

(وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: لَيجيءُ يوم القيامة قومٌ يطلبون حسنات لهم، فيقال لهم: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) روىٰ جرير بن حازم عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: واللهِ إني لو شئتُ لكنت من ألينكم طعامًا وأرقكم عيشًا، ولكني سمعت الله تعالىٰ يقول عن قوم: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي

(١) المقاصد الحسنة ص ٣٠٠.

(٢) المعجم الكبير ٧/ ٣٥٣.

(٣) الكامل في الضعفاء ١/ ٣٣٨.

(٤) التلخيص الحبير ٣/ ٢٣٥، ونصه: «هذا الحديث سئل عنه الحافظ ابن تيمية فقال: إنه كذب لا يعرف في شيء من كتب المسلمين المروية. وجزم الصاغاني بأنه موضوع».
انظر: الموضوعات للصاغاني ص ٤٦.

حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية[١] [الأحقاف: ٢٠]. وروىٰ ابن قانع[٢] عن سالم مولىٰ أبي حذيفة [مرفوعًا] قال: «يؤتَىٰ بأقوام [من ولد آدم] يوم القيامة معهم حسنات كالجبال، حتىٰ إذا دنوا وأشرفوا علىٰ الجنة نودوا أن لا نصيب لكم فيها» **(وأنت في غفلة، قد حُرمتَ نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا، فيا لها حسرة ومصيبة، نعم، وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا، وقد بلغنا أنه: مَن طلب الدنيا ليكاثر أو ليفاخر بها لقي الله وهو عليه غضبان)** وهو قطعة من حديث أبي هريرة، أوله: «مَن طلب الدنيا حلالاً استعفافًا عن المسألة وسعيًا علىٰ أهله وتعطُّفًا علىٰ جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر، ومَن طلبها حلالاً مكاثرًا بها مفاخرًا لقي الله عَزَّوَجَلَّ وهو عليه غضبان». رواه أبو الشيخ في الثواب وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب. وقد تقدم في كتاب الكسب وآداب المعيشة **(وأنت غير مكترث بما حلَّ بك من غضب الله حين أردت التكاثر والعلوَّ، نعم، وعساك المكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلىٰ جوار الله تعالىٰ، فأنت تكره لقاء الله تعالىٰ، والله للقائك أكرهُ)** ففي الخبر: «مَن أحب لقاء الله تعالىٰ أحب اللهُ لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه». متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت، ومن حديث عائشة، ومن حديث أبي موسىٰ[٣] **(وأنت في غفلة، وعساك تأسف علىٰ ما**

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٤٩ بلفظ: «والله إني لو شئت لكنت من ألينكم لباسا وأطيبكم طعاما وأرقكم عيشا، إني والله ما أجهل عن كراكر وأسنمة وعن صلاء وصناب وصلايق، ولكني سمعت الله عَزَّوَجَلَّ عير قوما بأمر فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾». ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٩٤ وزاد في أوله: «قدم علىٰ أمير المؤمنين عمر وفد من أهل البصرة مع أبي موسىٰ الأشعري، قال: فكنا ندخل عليه، وله كل يوم خبز يلت، وربما وافيناه ما دوم بسمن، وأحيانا بزيت، وأحيانا باللبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دقت، ثم أغلي بماء، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل، فقال لنا يوما: إني واللهِ لقد أرىٰ تعذيركم وكراهيتكم طعامي، وإني والله لو شئت ...» الخ. ورواه ابن سعد أيضا في الطبقات الكبرىٰ ٣/ ٢٥٩ بهذه الزيادة.

(٢) معجم الصحابة ١/ ٢٨٣.

(٣) تقدم هذا الحديث في كتاب الأذكار والدعوات.

فاتك من عَرَض الدنيا، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: مَن أسفَ علىٰ دنيا فاتته اقترب من النار مسافة سنة) قال العراقي: رويناه في كتاب «القُربة» لأبي حفص العَتَكي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال: «مسيرة ألف سنة»، وإسناده ضعيف. ورويناه في الجزء الثاني عشر من فوائد الخلعي من هذا الوجه.

قلت: وهو في مشيخة أبي عبد الله الرازي[1][2] هكذا بزيادة: «ومَن أسفَ علىٰ آخرة فاتته اقترب من الجنة مسافة ألف سنة».

(وأنت تأسف علىٰ ما فاتك) من الدنيا **(غير مكترث بقربك من عذاب الله، نعم، ولعلك تخرج من دينك أحيانًا لتوفير دنياك)** أي لتكثيرها **(وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورًا بها، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: مَن أحب الدنيا وسُرَّ بها ذهب خوف الآخرة من قلبه)** قال العراقي[3]: لم أجده إلا بلاغًا للحارث بن أسد، كما ذكره المصنِّف عنه.

(وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: إنك محاسَب علىٰ التحزُّن علىٰ ما فاتك من الدنيا، ومحاسَب بفرحك في الدنيا إذا قدرتَ عليها وأنت فرِحٌ بدنياك وقد سُلِبتَ الخوف من الله تعالىٰ، وعساك تعنىٰ بأمور الدنيا أضعاف ما تعنىٰ بأمور آخرتك، وعساك ترىٰ أن مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك، نعم، وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب، وعساك تبذل للناس ما جمعتَ من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا، وعساك تُرضِي المخلوقين بمساخط الله تعالىٰ كيما تُكرَّم وتعظَّم، ويحك! فكأنَّ احتقار الله لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك، وعساك تُخفِي عن المخلوقين مساوئك) وعيوبك **(ولا تكترث باطِّلاع الله عليك فيها، فكأنَّ الفضيحة عند الله أهون عليك**

---

(١) مشيخة الرازي ص ٢٧٣ (ط - دار الهجرة بالرياض).

(٢) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي، المعروف بابن الحطاب ت ٥٢٥هج.

(٣) المغني ٢/ ٩١٧.

من الفضيحة عند الناس، وكأنَّ العبيد أعلىٰ عندك قدرًا من الله، تعالىٰ اللهُ عن جهلك، فكيف تنطق عند ذوي الألباب وهذه المثالب) أي المَفالج والمعايب موجودة (فيك؟ أف لك! متلوِّث بالأقذار وتحتجُّ بمال الأبرار، هيهات هيهات! ما أبعدك عن السلف الأخيار! واللهِ لقد بلغني أنهم كانوا فيما أُحِلَّ لهم أزهد منكم فيما حُرِّم عليكم) رواه صاحب القوت[1] عن الحسن قال: رأيت سبعين بدريًّا كانوا واللهِ فيما أُحِلَّ لهم أزهد منكم فيما حُرِّم عليكم (إن الذي لا بأس به عندكم كان كالموبِقات) أي الكبائر المهلكات (عندهم، وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظامًا منكم لكبائر المعاصي، فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم، وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا علىٰ حسناتهم أن لا تُقبل، ليت صومك علىٰ مثال إفطارهم، وليت اجتهادك في العبادة علىٰ مثال فتورهم ونومهم، وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم، وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال: غنيمة الصِّدِّيقين ما فاتهم من الدنيا، ونهمتُهم ما زُوي عنهم منها) أي أُخِّر وأُبعِد (فمَن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا، ولا معهم في الآخرة، فسبحان الله! كم بين الفريقين من التفاوت: فريق خيار الصحابة في العلو عند الله تعالىٰ، وفريق أمثالكم في السفالة، أو يعفو الله الكريم بفضله.

وبعد، فإنك إن زعمت أنك مُتأسٍّ) أي مقتدٍ (بالصحابة بجمع الأموال للتعفُّف والبذل في سبيل الله تعالىٰ فتدبَّرْ أمرك. ويحك! هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم؟ أوَ تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا؟ لقد بلغني أن بعض الصحابة قال: كنا نَدَع سبعين بابًا من الحلال مخافةَ أن نقع في باب من الحرام) تقدم في كتاب الحلال والحرام. وروىٰ صاحب الحلية[2] من طريق عباس بن خليد عن أبي الدرداء [قال: تمام التقوىٰ أن يتقي

(١) قوت القلوب ٢/ ٧٤١.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢١٢.

العبد الله عَزَّوَجَلَّ حتىٰ يتقيه في مثل مثقال ذرة، حتىٰ][1] يترك العبد بعض ما يرىٰ أنه حلال خشيةَ أن يكون حرامًا[2] **(أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط؟ لا ورب الكعبة، ما أحسبك كذلك. ويحك! كن علىٰ يقين أن جمع المال لأعمال البر مكرٌ من الشيطان)** واستدراج **(ليوقعك بسبب البِر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: مَن اجترأ علىٰ الشبهات أوشك أن يقع في الحرام)** متفق[3] عليه من حديث النعمان بن بشير نحوه، وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث **(أيها المغرور، أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلىٰ وأفضل وأعظم لقدْرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر، بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال: لأنْ تَدَع درهمًا واحدًا مخافةَ أن لا يكون حلالاً خيرٌ لك من أن تتصدَّق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا)** تقدم في كتاب الحلال والحرام[4] **(فإن زعمت أنك أتقىٰ وأورع من أن تتلبَّس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله، ويحك! إن كنت كما زعمت بالغًا في الورع فلا تتعرَّض للحساب، فإن خيار الناس خافوا المُساءلة)** بين يدي الله تعالىٰ **(وبلغنا أن بعض الصحابة قال: ما يسرُّنىٰ أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسبُ عن صلاة الجماعة. قالوا: ولِمَ ذلك رحمك الله؟ قال: لأني غنيٌّ عن مقام يوم القيامة، فيقول: عبدي، من أين اكتسبت؟ وفي أيِّ شيء أنفقت)** رُوي نحوه من قول أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال أبو نعيم في الحلية[5]: حدثنا أبو عمرو ابن حمدان،

(١) مكان ما بين المعقوفين بياض في المطبوعة، واستدركته من الحلية.

(٢) بعده في الحلية: يكون حاجزا بينه وبين الحرام.

(٣) المغني للعراقي ٢/ ٩١٧.

(٤) عن عبد الله بن المبارك بلفظ: «رد درهم من شبهة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف .. حتىٰ بلغ إلىٰ ستمائة ألف».

(٥) حلية الأولياء ١/ ٢٠٩.

حدثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله، حدثنا عمر بن زرارة، حدثنا المحاربي، عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرَّة قال: قال أبو الدرداء: بُعث النبي ﷺ وأنا تاجر، فأردت أن تجتمع لي التجارة والعبادة فلم تجتمعا، فرفضت التجارة وأقبلت علىٰ العبادة، والذي نفس أبي الدرداء بيده ما أحب أن لي اليوم حانوتًا علىٰ باب المسجد لا تخطئني فيه صلاةٌ أربح فيه كل يوم أربعين دينارًا وأتصدَّق بها كلها في سبيل الله. قيل له: يا أبا الدرداء، وما تكره من ذلك؟ قال: شدة الحساب. ورواه محمد بن الجنيد التَّمَّار عن المحاربي فقال: عن عمرو بن مرة عن أبيه. ورواه خيثمة عن أبي الدرداء نحوه. وروىٰ أحمد في كتاب الزهد[١] – ومن طريقه أبو نعيم[٢] – قال: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد الله بن بجير، حدثنا أبو عبد رب قال: قال أبو الدرداء: ما يسرُّني أن أقوم علىٰ الدرج من باب المسجد فأبيع وأشتري فأصيب كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلاة كلَّها في المسجد، ما أقول إن الله لم يحلَّ البيع ويحرم الربا، ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيعٌ عن ذِكر الله. ومن[٣] طريق محمد ابن واسع أن أبا الدرداء كتب إلىٰ سلمان: ويا أخي، مَن لي ولك بأن نوافي يوم القيامة ولا نخاف حسابًا؟

(فهؤلاء المتَّقون كانوا في جدة الإسلام) أي في أوله ونشاطه **(والحلال موجود لديهم، تركوا المال وَجَلاً من الحساب مخافةَ أن لا يقوم خير المال بشرِّه، وأنت ثفالة الأمَّة)** أي رذالتها **(والحلال في دهرك مفقود، تتكالب علىٰ الأوساخ)** وهي أعراض الدنيا **(ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال، ويحك! وأين الحلال فتجمعه. وبعد، فلو كان الحلال موجودًا لديك أما تخاف أن يتغيَّر عند الغنىٰ قلبُك)** عمَّا كان عليه من الإقبال علىٰ المعرفة **(وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان**

(١) الزهد ص ١١٣.
(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٠٩.
(٣) السابق ١/ ٢١٥.

يرث المال الحلال فيتركه مخافةَ أن يفسد قلبه) رواه صاحب القوت[١] عن الحسن قال: كان أحدهم يعرض له المال الحلال [فلا يأخذه] ويقول: لا حاجة لي به، أخاف أن يفسد عليَّ قلبي **(أفتطمع أن يكون قلبك أتقىٰ من قلوب الصحابة فلا تزول عن شيء من الحق في أمرك وأحوالك)**؟ هذا لا يكون، و**(لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمَّارة بالسوء)** وبرَّأتَها **(ويحك! إني لك ناصح، أرىٰ لك أن تَقنع بالبلغة)** من العيش **(ولا تجمع المال لأعمال البر)** فتركُك له آثَرُ **(ولا تتعرَّض للحساب، فإنه بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: مَن نوقِشَ الحساب عُذِّب)** متفق عليه من حديث عائشة، وقد تقدم.

(وقال ﷺ: يؤتَىٰ برجل يوم القيامة وقد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حرام، فيقال: اذهبوا به إلىٰ النار. ويؤتَىٰ برجل) آخر **(قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حرام، فيقال: اذهبوا به إلىٰ النار. ويؤتَىٰ برجل)** آخر **(قد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حلال فيقال: اذهبوا به إلىٰ النار. ويؤتىٰ برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حلال، فيقال له: قِفْ، لعلَّك قصَّرت في طلب هذا بشيء ممَّا فرضتُ عليك من صلاة لم تصلِّها لوقتها، وفرَّطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها. فيقول: لا يا رب، كسبت من حلال، وأنفقت في حلال، ولم أضيِّع شيئًا مما فرضتَ عليَّ. فيقال: لعلَّك اخْتَلْتَ في هذا المال)** من الاختيال وهو التكبُّر **(في شيء من مركب أو ثوب باهيت به. فيقول: لا يا رب، لم أَخْتَلْ ولم أُباهِ في شيء. فيقال: لعلَّك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل. فيقول: لا يا رب، كسبت من حلال، وأنفقت في حلال، ولم أضيع شيئًا مما فرضتَ عليَّ، ولم أَخْتَلْ ولم أُباهِ، ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه. قال: فيجيء أولئك فيخاصمونه فيقولون: يا رب، أعطيتَه وأغنيته وجعلته بين أظهُرنا وأمرته أن يعطينا. فإن كان أعطاهم وما ضيَّع مع ذلك شيئًا من الفرائض ولم يَخْتَلْ في شيء فيقال: قِف**

---

(١) قوت القلوب ٢/ ٧٤١.

الآن، هات شكر كلِّ نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذَّة. فلا يزال يُسئل) قال العراقي[١]: الحديث بطوله لم أقف له على أصل.

(ويحك! فمَن ذا الذي يتعرَّض لهذه المُساءلة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلَّب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدَّىٰ الفرائض بحدودها حوسِبَ هذه المحاسبة فكيف ترىٰ يكون حال أمثالنا الغرقىٰ في فتن الدنيا وتخاليطها وشُبهاتها وشهواتها وزينتها؟ ويحك! لأجل هذه المُساءلة يخاف المتَّقون أن يتلبَّسوا بالدنيا) ويطمئنوا إليها (فرضوا بالكفاف منها، وعملوا بأنواع البر من كسب المال، فلك - ويحك! - بهؤلاء الأخيار أسوة، فإن أبيت ذلك وزعمت أنك بالغ في الورع والتقوىٰ ولم تجمع المال إلا من حلال بزعمك للتعفُّف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئًا من الحلال إلا بحق ولم يتغيَّر بسبب المال قلبُك عما يحب الله) ويرضاه (ولم تُسخِط اللهَ في شيء من سرائرك وعلانيتك، ويحك! فإن كنت كذلك - ولست كذلك - فقد ينبغي لك أن ترضىٰ بالبلغة) من العيش (وتعتزل ذوي الأموال إذا وقفوا للسؤال وتستبق مع الرعيل الأول) والرعيل: طائفة من الجيش (في زُمرة المصطفىٰ) ﷺ (لا حبس عليك) ولا وقوف (للمُساءلة والحساب فإما سلامة وإما عطب) أي هُلْك (فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: يدخل صعاليك المهاجرين) أي فقراؤهم (قبل أغنيائهم الجنةَ بخمسمائة عام) قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] وحسَّنه وابن ماجه[٤] من حديث أبي سعيد بلفظ «فقراء» مكان: صعاليك. ولهما[٥] وللنسائي في الكبرىٰ[٦] من حديث أبي هريرة: «يدخل الفقراء الجنة ...» الحديث.

---

(١) المغني ٢/ ٩١٨.

(٢) المغني ٢/ ٩١٨.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٧١.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦٥.

(٥) سنن الترمذي ٤/ ١٧٢، وقال: حسن صحيح. سنن ابن ماجه ٥/ ٥٦٥.

(٦) السنن الكبرىٰ ١٠/ ١٩٢.

ولمسلم[١] من حديث عبد الله بن عمرو: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء إلىٰ الجنة بأربعين خريفًا». انتهىٰ.

قلت: حديث أبي هريرة لفظه: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام». هكذا رواه أحمد[٢] والترمذي وحسَّنه وابن ماجه. وهو في الحلية[٣] بلفظ: «بيوم كان مقداره ألف عام». وقال: المؤمنين، بدل: المسلمين. وفي رواية له[٤]: «يدخل فقراء أمَّتىٰ الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام».

وروىٰ الحكيم[٥] من حديث سعيد بن عامر بن حِذْيَم: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة، حتىٰ إن الرجل من الأغنياء لَيدخلُ في غمارهم فيؤخذ بيده فيُستخرَج». ورواه الطبراني في الكبير[٦] بلفظ: «إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الناس بسبعين عامًا».

وروىٰ الديلمي[٧] من حديث أبي برزة: «إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار أربعين عامًا حتىٰ يتمنَّىٰ أغنياء المسلمين يوم القيامة أنهم كانوا فقراء في الدنيا، وإن أغنياء الكفار لَيدخلون النار قبل فقرائهم بمقدار أربعين عامًا حتىٰ يتمنىٰ أغنياء الكفار أنهم كانوا في الدنيا فقراء». وفي سنده نُفَيع بن الحارث، وهو متروك[٨].

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٣٥٩.

(٢) مسند أحمد ١٤/ ٢٠٨.

(٣) حلية الأولياء ٨/ ٢١٢.

(٤) السابق ٨/ ٢٥٠. وفيه: بمائة عام.

(٥) نوادر الأصول ص ٣٥٢.

(٦) المعجم الكبير ٦/ ٥٨.

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٣١.

(٨) كنز العمال ٦/ ٤٧٥.

وفي الباب عن جابر وابن عمر وأبي الدرداء، ولفظهم جميعًا: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفًا». فحديث جابر عند أحمد[١] وعبد بن حميد[٢] والترمذي[٣]، وحديث ابن عمر وأبي الدرداء عند الطبراني في الكبير[٤].

ورواه أحمد[٥] عن رجال من الصحابة بلفظ: «يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بأربعمائة عام ...» الحديث.

(وقال ﷺ: يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتَّعون ويأكلون، والآخَرون جُثاة علىٰ رُكَبهم، فيقول: قِبَلكم طلبتي، أنتم حكَّام الناس وملوكهم، فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتكم) قال العراقي[٦]: لم أرَ له أصلاً.

قلت: روىٰ[٧] أبو سعيد النقَّاش في كتاب القضاة[٨] من طريق عبدة بن عبد الرحيم المروزي عن بقية حدثنا سلمة بن كلثوم عن أنس رفعه: «يؤتَىٰ بالحكام يوم القيامة، بمَن قصَّر وبمن تعدَّىٰ، فيقول: أنتم خُزَّان أرضي ورعاء عبيدي وفيكم بُغيتي ...» فساق الحديث، وفيه: «فيقول: انطلِقوا بهم فسُدُّوا بهم ركنًا من أركان جهنم». وعبدة، قال أبو داود: لا أحدِّث عنه. وسلمة شامي ثقة، وبقية روايتُه عن الشاميين مقبولة، وقد صرَّح في هذا الحديث بالتحديث.

(وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: ما يسرُّني أن لي حمر النعم ولا أكون في

---

(١) مسند أحمد ٢٢/ ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ١٨٣.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٧٣.

(٤) حديث ابن عمر في المعجم الكبير ١٢/ ٣١٦. أما حديث أبي الدرداء فرواه أبو يعلىٰ الموصلي في معجم شيوخه ص ١٠٦، وابن عدي في الكامل ٢/ ٦٩٤.

(٥) مسند أحمد ٣٨/ ١٩٠.

(٦) المغني ٢/ ٩١٨.

(٧) كنز العمال ٦/ ٤٣.

(٨) وكذلك ابن أبي الدنيا في الأهوال ص ٢٤٨.

الرعيل الأول مع محمد ﷺ وحزبه) رواه صاحب القوت عن سعيد بن عامر بن حذيم رضي الله عنه نحوه.

(يا قوم، فاستبِقوا السباق مع المخفين في زُمرة المرسَلين، وكونوا وَجِلين) أي خائفين **(من التخلُّف والانقطاع عن رسول الله ﷺ كما وجلَ المتقون، لقد بلغني أن بعض الصحابة - وهو أبو بكر رضي الله عنه - عطش، فاستسقىٰ)** أي طلب [ماء] **(فأُتي بشربة من ماء وعسل)** أي ماء ممزوج بالعسل **(فلما ذاقه خنقته العَبرةُ، ثم بكىٰ وأبكىٰ)** الحاضرين **(ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء)** فما زال يبكي حتىٰ مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء **(فلما أكثر البكاءَ قالوا له: أكلُّ هذا من أجل هذه الشربة؟! قال: نعم، بينا أنا يومًا عند رسول الله ﷺ، وما معه أحد في البيت غيري، فجعل يدفع عن نفسه وهو يقول: إليكِ عني. فقلت له: فِداك أبي وأمي، ما أرىٰ بين يديك أحدًا، فمَن تخاطب؟ قال: هذه الدنيا تطاولت إليَّ بعنقها ورأسها فقالت لي: يا محمد، خذني. فقلت: إليكِ عني، فقالت: إن تنجُ مني يا محمد فإنه لا ينجو مني مَن بعدك. فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله ﷺ)** قال العراقي(١): رواه البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال: كنا عند أبي بكر، فدعا بشراب، فأُتي بماء وعسل ... الحديث. قال الحاكم: صحيح الإسناد. قلت: بل ضعيف، وقد تقدم قبل هذا الكتاب(٢). انتهىٰ.

قلت: وكأنه يشير إلىٰ أن في سنده عبد الواحد بن زيد حدثنا أسلم عن مُرَّة الطيِّب عن زيد بن أرقم. وعبد الواحد بن زيد، قال البخاري(٣) والنسائي(٤):

---

(١) المغني ٢/ ٩١٩.

(٢) يعني في كتاب ذم الدنيا.

(٣) التاريخ الكبير ٦/ ٦٢.

(٤) الضعفاء والمتروكون ص ١٦٢.

متروك. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه، وقد تقدم سياقه.

وقد رُوي نحو ذلك عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه جعفر بن سليمان عن حوشب عن الحسن قال: أُتي عمر بشربة عسل، فذاقها فإذا ماء وعسل، فقال: اعزلوا عني حسابها، اعزلوا عني مؤنتها. وقد تقدم أيضًا[١].

ويُروىٰ عن عمر أيضًا أنه قال: لولا مخافة طول الحساب لأمرت بحَمَل يُشوىٰ لنا في التنُّور[٢].

(يا قوم، فهؤلاء الأخيار بكوا وجلاً أن تقطعهم عن رسول الله ﷺ شربةٌ من حلال. ويحك! أنت في أنواع النعم والشهوات من مكاسب السُّحت والشبهات لا تخشىٰ الانقطاع، أف لك! ما أعظم جهلك! ويحك! فإن تخلَّفت في القيامة عن رسول الله ﷺ محمد المصطفىٰ لتنظرنَّ إلىٰ أهوال) أي شدائد **(جزعت منها الملائكة والأنبياء)** عليهم السلام مع جلالة قدْرهم **(ولئن قصَّرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق، ولئن أردت الكثرة)** من أعراض الدنيا **(لتصيرن إلىٰ حساب عسير، ولئن لم تَقنع بالقليل)** من الدنيا **(لتصيرن إلىٰ وقوف طويل)** بين يدي رب جليل **(وصراخ وعويل، ولئن رضيتَ بأحوال المتخلِّفين لتنقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطِّئن عن نعيم المتنعِّمين)** في دار النعيم **(ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبَسين في أهوال يوم الدين، فتدبَّرْ - ويحك! - ما سمعت)** واجعله في تامور[٣] قلبك لترشد.

(وبعد، فإن زعمت أنك في مثال خيار السلف قانع بالقليل، زاهد في الحلال، بَذُول لمالك) أي كثير البذل له **(مؤثِر علىٰ نفسك، لا تخشىٰ الفقر، ولا تدَّخر شيئًا لغدك، مبغض للتكاثر والغنىٰ، راضٍ بالفقر وبالبلاء، فرِحٌ بالقلة والمسكنة، مسرور**

---

(١) في كتاب كسر الشهوتين.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع ص ٤٦.

(٣) أي: وعاء قليل. التاج ١٠/ ٧٨.

بالذل والضعة، كاره للعلو والرفعة، قويٌّ في أمرك، لا يتغير عن الرشد قلبُك، قد حاسبت نفسك في الله، وأحكمت أمورك كلَّها علىٰ ما وافق رضوانَ الله، ولن توقَف في المُساءلة، ولن يحاسَب مثلك من المتقين، وإنما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله - ويحك أيها المغرور! - فتدبَّر الأمر، وأحسِن النظرَ، أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكُّر والتذكار والفكر والاعتبار أسلم للدين، وأيسر للحساب، وأخفُّ للمُساءلة، وآمَنُ من روعات القيامة، وأجزل للثواب، وأعلىٰ لقدْرك عند الله أضعافًا. بلغنا عن بعض الصحابة[(١)] أنه قال: لو أن رجلاً في حِجره دنانير يعطيها) للمحتاجين **(والآخَر يذكر الله لكان الذاكر)** لله **(أفضل)** وهذا قد[(٢)] رُوي مرفوعًا من حديث أبي موسىٰ الأشعري بلفظ: «لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل». رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر[(٣)]، وفيه جابر أبو الوازع، روىٰ له مسلم، وقال النسائي: منكر الحديث.

(وسُئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر، قال: تركُه أَبَرُّ به) رواه صاحب القوت عن الحسن.

(وبلغنا أن بعض خيار التابعين سُئل عن رجلين: أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها فوصل بها رحمه وقدَّم لنفسه، وأما الآخَر فإنه جانَبَها فلم يطلبها ولم يبذلها، فأيُّهما أفضل؟ قال: بعيد - واللهِ - ما بينهما، الذي جانَبَها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها) رواه صاحب القوت[(٤)] عن الحسن.

---

(١) هو أبو برزة الأسلمي، كما رواه عنه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص ١٥٣، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ١٧٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٣.

(٢) كنز العمال ١/ ٤٣١.

(٣) ورواه أيضا الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ١١٦.

(٤) قوت القلوب ٢/ ٨٣٨، ونصه: «كان الحسن البصري إمام الأئمة يقول: لا شيء أفضل من رفض الدنيا، قال الفضل بن ثور: قلت للحسن: يا أبا سعيد، رجلان: طلب أحدهما الدنيا =

(ويحك! فهذا الفضل لك بترك الدنيا علىٰ مَن طلبها، ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال، إن ذلك أروحُ لبدنك) أي أكثر راحة له (وأقل لتعبك، وأنعم لعيشك، وأرضىٰ لبالك) أي لسرِّك (وأقل لهمومك، فما عذرك في جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممَّن طلب المال لأعمال البر، نعم، وشغلُك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله، فاجتمع لك راحةُ العاجل) أي الدنيا (مع السلامة والفضل في الآجِل) أي الآخرة. (وبعد، فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسَّىٰ) أي تقتدي (بنبيِّك) ﷺ (إذ هداك الله به) من الضلالة (وترضىٰ بما اختار) هو (لنفسه من مجانبة الدنيا) وأعراضها والقناعة منها بالكفاف والبلغة (ويحك! تدبَّرْ ما سمعت) ترشدْ (وكنْ علىٰ يقين أن السعادة والفوز في مجانبة الدنيا) والإعراض عنها (فسِرْ مع لواء المصطفىٰ) ﷺ (سابقًا إلىٰ جنة المأوىٰ، فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: سادات المؤمنين في الجنة) أي رؤساؤهم فيها (مَن إذا تغدَّىٰ لم يجد عَشاء، وإذا استقرض لم يجد قرضًا، وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه، ولم يقدر علىٰ أن يكتسب ما يغنيه، يمسي مع ذلك ويصبح راضيًا عن ربِّه، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحسُنَ أولئك رفيقًا) قال العراقي(١): عزاه صاحب مسند الفردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصرًا بلفظ: «سادة الفقراء في الجنة ...» الحديث(٢)، ولم أرَه في معاجم الطبراني.

= بحلالها فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه، ورجل رفض الدنيا. قال: أحبهما إليَّ الذي رفض الدنيا. فأعدت عليه القول بذلك فقال: سبحان الله! ما اعتدل الرجلان، أحبهما إليَّ الذي جانب الدنيا». والأثر رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٩٠، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص ٢٢١، والبيهقي في الزهد الكبير ص ١٨٠، وابن الأعرابي في الزهد وصفة الزاهدين ص ٨٩.

(١) المغني ٢/ ٩١٩.

(٢) هذا الحديث رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٩٩ - ١٠٠ من طريق الطبراني.

قلت: ولعله في مكارم الأخلاق له.

(ألا يا أخي، فمتىٰ جمعت هذا المال من بعد هذا البيان فإنك مبطل فيما ادَّعيت أنك للبر والفضل تجمعه، لا، ولكنك خوفًا من الفقر تجمعه، وللتنعُّم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه، ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال، ويحك! راقِب اللهَ واستَحِ من دعواك. أيُّها المغرور - ويحك! - إن كنت مفتونًا بحب المال والدنيا فكن مقرًّا) في نفسك (أن الخير والفضل في الرضا بالبلغة) من العيش (ومجانبة الفضول) وتقديمها بين يديك (نعم، وكن عند جمع المال مزريًا علىٰ نفسك، معترفًا بإساءتك، وَجِلاً من الحساب، فذلك أنجىٰ لك وأقرب إلىٰ الفضل من طلب الحجج) والأدلَّة (لجمع المال.

إخواني، اعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجودًا، وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم في المباح لهم) كما هو معروف لمَن سبر سيرتَهم (ونحن في دهرٍ الحلالُ فيه مفقود، وكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت وسترِ العورة) وكُنٍّ يواري (فأما جمعُ المال في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم من ذلك. وبعد، فأين لنا مثل تقوىٰ الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم؟ وأين لنا مثل ضمائرهم وحُسن نيَّاتهم؟ دُهينا ورب السماء) جلَّ وعز (بأدواء النفوس) وأمراضها (وأهوائها، وعن قريب يكون الورود، فيا سعادة المخفِّين) في حملهم (يوم النشور، وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط) في الأموال (وقد نصحت لكم إن قَبِلتم) نصحي (والقابلون لهذا قليل) لأن الدنيا استهوتهم وأسرتهم فلا يكادون يقبلون (وفَّقنا الله وإياكم لكل خير برحمته ... آمين.

هذا آخر كلامه) أي كلام الحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله تعالىٰ (وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر علىٰ الغنىٰ، ولا مزيد عليه، ويشهد لذلك) أيضًا (جميع الأخبار) الواردة (التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا) وقد سبق (وفي كتاب

الفقر والزهد) كما سيأتي **(ويشهد له أيضًا ما رُوي عن أبي أُمامة)** صُدَيِّ بن عجلان **(الباهلي)** رضي الله عنه **(أن ثعلبة بن حاطب)** وهما[1] رجلان من الصحابة، أحدهما: ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أميَّة بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري، ذكره موسىٰ بن عُقبة وابن إسحاق[2] في البدريين، وكذا ذكره ابن الكلبي[3] وزاد أنه قُتل بأُحد. والثاني: ثعلبة بن حاطب - أو أبي حاطب - الأنصاري، ذكره ابن إسحاق فيمن بنىٰ مسجد الضِّرار[4] **(قال: يا رسول الله، ادْعُ الله أن يرزقني مالاً. قال: يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. قال)**: ثم أتاه فقال: **(يا رسول الله، ادْعُ اللهَ أن يرزقني مالاً. فقال: يا ثعلبة، أما لك فيَّ أسوة؟ أما ترضىٰ أن تكون مثل نبي الله؟ أما والذي نفسي بيده لو شئتُ أن تسير معي الجبال ذهبًا وفضة لسارت. قال: والذي بعثك بالحق نبيًّا لئن دعوتَ الله أن يرزقني مالاً لأعطينَّ كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن)** يعني من صنائع المعروف والبر من التصدُّق وغيره **(قال رسول الله ﷺ: اللهم ارزق ثعلبة مالاً. فاتخذ غنمًا، فنمت)** أي زادت وبورك في نسلها **(كما ينمو الدود)** إشارة إلىٰ الكثرة، فإن الدود يتوالد كثيرًا **(فضاقت عليه المدينة، فتنحَّىٰ عنها)** بغنمه **(فنزل واديًا من أوديتها حتىٰ جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة)** مع النبي ﷺ **(ويَدَع ما سواهما)** لبُعد الموضع **(ثم نمت وكثرت، فتنحَّىٰ)** إلىٰ وادٍ آخر أبعد من الأول

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ١٩.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣١.

(٣) نسب معد واليمن الكبير لهشام بن محمد الكلبي ١/ ٣٦٩ (ط - عالم الكتب والنهضة العربية).

(٤) لم يذكره ابن إسحاق فيمن بني مسجد الضرار، وإنما ذكره في المنافقين وذكر قبله رجلا منافقا ممن بنىٰ الضرار، فقال: «ومن بني ضبيعة: أبو حبيبة بن الأزعر وكان ممن بنىٰ مسجد الضرار، وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين». وتعقبه ابن هشام فقال: «معتب بن قشير وثعلبة والحارث ابنا حاطب من بني أمية بن زيد من أهل بدر، وليسوا من المنافقين فيما ذكر لي من أثق به من أهل العلم، وقد نسب ابن إسحاق ثعلبة والحارث في بني أمية بن زيد في أسماء أهل بدر». سيرة ابن هشام ٢/ ١٦٣.

(**حتىٰ ترك**) الصلوات في (**الجماعة إلا الجمعة، وهي تنمو**) وتكثر (**كما ينمو الدود**) ببركة دعوته ﷺ، فاشتغل بها (**حتىٰ ترك الجمعة**) أي حضورها في مسجد الجماعة لبُعد المسافة، أو للأشغال (**وطفق يلقىٰ الرُّكبان**) المارِّين عليه (**يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة، وسأل رسولُ الله ﷺ عنه فقال: ما فعل ثعلبة بن حاطب؟ فقيل: يا رسول الله، اتخذ غنمًا، فضاقت عليه المدينة**) فخرج إلىٰ الأودية (**وأُخبِر بأمره كلِّه**) وفي رواية: فأخبروه بخبره (**فقال: يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة**) ثلاث مرات (**قال**) الراوي: (**وأنزل الله تعالىٰ:** ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] **وأنزل الله تعالىٰ فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من جُهَينة ورجلاً من بني سُلَيم علىٰ**) قبض (**الصدقة**) من أرباب المواشي (**وكتب لهما كتابًا بأخذ الصدقة**) بيَّن فيها أسنان الإبل والغنم (**وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين وقال لهما: مُرَّا بثعلبة بن حاطب وبفلان - رجل من بني سليم - وخذا صدقاتهما. فخرجا حتىٰ أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتابَ رسول الله ﷺ**) وفي رواية قال: أروني كتابكما. فنظر فيه (**فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية**) وفي رواية: أُخيَّة الجزية (**انطلِقا حتىٰ تفرغا**) من شأنكما (**ثم تعودا إليَّ. فانطلقا نحو السُّلَيمي**) وهو الرجل الذي من بني سليم (**فسمع بهما، فقام إلىٰ خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأياها قالا: لا يجب عليك هذا**) فإنه من خيار الأسنان (**وما نريد أن نأخذ هذا منك**) وإنما نأخذ من وسط الأسنان (**قال: بلىٰ، خذوها، نفسي بها طيبة**) منشرحة (**وإنما هي لتأخذوها**) وفي نسخة: وإنما هي لتأخذوها (**فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتىٰ مرَّا بثعلبة، فسألاه الصدقة، فقال: أروني كتابكما. فنظر فيه فقال: هذه أخت الجزية، انطلِقا حتىٰ أرىٰ رأيي. فانطلقا حتىٰ أتيا النبيَّ ﷺ، فلما رآهما قال: يا ويح ثعلبة. قبل أن يكلِّماه، ودعا للسُّلَيمي**) بالبركة (**فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي. فأنزل الله في ثعلبة**) هذه الآيات: (﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧] **وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ما أنزل الله فيه، فخرج حتىٰ أتىٰ ثعلبةَ فقال: لا أمَّ لك يا ثعلبة)** هلكتَ (**قد أنزل الله فيك كذا وكذا**) وتلا عليه (**فخرج ثعلبة حتىٰ أتىٰ النبيَّ ﷺ، فسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك. فجعل يحثو التراب علىٰ رأسه**) ويبكي (**فقال له رسول الله ﷺ: هذا عملُك**) قد (**أمرتك فلم تطعني. فلما أبىٰ أن يقبل منه شيئًا رجع إلىٰ منزله، فلما قُبض رسول الله ﷺ جاء بها إلىٰ أبي بكر الصِّدِّيق**) فقال: يا أبا بكر، قد عرفتَ منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي[1]، وإن رسول الله ﷺ كان قد سخط عليَّ، فاقبلْ أنت صدقتي (**فأبىٰ أن يقبلها منه**) حتىٰ قُبض (**وجاء بها إلىٰ عمر بن الخطاب**) فقال: يا أمير المؤمنين، اقبلْ أنت صدقتي (**فأبىٰ أن يقبلها منه**) وقال: لم يقبلها منك رسول الله ولا أبو بكر، فكيف أقبلها أنا؟! فقُبض عمر وتولَّىٰ عثمان (**وتوفي ثعلبة بعد**) خلافة عمر (**في أيام عثمان**.

فهذا طغيان المال وشؤمه، وقد عرفتَه من هذا الحديث) ولفظ القوت[2]: وإن في قصة ثعلبة بن حاطب عِبرة لأولي الألباب الذين كُشف عن قلوبهم الحجاب، فقير من فقراء الصُّفَّة الصالحين الأنصار ومن المهاجرين، أخرجه حب الدنيا إلىٰ النفاق وأدخله في العناد والشِّقاق، وغضب اللهُ ورسوله عليه، فلم يقبل توبته، ولا رحمَ عَبرته، ولا أقال عثرته، وكان سبب ذلك حب الدنيا وإيثار الغنىٰ علىٰ الفقر، نذكره ليعتبر معتبِر [ويتذكر متذكِّر] ويزدجر مزدجِر، رواه علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب ... فذكر نحو سياق المصنف، وقال في آخره: فقد وُتِرَ ثعلبة المسكين بغناه فأُهلِك بطَغْواه، واستُدرِج بماله فسقط به عن مقامه وحاله

---

(١) في الدر المنثور ٧/ ٤٥٦: «قد عرفت منزلتي من الأنصار».

(٢) قوت القلوب ٢/ ٧٨٩ - ٧٩٢.

بماله، فحمله البخل وإيثار الكثرة والجمع علىٰ منع الصدقة وظلم أهلها وتركِ إخراج حق الله تعالىٰ منها، فعجز عن الفرض بعد أن كان ادَّعىٰ القوة والنهوض بالفضل، وما كان ينقص من المال لو أخرج من كل مائة شاةٍ شاةً وهو عُشر العُشر إذا كثرت غنمه، وأن يُخرِج من خمسين ناقة حِقَّةً من الإبل، ومن أربعين بنتَ لبون وذلك خُمس العُشر إذا كثرت إبله وربع العُشر، وكان فيه رضا ربه وطهرة نفسه وزكاة ماله، ولا يتبيَّن نقصُه من مزيد ماله، ولكن حضر شحُّ نفسه، وغاب يقين آخرته، فأطاع الحاضرَ لفقد الغائب، وكان أصله قلة العناية وعدم الوقاية، فلم يوجد الفلاح، وفُقِد الصلاح، ووُجد البخل، وظهر الخُلْف، وبان الكذب، وعزب الصدقُ. ينتظم ما ذكرنا قولُه تعالىٰ: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] وقوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩، التغابن: ١٦] وقوله: ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥﴾ مع قوله: ﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ إلىٰ قوله: ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝٧٧﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧] فأعقبه ذلك النفاقَ إلىٰ يوم التَّلاقِ، وجعل بابه حب الدنيا، ومفتاحه الطلب لها والحرص عليها، فحقَّت عليه الثلاث المهلكات، فاعتبِروا يا أولي الألباب.

إلىٰ هنا كلام صاحب القوت.

ولنرجع إلىٰ تخريج هذه القصة، قال العراقي[١]: الحديث بطوله رواه الطبراني[٢] بسند ضعيف. انتهىٰ.

قلت: رواه أيضًا البغوي[٣] والباوردي وابن شاهين وابن السكن وابن قانع[٤] كلهم في الصحابة والديلمي وغيرهم كلهم في ترجمة ثعلبة بن حاطب بن عمرو

---

(١) المغني ٢/ ٩١٩.

(٢) المعجم الكبير ٨/ ٢٦٠ - ٢٦١.

(٣) معجم الصحابة ١/ ٤١٩ حتىٰ قوله (لا تطيقه) ولم يذكر بقية القصة.

(٤) معجم الصحابة ١/ ١٢٤ حتىٰ قوله (لا تطيقه) أيضا.

الأوسي البدري من طريق مُعان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب ... وساقوا القصة نحو سياق المصنف. قال الحافظ في الإصابة: وفي كون صاحب القصة - إن صح الخبر، ولا أظنه يصح - هو البدري المذكور نظرٌ، وقد تأكَّدت المغايرةُ بينهما بقول ابن الكلبي: إن البدري استشهد بأُحد. ويقوِّي ذلك أيضًا أن ابن مردويه روىٰ في تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس في الآية المذكورة قال: وذلك أن رجلاً يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتىٰ مجلسًا فأشهدَهم فقال: لئن آتاني الله من فضله ... الآية، فذكر القصة بطولها[1]. فقال: إنه ثعلبة بن أبي حاطب، والبدري اتفقوا علىٰ أنه ثعلبة ابن حاطب، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «لا يدخل النار أحدٌ شهد بدرًا والحديبية». وحكىٰ عن ربه أنه قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم. فمَن يكون بهذه المثابة كيف يُعقِبه الله نفاقًا في قلبه وينزل فيه ما نزل؟! فالظاهر أنه غيره. والله أعلم.

(ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنىٰ آثر رسولُ الله ﷺ الفقر لنفسه ولأهل بيته) فقد كان من دعائه: «أعوذ بك من فتنة الفقر والغنىٰ، وأعوذ بك من غنىٰ يُطغِي وفقر يُنسِي» **(حتىٰ رُوي عن عمران بن الحصين رضي الله عنه أنه قال: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه، فقال: يا عمران، إن لك عندنا منزلة وجاهًا، فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله)**؟ وكانت قد اشتكت **(فقلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فقام وقمت معه حتىٰ وقف بباب منزل فاطمة)** رضي الله عنها **(فقرع الباب وقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فقالت)** وقد عرفت صوته: **(ادخلْ[2] يا رسول الله. قال:**

---

(١) ورواه أيضا الطبري في جامع البيان ١١/ ٥٧٨ والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٨٩، وعندهما بعد قوله «من فضله»: «آتيت منه كل ذي حق حقه، وتصدقت منه، ووصلت منه القرابة. فابتلاه الله فآتاه من فضله، فأخلف اللهَ ما وعده، وأغضب الله بما أخلف ما وعده، فقص الله شأنه في القرآن». وأشار محققو الطبري إلىٰ أن في بعض النسخ: ثعلبة بن حاطب، وفي بعضها الآخر: ابن أبي حاطب. أما البيهقي فلم ينسبه إلىٰ أبيه.

(٢) بعده في المطبوعة (بأبي أنت وأمي) ولا معنىٰ لهذه العبارة ههنا.

أنا ومَن معي؟ قالت: ومَن معك يا رسول الله؟ فقال: عمران ابن حصين. فقالت: والذي بعثك بالحق نبيًّا ما عليَّ إلا عباءة. قال: اصنعي بها هكذا وهكذا. وأشار بيده، فقالت: هذا جسدي قد واريته، فكيف برأسي؟ فألقىٰ إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال: شدِّي بها علىٰ رأسكِ. ثم أذنت له، فدخل، فقال: السلام عليكم يا بنتاه، كيف أصبحتِ؟ قالت: أصبحت واللهِ وجعة، وزادني وجعًا علىٰ ما بي أني لست أقدر علىٰ طعام آكله، فقد أجهدني الجوع. فبكىٰ رسول الله ﷺ وقال: لا تجزعي يا بنتاه، فواللهِ ما ذقتُ طعامًا منذ ثلاث، وإني لأكرمُ علىٰ الله منك، ولو سألتُ الله ربي لأطعمني، ولكني آثرت الآخرة علىٰ الدنيا. ثم ضرب بيده علىٰ منكبها وقال لها: أبشري، فواللهِ إنك لَسيدةُ نساء أهل الجنة. فقالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران؟ فقال: آسية سيدة نساء عالَمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها، وأنتِ سيدة نساء عالمك، إنكن في بيوت من قصب لا أذىٰ فيها ولا صَخَب. ثم قال لها: اقنعي بابن عمك، فواللهِ لقد زوَّجتُك سيدًا في الدنيا سيدًا في الآخرة) وسيأتي هذا للمصنف بعينه في كتاب الزهد والفقر.

قال العراقي(١): لم أجده من حديث عمران، ولأحمد(٢) والطبراني(٣) من حديث معقل بن يسار: وضَّأتُ النبي ﷺ ذات يوم، فقال: هل لك في فاطمة تعودها(٤) ...» الحديث، وفيه: «أما ترضين أن زوَّجتُك أقدم أمَّتي سِلْمًا، وأكثرهم علمًا، وأعظمهم حِلمًا». وإسناده صحيح. انتهىٰ.

قلت: وقد وُجد بخط الكمال الدميري في نسخته قال: بل إسناده ضعيف،

---

(١) المغني ٢/ ٩١٩.

(٢) مسند أحمد ٣٣/ ٤٢٢.

(٣) المعجم الكبير ٢٠/ ٢٣٠.

(٤) بعده عند أحمد والطبراني: «فقلت: نعم. فقام متوكئا عليَّ، فقال: أما إنه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك. فكأنه لم يكن علىٰ شيء حتىٰ دخلنا علىٰ فاطمة، فقال لها: كيف تجدينك؟ قالت: والله لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي. فقال أما ترضين ...» الخ.

فيه خالد بن طهمان، شيعي مختلَف فيه.

(فانظر الآن إلىٰ حال فاطمة ﷺ وهي بضعة[1] من رسول الله ﷺ كيف آثرت الفقرَ وتركت المال) حتىٰ صبرت علىٰ الجوع وقنعت بعباءة لا تغطي رأسها (ومَن راقب أحوال الأنبياء) عليهم السلام (والأولياء) من بعدهم (وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم) في القناعة والزهد (لم يشكَّ في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صُرف إلىٰ الخيرات) ووجوه البِر (إذا قلَّ ما فيه مع أداء الحقوق) لأربابها (والتوقِّي من الشبهات) في اكتسابه (والصرف إلىٰ الخيرات اشتغال العمر[2] بإصلاحه) وتنميته (وانصرافه عن ذكر الله؛ إذ لا ذكر إلا مع الفراغ، ولا فراغ مع شغل المال، وقد رُوي عن جرير) بن[3] حازم بن زيد بن عبد الله الأزدي البصري، كنيته أبو النضر، وهو والد وهب، ثقة، مات سنة سبعين، روىٰ له الجماعة (عن ليث) بن[4] أبي سليم الكوفي، صدوق اختلط، روىٰ له البخاري معلقًا ومسلم والأربعة (قال: صحب رجلٌ عيسىٰ ابن مريم عليه السلام فقال: أكون معك أصحبك. فانطلقا، فانتهيا إلىٰ شط نهر، فجلسا يتغدَّيان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين، وبقي رغيف ثالث، فقام عيسىٰ عليه السلام إلىٰ النهر فشرب) منه (ثم رجع، فلم يجد الرغيف، فقال للرجل: مَن أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري. قال: فانطلق ومعه صاحبه، فرأىٰ ظبية معها خشفان لها، فدعا أحدَهما فأتاه، فذبحه فاشتوىٰ منه، فأكل هو وذلك الرجل، ثم قال للخِشْف: قمْ بإذن الله. فقام فذهب، فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية مَن أخذ الرغيف؟ فقال: ما أدري. قال: ثم انتهيا إلىٰ وادي ماء، فأخذ عيسىٰ بيد الرجل فمشيا علىٰ الماء، فلما جاوزا قال له: أسألك بالذي أراك هذه الآية مَن أخذ الرغيف؟ قال: لا أدري. قال: فانتهيا إلىٰ مفازة، فجلسا، فأخذ عيسىٰ

(١) بَضْعَة أي: قطعة. تاج العروس ٢٠/ ٣٣٤.
(٢) في غير الزبيدي: الهم.
(٣) تقريب التهذيب ص ١٩٦.
(٤) السابق ص ٨١٧ - ٨١٨.

عليه السلام ترابًا من كثيب فجمعه ثم قال: كنْ ذهبًا بإذن الله. فصار ذهبًا، فقسمه ثلاثة أثلاث فقال: ثلث لي، وثلث لك، وثلث لمَن أخذ الرغيف. فقال: أنا الذي أخذت الرغيف. قال: فكله لك. قال: وفارقه عيسىٰ عليه السلام، فانتهىٰ إليه رجلان في المَفازة ومعه المال، فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاثًا. قال: فابعثوا أحدكم إلىٰ القرية حتىٰ يشتري لنا طعامًا نأكله. قال: فبعثوا أحدهم، فقال الذي بُعث: لأيِّ شيء أقاسم هؤلاء هذا المال؟ لكني أضع في هذا الطعام سمًّا فأقتلهما وآخُذ المال وحدي. قال: ففعل، وقال ذانك الرجلان: لأيِّ شيء نجعل لهذا ثلث المال، ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا) أنصافًا (فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا) لأنه كان مسمومًا (فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده قتلىٰ، فمرَّ بهم عيسىٰ عليه السلام علىٰ تلك الحال، فقال لأصحابه: هذه الدنيا فاحذروها)[1]

وقد رواه صاحب القوت[2] مختصرًا، ولفظه: وفي أخبار عيسىٰ عليه السلام: أنه مرَّ في سياحته ومعه طائفة من الحواريين بذهب مصبوب في أرض، فوقف عليه ثم قال: هذا القاتول، فاحذروه. ثم جاز وأصحابُه، فتخلَّف ثلاثة لأجل الذهب، فأقام اثنان عليه، ودفعا إلىٰ واحد شيئًا منه يشتري لهم من طيِّبات الدنيا من أقرب الأمصار إليهم، فوسوس إليهما العدو: ترضيان أن يكون هذا المال بينكم [أثلاثًا]؟ اقتلا هذا فيكون المال بينكما نصفين. فأجمعا علىٰ قتله إذا رجع إليهما. قال: وجاء الشيطان إلىٰ الثالث فوسوس إليه: أرضيت لنفسك أن تأخذ ثلث المال؟ اقتلهما فيكون المال كله لك. قال: فاشترىٰ سمًّا فجعله في الطعام، فلما جاءهما به وثبا عليه فقتلاه، ثم قعدا يأكلان الطعام، فلما فرغا ماتا، فرجع عيسىٰ عليه السلام من سياحته، فنظر إليهم صرعَىٰ حول الذهب، والذهب بحاله، فعجب أصحابه وقالوا: ما شأن

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص ٤٩ - ٥٠، وابن الأعرابي في معجمه ٣/ ١٠٦٣ - ١٠٦٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٣٩٥. وعند ابن الأعرابي وابن عساكر التصريح بأن الراوي عن الليث هو جرير بن عبد الحميد وليس جرير بن حازم.

(٢) قوت القلوب ٢/ ٧٤٠.

هؤلاء قتلىٰ؟ فأخبرهم بهذه القصة.

(وحُكي أن ذا القرنين) إسكندر بن فيليبس الرومي (أتىٰ علىٰ أمّة من الأمم) في بعض سياحاته (ليس في أيديهم شيء ممّا يستمتع به الناس من دنياهم) من الدراهم والدنانير (قد احتفروا قبورًا. قال: فإذا أصبحوا تعهّدوا تلك القبور وكنسوها وصلّوا عندها، و) إذا جاعوا (رعوا البقل) من نبات الأرض (كما ترعىٰ البهائمُ، وقد قيَّض الله لهم في ذلك معايش من نبات الأرض، فأرسل ذو القرنين إلىٰ ملكهم) أي رئيسهم الذي يحكم عليهم (فقال له: أجِب) الملكَ (ذا القرنين. فقال: ما لي إليه حاجة، فإن كانت له حاجة فليأتني. فقال ذو القرنين: صدق. فأقبل إليه ذو القرنين وقال له: أرسلت إليك لتأتيني فأبيتَ، فها أنا ذا قد جئت. فقال له: لو كان لي إليك حاجة لأتيتك. فقال له ذو القرنين: ما لي أراكم علىٰ الحال التي لم أرَ أحدًا من الأمم عليها؟ قال: وما ذاك؟ قال: ليس لكم دنيا ولا شيء، أفلا اتَّخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بهما؟ قالوا: إنما كرهناهما لأن أحدًا لم يُعْطَ منهما شيئًا إلا تاقت نفسه ودعته إلىٰ ما هو أفضل منه. فقال: ما بالكم قد احتفرتم قبورًا فإذا أصبحتم تعهَّدتموها فكنستموها وصلَّيتم عندها؟ قالوا: أردنا إذا نظرنا إليها وأمّلنا الدنيا منعتنا قبورُنا من الأمل) فهي معينة علىٰ ذكر الموت وقاطعة للأمل (قال: وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض، أفلا اتَّخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها؟ فقالوا: كرهنا أن نجعل بطوننا قبورًا لها، ورأينا في نبات الأرض بلاغًا، وإنما يكفي ابنَ آدم أدنىٰ العيش من الطعام) قدْر ما يبلِّغه (وإن ما جاوز الحنكَ) أي داخل الفم (من الطعام لم نجد له طعمًا كائنًا ما كان من الطعام. ثم بسط ملك تلك الأرض يده من خلف ذي القرنين فتناول جُمجمة) بالضم: عظم الرأس (فقال: يا ذا القرنين، أتدري مَن هذا؟ قال: لا، ومَن هو؟ قال: ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانًا علىٰ أهل الأرض فغشَمَ) أي جارَ (وظلم وعتا) وتمرَّد (فلما رأىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ذلك منه حسمه بالموت) أي قطعه،

أو كواه (فصار كالحجر المُلقىٰ، قد أحصىٰ الله عليه عمله حتىٰ يجزيه به في آخرته) بما عمل في دنياه (ثم تناول جمجمة أخرىٰ بالية فقال: يا ذا القرنين، هل تدري مَن هذا؟ قال: لا أدري، ومَن هو؟ قال: هذا ملك ملَّكه اللهُ بعده، قد كان يرىٰ ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبُّر، فتواضع وخشع لله عَزَّوَجَلَّ، وأمر بالعدل في أهل مملكته، ثم مات فصار كما ترىٰ، قد أحصىٰ الله عليه عمله حتىٰ يجزيه به في آخرته) ممَّا عمل به في دنياه (ثم أهوىٰ إلىٰ جمجمة ذي القرنين فقال: وهذه الجمجمة كأنْ قد صارت كهاتين، فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع) من الخير والشر (فقال له ذو القرنين) لما استحسن كلامَه: (هل لك في صحبتي فأتخذك أخًا ووزيرًا وشريكًا فيما آتاني الله من هذا المال؟ قال: ما أصلُح أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعًا. قال ذو القرنين: ولِمَ) ذلك؟ (قال: من أجل أن الناس كلهم لك عدوٌّ ولي صديق. قال: ولِمَ؟ قال: يعادونك لِما في يديك من المُلك والمال والدنيا، ولا أجد أحدًا يعاديني لرفضي لذلك) أي تركي إياه (و) رفضي (لِما عندي من الحاجة وقلة الشيء. قال: فانصرف عنه ذو القرنين متعجِّبًا منه ومتَّعظًا به)[1] أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

(فهذه الحكايات) التي أوردناها (تدلُّك علىٰ آفات الغنىٰ) وأخطاره (مع ما قدَّمناه من قبل) في كتاب ذم الدنيا (إن شاء الله تعالىٰ) وبه تم كتاب ذم البخل وحب المال.

والحمد لله والمنَّة، والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه محمد وآله وصحبه.

وكان الفراغ منه في صبيحة نهار الثلاثاء، سادس عشر ربيع الأول من شهور سنة مائتين بعد الألف، علىٰ يد مؤلِّفه أبي الفيض محمد مرتضىٰ الحسيني، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ولجميع المسلمين بمنِّه وكرمه ... آمين.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور ص ١٣٥ - ١٣٦ وأبو الشيخ في العظمة ٤/ ١٤٤٦ - ١٤٤٧ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/ ٣٥٣ - ٣٥٥ عن عبد الرحمن بن عبد الله الخزاعي.

فهرس كتاب ذم البخل وذم حب المال

٢٧ - كتاب ذم البخل وذم حب المال

المقدمة ٥

الفصل الأول: في بيان ذم المال وكراهة حبه ١٠

بيان مدح المال، والجمع بينه وبين الذم ٢٨

بيان تفصيل آفات المال وفوائده ٤٠

بيان ذم الحرص والطمع، ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس ٤٨

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي تُكتسَب به صفة القناعة ٧٤

بيان فضيلة السخاء ٩٦

حكايات الأسخياء ١٣٥

بيان ذم البخل ١٦١

حكايات البخلاء ١٨٧

بيان الإيثار وفضله ١٩١

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتها ١٩٨

بيان علاج البخل ٢٠٧

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله ٢١٦
بيان ذم الغِنى ومدح الفقر ٢١٩
فهرس كتاب ذم البخل وذم حب المال ٢٥٩